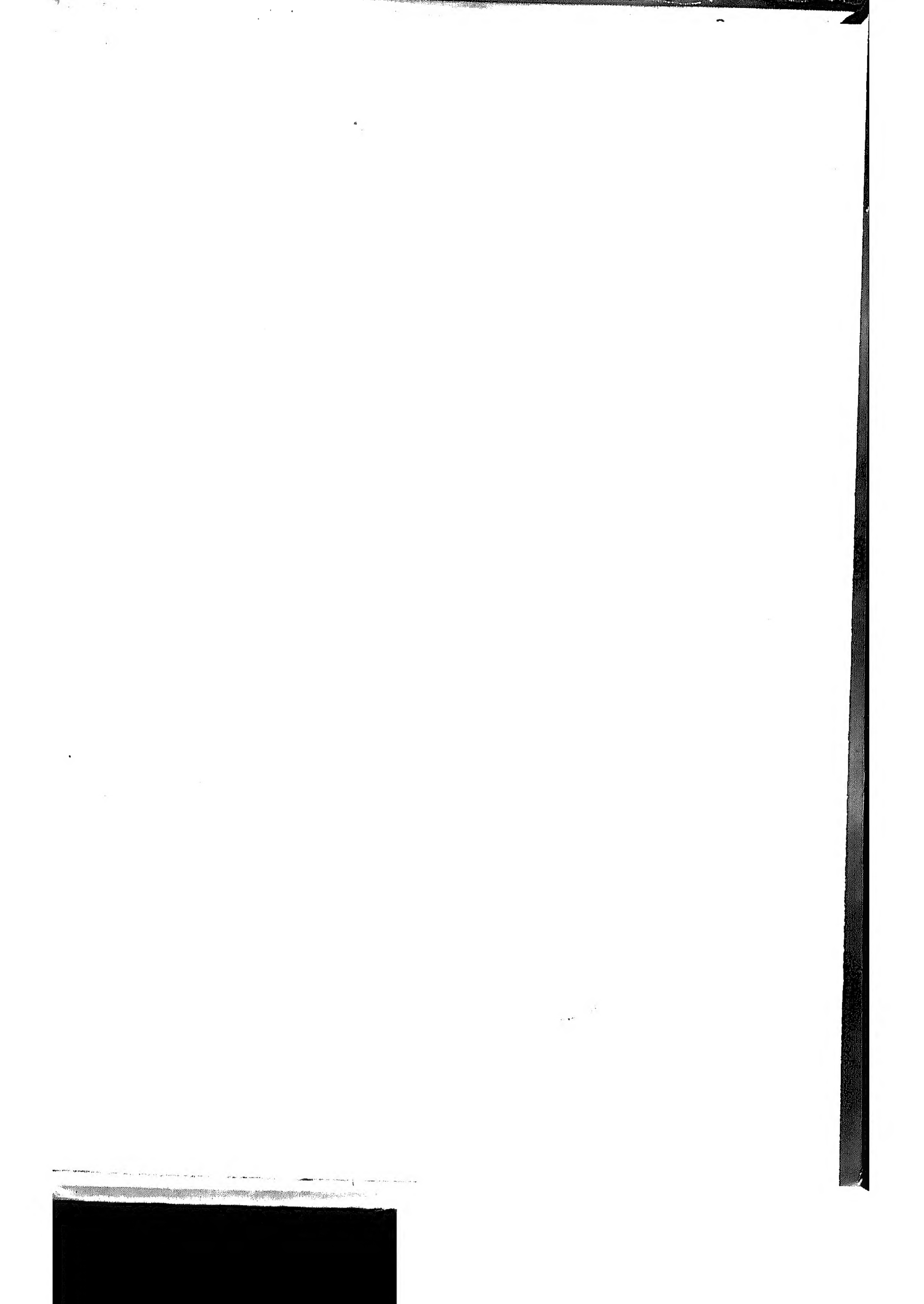
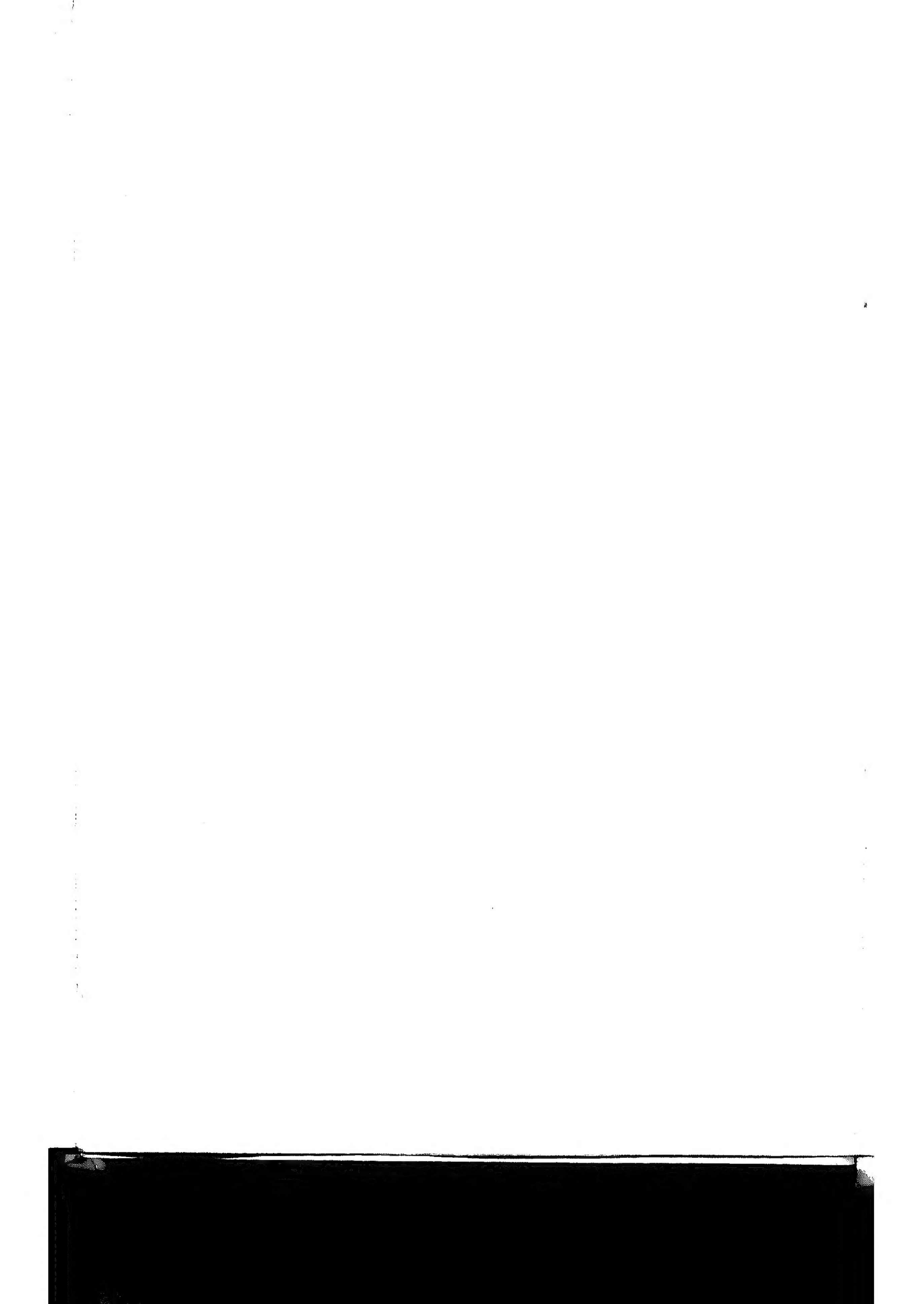


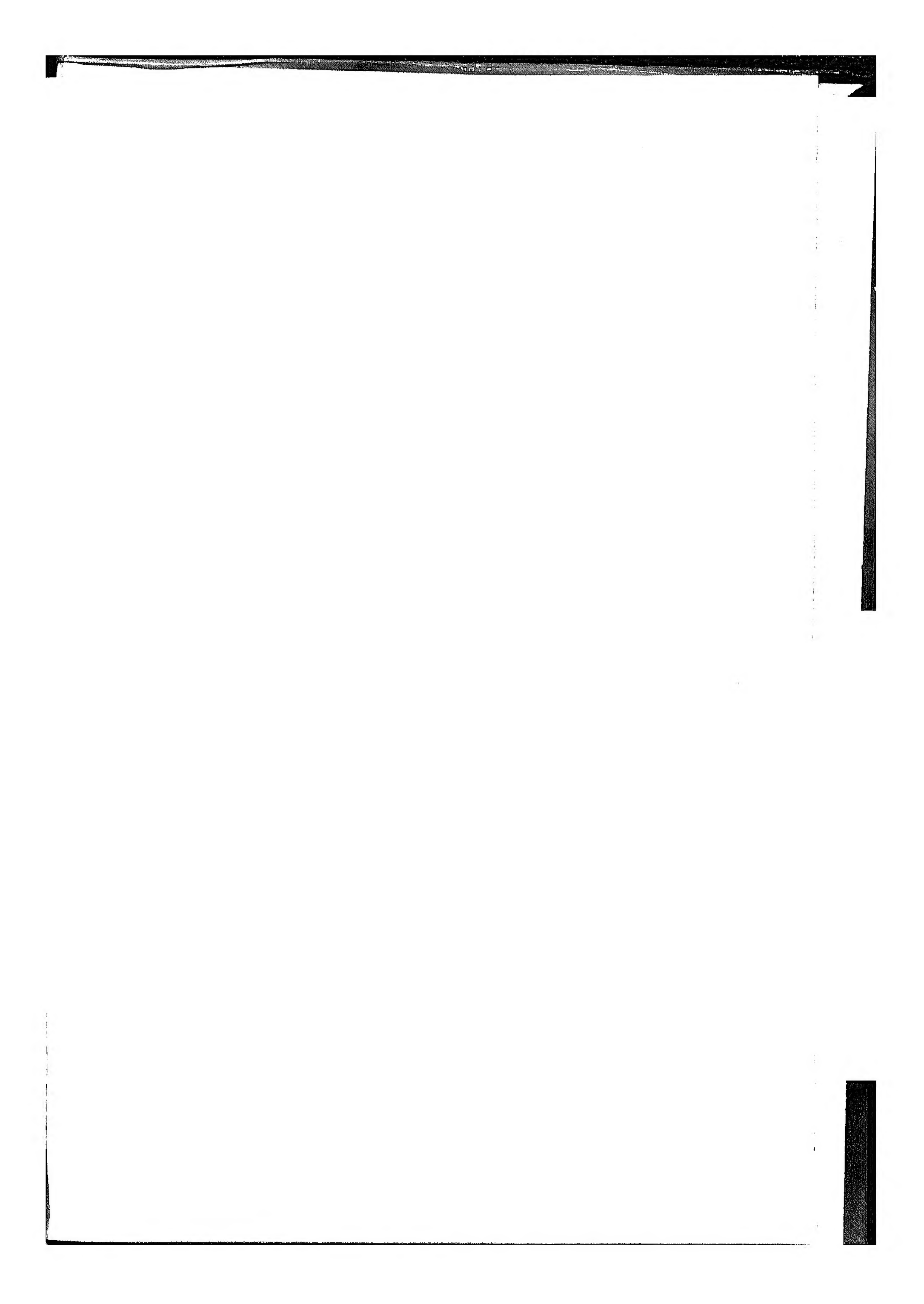
شمائل الرسول

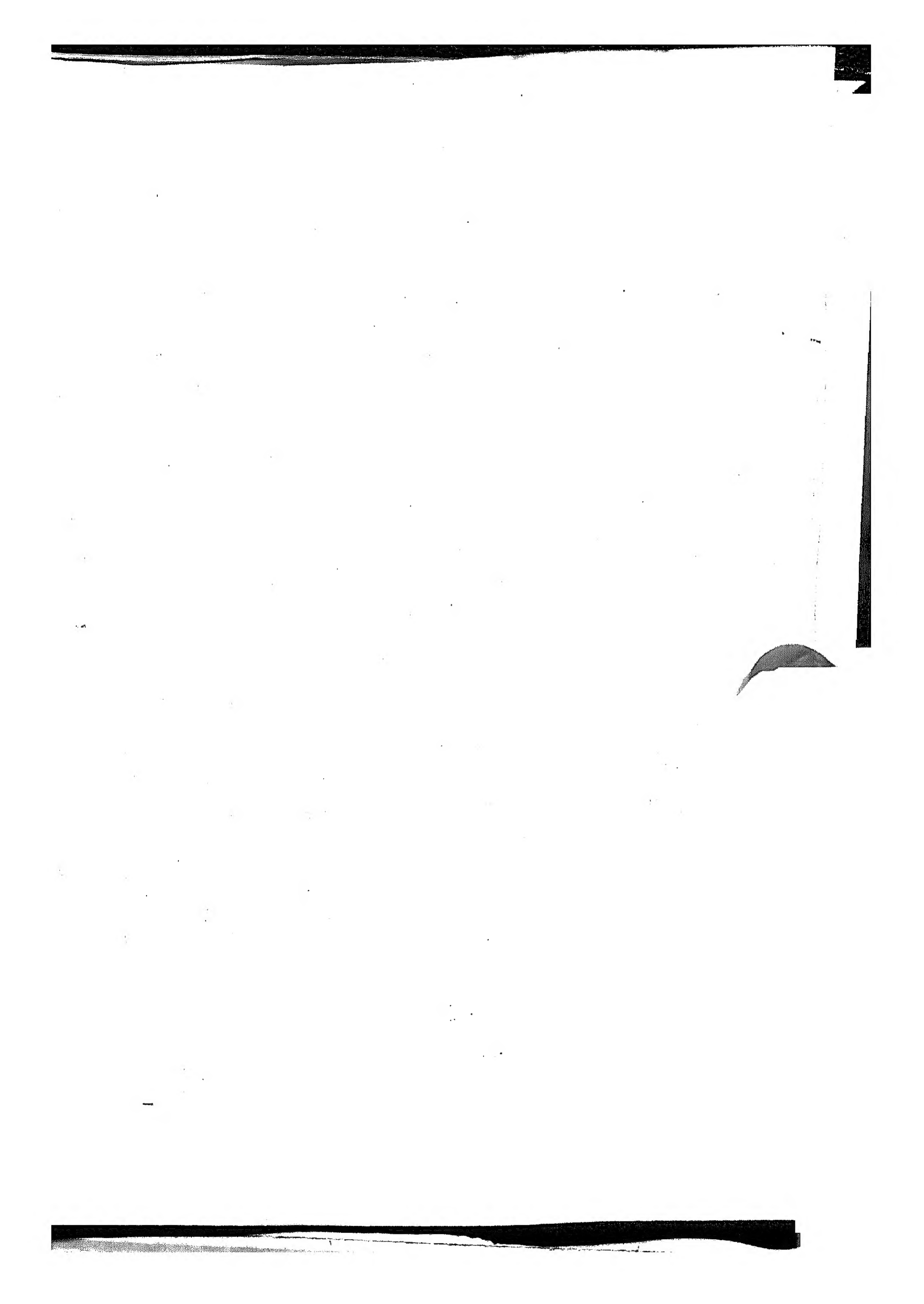
للحافظ بن كثير

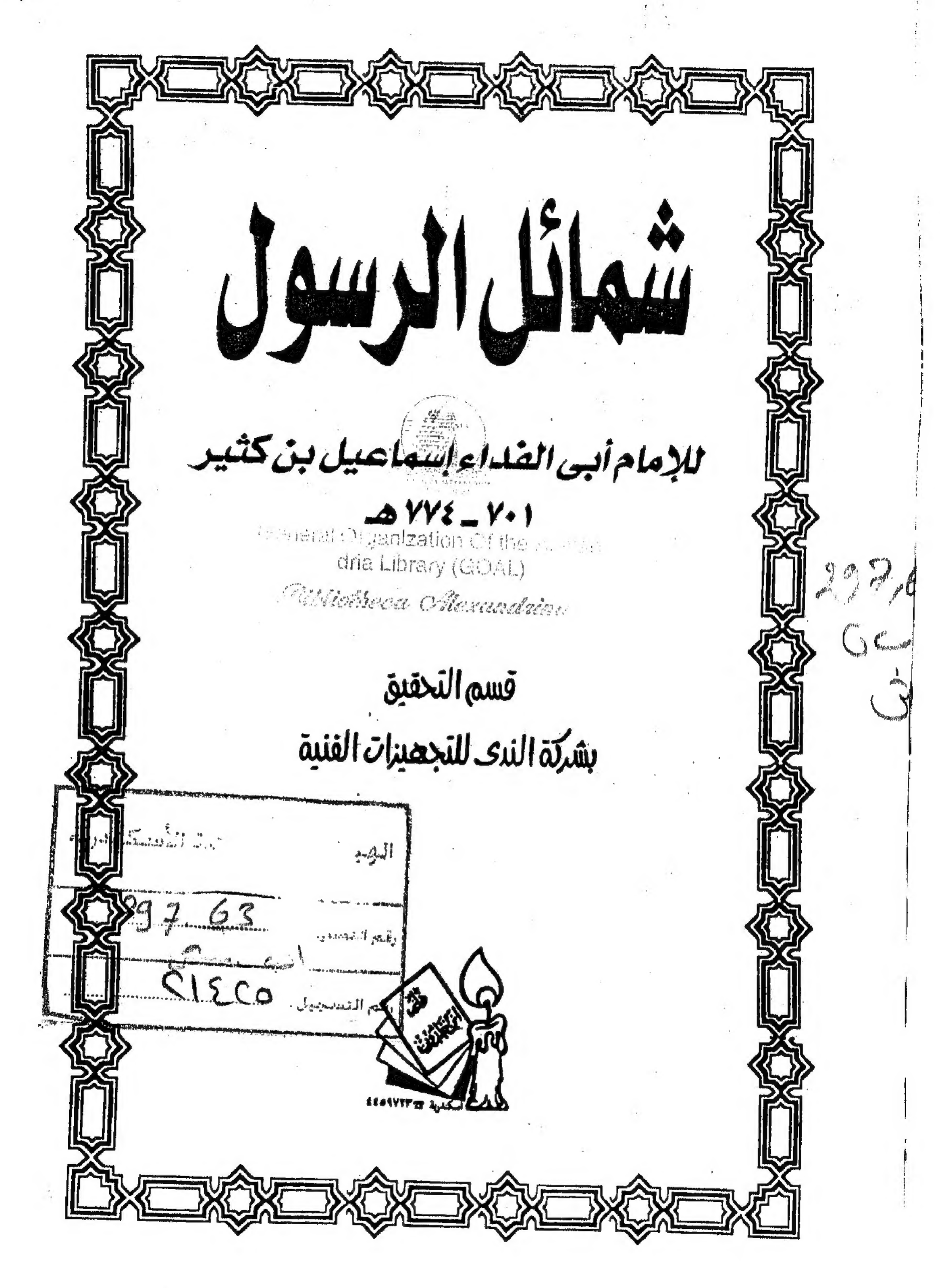












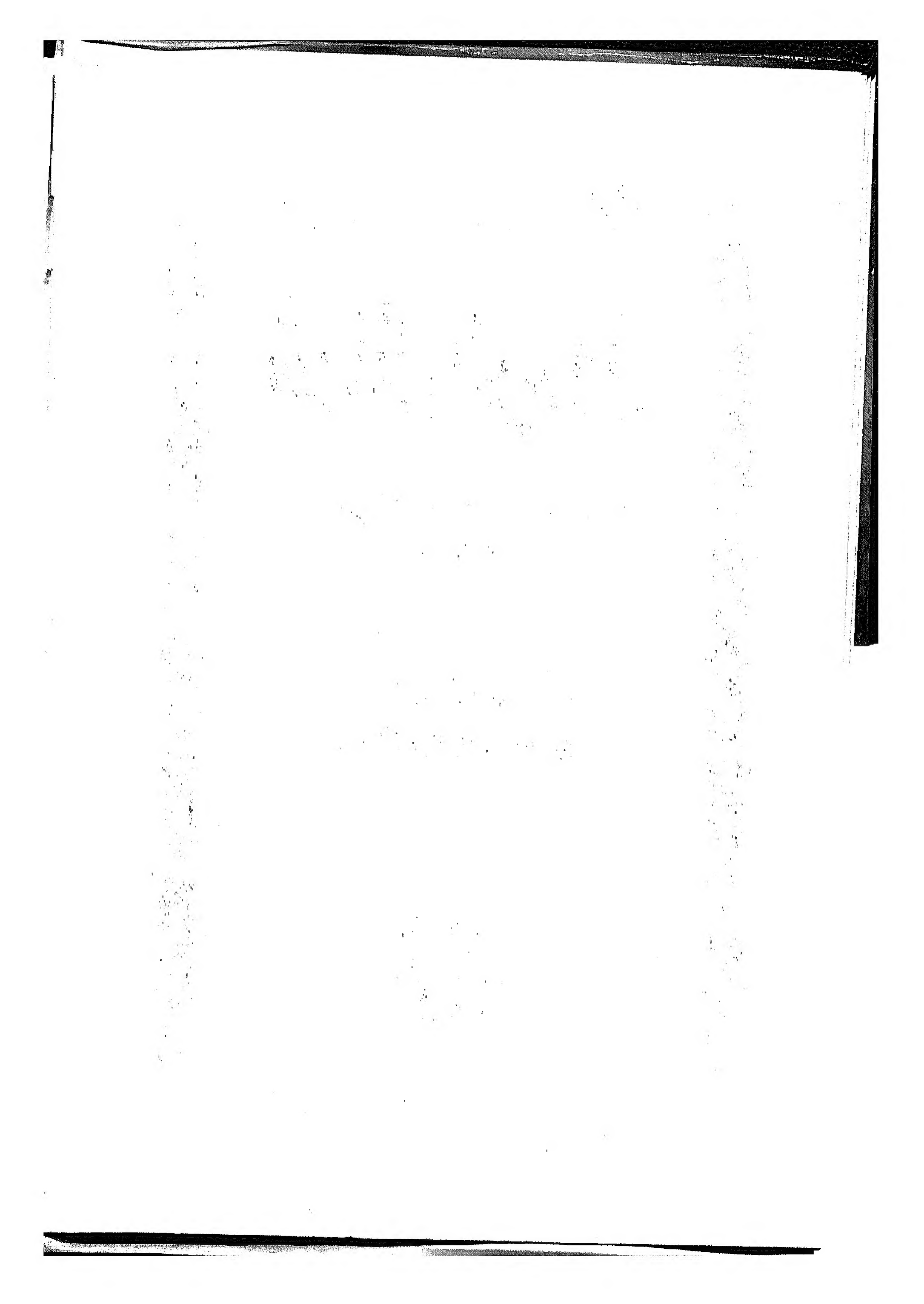
شمائل الرسول

للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ

قسم التحقيق

بشركة الندى للتجهيزات الفنية



❖ مقدمة ❖

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله - ﷺ - وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه . . وبعد فالإنسان خلق جاهلاً ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (النحل: ٧٨) وخلق ضعيفا ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨) والقراءة طريق المعرفة فالإنسان يجب أن يتزود منها بصدق وإيمان

إذا مر بى يوم ولم أدخر يداً ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى

ومما يدعو للعجب والاستغراب تزوير التاريخ وضياع معروف وحق الإسلام والمسلمين على العالم أجمع . . ولكن هذا يرجع لتأخر المسلمين وتخليهم عنه ولا مكان للمراء في أن ما أصابهم من استعمار و . . ثم الآن يتنكر له والحل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) وعندنا كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) ويقول عنه ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ٣٨) ثم هدى المصطفى ﷺ « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** » . . « **وخيركم من تعلم العلم وعلمه** » .

وأهدف إلى الحفاظ على قيم الإسلام وفضائله وأخلاقياته لا سيما بعد أن ثبت أن الإسلام دين ارتضاه الله لخلقه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥) ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه ﴾ (بالإسلام) ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام: ١٢٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الإسلام) ﴿ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ (القرآن) ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (يونس : ٥٧ ، ٥٨) . . وأرى الطريق الذى سلكته فيه إفادة وتجديد وسيتيح الفرصة بالنفع - إن شاء الله - مستمداً العون والتوفيق من الله راجياً منه سبحانه أن يتقبله بقبول حسن وينفع كل من يقرأه إنه على ما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وآمل من إخواننا وأساتذتنا أن ينقدوه ليتحقق الأمل والرجاء منه لنصلح الخطأ ونكمل النقص ونصل إلى ما يرضى الله

ورسوله ، فخير الناس من أهدى إلىّ عيوبى

فهذا كتاب شمائل الرسول ودلائل نبوته وخصائصه للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد رأيت الأمر يدعونى لتهذيبه وتحقيقه ونشره ولقد أدمج ابن كثير فى هذا الكتاب ثلاث صفات وهى :

١ ـ الشمائل :

وهو موضوع اهتم به علماء الإسلام منذ القدم ، فقد كان أحد أغراض كتب الحديث التى تهتم فى المقام الأول بأحوال الرسول العملية فى عبادته وخلقه وهديه ومعاملته ، باعتباره الأسوة الحسنة ، وباعتبار صفاته وأحواله جانبا من جوانب سنته الشريفة . ومن هنا نجد كتب الصحاح والسنن والمسانيد تحوى شمائل الرسول منثورة بين أبواب العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والزهد والرقاق . .

ثم أفرد المحدثون والعلماء موضوع الشمائل بكتب مستقلة ، كما يقول ابن كثير نفسه : « قد صنف الناس فى هذا قديما وحديثا ، كتبا مفردة وغير مفردة ومن أحسن من جمع فى ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ـ رحمه الله ـ، أفرد فى هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل ، ولنا به سماع متصل إليه » فماذا كان صنيع ابن كثير فى هذا الغرض من كتابه ؟

لقد كان تعويله على كتاب شمائل الترمذى فى المقام الأول ، ثم أضاف إليه ما ورد فى كتب الصحاح والمسانيد ، كما قال : « ونحن نورد عيون ما أورده فيه ، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغنى عنها المحدث والفقيه » .

والحق أن ما أورده ابن كثير فى كتاب الشمائل . . بعد أوفى ما يمكن جمعه فى هذا الغرض إذ إنه لم يترك جانبا مما ورد فى كتب الحديث فى شمائل الرسول إلا وذكره . ورتب ذلك فى أبواب دقيقة ، فجهده يتمثل فى الجمع والإحاطة وفى دقة الترتيب وحسنه

٢ ـ دلائل النبوة .

وهى أيضا غرض اهتم به المحدثون والعلماء منذ فجر التدوين ، ففى كتاب الصحاح نجد أبوابا مفردة تجمع بعض معجزات الرسول وتشير إلى دلائل صدقه ، فمن ذلك ما نجده

فى صحيح البخارى فى باب « علامات النبوة فى الإسلام » ثم روايته لبعض المعجزات فى كتاب السيرة من صحيحه ، مثل معجزة انشقاق القمر ونبع الماء وتكثير الطعام وغير ذلك .

وكذلك صنع مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحه أيضا فى باب « معجزات الرسول » وكذلك ورد فى مسند أحمد أيضا هذه الدلائل منثورة فى مسند كل صحابى .

أما إفراد موضوع دلائل النبوة بالتأليف فقد بدأ قبل ابن كثير أجيال ، ومن أقدم ما وصل إلينا فى ذلك كتب ثلاث :

أ ـ « دلائل النبوة » للإمام أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، صاحب حلية الأولياء ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وقد طبع مختصر لهذا الكتاب فى حيدر آباد للمرة الثانية سنة ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠ .

وفى هذا الكتاب يعرض أبو نعيم لفضائل الرسول ، ثم يتناول ذكره فى الكتب المتقدمة ، ثم يستعرض حياة الرسول ـ صلوات الله عليه ـ مشيرا إلى جانب المعجزة أو حجة التصديق فى كل موقف ، والكتاب تختلط فيه الأخبار الصحيحة بالواهية والمنقطعة ، على عادة جامعى الحديث والأثر .

ب ـ « أعلام النبوة » لأبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ ويتميز باعتماده على الحجة العقلية إلى جوار ما ينقله من آثار ، فيعرض حجج المانعين لنبوة محمد من اليهود والنصارى ويرد عليهم بأدلة العقل ، ثم يخلص منها إلى عرض المعجزات ، بادئاً بالمعجز الأكبر وهو القرآن الكريم .

جـ ـ دلائل النبوة للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وهو يعرض للمعجزات الحسية بتفصيل كثير يمتلئ بالأخبار الواهية والمكذوبة .

وقد استعرض ابن كثير هذا التراث الكثير فى موضوع الدلائل ، فأورد ما اطمأن إلى صحته أو أمكن قبوله عنده ، إلا أنه تسامح فى إيراد أخبار واهية يتطرق إليها الشك ، ومنها ما حكم بعض نقاد الحديث بوضعه ، كحديث كلام الضب وشهادته بالرسالة ، وحديث الغزالة ، والحمار ، وغير ذلك .

والحق أن دلائل النبوة القاطعة تغنى عن تصيد الأخبار ورواية ما يصادم العقل ، إلا أن

منهج ابن كثير يقوم دائما على إيراد أكثر المرويات ثم محاكمتها إلى موازين لإسناد ليمكن معرفة حالها ، وبذلك يبرئ ساحته ويخلى تبعته ، وذلك عمل لاريب فى فائدته فى مجال الرواية ، إلا أن الكثيرين فى هذا العصر يضيقون به ، ويودون أن لو أغفله الكاتبون والمؤلفون .

وقد امتاز ابن كثير فى باب دلائل النبوة بنقله عن الإمام ابن تيمية هذا الفصل من كتابه الذى رد فيه على فرق النصارى واليهود ، وذكر فى آخره دلائل النبوة ، ويصف ابن كثير مسلك ابن تيمية فى باب الدلائل أنه « سلك فيها مسالك حسنة صحيحة ، بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه » .

وقد كان ابن كثير تلميذا لابن تيمية ، فلذلك نقل عنه وأعجب بمسلكه ، وما أقل من كان ينصف ابن تيمية فى تلك الأزمان !

كذلك فقد كتب ابن كثير فصلا موجزاً فى إعجاز القرآن يتميز بأصالة فى التفكير وقوة فى الحجة ، وجعله فى صدر كتاب الدلائل .

ومن هنا فإن ابن كثير قد أتى بجديد فى باب الدلائل ، وكان أعدل منهجاً وأقوم طريقا بين الذين كتبوا فيها .

٣ـ وفى باب الخصائص والفضائل :

ذكر ابن كثير فى أول الكتاب أنه سيفرد باباً للخصائص ، ولكنه لم يصنع ذلك وإن كان قد ذكر أحاديث متفرقة فى بعض ما اختص به رسول الله ـ ﷺ ـ فأما كتاب الفضائل ، فقد اقتصر فيه ابن كثير على مقارنات بين ما أوتى رسولنا ـ صلوات الله عليه ـ وبين ما أوتى الأنبياء قبله .

ويذكر ابن كثير أن الباعث له على عقد هذا الباب أنه وقف على مولد اختصره من سيرة الإمام محمد بن إسحاق ، شيخه أبو المعالى المعروف بابن الزَّملكانى ، حيث ذكر فى آخره شيئا من فضائل رسول الله ، ولم يره استوعب الكلام إلى آخره فسأله بعض أصحابه تكميله وتبويبه وترتيبه وتهذيبه ، والزيادة عليه فنشط لذلك .

كما يذكر أنه سمع من شيخه الإمام الحافظ أبى الحجاج المزى أن أول من تكلم فى هذا

المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي .

ومن هنا فقد كان تعويل ابن كثير في باب الفضائل أولا على كتاب ابن الزَّملكاني ثم كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الذي قال في آخر كتابه في دلائل النبوة وهو في مجلدات ثلاثة : « الفصل الثالث والثلاثون في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي » .

ثم على كتاب « دلائل النبوة » للفقية أبي محمد عبد الله بن حامد ، الذي يصفه ابن كثير بقوله : « وهو كتاب حافل » ثم على كتاب « المبعث » لهشام بن عمار الذي نقل عنه ابن كثير فصلا بعنوان : « باب ما أعطي رسول الله ـ ﷺ ـ وما أعطي الأنبياء قبله » .

وبهذا يصبح لعمل ابن كثير في باب الفضائل فضل الجمع والإحاطة ، والنقل عن كتب مفقودة ، مثل ما أصل كتاب « الدلائل » لأبي نعيم ، ودلائل ابن حامد ، « المبعث» لهشام بن عمار .

لأن صفات الرسول ـ ﷺ ـ مهمة لأن نعرفها ؛ لأن هذه الصفات موجودة كبشارات في الكتاب المقدس (العهد القديم وهو التوراة والعهد الجديد وهو الإنجيل) .

وقد روى هذا الحديث محمد بن إسحاق ، عن الزهري قال : سمعت رجلا من مزينة يحدث سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة حدثهم فذكره ، وعنده : فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لابن صوريا : أنشدك بالله وأذكّرك أيامه عند بني إسرائيل : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ فقال : اللهم نعم . أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبي مرسل ، ولكنهم يحسدونك .

فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني تميم عند مالك بن النجار .

قال : ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ [المائدة : ٤١] .

وقد ورد ذكر عبد الله بن صوريا الأعور في حديث ابن عُمَير وغيره بروايات صحيحة قد بيناها في التفسير .

قال حماد بن سلمة : حدثنا ثابت ، عن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبى ـ ﷺ ـ ، فمرض فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ يَعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : يا يهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون فى التوراة نعتى وصفتى ومخرجى ؟ فقال : لا .

فقال الفتى : بلى والله يا رسول الله ، إنا نجد فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال النبى لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، ولُوا أخاكم .

ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

فالذى يُقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد بَشَّرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يَعْلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ . وقال تعالى ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له .

قال ـ ﷺ ـ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ولا يؤمن بى إلا دخل النار » . رواه مسلم .

وفى الصحيحين : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » .

وفيها : « بعثت إلى الأسود والأحمر » .

فإخبار محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن ذكره موجود فى الكتب المتقدمة ، فيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق ، يدل على صدقه فى ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقا بما أخبر به من ذلك ، لكن ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يقدم على ذلك عاقل ، والفرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم فى نفس الأمر .

ثم إنه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته أقطار الآفاق عموما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ـ ﷺ ـ نبيا ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة فى كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم ، ونصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى قد أنذر نوح ـ وهو أول الرسل ـ قومه .

ومعلوم أنه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشىء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهى عن مخالفته والخروج عن طاعته .

وقد وجدت البشارات به ـ ﷺ ـ فى الكتب المتقدمة ، وهى أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر .

وقد قدمنا قبل مولده ـ عليه السلام ـ طرفاً صالحاً من ذلك ، وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة ، نحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ، ويتدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ، واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم .

ففى السِّفر الأول من التوراة التى بأيديهم فى قصة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ما مضمونه وتعريبه : « إن الله أوحى إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعدما سلمه من نار النمروذ : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك » .

فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه ، وحرصت على إبعاد هاجر وولدها ، حتى ذهب بهما الخليل إلى برية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه ما مضمونه :

« أما ولدك إسحاق فإنه يرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإنى باركته وعظمته وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته ماذ ماذ ، يعنى محمداً ـ ﷺ ـ وجعلت فى ذريته اثنى عشر إماما ، وتكون له أمة عظيمة » .

وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشت وحزنت على ولدها وجاء الملك فأنبع زمزم ، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم ، أعظم قدراً ولا أوسع جاهاً ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصباً ، من محمد ـ ﷺ ـ ، وهو الذى استولت دولة أمته على المشارق والمغارب وحكموا على سائر الأمم .

وهكذا فى قصة إسماعيل من السفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن .

وهذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا لمحمد ـ ﷺ ـ .

وأيضا فى السفر الرابع فى قصة موسى : « أن الله أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ : أن قل لبنى إسرائيل سأقيم لهم نبيا من أقاربهم مثلك يا موسى ، وأجعل وحيى بفيه وإياه تتبعون » .

وفى السفر الخامس ـ وهو سفر الميعاد : أن موسى ـ عليه السلام ـ خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره ـ وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سنى التِّيه ـ وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم .

وقال لهم فيما قال : « واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى إليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة » .

وأيضا فى آخر السفر الخامس وهو آخر التوراة التى بأيديهم : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قُدسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب » .

أى جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ـ وهو الجبل الذى كلم الله موسى ـ عليه السلام ـ عنده ـ وأشرق من ساعير وهى جبال بيت القدس ـ المحلة التى كان بها عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ واستعلن أى ظهر وعلا أمره من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا خلاف ، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ـ ﷺ ـ .

فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى ، ذكر مَحلة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد ـ ﷺ ـ . ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا ، ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه ، على قاعدة القسَم فقال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ والمراد بها محلة بيت المقدس ، حيث كان عيسى ـ عليه السلام ـ ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ وهو البلد الذى ابتعث منه محمداً ـ ﷺ ـ .

قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات .

وفى زبور داود ـ عليه السلام ـ صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيه مثل ضربه لمحمد ـ ﷺ ـ ، بأنه ختام القبة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين : « **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لَبِنة ، فجعل الناس يُطيفون بها ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟** » .

ومصداق ذلك أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

وفى الزبور صفة محمد ـ ﷺ ـ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر ، وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا ، وأنه يخلص المضطر ، ويكشف الضرَّ عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويُصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه فى كل يوم ، ويدوم ذكره إلى الأبد .

وهذا إنما ينطبق على محمد ـ ﷺ ـ .

* * *

وفى صحف شَعيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى إسرائيل ، وفيه : « فإنى أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب فى الأسواق ، أسدِّده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى ملته ، والإسلام دينه ، والقرآن كتابه ، أحمد اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفُرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثا بالنهار » ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

وفى الفصل الخامس من كلام شعيا : « يدوس الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ، وينهزمون قدامه » .

وفى الفصل السادس والعشرين منه : « لتفرح أرض البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله ببهجته » .

وفى صحف إلياس ـ عليه السلام ـ : « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحا ، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة . فقالوا : يا نبى الله فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال : يعظمون ربَّ العزة فوق كل رابية عالية » .

ومن صحف حزقيل : « إن عبدى خيرتى أنزل عليه وحيى ، يظهر فى الأمم عدلى ، اخترته واصطفيته لنفسى ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » .

ومن كتاب النبوات : « أن نبيًّا من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك يا نبى الله ؟ فقال : نبى يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ويسبى حريمكم » .

قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم .

ومن كلام حزقيل ـ عليه السلام ـ : « يقول الله : من قَبْل أن صورتك فى الأحشاء قدّستك وجعلتك نبيا ، وأرسلتك إلى سائر الأمم » .

وفى صحف شعيا أيضا ، مثل مضروب لمكة شرّفها الله : « افرحى يا عاقر بهذا الولد الذى يهبه لك ربك ، فإن ببركته تتسع لك الأماكن ، وتُثبت أوتادك فى الأرض وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم ، وولدك هذا يرث جميع الأمم ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى فما بَقى يلحقك ضيم من عدو أبدا ، وجميع أيام ترمُّلك تنسينها » .

وهذا كله إنما حصل على يدى محمد ـ ﷺ ـ . وإنما المراد بهذه العاقر مكة ثم صارت كما ذكر فى هذا الكلام لا محالة .

ومن أراد من أهل الكتاب أن يَصْرِف هذا ويتأوله على بيت المقدس فهذا لا يناسبه من كل وجه والله أعلم .

وفى صحف أرميا : « كوكبٌ ظهر من الجنوب ، أشعتّه صواعق ، سهامه خوارق ، دُكّت له الجبال » .

وهذا المراد به محمد ـ ﷺ ـ .

وفى الإنجيل يقول عيسى ـ عليه السلام ـ : إنى مُرْتَقٍ إلى جنات العُلى ، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كلَّ شىء ، ولم يَقُل شيئا مِن تلقاء نفسه » .

والمراد بالفارقليط محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ .

وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً ، وقد أشرنا إلى نُبَذ من ذلك يهتدى بها من نوَّر الله بصيرتَه وهداه إلى صراطه المستقيم ، وأكثر

هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويُخْفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ومحمد بن موسى بن الطُّفيل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن عبيد الله بن أبى داود المنادى ، حدثنا يونس بن محمد المؤدِّب ، حدثنا صالح بن عمر ، حدثنا عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن الغلْبان ابن عاصم قال : كنا جلوساً عند النبى ـ ﷺ ـ ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يا رسول الله . فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فجعل لا يقول شيئا إلا قال : يا رسول الله . فيقول : أتشهد أنى رسول ؟ فيأبى .

ولذا أسلم كثير من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لقراءة هذه الأوصاوف كبشارات فى الكتاب المقدس وعلى سبيل المثال :

١ ـ سلمان الفارسى كان عند يهودى وقرأ بعض أوصاف الرسول كخاتم النبوة ويأكل من الهدية ولا يأكل من الصدقة ولما تبين من هذه الصفات أسلم .

٢ ـ عبد الله بن سلام وكان حبراً يهودياً بعد أن قرأ صفاته ـ ﷺ ـ فى التوراة وسأل الرسول ـ ﷺ ـ عن أشياء لا يعلمها إلا نبى وبعدها أسلم .

٣ ـ وصف أم معبد فيه عبر « إذا صَمَت فعليه الوقار » أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكوته ، « وإذا تكلم سمَا » أى عَلا على الناس ، « وعلاه البهاء » أى فى حال كلامه «حُلو المنطق فَصل» أى فصيح بليغ ، يفصل الكلام ويبينه ، « لا نزر ولا هذر » أى لا قليل ولا كثير ، « كأن منطقه خرَزات نَظْم » يعنى الذى من حُسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه .

« أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب » أى هو مليح من بعيد ومن قريب .

وذكرتْ أنه لا طويل ولا قصير ، بل هو أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظِّمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته ، ، وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته فى نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس أى ليس يعبس ، ولا يُفنِّد أحداً أى يهجِّنه

ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه وهو حبيب إليه ـ ﷺ ـ.

كان رسول الله ـ ﷺ ـ فَخْماً مُفَخَّماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطْوَل من المربوع وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة رَجل الشَّعر ، إذا تفرقت عقيصته فَرَق وإلا فلا يجاوز شعره شَحْمة أذنيه ، ذا وَفرة ، أزْهَر اللون ، واسع الجبين أزَجّ الحواجب سَوابغ في غير قَرَن ، بينهما عرْق يُدره الغضب ، أقْنَى العرْنين ، له نور يعلوه يَحْسبه من لم يتأمله أشمّ كثّ اللحية أدْعَج ، سهل الخدين ، ضَلَيع الفَم أشْنَب مُفَلَّج الأسنان ، دقيق المسْربُة ، كأن عنقه جيدُ دُمْيَة في صفاء يعني الفضة ، معتدل الخلق ، بادنٌ متماسك ، سَواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنْكبين ضخم الكَرَاديس ، أنْورَ المتجرَّد موصول ما بين اللَّبة والسُّرة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديين والبطن مما سوَى ذلك ، أشْعَر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طول الزنَّدين رَحْب الراحة سبط القَصَب شَثْن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، خَمْصان الأخمص ، مَسيح القدمين يَنْبو عنهما الماء ، إذا زال زال قَلْعا ، يخطو تكفيا ويمشى هَونا ذَريع المشية إذاَ مشى كأنما ينحط من صَبَب وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يَسُوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

وأرجو أن يكون عملنا أصابه النجاح والتوفيق وأن ينفع الله به كل قارئ وباحث ، وجل من لا يسهو ، فالكمال لله وحده .

• وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

شركة الندى للتجهيزات الفنية

قسم التحقيق

٥ ترجمة الإمام ابن كثير ٥

هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن درع القرشي الشافعي .

ولد في العام المكمل للسبعمائة من الهجرة النبوية الشريفة على الراجح وتوفي في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة .

ولد في بلدة مجدل القرية شرقي دمشق ظل ابن كثير في هذه القرية حتى سن السابعة وعندئذ اصطحبه أخوه عبد الوهاب إلى دمشق ينهل من معارفها وعلوم رجالها . وقد ظهر نبوغ ابن كثير مبكراً فحفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة ثم توجه لقراءة الحديث فسمع حديث مسلم في تسعة مجالس وظل ابن كثير يكدح في طلب العلم وقواعد ى كل علم إماماً يشار إليه بالبنان .

ـ مؤلفات كثيرة منها ما هو مفقود ومنها ما هو موجود . والموجود منها ما هو منها ما هو مخطوط أما المطبوع منها فهو :

تفسير القرآن العظيم . ٢ ـ البداية والنهاية .

إختصار علوم الحديث . ٤ ـ مسند الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

طوط منها فهو :

شعب الإيمان . ٢ ـ التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل .

٣ ـ الأحكام الكبيرة .

ـد نشأ في القرن الثامن الهجري في ظل دولة المماليك وشهد هجوم التتار ومجاعات ثيرة وأوبئة فادحة الأخطار حصرت مع المجاعات الملايين من الناس .

كما شهد الحروب الصليبية مع الفرنج ، وشهد كثرة المؤامرات والفتن بين الأمراء والقادة .

ومع هذا وفي ظل هذا المناخ السياسي استطاع ابن كثير أن يتبوأ مركز القيادة في العلم، مما يدل على أن النشاط العلمي والتيار الفكري كان سائداً في هذا العصر مع ما فيه من محن ومآسي ، وبرز ذلك في كثرة الكتب العلمية المؤلفة في مختلف التخصصات وكثرة المدارس العلمية وحركة العلماء التي تمور بالفكر والنبوغ العلمي وغيرها .

بسم الله الرحمن الرحيم

شمائل رسول الله - ﷺ -
وبيان خلقه الظاهر وخُلُقه الطاهر

قد صنف الناس فى هذا قديماً وحديثاً كتباً كثيرة مفردة وغير مفردة .

من أحسن من جمع فى ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - رحمه الله - أفراد فى هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل ، ولنا به سماع متصل إليه .

ونحن نورد عيون ما أورده فيه ، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغنى عنها المحدِّث والفقيه .

ولنذكر أولا بيان حسنه الباهر الجميل ، ثم نشرع بعد ذلك فى إيراد الجمل والتفاصيل ، فنقول والله حسبنا نعم الوكيل :

باب

ما ورد فى حسنه الباهر بعد ما تقدم من بيان حسبه الطاهر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقول : « **كان النبى - ﷺ - أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير** » (١) .

وهكذا راه مسلم ، عن أبى كريب ، عن إسحاق بن منصور .

وقال البخارى : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : « **كان النبى - ﷺ - مربوعا (٢) ، بعيد ما بين المنكبين ، له يبلغ شعر شحمة أذنيه ، رأيته فى حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه** » (٣) .

---

(١) البخارى (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧) .

(٢) المربوع ما بين الطويل والقصير .

(٣) البخارى (٣٥٥١) ، مسلم (٢٣٣٧) .

قال يوسف بن أبى إسحاق ، عن أبيه : إلى منكبيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : **« ما رأيت من ذى لمة [1] أحسن فى حلة حمراء من رسول الله ـ ﷺ ـ ، له شعر يضرب منكبيه ، بعيد ما بين المنكبين ، ليس بالطويل ولا القصير »** .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث وكيع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، أخبرنا أبو إسحاق . (ح) وحدثنا يحيى بن أبى بُكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : **« ما رأيت أحدا من خلق الله أحسن فى حلة حمراء من رسول الله ـ ﷺ ـ ، وإن جمته [2] لتضرب إلى منكبيه »** .

قال ابن أبى بكير : لتضرب قريبا من منكبيه .

قال : ـ يعنى أبا إسحاق ـ وقد سمعته يحدث به مراراً ما حدث به قط إلا ضحك[3] .

وقد رواه البخارى فى اللباس ، والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى الزينة من حديث إسرائيل به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زهير ، عن أبى إسحاق قال : سئل البراء بن عازب : **« أكان وجه رسول الله ـ ﷺ ـ مثل السيف ؟**[4] **قال : لا ، بل مثل القمر »** [5] .

ورواه الترمذى من حديث زُهير بن معاوية الجعفى الكوفى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، واسمه عمرو بن عبد الله الكوفى ، عن البراء بن عازب به ، وقال : حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القَطَّان . ببغداد ، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستريه ، حدثنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان ،

---

(١) اللمة من شعر الرأس دون الجمة ، سميت بذلك ؛ لأنها ألمت بالمنكبين ، فإذا زادت فهى الجمة .

(٢) شعر الرأس زاد عن المنكبين .

(٣) (صحيح) وهو فى المسند (١٨٥٢٠) .

(٤) مثل السيف : يريد فى صقاله .

(٥) البخارى (٣٥٥٢) ، ودلائل النبوة ١ / ١٩٥ .

حدثنا أبو نعيم وعبد الله ، عن إسرائيل ، عن سمَاك ، أنه سمع جابر بن سَمُرة قال له رجل : « أكان رسول الله ـ ﷺ ـ وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ؛ بل مثل الشمس والقمر مستديرا » [١] .

وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عبيد الله بن موسى به .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد مطولًا فقال : حدثنا عبد الرزاق ؛ أخبرنا إسرائيل ؛ عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ قد شَمِطَ [٢] مقدم رأسه ولحيته ؛ فإذا ادهن ومشطهن لم يتبين ؛ وإذا شعث رأسه تبين ؛ وكان كثير الشَّعر واللحية . فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ؛ بل مثل السيف والقمر مستديرا » .

قال : ورأيت خاتمة عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[٣] .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو طاهر الفقيه ؛ أخبرنا أبو حامد بن بلال ؛ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحْمسى ؛ حدثنا المحاربى ؛ عن أشعث ؛ عن أبى إسحاق ؛ عن جابر بن سمرة قال : « رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ فى ليلة إضحيان [٤] وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو كان أحسن فى عينى [٥] من القمر .

وهكذا راه الترمذى والنسائى جميعا عن هَنَّاد بن السَّرِى ، عن عَبْثر بن القاسم ، عن أشعث بن سَّوار .

وقال النسائى : وهو ضعيف ؛ وقد أخطأ ، والصواب : أبو إسحاق عن البراء .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أشعث بن سوار ؛ وسألت محمد بن إسماعيل ـ يعنى البخارى ـ قلت : حديث أبى إسحاق عن البراء أصح أم حديثه عن جابر ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحا .

---

(١) (صحيح) دلائل النبوة ١ / ١٩٥ .
(٢) شمط : أبيض . والشمط بياض الرأس يخالطه سواده .
(٣) (صحيح) مسلم (٢٣٤٤) ، والطبرانى (١٩١٨) .
(٤) الإضحيان : المضيئة .
(٥) المطبوعة : فلهو عندى أحسن من القمر .

وثبت فى صحيح البخارى عن كعب بن مالك فى حديث التوبة قال : وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر . وقد تقدم الحديث بتمامه [(١)] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد ، حدثنا يونس بن أبى يعفور العبدى ؛ عن أبى إسحاق الهمدانى ؛ عن امرأة من همدان سماها ، قالت : « حججت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بُردان أحمران يكاد يمس شعره [(٢)] منكبه ؛ إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إليه فيقبله » .

قال أبو إسحاق : فقلت لها : شبهيه . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله [(٣)] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إبراهيم بن المنذر ؛ حدثنا عبد الله بن موسى التيمى ، حدثنا أسامة بن زيد ؛ عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : قلت للربيع بنت معوذ : صفى لى رسول الله ـ ﷺ ـ قالت : يا بنى لو رأيته رأيت الشمس طالعة .

راه البيهقى من حديث يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد الله بن موسى التيمى بسنده فقالت : لو رأيته لقلت : الشمس طالعة [(٤)] .

وثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة ، عن عائشة قالت : « دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ مسروراً تَبْرق أسارير وجهه » الحديث .

* * * *

(١) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .
(٢) من المواهب ٤ / ٧٨ .
(٣) حديث ضعيف .
(٤) مجمع الزوائد (١٤٠٣٤) .

صفة لون رسول الله ﷺ

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن خالد ، هو ابن يزيد ، عن سعيد ـ يعنى ابن هلال[1] ـ عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبىَّ ـ ﷺ ـ قال : « **كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر[2] اللون ، ليس بابيض أمهق ولا بآدم ؛ ليس بجعد قطط ولا سبط ، رَجل ؛ أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين [3]، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء** »[4] .

قال ربيعة : فرأيت شَعراً من شعره فإذا هو أحمر ؛ فسألت فقيل : احمرّ من الطيب .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ؛ أخبرنا مالك بن أنس ؛ عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ؛ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ، أنه سمعه يقول : « **كان رسول الله ـ ﷺ ـ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ؛ وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ؛ وليس بالجعد القطط ؛ ولا بالسبط ؛ بعثه الله على رأس أربعين سنه ؛ فأقام بمكة عشر سنين ؛ وبالمدينة عشر سنين ؛ فتوفاه الله [على رأس ستين سنة] [5] وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء** ».

وكذا رواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، عن مالك . ورواه أيضا عن قتيبة ويحيى بن أيوب وعلى بن حُجر ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، وعن القاسم بن زكريا ؛ عن خالد بن مخلد ، عن سليمان بن بلال ، ثلاثتهم عن ربيعة به .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

---

(١) (صحيح) البخارى ٢ / ١٣٨ : ابن أبى هلال .

(٢) الأزهر : المشرق اللون ، المشرب بياضه حمرة . والأمهق : الأبيض لا تخالطه حمرة ، وليس بنير ولكنه كالجص . والآدم : الأسمر . والجعد : خلاف السبط . والقطط : الشديد الجعودة . والسبط : المسترسل ، والرجل : ما بين السبوطة والجعودة . وقوله : « رجل » خبر لمبتدأ محذوف .

(٣) أ : وبالمدينة عشراً .

(٤) الفضائل من صحيح مسلم .

(٥) من أ وليست فى صحيح البخارى .

قال الحافظ البيهقى : ورواه ثابت عن أنس فقال : كان أزهر اللون . قال : ورواه حميد كما أخبرنا .

* * * *

ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان ، حدثنى عمرو بن عون ، وسعيد بن منصور ، قالا : حدثنا خالد بن عبد الله ؛ عن حميد الطويل ؛ عن أنس بن مالك قال : « **كان رسول الله ـ ﷺ ـ أسمر اللون** »(1) .

وهكذا روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار ، عن على ، عن خالد بن عبد الله ، عن حميد ، عن أنس . قال : وحدثناه محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب ؛ قال : حدثنا حميد ، عن أنس قال : « **لم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ بالطويل ولا بالقصير ؛ وكان إذا مشى تكفأ ، وكان أسمر اللون** » .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن حميد إلا خالد وعبد الوهاب .

ثم قال البيهقى ـ رحمه الله ـ : وأخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو جعفر البزار حدثنا يحيى بن جعفر ؛ حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حميد ، سمعت أنس بن مالك يقول . فذكر الحديث فى صفة النبى ـ ﷺ ـ قال : « **كان أبيض ، بياضه إلى السمرة** » .

قلت : وهذا السياق أحسن من الذى قبله ؛ وهو يقتضى أن السمرة التى كانت تعلو وجهه ـ عليه السلام ـ من كثرة أسفاره وبروزه للشمس . والله أعلم .

فقد قال يعقوب بن سفيان الفسوى أيضا : حدثنى عمرو بن عون وسعيد بن منصور ، قالا : حدثنا خالد بن عبد الله بن الجريرى ؛ عن أبى الطفيل ، قال : « **رأيت النبى ـ ﷺ ـ ولم يبق أحد رآه غيرى . فقلنا له : صف لنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : كان أبيض مليح الوجه** »(2) .

ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به .

---

(1) (صحيح) مسلم ، والدلائل للبيهقى .
(2) (صحيح) مسلم .

ورواه أيضا أبو داود من حديث سعيد بن إياس الجُريرى ، عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الليثى ، قال : « كان رسول الله ﷺ أبيض مليحا ، إذا مشى كأنما ينحط في صبوب »[(١)]

لفظ أبى داود .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن هارون ؛ أخبرنا الجريرى ، قال : كنت أطوف مع أبى الطفيل فقال : « ما بقى أحد رأى رسول الله - ﷺ - غيرى . قلت : ورأيته ؟ قال : نعم . قال : قلت : كيف كانت صفته ؟ قال : كان أبيض مليحا مقصدا »[(٢)] .

وقد رواه الترمذى عن بندار وسفيان بن وكيع ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد الله بن جعفر أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا واصل بن عبد الأعلى الأسدى ، حدثنا محمد فضيل ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى جحيفة قال : « رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب ، وكان الحسن بن على ليشبهه »[(٣)] .

ثم قال : رواه مسلم ، عن واصل بن عبد الأعلى ، ورواه البخارى عن عمرو بن على عن محمد بن فضيل .

وأصل الحديث كما ذكر فى الصّحيحين ، ولكن بلفظ آخر . كما سيأتى .

* * * *

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم ، عن أبيه ، أن سراقة بن مالك قال : « أتيت رسول الله ﷺ ، فلما دنوت منه وهو على ناقته ، جعلت أنظر إلى ساقه كأنها جمارة »[(٤)] .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق : « والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غرزه كأنها جمارة » .

---

(١) الصبوب : قال فى النهاية ٢ / ٢٦٩ : يروى بالفتح والضم . فالفتح اسم لما يصب علي الإنسان من ماء وغيره كالطهور . وبالضم : جمع صبب ، والصبب : الموضع المنحدر .

(٢) المقصد : من ليس بالجسيم ولا الضئيل .

(٣) (حسن صحيح) الدلائل : ١ / ٢٠٥ .

(٤) الجمارة : شحم النخل .

قلت : يعنى من شدة بياضها كأنها جُمارة طلع النخل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أمية عن مولى لهم - مزاحم بن أبى مزاحم - عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيد ، عن رجل من خزاعة يُقال له : مُحَرِّش أو مُخَرِّش - لم يكن سفيان يقف على اسمه وربما قال : محرش [1] لم أسمعه أنا - أن النبى - ﷺ - خرج من الجعرانة ليلا فاعتمر ثم رجع فأصبح بها كبائت ، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة [2] .

تفرد به أحمد وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن الحميدى ، عن سفيان بن عُيينة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ، حدثنى عمرو بن الحارث ، حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، أخبرنى محمد بن مسلم ، عن سعيد ابن المسيَّب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : « **كان شديد البياض** » .

وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، حدثنا أبو يونس سليم ابن جبير مولى أبى هريرة ، أنه سمع أبا هريرة يقول : **ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله - ﷺ - كان كأن الشمس تجرى فى جبهته ، وما رأيت أحدا أسرع فى مشيته من رسول الله - ﷺ - كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث** :

ورواه الترمذى عن قتيبة ، عن ابن لَهِيعة به ، وقال : **كأن الشمس تجرى فى وجهه** ، وقال : غريب .

ورواه البيهقى من حديث عبد الله بن المبارك ، عن رشدين بن سعد المصرى ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، وقال : « **كأنما الشمس تجرى فى وجهه** »

وكذلك رواه ابن عساكر من حديث حَرْمَلة ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس ، عن أبى هريرة فذكره وقال : « **كأنما الشمس تجرى فى وجهه** »

---

(١) هو مخرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى . قال الزمخشرى : الصواب بالحاء ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٤ / ٢٢٠ .

(٢) (حسن) .

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا حجاج ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن على - يعنى ابن الحنفية - عن أبيه قال : « **كان رسول الله - ﷺ - أزهر اللون** » [(١)] .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمُز عن نافع بن جبير ، عن على بن أبى طالب قال : « **كان رسول الله - ﷺ - مشربا وجهه حمرة** » [(٢)].

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا ابن الأصبهانى ، حدثنا شريك ، عن عبد الملك بن عمير ، عن نافع بن جبير ، قال : وصف لنا على النبى - ﷺ - فقال : **كان أبيض مشرب الحمرة .**

وقد رواه الترمذى بنحوه من حديث المسعودى ، عن عثمان بن مسلم ، عن هرمز ، وقال : هذا حديث صحيح ، قال البيهقى : وقد روى هكذا عن على من وجه آخر .

قلت : رواه ابن جريج عن صالح بن سعيد ، عن نافع بن جبير ، عن على ، قال البيهقى : ويقال : إن المشرب فيه حمرة ماضحًا للشمس والرياح ، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر .

* * * *

(١) (صحيح) الدلائل ١ / ٢٠٦ .
(٢) الدلائل ١ / ٢٠٦ .

صفة وجه رسول الله ـ ﷺ ـ وذكر محاسنه

من فرقه وجبينه وحاجبيه وعينيه وأنفه وفمه وثناياه

وما جرى مجرى ذلك من محاسن طلعته ومحياه

قد تقدم قولُ أبي الطفيل : كان أبيض مليح الوجه . وقول أنس : كان أزهر اللون ، وقول البراء : وقد قيل له : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ ـ يعني في صقاله ـ فقال : لا ، بل مثل القمر . وقول جابر بن سمرة وقد قيل له مثل ذلك ، فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديرا . وقول الربيع بنت معوذ : لو رأيته لقلت الشمس طالعة ، وفي رواية : لرأيت الشمس طالعة .

وقال أبو إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان ، حجت مع رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت : كان كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وقال أبو هريرة : كأن الشمس تجرى في وجهه ، وفي رواية : في جبهته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، وحسن بن موسى ، قالا : حدثنا حماد وهو ابن سلمة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي ، عن أبيه قالُ : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضخم الرأس عظيم العينين أهدب [1] الأشفار ، مشرب العينين بحمرة ، كث اللحية ، أزهر اللون ، شثن [2] الكفين والقدمين ، إذا مشى كأنما يمشي في صعد [3] ، وإذا التفت التفت جميعا » [4] .

تفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى : حدثنا زكريا ويحيى الواسطي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا الحجاج ، عن سالم المكي ، عن ابن الحنفية ، عن علي أنه سئل عن صفة النبي ﷺ فقال : « كان لا قصيرا ولا طويلا ، حسن الشعر رجله ، مشربا وجهه حمرة ، ضخم الكراديس[5] شثن

---

(١) الأهدب : الكثير الهدب ، وهو شعر أشفار العين . (٢) الشثن : الغليظ .

(٣) الصعد : المواضع المرتفعة .

(٤) (صحيح) وحسنه الحاكم وصححه الذهبي .

(٥) الكراديس : جمع كردوسة ، وهي كل عظمين التقيا في مفصل أو هي رؤوس العظام .

الكعبين والقدمين ، عظيم الرأس ، طويل المسربة ، لم أر قبله ولا بعده مثله ، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب [1] .

* * *

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن على قال : بعثنى رسول الله - ﷺ - إلى اليمن ، فإنى لأخطب يوماً على الناس وحبر من أحبار يهود واقف فى يده سِفر ينظر فيه ، فلما رآنى قال : صف لنا أبا القاسم .

فقال على : رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن ، وليس بالجعد القطَطِ ولا بالسَّبْط ، هو رَجِلُ الشعر أسود ه ، ضخم الرأس ، مُشربا لونه حمرة ، عظيم الكراديس ، شثن الكفين والقَدمين ، طويل المسْرُبة ، وهو الشَّعر الذى يكون من النحر إلى السرة ، أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، صَلت الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، إذا مشى تكفأ كأنما ينزل من صبب ، لم أر قبله مثله ، ولا بعده مثله .

قال علىّ : ثم سكتُّ . فقال لى الحبر : وماذا ؟ قال على : هذا ما يحضرنى ، قال الحبر : فى عينيه حُمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم تام الأذنين ، يُقبل جميعا ويدبر جميعا ، فقال على : والله هذه صفته ، قال الحبر [وشئ آخر] [2] قال على : وما هو ؟ قال الحبر : وفيه جَنأ [3] ، قال على . هو الذى قلت لك . كأنما ينزل من صبب .

قال الحبر : فإنى أجد هذه الصفة فى سفر آبائى ، ونجده يُبعث فى حَرَم الله وأمْنه وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرّمه هو ، ويكون له حُرْمة كحرمة الحرم الذى حرَّم الله ، ويجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوما من ولد عمرو بن عامر أهل نخل ، وأهلُ الأرض قبلهم يهود .

قال على : هو هو ، وهو رسول الله . قال الحبر : فإنى أشهد أنه نبى وأنه رسول الله إلى الناس كافة ، فعلى ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله .

---

(1) ضعيف الإسناد حسن المتن .

(2) طبقات ابن سعد ٢ / ١٧٤ ط الثقافة الإسلامية .

(3) الجنأ : إشراف الكاهل على الصدر .

قال : فكان يأتى عليًا فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ، ثم خرج علىٌّ والحبر هنالك ، حتى مات فى خلافة أبى بكر وهو مؤمن برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدّق به(١) .

وهذه الصفة قد وردت عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب من طرق متعددة سيأتى ذكرها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طاالب ، عن أبيه ، عن جده قال : سئل أو قيل لعلى : أنعت لنا رسول الله : فقال : كان أبيض مُشربا بياضه حمرة ، وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار(٢) .

قال يعقوب : وحدثنا عبد الله بن سلمة وسعيد بن منصور قالا : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة ، عن إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان على إذا نعت رسول الله قال : كان فى الوجه تدوير أبيض أدعج العينين أهدب الأشفار(٣) .

قال الجوهرى : الدَّعَج : شدة سواد العينين مع سعتها .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، أخبرنى سمَاك ، سمعت جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشهل العَينين منهوس(٤) العقِب ضليع الفم(٥) .

هكذا وقع فى رواية أبى داود عن شعبة : أشهل العينين .

قال أبو عبيد : والشُّهلة حمرة فى سواد العين ، والشكْلة حمرة فى بياض العين

قلت : وقد روى هذا الحديث مسلم فى صحيحه عن أبى موسى وبندار ، كلاهما

---

(١) ضعيف .
(٢) الدلائل ١ / ٢١٢ .
(٣) ضعيف الإسناد .
(٤) المنهوس : القليل اللحم .
(٥) (صحيح) على شرط مسلم .

عن أحمد بن مَنيع ، عن أبى قطن ، عن شعبة به . وقال : أشكل العينين وقال : حسن صحيح .

ووقع فى صحيح مسلم تفسير الشُّكلة بطول أشفار العينين ، وهو من بعض الرواة ، وقول أبى عبيد : حمرة فى بياض العين . أشهر وأصح ، وذلك يدل على القوة والشجاعة . والله تعالى أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنى عمرو بن الحارث ، حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، حدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله فقال : **كان مُفاض الجبين أهدب الأشفار**[1] .

* * *

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو غسان ، حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى ، حدثنى رجل بمكة ، عن ابن لأبى هالة التميمى ، عن الحسن بن على ، عن خاله قال : **كان رسول الله واسع الجبين أزجّ الحواجب سوابغَ فى غير قَرَن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ ، سهل الخدين ضليع الفم ، أشنب مفلج الأسنان**[2] .

وقال يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت الزهرى حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه موسى بن عقبة ، عن كُريب ، عن ابن عباس ، قال : **كان رسول الله أفلج الثنيتين ، وكان إذا تكلم رُئى كالنور بين ثناياه** .

ورواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم بن المنذر به ،

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبّاد بن حجّاج . عن سمَاك ، عن جابر ، عن سمرة ، قال : **كنت إذا نظرت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قلت : أكحل العينين وليس بأكحل ، وكان فى ساقى رسول الله حموشة**[3] ، **وكان لا يضحك إلا تبسما**[4] .

(١) الدلائل ١ / ٢١٤ .
(٢) مجهول .
(٣) الحموشة : دقة فى الساقين .
(٤) حديث (حسن) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنى مجمّع بين يحيى ، عن عبد الله بن عمران الأنصارى ، عن على بن المسعودى ، عن عثمان بن عبد الله ، عن هُرمُز ، عن نافع بن جبير ، عن على قال : كان رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخم الرأس واللحية شَثْن الكفين والقدمين والكراديس مشربا وجهه حُمرة ، طويل المسرُبة ، إذا مشى تكفّأ كأنما يُقلع من صخر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

قال ابن عساكر : وقد رواه عبد الله بن داود الخُريبى ، عن مجمع ، فأدخل بين ابن عمران وبين على رجلا غير مسمى .

ثم أسند من طريق عمرو بن على الفَلاّس ، عن عبد الله بن داود ، حدثنا مجمع بن يحيى الأنصارى ، عن عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار ، قال : سألت على بن أبى طالب وهو مُحْتَب بحمالة سيفه فى مسجد الكوفة عن نعت رسول الله . فقال : كان أبيض اللون مشرباً حمَرة أدعج العينين سبط الشعر دقيق المسرُبة ، سهل الخد كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة ، له شعر من لَبَّته إلى سُرته كالقضيب ، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكفين والقدم إذا مشى كأنما ينحدر من صبب وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا العاجز ولا اللئيم كأن عرقه فى وجهه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر[1] ، لم أر قبله ولا بعده مثله

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن منصور : حدثنا نوح بن قيس الحدَّانى ، حدثنا خالد بن خالد التميمى ، عن يوسف بن مازن المازنى ، أن رجلا قال لعلى : يا أمير المؤمنين انعت لنا رسول الله . قال : كان أبيض مشربا حُمرةً ، ضخم الهامة أغرّ أبلج أهدب الأشفار .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن ابن عمير قال شريك : قلت له عَمَّن يا أبا عمير ؟ قال : عن نافع بن جبير ، عن أبيه عن على ، قال : كان رسول الله ضخم الهامة مشربا حمرة ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم اللحية طويل

(١) الأذفر : الجيد إلى الغاية .

المسْرُبة ضخم الكراديس ، يمشى فى صبب ، يتكفأ فى المشية ، لا قصير ولا طويل ، لم أر قبله مثله ولا بعده .

وقد روى لهذا شواهد كثيرة عن على ، وروى عن عمر نحوه .

وقال الواقدى : حدثنا بكير بن مسمار ، عن زياد بن أسعد قال : سألت سعد بن أبى وقاص : هل خضب رسول الله ؟ قالَ : لا ، ولا هَمَّ به ، كان شيبه فى عنفقته وناصيته لو أشاء أن أعدها لعددتها .

قلت : فما صفته ؟ قال : كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالأبيض الأمْهَق ، ولا بالآدَم ، ولا بالسَّبط ولا بالقَطَط ، وكانت لحيته حسنة وجبينه صُلْتًا[1] ، مشربا بحمرة ، شثن الأصابع ، شديد سواد الرأس واللحية[2] .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ، حدثنا يحيى بن حاتم العسكرى ، حدثنا بِشْر بن مهران ، حدثنا شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بنَ مسعود قال : إن أول شئ علمته من رسول الله قدمتُ مكة فى عمومة لى ، فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا إليه ، وهو جالس إلَى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وَفْرة جَعْدة إلى أنصاف أذنيه ، أقنى الأنف ، براق الثنايا ، أدعج العينين كث اللحية ، دقيق المسْرُبة شَثْن الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان ، كأنه القمر ليلة البدر .

وذكر تمام الحديث وطوافه - عليه السلام - بالبيت وصلاته عنده هو وخديجة وعلى بن أبى طالب ، وأنهم سألوا العباس عنه فقال : وهذا هو ابن أخى محمد بن عبد الله ، وهو يزعم أن الله أرسله إلى الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا جعفر ، حدثنا عوف بن أبى جميلة ، عن يزيد الفارسى قال : رأيت رسول الله فى النوم فى زمن ابن عباس قال : وكان يزيد يكتب المصاحف ،

(١) الصلت : الواسع .
(٢) ضعيف الإسناد .

قال : فقلت لابن عباس : إنى رأيت رسول الله فى النوم ، قال ابن عباس : فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبَّه بى ، فمن رآنى فى النوم فقد رآنى » هل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذى رأيت ؟ .

قال : قلت نعم ، رأيت رجلا بين الرَّجُلين جسمه ولحمه ، أسمر إلى البياض ، حسن الضحك ، أكحل العينين ، جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه ، حتى كادت تملأ نحره .

قال عوف : لا أدرى ما كان مع هذا من النعت . قال : فقال ابن عباس : لو رأيته فى اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا .

وقال محمد بن يحيى الذُّهلى : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى قال : سئل أبو هريرة عن صفة رسول الله فقال : **أحسن الصِّفة وأجْملها كان رَبْعةً إلى الطول ماهو**(١) ، **بعيد ما بين المنكبين أسِيل الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العين ، أهدب الأشفار ، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ، ليس لها أخمص ، إذا وضع رداءه على منكبيه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك كاد يتلألأ فى الجُدُر** (٢) **لم أر قبله ولا بعده مثله** (٣) .

وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل فقال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ـ يعنى الزبيدى ـ حدثنى عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة فذكر نحو ما تقدم .

ورواه الذهلى ، عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شُمَيل ، عن صالح ، عن أبى الأخضر ، عن الزهرى عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة . قال : كان رسول الله كأنما صيغ من فضة ، رَجِل الشعر ، مُفاض البطن ، عظيم مُشَاش(٤) المنكبين ، يطأ بقدمه جميعا ، إذا أقبل أقبل جميعا ، وإذا أدبر أدبر جميعا .

ورواه الواقدى : حدثنى عبد الملك ، عن سعيد بن عبيد بن السباق ، عن أبى هريرة

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) الجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ، أى يشرق نوره عليها إشراقاً كالشمس .

(٣) (صحيح) البخارى ٦٩٩٤ .

(٤) المشاش : رءوس العظام .

قال : كان رسول الله شثْن القدمين والكفين ، ضخم الساقين ، عظيم الساعدين ، ضخم العضدين والمنكبين ، بعيد ما بينهما ، رَحْب الصدر ، رَجل الرأس ، أهدب العينين ، حسن الفم ، حسن اللحية ، تام الأذنين ، ربعة من القومَ ، لا طويل ولا قصير ، أحسن الناس لونا ، يُقْبل معاً ويدبر معاً ، لم أر مثله ولم أسمع بمثله .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمى ، حدثنا أبو الحسن المحمودى المروزى ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن على الحافظ ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا حَرْب بن سُرَيْج ، صاحب الخُلقْان ، حدثنى رجل من بلعدوية [1] ، حدثنى جدى قال : انطلقت إلى المدينة أذكر الحديث فى رؤية رسول الله قال : فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجُمّة ، دقيق الأنف دقيق الحاجبين ، وإذا من لَدُنْ نحره إلى سُرته كالخيط الممدود ، شَعْر ، ورأيته بين طِمْرين [2] فدنا منى وقال : السلام عليك .

* * * *

(١) الأصل : بلعددية . وما أثبته عن دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٦٤ .

(٢) الطمر : الثوب الخلق .

ذكر شعره ـ عليه السلام ـ

قد ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يُؤمَر فيه بشئ ، وكان أهل الكتاب يَسْدلون أشعارهم وكان المشركون يَفْرقون رءوسهم ، فسَدل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم فرّق بعدُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن خالد ، حدثنا مالك ، حدثنا زياد بن سعد ، عن الزهرى ، عن أنس ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَدلَ ناصيته ما شاء أن يَسْدل ثم فرق بعدُ [1] .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : أنا فرَقْتُ لرسول الله رأسه ، صدَعت فَرْقَة عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه .

قال ابن إسحاق : وقد قال محمد جعفر بن الزبير وكان فقيها مسلما : ما هى إلا سيما من سيما النصارى تمسَّكت بها النصارى من الناس .

وثبت فى الصحيحين عن البراء أن رسول الله كان يضرب شعرهُ إلى منكبيه وجاء فى الصحيح عنه وعن غيره إلى أنصاف أذنيه . ولا منافاة بين الحالين ، فإن الشّعر تارة يطول وتارة يُقَصّر منه ، فكلٌّ حكى بحسب ما رأى .

وقال أبو داود : حدثنا ابن نُفيل ، حدثنا ابن أبى الزّنَاد [2] ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان شعر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوق الوفرة ودون الجُمة [3] .

---

(١) (صحيح الإسناد) أخرجه البخارى ومسلم ٢٣٣٦ فى الفضائل .

(٢) المطبوعة : ابن الرواد . وهو خطأ . وفي ا : ابن أبى الراد . وهو تحريف أيضاً . وما أثبته عن سنن أبى داود ٢ / ١٩٣ ، وهو عبد الرحمن بن أبى الزناد .

(٣) (حسن)أبو داود ٤١٨٧ وابن ماجة ٣٦٣٤ وغيرهم .

وقد ثبت أنه ـ عليه السلام ـ حلق جميع رأسه فى حجة الوداع . وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوما ، ـ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ـ[1] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد الله بن مسلم ويحيى بن عبد الحميد ، قالا : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أم هانئ : قدم النبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة قدمة وله أربع غدائر ـ تعنى ضفائر ـ[2] .

وروى الترمذى من حديث سفيان بن عُيينة ، وثبت فى الصحيحين من حديث ربيعة ، عن أنس ، قال بعد ذكره شعر رسول الله ـ ﷺ ـ: إنه ليس بالسَّبْط ولا بالقَطط[3]. قال : وتوفاه الله وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وفى صحيح البخارى من حديث أيوب عن ابن سيرين ، أنه قال : قلت لأنس خَضَب رسول الله ؟ قال : إنه لم ير من الشيب إلا قليلا .

وكذا روى هو ومسلم من طريق حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس .

وقال حماد بن سلمة : عن ثابت ، قيل لأنس : هل كان شابَ رسول الله ؟ فقال : ما شانة الله بالشَّيب ، ما كان فى رأسه إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة[4] .

وعند مسلم من طريق المثنَّى بن سعيد ، عن قَتادة ، عن أنس ، أن رسول الله لم يختضب إنما كان شَمط[5] عند العنفقة يسيراً ، وفى الصدغين يسيراً ، وفى الرأس يسيراً .

* * * *

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا هَمَّام ، عن قَتادة ، قال : سألت أنساً : هل خضب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ قال : لا إنما كان شئ فى صُدغيه .

وروى البخارى عن عصام بن خالد ، عن جرير بن عثمان ، قال : قلت لعبد الله بن

(١) (صحيح) مسلم ١٣٠٥ .
(٢) (صحيح) ابن ماجة فى كتاب اللباس .
(٣) السبط : الشعر المنبسط ، والقطط : الشديد الجعودة .
(٤) (صحيح) على شرط مسلم .
(٥) شمط : خالط سواد شعره بياض .

بُسر السُّلَمى : رأيت رسول اللّه ، أكان شيخا ؟ قال : كان فى عَنْفَقته شَعراتٌ بيض .

وتقدم عن جابر بن سمرة مثله .

وفى الصحيحين من حديث أبى إسحاق عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسول اللّه هذه منه بيضاء ـ يعنى عَنفَقَته ـ .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد اللّه بن عثمان ، عن أبى حمزة السكرى ، عن عثمان بن عبد اللّه بن مَوهب القرشى ، قال : **دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله فإذا هو أحمر مصبوغ بالحِناء والكَتَم** [١] .

رواه البخارى عن إسماعيل بن موسى ، عن سلام بن أبى مطيع ، عن عثمان بن عبد اللّه بن مَوهِب ، عن أم سلمة به .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغانى ، حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا إسرائيل عن عثمان بن مَوْهب ، قال : كان عند أم سلمة خَلْخَل [٢] من فضة ضخم فيه من شعر رسول اللّه ، وكان إذا أصاب إنساناً الحمَّى « بعث إليها فخَضْخَضته [٣] فيه ، ثم ينضحه الرجل على وجهه . قال : فبعثنى أهلي إليها فأخرجتهُ ، فإذا هو هكذا ـ وأشار إسرائيل بثلاثة أصابع ـ وكان فيه خمس شعرات حُمر .

رواه البخارى عن مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل [٤] .

* * * *

---

(١) (صحيح) . والكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به فيبقى لونه .

(٢) الخلخل : حلى تلبسه المرأة فى رجلها . وفي الأصل : جلجل . وكذلك فى دلائل النبوة للبيهقى المخطوط ١ / ٥٩ .

(٣) خضخضته : حركت الماء فيه .

(٤) الحديث رواه البخارى : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : أرسلنى أهلى إلي أم سلمة زوج النبى ـ صلي الله عليه وسلم ـ ، بقدح من ماء ـ وقبض إسرائيل ثلاث أصابع ـ من قصة فيه شعر من شعر النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها فخضبته ، فاطلعت فى الحجل « وهو الخلخال » فرأيت شعرات حمراً . صحيح البخارى ٣ / ١١٧ ط الأميرية .

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبيد الله بن إياد ، حدثني إياد عن أبي رمثة ، قال : انطلقت مع أبي نحو رسول الله ـ ﷺ ـ فلما رأيته قال : هل تدرى من هذا؟ قلتَ : لا قال : إن هذا رسول الله ، فاقشعررْتُ حين قال ذلك ، وكنت أظن أن رسول الله ـ ﷺ ـ لا يُشْبه الناسَ ! فإذا هو بشر ذو وَفْرة بها رَدْع (١) من حناء ، وعليه بُردان أخضران (٢) .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبيد الله بن إياد بن لقيط ، عن أبيه ، عن أبي رِمْثة واسمه حبيب بن حيان ، ويقال رفاعة بن يَثْربى .

وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث إياد .

كذا قال : وقد رواه النسائي أيضا من حديث سفيان الثوري وعبد الملك بن عُمَير ، كلاهما عن إياد بن لَقيط به ببعضه .

ورواه يعقوب بن سفيان أيضا عن محمد بن عبد الله المخْرَمى ، عن أبي سفيان الحميري ، عن الضحاك بن حمزة بن غيْلان بن جامع ، عن إيَاد بن لقيط بن أبي رمْثة ، قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَخْضب بالحناء والكَتَم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه (٣) .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الرحيم بن مُطرف بن سفيان ، حدثنا عمرو بن محمد ، أخبرنا ابن أبي روّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلبس النعال السِّبتية (٤) ويصفّر لحيته بالورْس والزعفران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك .

ورواه النسائي عن عبدة بن عبد الرحمن المروزي ، عن عمرو بن محمد العنْقزي (٥) به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو الفضل محمد ابن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن محمد بن زياد ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى

---

(١) الردع : أثر الطيب . (٢) صحيح . (٣) صحيح .

(٤) السبتية : المتخذة من جلود البقر .

(٥) العنقزى : نسبة إلى العنقز ، وهو المرزنجوش وقيل الريحان . وهو أبو سعيد عمرو بن محمد العنقزى القرشي مولاهم ، من أهل الكوفة ، كان يبيع العنقز أو يزرعه . مات سنة تسع وتسعين ومائة وكان ثقة . اللباب ٢ / ١٥٦ .

ابن آدم . ح . وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل ، وأخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرنا يعقوب ابن سفيان ، حدثنى أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكِنْدى الكوفى ، حدثنا يحيى ابن آدم ، حدثنا شريك ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان شيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحوا من عشرين شعرة [1] .

وفى رواية إسحاق : رأيت شيب رسول الله نحواً من عشرين شعرة بيضاء فى مُقدّمه .

قال البيهقى : وحدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن سلمان الفقيه ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقى ، حدثنا حسين بن عباس الرقى ، حدثنا جعفر بن بُرْقَان ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عَقيل ، قال : قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز وال عليها ، فبعث إليه عمر وقال للرسول : سَلْه هل خضّب رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فإنى رأيتُ شعراً من شعره قد لون . فقال أنس : إن رسول الله ـ ﷺ ـ كان قد مُتِّعَ بالسواد ، ولو عددت ما أقْبَل على من شَيْبه فى رأسه ولحيته ما كنت أزيد على إحدى عشرة شيبة ، وإنما هذا الذى لون من الطيِّب الذى كان يُطيب به شعر رسول الله ـ ﷺ ـ ، هو الذى غيّر لونه [2] .

قلت : ونَفْى أنس للخضاب مُعارَض بما تقدم عن غيرة من إثباته ، والقاعدة المقرَّرة أن الإثبات مقدم على النَّفْى ، لأن المثبِت معه زيادة عِلْم ليست عند النافى .

وهكذا إثبات غيره لأزيد مما ذكر من الشيب مقدَّم ، لا سيما عن ابن عمر الذى المظنون أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة ، فإن اطلاعها أتم من اطلاع أنس ، لأنها رُبَّما أنها فَلَّت رأسه الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

* * * *

---

(١) (صحيح) ورجاله ثقات ذكره الألبانى فى الصحيحة ٢٠٩٦ .

(٢) (صحيح الإسناد) أخرجه الحاكم (٢٠١) .

ذكر ما ورد في منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه - ﷺ -

قد تقدم ما أخرج البخارى ومسلم من حديث شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : كان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - مربُوعا بعيدَ ما بين المنْكِبين .

وروى البخارى عن أبى النعمان ، عن جرير ، عن قتادة ، عن أنس قال : كان النبى اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - ضخم الرأس والقدمين سَبْط الكفين [1] .

وتقدم من غير وجه أنه - عليه السلام - كان شَثْن [2] الكفين والقدمين ، وفى رواية : ضخم الكفين والقدمين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا آدم وعاصم بن على ، قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ؛ حدثنا صالح مولى التوأمة قال : كان أبو هريرة يَنْعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كان شبح [3] الذراعين بعيد ما بين المنكبين ، أهدبَ أشفار العينين [4] .

وفى حديث نافع بن جبير عن على قال : كان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس طويل المسرُبة .

وتقدم فى حديث حجاج ، عن سمَاك ، عن جابر بن سمرة ، قال : كان فى ساقى رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - حُمُوشة أى لم يكونا ضخمين .

وقال سُراقة بن مالك بن جُعْشُم : فنظرت إلى ساقيه ، وفى رواية : قدميه فى الغَرْز - يعنى الرُكاب - كأنهما جُمَّارة . أى جمارة النخل من بياضهما .

* * *

وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة : « كان ضَلِيع الفم » وفسره بأنه عظيم الفم .

(١) السبط : الممتد .

(٢) الشثن : الغليظ .

(٣) الشبح : الطويل .

(٤) (صحيح) متفق عليه البخارى فى المناقب ومسلم فى الفضائل .

أشكل العينين ، وفسره بأنه طويل شق العينين « مَنْهوس العَقِب » وفسره بأنه قليل لحم العَقب وهذا أنسب وأحسن فى حَقّ الرجال .

وقال الحارث بن أبى أسامة : حدثنا عبد الله بن بكر ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : أخذت أم سُليم بيدى مَقْدِمَ رَسول الله - ﷺ - المدينة فقالت : يا رسول الله هذا أنس غلام كاتب يخدمك .

قال : فخدمته تسع سنين فما قال لشئ صنعت : أسأت ولا بئس ما صنعت . ولا مَسَسْتُ شيئا قط خزًا ولا حريراً ألين من كفى رسول الله ، ولا شممت رائحةً قط ، مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله - ﷺ - [1] .

وهكذا رواه مُعْتمر بن سليمان وعلى بن عاصم ومروان بن معاوية الفَزارى وإبراهيم ابن طهمان ، كلهم عن حميد ، عن أنس ، فى لين كفه - عليه السلام - ، وطيب رائحته - صلاة الله وسلامه عليه - .

وفى حديث الزبيدى عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخمص .

وقد جاء خلاف هذا كما سيأتى .

وقال يزيد بن هارون : حدثنى عبد الله بن يزيد بن مقسم قال : حدثتنى عمتى سارة بنت مقْسم ، عن ميمونة بنت كَرْدَم ، قالت : رأيت رسولَ الله بمكة وهو على ناقة وأنا مع أبى وبَيد رسول الله درّة كدرة الكتاب ، فدنا منه أبى فأخذ بقدمه ، فأقرَّ له رسول الله - ﷺ - .

قالت : فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه [2] .

ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون مطولاً ورواه أبو داود من حديث يزيد بن هارون ببعضه .

وعن أحمد بن صالح ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن مَيْسرة ،

---

(١) (صحيح) البخارى فى الأدب ومسلم ٢٣٠٩ .

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٤٠٣٨ وإسناده ضعيف .

عن خالته عنها ، ورواه ابن ماجة من وجه آخر عنها . والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ؛ حدثنا محمد بن إسحاق أبو بكر ، حدثنا سلمة بن حفص السَّعدي ، حدثنا يحيى بن اليمان ، حدثنا إسرائيل ، عن سِماك ، عن جابر بن سمرة ، **قال :كانت إصبع لرسول الله خنصر من رجله متظاهرة** (١) .

وهذا حديث غريب .

* * * *

(١) إسناده ضعيف جداً فيه سلمة بن حفص السعدي .

صفة قوامة ـ عليه الصلاة والسلام ـ وطيب رائحته

فى صحيح البخارى من حديث ربيعة ، عن أنس ، قال : كان رسول اللّه ـ ﷺ ـ رَبْعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

وقال أبو إسحاق عن البراء : كان رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أحسن الناس وجها وأحسنهم خُلقا ليس بالطويل ولا بالقصير .

أخرجاه فى الصحيحين .

وقال نافع بن جبير ، عن على : كان رسول الله ـ ﷺ ـ ليس بالطويل ولا بالقصير ،لم أر قبلَه ولا بعده مثله [(١)] .

وقال سعيد بن منصور عن خالد بن عبد اللّه ، عن عبيد اللّه بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ،عن أبيه عن جده ، عن على ، قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى الطول أقرب ، وكان عَرقه كاللؤلؤ [(٢)] ، الحديث .

وقال سعيد ، عن نوح بن قيس ، عن خالد بن خالد التميمى ، عن يوسف بن مازن الراسبى ، عن على قال : كان رسول الله ليس بالذاهب طولا وفوق الرَّبعة ، إذا جامع القوم غمرهم ، وكان عرقه فى وجه كاللؤلؤ [(٣)]. الحديث.

وقال الزبيدى عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله رَبعةً وهو إلى الطول أقرب ، وكان يقبل جميعا ويدبر جميعا ، لم أر قبله ولابعده مثله [(٤)] .

وثبت فى البخارى من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس قال : ما مسَسْت بيدى ديباجا ولا حريراً ولا شيئا ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول

---

(١) (صحيح)أحمد فى مسنده ٧٤٦ ورواه الترمذى قال حديث حسن صحيح .
(٢) له أصل فى الصحيحين البخارى ومسلم .
(٣) ضعيف فيه يوسف بن مازن الراسبى .
(٤) (صحيح) تهذيب الكمال ٥٦٧٣ .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [1] .

رواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت ، عن أنس به .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن سلمة وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسول الله أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفَّأ ، وما مسَسْت حريراً ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ، ولا شمَمْت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ـ ﷺ ـ .

وقال أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، حدثنا حُميد ، عن أنس قال : ما مسَسْت شيئا قط خزًا ولا حريراً ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ـ ﷺ ـ .

والإسناد ثلاثى على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : أخبرنا عمرو بن حماد بن طلحة القَنَّاد ، وأخرجه البيهقى من حديث أحمد بن حازم بن أبى عروة عنه ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن سماك عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدَّى أحدهم واحداً وحداً .

قال : وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده بَرْداً وريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة [2] عطّار ورواه مسلم عن عمرو بن حماد : به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ، أخبرنى شعبة ، عن الحكم ، سمعت أبا جُحَيفة قال : خرج رسول الله ـ ﷺ ـ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عَنَزة [3] زاد فيه عون عن أبيه : يمر من ورائها الحمار والمرأة [4]

---

(١) (صحيح) المسند ١١٩٨٧ .

(٢) الجؤنة : السلة التى يوضع فيها الطيب .

(٣) العنزة : رمح فى أسفله زج .

(٤) (صحيح) البخارى ومسلم وغيرهما .

قال حجاج في الحديث . ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم . قال : فأخذتُ يده فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أبْردَ من الثلج وأطيب ريحا من المسك .

وهكذا رواه البخاري عن الحسن بن منصور ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن شعبة . فذكر مثله سواء .

وأصل الحديث في الصحيحين أيضا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام بن حسان وشُعبة وشَريك ، عن يَعْلى بن عطاء ، عن جابر بن يزيد ، عن أبيه - يعني يزيد بن الأسود - قال : صلى رسول الله - ﷺ - الفجر بمنى ، فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس ، فدعا بهما فجيئا تُرْعَد فرائصهما ، فقال : ما منعكما أن تصليا مع الناس ؟ قالا : يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في الرِّحَال . قال فلا تفعلا ، إذا صلى أحدكم في رَحْله ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه فإنها له نافلة .

قال : فقال أحدهما : استغفر لي يا رسول الله . فاستغفر له

قال : ونهض الناس إلى رسول الله - ﷺ - ونهضت معهم ، وأنا يومئذ أشبُّ الرجال وأجلده .

قال : فمازلت أزحم الناس حتى وصلتُ إلى رسول الله ، فأخذت بيده فوضعتها إمَّا على وجهي أو صدري .

قال : فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

قال : وهو يؤمئذ في مسجد الخيف .

ثم رواه أيضا عن أسود بن عامر وأبي النضر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، سمعت جابر بن يزيد بن الأسود ، عن أبيه ، أنه صلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصبح فذكر الحديث قال : ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم ، قال : فأخذت بيده فمسحت بها وجهي ، فوجدتها أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والترمذي والنسائي من حديث هُشَيْم ، عن يَعْلى به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا مسعَر ، عن عبد الجبار بن وائل بن حُجْر ، قال : حدثني أهلي ، عن أبي قال : **أتي رسول الله - ﷺ - بدلو من ماء فشرب منه ثم مج في الدلو ثم صب في البئر ، أو شرب من الدلو ثم مَجَّ في البئر ، ففاح منها ريحُ المسك** [1] .

وهكذا رواه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبي نُعَيم ، وهو الفضل بن دُكَين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الغداة جاء خدَم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيمس يده فيها .

رواه مسلم من حديث أبي النَّضر هاشم بن القاسم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حُجَين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي سلمة الماجُشون - عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها وليست فيه . قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأتت فقيل لها : هذا رسول الله نائم في بيتك على فراشك .

قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عَرَقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عَتِيدَتها [2] فجعلت تنشف ذلك العرق فتصرُّه قواريرها ، ففزع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ما تصنعين يا أم سُليم ؟ فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال : أصبت .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن حُجين به .

وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال :

(١) ضعيف ذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ١٤٢ .

(٢) الأصل : عبيرتها . وما أثبته عن صحيح مسلم ط . استامبول . والعيبة : ما يجعل فيه الثياب .

دخل علينا رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال عندنا ، فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله فقال : يا أم سُليم ما هذا الذى تصنعين؟ قالت عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب [1] .

ورواه مسلم عن زُهَير بن حَرْب ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن منصور ـ يعنى السَّلُولى ـ حدثنا عمارة ـ يعنى ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله يَقيل عند أم سليم ، وكان من أكثر الناس عَرَقا ، فاتخذت له نطعا [2] وكان يقيل عليه ، وخطت بين رجليه خطًا ، وكانت تنشف العرق فتأخذه ، فقال : ما هذا يا أم سليم ؟ قالت : عرقك يا رسول الله أجعله فى طيبى . قال : فدعا لها بدعاء حسن .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا حُميد ، عن أنس ، قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نام ذا عرَق ، فتأخذ عرقه بقطنة فى قارورة ، فتجعله فى مِسكها [3] .

وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أحد منهما .

وقال البيهقى : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عمرو المعربى ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة .

وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن (أبى) [4] شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا وهَيْب ، حدثنا أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس ، عن أم سُليم ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسُط له نَطعا فيقيل عليه ، وكان كثير العرق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا أم سليم ما هذا فقالت : عَرقك أذوف [5] طيبى .

لفظ مسلم .

* * * *

(١) (صحيح) .
(٢) النطع : بساط من الأديم .
(٣) (صحيح) .
(٤) من صحيح مسلم ٧ / ٨٢ ط استانبول .
(٥) أذوف : أخلط .

وقال أبو يَعْلى الموصلي في مسنده : حدثنا بُسْر ، حدثنا حُلَيْس بن غالب ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : **جاء رجل إلى رسول الله ، فقال : يا رسول الله إني زوَّجت ابنتي ، وأنا أحب أن تُعِينني بشيء . قال : ما عندي شيء ، ولكن إذا كان غد فأتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة ، وآيةٌ بيني وبينك أن تدق ناحيةَ الباب .**

قال : فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة . قال : فجعل يَسْلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة ، قال : فخذها ، ومُرْ ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتطيَّب به .

قال : فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة الطيب فسمُّوا بيوت المطِّيبين .

هذا حديث غريب جدا [1] .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن هاشم ، حدثنا موسى بن عبد الله ، حدثنا عمر بن سعيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : **كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا مرَّ في طريقٍ من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطِّيب ، وقالوا : مر رسول الله في هذا الطريق** [2] .

ثم قال : وهذا الحديث رواه أيضاً معاذ بن هشام عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله ـ ﷺ ـ **كان يعرف بريح الطيب** [و] [3] **كان رسول الله ـ ﷺ ـ طيباً وريحه طيب ، وكان مع ذلك يحب الطيب أيضا** [4] .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبيدة ، عن سلام أبي المنذر القارىء ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **حبب إلى النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة** » .

حدثنا أبو سعيد مولى بني هشام ، حدثنا سلام أبو المنذر القارئ ، عن ثابت ، عن

---

(١) الحديث باطل ذكره السيوطي في كتابه اللآلي المصنوعة ١ / ٢٧٤ وقال : آفته حليس بن غالب الكلبي . وقال في الميزان : هذا منكر جداً . وحليس : قال ابن عدي : منكر الحديث . وقال الدارقطني : متروك .

(٢) ضعيف الإسناد فيه عمرو بن سعيد قال البخاري منكر الحديث .

(٣) بياض بالأصل . (٤) (حسن) .

أنس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إنما حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة » [1] .

وهكذا رواه النسائى بهذا اللفظ ، عن الحسين بن عيسى القرشى ، عن عفان بن مسلم ، عن سلام بن سليمان أبى المنذر القارئ البصرى ، عن ثابت عن أنس . فذكره .

وقد روى من وجه آخر بلفظ : « حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعل قرة عينى فى الصلاة » .

وليس بمحفوظ بهذا ، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وإنما هى من أهم شئون الآخرة . والله أعلم .

* * * *

(١) حسن أخرجه أحمد فى المسند ١٢٢٣٣ والنسائى فى سننه ٣٩٣٩ .

صفة خاتم النبوة الذى بين كتفيه ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ

قال البخارى : حدثنا محمد بن عبيد اللّه ، حدثنا حاتم ، عن الجَعْد ، قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذهَبت بى خالتى إلى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول اللّه ، إن ابن أختى وجع . فمسح رأسى ودعا لى بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زِرِّ الحجلة [1] .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة ومحمد بن عبَّاد ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به .

ثم قال البخارى : الحجلة من حِجْلة الفرس الذى بين عينيه .

وقال إبراهيم بن حمزة : رَزّ الحجلة . قال أبو عبد اللّه : الرز : الراء قبل الزاى [2] .

وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد اللّه ، عن إسرائيل ، عن سمَاك ، أنه سمع جابر بن سَمُرة يقول : كان رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد شَمِط [3] مَقدم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادهن لم يَتبيَّن وإذا شَعِثَ رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال لا ، بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً ، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده .

حدثنا محمد بن مثنىّ ، حدثنا محمد بن حزم ، حدثنا شعبة ، عن سمَاك ، سمعت جابر بن سَمرة قال : رأيت خاتما فى ظهر رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنهَ بيضة حمام [4]

وحدثنا ابن نُمير ، حدثنا عبيد اللّه بن موسى ، حدثنا حسن بن صالح ، عن سماك بهذا الإسناد مثله .

---

(١) الحجلة : البيت كالقبة يستر بالثياب وتكون له أزرار كبار . ومنه الحديث : أعزوا النساء يلزمن الحجال .

(٢) الحجلة هنا أنثى الحجل ، وهو طائر القبج . والرز : بيض الحجل كما نقل ابن الجوزى عن أبى سليمان الخطابى فى الوفا بأحوال المصطفى ص ٤١٠ .

(٣) شمط : اختلط بياضه بسواده .

(٤) (صحيح) رواه مسلم فى صحيحه .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمَر ، عن عاصم بن سليمان ، عن عبد الله بن سَرْجس قال : ترون هذا الشيخ ـ يعنى نفسه ـ كلمت نبى الله ـ ﷺ ـ وأكلت معه ، ورأيت العلامة التى بين كتفيه ، وهى فى طرف نُغْض[1] كتفه اليسرى كأنه جُمْع ، بمعنى الكف المجتمع ـ وقال بيده فقبضها ـ عليه خِيلان[2] كهيئة الثآليل[3] .

وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجس ، قال رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ وسلّمت عليه وأكلت معه وشربت من شرابه ورأيت خاتم النبوّة[4] .

قال هاشم : فى نُغْض كتفه اليسرى كأنه جُمع فيه خيلان سود كأنها الثآليل .

ورواه عن غندَر ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجس . فذكر الحديث . وشكَّ شعبة فى أنه هل هو فى نغض الكتف اليمنى أو اليسرى ؟

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن زيد وعلى بن مُسهر وعبد الواحد بن زياد ثلاثتهم عن عاصم ، عن عبد الله بن سرجس ، قال أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واكلت معه خبزاً ولحماً أو قال ثريداً . فقلت : يا رسول الله غفر الله لك ، قال : ولك . فقلت : استغفر لك رسول الله ؟ قال : نعم ولكم . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ . [محمد : ١٩]

قال : ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جُمْعا عليه خِيلاَن كأمثال الثآليل .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا قُرَّة بن خالد ، حدثنا معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : يا رسول الله أرنى الخاتم . فقال : أدخل يدك . فأدخلت يدى فى جُرُبانه[5] فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لى وإن يدى لفى جُرُبّانه[6] .

---

(١) نغض الكتف : فرعه .

(٢) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة . والثآليل : الحبوب التى تظهر فى الجسد .

(٣) (صحيح) أحمد فى مسنده ٢٠٦٤٩ ومسلم ٢٣٤٦ . (٤) حسن مسند أحمد ٢٠٦٥٩ .

(٥) الجربان : جيب القميص (٦) (صحيح) المسند ١٥٥١٩ .

ورواه النسائي عن أحمد بن سعيد ، عن وهب بن جرير ، عن قُرّة بن خالد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن إياد بن لقيط السَّدُوسي ، عن أبي رِمْثَة التيمي ، قال : خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيتَ برأسه رَدْع حنَّاء ، ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبي : إني طبيب أفلا أطبتها لك ؟ قال : طبيبها الذي خلقها .

قال : وقال لأبي : هذا ابنك ؟ قال : نعم . قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تَجني عليه [1] .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا عبيد الله بن إياد ، حدثني أبي ، عن أبي ربيعة أو رِمْثة ، قال : **انطلقت مع أبي نحو النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فنظر إلى مثل السِّلعة بين كتفيه فقال : يا رسول الله إني كأطبّ الرجال ، أفأعالجها لك ؟ قال : لا ، طبيبها الذي خَلقها** [2] .

قال البيهقي : وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث : فإذا خَلف كتفيه مثل التفاحة . وقال عاصم بن بَهدَلة عن أبي رِمْثة : فإذا في نغض كتفه مثل بَعْرة البعير أو بيضة الحمامة .

ثم روى البيهقي من حديث سمَاك بن حرب ، عن سلامة العجلي ، عن سلمان الفارسي ، **قال : أتيت رسول الله فألقىَ رداءه وقال : يا سلمان انظر إلى ما أُمرتَ به قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة** [3] .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن الحُميدي ، عن يحيى بن سُليم ، عن ابن خيثم ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول الله - ﷺ - وهو بتبوك . فذكر الحديث كما قدمناه في غزوة تبوك إلى أن قال : **فحلَّ حَبْوته عن ظهره ثم قال : ها هنا امض لما أُمرتَ به . قال : فجلْت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غُضروف الكتف مثل الحجْمة** [4] **الضخمة** [5] .

---

(1) (صحيح) أبو داود ٣٢٠٨ .

(2) (صحيح) الدلائل ١ / ٢٦٥ .

(3) (ضعيف) سلامة العجلي مجهول .

(4) الحجمة : البضعة الناتئة

(5) (حسن) المسند ١٥٥٩٢ .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن مَيْسرة ، حدثنا عتَّاب ، سمعت أبا سعيد يقول : الخاتم الذى بين كتفى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحمة نابتة [(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراسانى ، عن غياث البكرى ، قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدرى بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله ـ ﷺ ـ الذى كان بين كتفيه ، فقال بإصبعه السبّابة هكذا : لحم ناشز بين كتفيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ [(٢)] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية البصرى فى كتابه « التنوير فى مولد البشير النذير » عن أبى عبد الله محمد بن علىّ بن الحسين بن بشر المعروف بالحكيم الترمذى ، أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله ـ ﷺ ـ كأنه بيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده . وفى ظاهرها : توجَّه حيث شئت فإنك منصور .

ثم قال : وهذا غريب واستنكره .

قال : وقيل : كان من نور ، ذكره الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ فى كتابه « تنقل الأنوار » ، وحكى أقوالا غريبة غير ذلك .

ومن أحسن ما ذكره ابن دحية ـ رحمه الله ـ وغيره من العلماء قبله فى الحكمة فى كون الخاتم كان بين كتفى رسول الله ـ ﷺ ـ : إشارة إلى أنه لا نبى بعدك يأتى من ورائك .

قال : وقيل : كان على نُغْض كتفه ، لأنه يقال : هو الموضع الذى يدخل الشيطان منه إلى الإنسان ، فكان هذا عصمة له عليه السلام من الشيطان .

قلت : وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبى بعده عليه السلام ولا رسول ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [(٣)] .

---

(١) (ضعيف) فيه عبد الله بن ميسرة قال أبو داود وابن حجر العسقلانى فى التقريب ضعيف .
(٢) (ضعيف) وهو فى المسند برقم ١١٥٩٦ .
(٣) الاحزاب : ٤٠ .

باب
جامع لأحاديث متفرقة
وردت فى صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قد تقدم فى رواية نافع بن جبير ،عن على بن أبى طالب ، أنه قال : لم أر قبله ولا بعده مثله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد الله بن مسلم القَعْنَبى وسعيد بن منصور ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفْرة ، حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد على ، قال : كان علىّ إذا نعت رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لم يكن بالطويل الممغّط [1] ولا القصير المتردِّد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القَطَط ، ولا بالسَّبط ، كان جَعْدا رجلا ، ولم يكن بالمطهَّم ولا المكلثم ، وكان فى الوجه تدوير ، أبيض مُشْرَبا ، أدعج العينين ، أهْدَب الأشفار ، جَليل المشاش والكَتَد ، أجرد ذو مسربة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلّع كأنما يمشى فى صبَب ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس كفا ، وأرحب الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة ، وألزمهم عِشرة ، من رآه بداهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبَّه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله [2] .

وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الغريب .

ثم روى عن الكسائى والأصمعى وأبى عمر تفسير غريبه .

وحاصل ما ذكره مما فيه غرابة : أن المطهَّم هو الممتلئ الجسم ، والمُكَلْثم : شديد تدوير الوجه يعنى لم يكن بالسمين الناهض ، ولم يكن ضعيفا بل كان بين ذلك ، ولم يكن وجهه فى غاية التدوير بل فيه سهولة ، وهى أحلَى عند العرب ومن يَعْرف ، وكان أبيض مُشْرَبا حمرة وهى أحسن اللون ، ولهذا لم يكن أمْهَق اللون . والأدْعَج هو شديد سواد الحدَقة .

---

(١) المغط : الذاهب طولا .

(٢) ضعيف الإسناد أخرجه الترمذى فى الشمائل وقال وليس إسناده بمتصل .

وجَليل المُشَاش : هو عظيم رءوس العظام ، مثل الرُّكبتين والمرْفقين والمنكبين . والكتَد : الكاهل وما يليه من الجسد . وقوله : شَثْن الكفين أى : غَليظهما ، وتقلع فى مشيته ، أى شديد المشية .

وتقدم الكلام على الشكلة والشُّهْلة والفرق بينهما .

والأهدب : طويل أشفار العين ، وجاء فى حديث أنه كان شبح الذراعين ، يعنى غليظهما ، والله تعالى أعلم

حديث أم معبد فى ذلك

قد تقدم الحديث بتمامه فى الهجرة من مكة إلى المدينة حين ورد عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فُهيرة ودليلهم عبد الله بن أريْقط الدِّيلى ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعْوَزكم القرى ، وكانوا مُمْحلين ، فنظر إلى شاة فى كسْر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال . أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حَلَب فاحْلبها . فدعا بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ، فذكر الحديث فى حَلْبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى وكان يربِض الرهْط (1) .

فلما جاء بعلها استنكر اللبن وقال : من أين لك هذا يا أم مَعْبَد ولا حَلُوبة فى البيت والشاء عازب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مرَّ بنا رجل مبارك . كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تَطْلب .

فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضَاءة حَسن الخَلقْ ، مليح الوجه ، لم تعبه ثُجلة ، ولم تُزْرِ به صَعْلة ، وسيم ، فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وطف ، صوته صَحَل ، أحْوَر ، أكحل ، أزَج أقْرَن ، فى عنقه سَطَع ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البَهَاءُ ، حُلو المنطق ، فَصْل لا نزر ولا هَذْر ، كان منطقه خَرزات نَظْم ينحدرن ، أبْهى الناس وأجْمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رَبْعة لا تَشْنَؤه عين من طُول ، ولا تقتحمه عين من قِصرَ ، غُصْن بين غصنَيْن ، فهو أنْضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدأ ، له رفقاء يَحفُّون به ، إن قال استمعوا لقوله ،

---

(1) يربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا ويناموا .

وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود مَحْشُود ، لا عابس ولا مُفْند .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى نطلب ، ولو صادفته لا لتمست أن أصْحبه ، ولأجْهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا (1) .

قال : وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقين حلاَّ خيمتَى أم مَعْبد
هما نزلا بالبرّ وارتحلا به ... فأفلحَ من أمسى رفيق محمدِ
فيّال قُصَىّ ما زوى الله عنكمُ ... به من فعال لا تُجازى وسؤددَ
سَلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكمَ إن تسألوا الشاةَ تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلَّبت ... له بصَريح ضَرَّةُ الشاة مُزْبدَ
فغادره رهناً لديها لحالبٍ ... يُدّر لها فى مَصْدرٍ ثم مَوْردِ .

وقد قدمنا جوابَ حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله فى الحسن .

والمقصود أن الحافظ البيهقى روى هذا الحديث من طريق عبد الملك بن وهب المَذْحجى قال : حدثنا الحسن بن الصباح ، عن أبى مَعبد الخُزاعى . فذكر الحديث بطوله كما قدمناه بألفاظه .

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوى والحافظ أبو نُعيم فى كتابه « دلائل النبوة » قال عبد الملك : فبلغنى أن أبا مَعبد أسلم بعد ذلك ، وأن أم معبد هاجرت وأسلمت .

ثم إن الحافظ البيهقى أتبع هذا الحديثَ بذكر غريبه ، وقد ذكرناه فى الحواشى فيما سبق ، ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك .

فقولها : « ظاهر الوضاءة » أى ظاهر الجمال « أبْلَج الوجه » أى مشرق الوجه مضيئه .

« لم تعبه ثُجْلة » قال أبو عبيد : هو كبر البطن . وقال غيره : كبرَ الرأس ، وردّ أبو عبيدة رواية من روى : لم تعبه نُحلة . يعنىَ من النُّحول وهو الضعف .

(1) (صحيح الإسناد) الحاكم ٤٢٧٤ .

قلت : وهذا هو الذى فسر به البيهقى الحديث ، والصحيح قول أبى عبيدة ، ولو قيل إنه كبر الرأس لكان قويا ؛ وذلك لقولها بعده « ولم تُزْرِ به صُعلَة » وهو صغَر الرأس بلا خلاف ، ومنه يقال لولد النعامة : صَعل ، لصغر رأسه ، وَيقال له : الظَّليم ، وأما البيهقى فرواه : « لم تعبه نُحْلة » يعنى من الضعف كما فسره ، ولم تزر به صُعْلة وهو الخاصرة [1] يريد أنه ضَرب من الرجال ليس بمنتفخ ولا ناحل .

قال : ويروى لم تعبه ثجلة وهو : كبر البطن ، ولم تُزر به صعلة وهو صغر الرأس .

وأما الوسيم : فهو حَسن الخَلق ، وكذلك القسيم أيضا ، والدَّعَج : شدة سواد الحدقة . والوطف طول أشفار العينين .

ورواه القُتَيْبى : « فى أشفاره عَطف » وتبعه البيهقى فى ذلك .

قال ابن قتيبة : ولا أعرف ما هذا ، لأنه وقع فى روايته غلط فحار تفسيره ، والصواب ما ذكرناه . والله أعلم .

« وفى صوته صَحَل » وهو بُحة يسيرة ، وهى أحلى فى الصوت من أن يكون حاداً ، قال أبو عبيد : وبالصَّحَل يوصفُ الظِّباء .

قال : ومن روى « فى صوته صَهَل » فقد غلط فإن ذلك لا يكون إلا فى الخيل ولا يكون فى الإنسان .

قلت : وهو الذى أورده البيهقى . قال « ويروى صَحل » والصواب قول أبى عبيد . والله أعلم .

وأما قولها : «أحْوَر » فمستغرب فى صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو قَبَل فى العين يزينها لا يشينها كالحوَل .

وقولها : « أكحل » قد تقدم له شاهد .

وقولها : « أزج » ، قال أبو عبيد : هو المتقوِّس الحاجبين .

قال : وأما قولها : « أقْرَن » فهو التقاء الحاجبين بين العينين . قال : ولا يُعرف هذا

---

(١) كذا . ولعلها وهى دقة الخاصرة .

فى صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا فى هذا الحديث . قال : والمعروف فى صفته ـ عليه السلام ـ أنه أبلج الحاجبين .

« فى عنقه سَطَع » ، قال أبو عبيد : أى طُول ، وقال غيره : نُور . قلت : والجمع ممكن بل متعيّن .

وقولها : « إذا صَمت فعليه الوقار » أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكوته ، « وإذا تكلم سمَا » أى عَلا على الناس ، « وعلاه البهاء » أى فى حال كلامه « حُلْو المنطق فَصل » أى فصيح بليغ ، يفصل الكلام ويبينه ، « لا نزر ولا هذر » أى لا قليل ولا كثير ، « كأن منطقه خرَزات نَظْم » يعنى الذى من حُسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه .

« أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب » أى هو مليح من بعيد ومن قريب .

وذكرتْ أنه لا طويل ولا قصير ، بل هو أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظّمونه ويخدمونه ويبادرون إلى طاعته ، ، وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته فى نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس أى ليس يعبس ، ولا يُفنِّد أحداً أى يهجّنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه وهو حبيب إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

* * * *

حديث هند بن أبى هالة فى ذلك

وهند هذا هو ربيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أمه خديجة بنت خويلد وأبوه أبو هالة كما قدمنا بيانه .

قال يعقوب بن سفيان الفسَوى الحافظ ـ رحمه الله ـ : حدثنا سعيد بن حماد الأنصارى المصرى وأبو غسان مالك بن إسماعيل النهّدى قالا : حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجْلى ، قال : حدثنى رجل بمكة ، عن ابن لأبى هالة التميمى ، عن الحسن بن على ، قال : سألت خالى هند بن أبى هالة ، وكان وصّافاً ، عن حِلية رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلّق به ـ فقال :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ فَخماً مُفَخّماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطْوَل من المربوع وأقصر من المشذب [1] ، عظيم الهامة رَجِل الشعْر ، إذا تفرقت عقيصته [2] فَرَق وإلا فلا يجاوز شعره شَحْمة أذنيه ، ذا وَفْرة ، أزْهَر اللون ، واسع الجبين أزَجّ [3] الحواجب سَوابغ فى غير قَرَن ، بينهما عِرق يُدِره الغضب ، أقْنَى [4] العرنْين ، له نور يعلوه يَحْسبه من لم يتأمله أشمّ [5] كثّ اللحية أدْعَج ، سهل الخدين ، ضَليع الفم أشنَب [6] مُفَلّج الأسنان [7] ، دقيق المسْرُبة ، كأن عنقه جيدُ دُمْيَة [8] فى صفاء يعنى الفضة ، معتدل الخلق ، بادنٌ متماسك [9] ، سَواء البطن

---

(١) المشذب : الطويل البائن ، من التشذيب ، وأصله النخلة الطويلة التى شذب جريدها .

(٢) العقيصة : الشعر المعقوص ، وهى الخصلة إذا لويت وضفرت .

(٣) الأزج : المقوس .

(٤) القنى : طول الأنف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه .

(٥) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها .

(٦) الضليع : الواسع . والأشنب من الشنب وهو البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .

(٧) مفلج الأسنان : منفرجها .

(٨) الجيد : العنق . والدمية : الصورة التى بولغ فى تحسينها .

(٩) البادن : الضخم . والمتماسك : غير المسترخى اللحم .

والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ضخم الكَرَاديس، أنورَ المتجرَّد [1] موصول ما بين اللَّبة [2] والسُّرة بشعر يجرى كالخط [3] ، عارى الثديين والبطن مما سوَى ذلك ، أشْعَر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طول الزَّندين [4] رَحْب الراحة سبط القَصَب [5] شثْن الكفّين والقدمين ، سائل الأطراف ، خَمْصان [6] الأخمصين ، مَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء ، إذا زال زال قَلْعا ، يخطو تكفيًا ويمشى هَونا ذَريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يَسُوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

***

قلت : صف لى مَنْطقه . قال :

كان رسول الله ـ ص ـ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ، لا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه يتكلم بجوامع الكلم ، فَصل لا فضول ولا تقصير ، دَمِث ليس بالجافى ولا المهين ، يعظِّم النعمة وإن دَقَّت ، لا يذم منها شيئا ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه إذا تُعرِّض للحق شىء حتى ينتصر له . وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرض الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له . وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث يَصِل بها ، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعْرض وأشاح ، وإذا فَرِح غضَّ طرفه ، جُل ضحكه التبسم ويَفْتر عن مثل حَبِّ الغمام [7] .

---

(١) الأنور : الشرق . والمتجرد ـ بفتح الراء ـ موضع التجرد عن الثوب وبكسرها : العضو العارى عن الثوب .

(٢) اللبة : النقرة التى فوق الصدر .

(٣) كالخط : فى الطول والدقة ، ويروى كالخيط .

(٤) الزند من الذراع : ما انحسر عنه اللحم ، والمراد طويل الذراعين .

(٥) السبط : الممتد الذى ليس فيه تعقد . والقصب : عظام الأصابع كما فى القاموس . وقال فى النهاية ٢ / ١٥٣ : يريد بها ساعديه وساقيه . وتفسير القاموس أقرب .

(٦) الخمصان : الضامر الأخمصين .

(٧) حب الغمام : البرد .

قال الحسن : فكتمتُها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدَع منه شيئا .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : **كان دخوله لنفسه ، مأذون له فى ذلك ، وكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ، ثم جزأ جُزأه بين الناس فردَّ ذلك على العامة بالخاصة (١) لا يدَّخر عنهم شيئا .**

وكان من سيرته فى جزء الأمة : **إيثار أهل الفضل بأدبه وقَسْمه على قدر فضلهم فى الدِّين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويَشْغلهم فيما أصلحهم والأمة من مَسْألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى ، ويقول : «ليبلِّغ الشاهدُ الغائب ، وأبلغونى حاجةَ من لا يستطيع إبلاغى حاجته ؛ فإنه من بلّغ سلطانا حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبّت الله قدميه يوم القيامة » لا يُذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيْره ، يدخلون عليه زُوّارا ولا يفترقون إلا عن ذَواق (٢)**

وفى روايه : ولا يتفرقون إلا عن ذَوق ، ويخرجون أدلةً ، يعنى فقهاء .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ، فقال :

كان رسول الله ـ ﷺ ـ **يخزن لسانه إلا فيما يَعْنيه ، ويؤلِّفهم ولا يُنفرهم ، ويُكرم كريم كل قوم ويولّيه عليهم ، ويَحْذَر الناسَ ويحترس منهم من غير أن يَطْوى عن أحد منهم بِشْره ولا خُلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسّن الحسنَ ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يَغْفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عَتاد ، لا يُقصِّر عن الحق ولا يَجُوزه ، الذين يَلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمُّهم نصيحة ، وأعظمهم عنده مَنزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.**

قال : فسألته عن مَجْلسه كيف كان فقال :

---

(١) رد بالخاصة : أى يعتمد على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومه . الوفا لابن الجوزى ٤٧١ .
(٢) الذواق : العلم وهو فى الأصل الطعام ، لأن العلم للأرواح بمنزلة الطعام للأجساد .

كان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يوطن[1] الأماكنَ وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يَحْسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، مَنْ جالسه أو قاوَمه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بَسْطُه وخُلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق سواء، مَجْلسه مجلس حِلْم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤبن[2] فيه الحُرَم ولا تُنثى[3] فلتاته ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ دائم البِشر سهل الخُلق لين الجانب ، ليس بفَظّ ولا غليظ ولا سَخَّاب ولا فَحَّاش ولا عَيَّاب ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهى ولا يُؤيس منه ولا يخيِّب فيه[4] ، قد ترك نفسه من ثلاث: المِرَاء ، والإكثار وما لا يَعنيه ، وترك الناسَ من ثلاث : كان لا يَذم أحداً ، ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده[5] ، يضحك مما يضحكون منه ويتعجَّب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابُه يَستجلبونه[6] فى المنطق . ويقول : إذا رأيتم طالبَ حاجة فارفدوه[7] ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[8] ولا يقطع على أحد حديثه حتى يَجوز فيقطعه بانتهاء[9] أو قيام .

---

(١) لا يوطن : لا يلتزم فى جلوسه مكانا بعينه . يعنى أنه يجلس حيث ينتهى به المجلس .

(٢) تؤبن : تنتهك أو تعاب .

(٣) تنثى : تشاع أو تذاع ، يقال : نثوت الحديث نثوه نثواً . والفلتات : جمع فلتة وهى الزلة ، أراد أنه لم يكن لمجلسه فلتات فتنثى . النهاية ٢ / ١٣٣ .

(٤) فى الشمائل للترمذى ٢ / ١٤٥ : « ولا يجيبه » وقد ذكر شارحها الرواية المذكورة وقال : والظاهر أنه سهو ، لأن الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه فى هذا المقام .

(٥) شمائل الترمذى : لا يتنازعون عنده الحديث .

(٦) فى شمائل الترمذى : يستجلبونهم . والمعنى : يأتون بهم إلى مجلسه ليستفيدوا من أسئلتهم .

(٧) أرفدوه : أعينوه بالعطاء والصلة أو بالشفاعة .

(٨) المكافئ : المقتصد فى ثنائه المقارب فى مدحه . أو المكافئ بالثناء على نعمة أنعمها عليه ، لا المبتدئ بالثناء .

(٩) كذا . والرواية فى الشمائل : بنهى . ومعنى يجوز : يجاوز الحق .

قال : فسألته كيف كان سكوته ؟ قال :

كان سكوته على أربع : الحِلم والحذر والتقدير والتفكر . فأما تقديره ففى تسويته النظرَ والاستماع بين الناس ، وأما تذكره ، أو قال تفكره ، ففيما يَبقى ويفنى ، وجمع له ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحلم والصبر ، فكان لا يُغضبه شئ ، ولا يستفزُّه ، وجمع له الحذر فى أربع : أخذه بالحسنى ، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) .

* * *

وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو عيسى الترمذى ـ رحمه الله ـ فى كتاب شمائل رسول الله ـ ﷺ ـ ، عن سفيان بن وكيع بن الجراح ، عن جُميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى ، حدثنى رجل من ولد أبى هالة زوج خديجة يُكنى أبا عبد الله ، سماه غيره يزيد بن عمر ، عن ابن لأبى هالة ، عن الحسن بن على ، قال : سألت خالى . فذكره وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل ، عن أبى عبد الله الحاكم النيسابورى لفظاً وقراءة عليه : أخبرنا أبو محمد الحسن [بن] محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب القعنبى صاحب كتاب النَّسب ببغداد ، حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو محمد بالمدينة سنة ست وستين ومائتين ، حدثنى على بن جعفر بن محمد ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن على بن الحسين بن على ، عن أبيه محمد بن على بن الحسين قال : قال الحسن : سألت خالى هندَ بن أبى هالة . فذكره .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّى ـ رحمه الله ـ فى كتابه « الأطراف » بعد ذكره ما تقدم من هاتين الطريقين :

وروى إسماعيل بن مسلم بن قَعْنَب القَعْنَبى ، عن إسحاق بن صالح المخزومى ، عن يعقوب التَّيمى ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال لهند بن أبى هالة ـ وكان وَصافاً لرسول الله ـ : صفْ لنا رسول الله ـ ﷺ ـ . فذكر بعض هذا الحديث .

(١) (ضعيف) ذكره الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير ٤٤٧٠ .

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق صبيح بن عبد اللّه الفَرْغانى (وهو ضعيف)، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة حديثا مطولاً فى صفة النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قريباً من حديث هند بن أبى هالة .

وسرده البيهقى بتمامه ، وفى أثنائه تفسير ما فيه من الغريب وفيما ذكرناه غُنية عنه . واللّه تعالى أعلم .

وروى البخارى عن أبى عاصم الضحَّاك ، عن عمر بن سعيد بن أحمد بن حسين ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عقبة بن الحارث ، قال : صلى أبو بكر العصر بعد موت النبى ـ ﷺ ـ بليال فخرج هو وعلى يمشيان ، فإذا الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، قال : فاحتمله أبو بكر على كاهله وجعل يقول : يا بأبى ، شبهُ النبى ﷺ ليس شَبيهاً بعلى .

وعلى يضحك منهما ـ رضى اللّه عنهما ـ.

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زُهير ، حدثنا إسماعيل ، عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسول اللّه ـ ﷺ ـ وكان الحسن بن على يشبهه .

وروى البيهقى عن أبى على الروذبارى ، عن عبد اللّه بن جعفر بن شَوْذَب الواسطى ، عن شعيب بن أيوب الصَّريفينى ، عن عبيد اللّه بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق عن هانئ ، عن علىّ ـ رضى اللّه عنه ـ قال : **الحسن أشبه برسول اللّه ـ ﷺ ـ ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول اللّه ـ ﷺ ـ ما كان أسفل من ذلك** [1] .

* * * *

(١) (صحيح) أحمد فى المسند ٧٧٤ والدلائل ١ / ٣٠٧ .

بـاب

ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قد قدَّمنا طيب أصله ومَحْتِده ، وطهارة نسبه ومولده ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ **اللّه أعلم حيث يجعلَ رسالته** ﴾[1] .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة ، أن رسول اللّه ـ ﷺ ـ قال : « **بُعثت من خير قرون بنى آدم قرنا بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه** » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسْقَع قال : قال رسول اللّه ـ ﷺ ـ « **إن اللّه اصطفى قريشا من بنى إسماعيل ، واصطفَى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم** » .

وقال اللّه تعالى : ﴿ **ن . والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

قال العَوْفى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ : يعنى وإنك لعلى دين عظيم ، وهو الإسلام .

وهكذا قال مجاهد وابن مالك والسُّدى والضحَّاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال عطية : لعلَى أدَبٍ عظيم .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث قتادة ، عن زرارة بن أوْفَى ، عن سعد بن هشام ، قال : سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : **أخبرينى عن خُلق رسول اللّه ـ ﷺ ـ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى فقالت : كان خُلقه القرآن** .

وقد روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عُلَيّة ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن البصرى قال : **وسئلت عائشة عن خُلق رسول اللّه ـ ﷺ ـ فقالت : كان خُلقه القرآن** [1] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤ .

(٢) (صحيح) المسند ٢٥٦٨٩ .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى والنسائى من حديثه ، وابن جرير من حديث ابن وهب ، كلاهما عن معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جُبير بن نُفَير ، **قال : حججْتُ فدخلت على عائشة فسألتها عن خُلق رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : كان خُلقه القرآن** (١) .

ومعنى هذا أنه ـ عليه السلام ـ مَهْما أمَره به القرآنُ امتثله ، ومهما نَهاه عنه تركه .

هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجِبِلِّية الأصلية العظيمة التى لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، وشرع له الدِّين العظيم الذى لم يَشرعه لأحد قَبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين ، فلا رسول بعده ولا نبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة مالا يُحدُّ ولا يمكن وَصفه .

* * *

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سليمان حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا زيد بن واقد ، عن بشر بن عبيد الله ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى الدرداء ، **قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقالت : كان خُلقه القرآن يَرْضَى لرضاه ويَسْخَط لسخطه** (٢) .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، أخبرنا قيس بن أنَيْف ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران عن يزيد بن بابَنُوس قال : **قلنا لعائشة : يا أم المؤمنين كيف كان خُلق رسول اللّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ قالت : كان خلق رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنين إقرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ إلى العَشْر قالت . هكذا كان خُلق رسول الله ـ ﷺ ـ** (٣)

وهكذا رواه النسائى عن قتيبة .

---

(١) صحيح .
(٢) (ضعيف) لكن متنه يقوي بأحاديث أخر صحيحة .
(٣) (صحيح) الدلائل ١ / ٣٠٩ .

وروى البخاري من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [1] . قال : أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق** » [2] .

تفرد به أحمد . ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطي في كتابه فقال : « **وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

وتقدم ما رواه البخاري من حديث أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خُلُقاً .

وقال مالك ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : **ما خُيِّر رسول الله ـ ﷺ ـ بين أمرين إلا أخذ أيْسَرَهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حُرمة الله فينتقم لله بها** .

ورواه البخاري ومسلم من حديث مالك .

وروى مسلم عن أبي كُرَيب ، عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : ماضَرَب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده شيئا قط ، لا عَبْداً ولا امرأة ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا نِيلَ منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ـ عز وجل ـ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : ما ضَرَب رسول الله ـ ﷺ ـ بيده خادما له قط ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبَّهما إليه أيسرُهما ، حتى يكون إثما ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من

(١) سورة الأعراف ١٩٩ .
(٢) (صحيح) المستدرك للحاكم ٤٢٢١ وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٥ .

شيء يؤتى إليه حتى تُنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله ـ عز وجل ـ .

وقال أبو داود الطَّيالسي : حدثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، سمعت أبا عبد الله الجَدلى يقول : سمعت عائشة ، وسألتها عن خُلق رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقالت : **لم يكن فاحشا ولا متفحشاً ، ولا سَخَّابا فى الأسواق ، ولا يَجزى بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قال يعفو ويغفر . شكَّ أبو داود** [1] .

ورواه الترمذى من حديث شعبة وقال : حسن صحيح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا آدم وعاصم بن على قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ، حدثنا صالح مولى التَّوْأمَة قال : **كان أبو هريرة يَنْعت رسول الله قال : كان يُقْبل جميعا ويُدبِر جميعا ، بأبى وأمى ! لم يكن فاحشا ولا متفحشاً ولا سَخَّابا** [2] **فى الأسواق ، زاد آدم: ولم أر مثله قبله ولم أر مثله بعده** [3] .

وقال البخارى : حدثنا عَبْدان ، عن أبى حمزة ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن مسروق ، عن عبد الله بن عمرو [4] قال : لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

وقد روى البخارى من حديث فُليح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن رسول الله موصوف فى التوراة بما هو موصوف فى القرآن : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفَظّ ولا غليظ ولا سَخَّاب فى الأسواق ، ولا يَجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يَقْبضه حتى يُقيم به المِلّة العَوْجاء بأن يقولوا :

---

(١) (**صحيح**) المسند ٢٥٢٩٣ والدلائل ١ / ٣١٥ .

(٢) **السخاب** : الذى يرفع صوته لسوء خلقه .

(٣) (**حسن**) ومتنه صحيح .

(٤) الحديث فى صحيح البخارى ٣ / ١٣٢ ط الأميرية : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، قال : حدثنى شفيق عن مسروق ، قال : كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو يحدثنا إذ قال . الخ .

لا إله إلا الله . ويفتح أعيناً عُمْيا ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفا » .

وقد روى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار .

وقال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عبد الله ابن أبى عتبة ، عن أبى سعيد قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خِدْرها .

حدثنا ابن بَشَّار ، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : حدثنا شعبة مثله ، وإذا كَرِه شيئا عُرِف ذلك فى وجهه .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ؛ حدثنا فُلَيْح ، عن هلال بن على ، عن أنس بن مالك ، **قال لم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ سبَّابا ولا لعَّانا ولا فاحشا ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : ماله تَرِبَتْ جَبِينُه !** (١) .

ورواه البخارى عن محمد بن سِنان ، عن فُلَيْح .

وفى الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس وكان أجودَ الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فَزِع أهلُ المدينة ذات ليلة فانطلق ناسٌ قبَل الصوت ، فتلقَّاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طَلحة عُرْى (٢) فى عنقه السيف وهو يقول : ، لم تُراعوا لم تراعوا . قال : وجَدْناه بَحْراً (٣) أو إنه لَبحر . قال وكان فرساً يُبطَّأ .

ثم قال مسلم : حدثنا بكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان فَزَعٌ بالمدينة ، فاستعار رسول الله ـ ﷺ ـ فَرسًا لأبى طلحة يقال له مَنْدوب فركبه فقال : ما رأينا من فزَع ، وإنْ وجدناه لَبحراً .

وقال : كنا إذا اشتد البأسُ اتَّقينا برسول الله ـ ﷺ ـ .

---

(١)(حسن) المسند ١٢٢١٤ البخارى فى كتاب الأدب ٦٠٣١ .

(٢) العرى : الفرس بلا سرج .

(٣) وجدناه : أى الفرس . والبحر : الواسع الجرى .

وقال أبو أبو إسحاق السَّبيعى ، عن حارثة بن مضرب ، عن على بن أبى طالب ، قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله - ﷺ - وكان أشد الناس بأساً .

رواه أحمد والبيهقى .

وتقدم فى غزوة هوازن أنه - عليه السلام - لما فرّ جمهور أصحابه يومئذ ثبت وهو راكب بغلته وهو ينوّه باسمه الشريف يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . وهو مع ذلك يُركضها إلى نحور الأعداء .

وهذا فى غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام - صلوات الله عليه - .

* * *

وفى صحيح مسلم من حديث إسماعيل بن عُلَيّة ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : **لما قدم رسول الله المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بنا إلى رسول الله فقال : يا رسول الله إن أنسا غلام كَيِّس فليخدمك قال : فخدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشئ لم أصنعه لمَ لمْ تصنع هذا هكذا؟**

وله من حديث سعيد بن أبى بُردة ، عن أنس ، قال : خدمت رسول الله تسع سنين فما أعلمه قال لى قط : لمَ فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب على شيئا قط .

وله من حديث عكرمة بن عمار ، عن إسحاق قال أنس : **كان رسول الله - ﷺ - من أحسن الناس خُلقا فأرسلنى يوما لحاجة فقلت : والله لا أذهب - وفى نفسىْ أن أذهب لما أمرنى به رسول الله - ﷺ - فخرجت حتى أمُر على صبيان وهم يلعبون فى السوق ، فإذا رسول الله - ﷺ - قد قَبض بقفاى من ورائى . قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أنيس ذهبت حيث أمرتك ؟ فقلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله .**

قال أنس : والله لقد خدمتهُ تسع سنين ما علمته قال لشىء صنعتُه : لم صنعت كذا وكذا أو لشىء تركته : هلا فعلت كذا وكذا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا كثير ، حدثنا هشام ، حدثنا جعفر ، حدثنا عمران القَصير عن أنس بن مالك ، قال : خدمت النبى - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما أمرنَى بأمر فتوانيت عنه أو ضيَّعته فلامَنى ، وإنْ لامنى أحدٌ من أهله إلا قال : دعوه فَلَوْ قُدِّرَ - أو قال قُضى - أن يكون كان .

ثم رواه أحمد عن على بن ثابت ، عن جعفر ، هو ابن بُرْقَان ، عن عمران البصرى ، وهو القصير ، عن أنس فذكره .

تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبى ، حدثنا أبو التَّيَّاح ، حدثنا أنس قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن الناس خُلقا وكان لى أخ يقال له أبو عُمير ، قال : أحسبه قال فَطِيما ، قال : فكان إذا جاء رسول الله ـ ﷺ ـ فرآه قال : أبا عمير ما فعل النُّغَير . قال : نُغر (1) كان يلعب به ، قال : فربما تحضر الصلاة وهو فى بيتنا فيأمر بالبساط الذى تحته فيُكنَس ثم يُنْضَح ، ثم يقوم رسول الله ـ ﷺ ـ ونقوم خلفه يصلى بنا ، قال : وكان بساطهم من جريد النخل .**

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق ، عن أبى التَّيَّاح يزيد بن حُمَيد ، عن أنس بنحوه .

* * *

وثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجودَ الناس ، وكان أجودُ ما يكون فى رمضان حين يَلقَاه جبريل فيدارسه القرآن ، فلَرسول الله ـ ﷺ ـ أجود بالخير من الريح المرسَلة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا سَلم العلوى ، سمعت أنس بن مالك ، أن النبى ـ ﷺ ـ رأى على رجل صُفرةَ فكرهها . قال : فلما قام قال : **لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة ؟ قال : وكان لا يكاد يُواجِه أحداً بشىء يكرهه** (2) .

وقد رواه داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى اليوم والليلة من حديث حماد ابن زيد ، عن سَلم بن قيس العلوى البصرى .

---

(1) النغر : فرخ العصفور .

(2) (ضعيف الإسناد) فيه مسلم بن قيس العلوى .

قال أبو داود : وليس من ولد على بن أبى طالب ، وكان يبصر فى النجوم ، وقد شهد عند عَدىَ بن أرطَاة على رؤية الهلال فلم يُجز شهادته .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمَّانيّ ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل : ما بال فلان يقول . ولكن يقول : ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا .

وثبت فى الصحيح أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال : **لا يُبلغنى أحد عن أحد شيئاً ، إنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سَليم الصَّدْر .**

وقال مالك عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك قال : **كنت أمشى مع النبى ـ ﷺ ـ بُرد غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جَبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول اللّه ـ ﷺ ـ فإذا قد أثَّرت بها حاشية البُرد من شدة جَبْذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لى من مال اللّه الذى عندك قال : فالتفت إليه رسول اللّه ـ ﷺ ـ فضحك ثم أمر له بعطاء** (١) .

أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، أخبرنى محمد بن هلال القرشى ، عن أبيه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : **كنا مع رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فى المسجد فلما قام قمنا معه ، فجاء أعرابى فقال : أعطنى يا محمد . فقال : لا وأستغفر اللّه . فجذَبه بحُجْزته فخدَشه ، قال : فهَمُّوا به فقال : دعوه . قال : ثم أعطاه ، قال : فكانت يمينه : لا وأستغفر اللّه** (٣) .

وقد روى أصلَ هذا الحديث أبو داود والنسائى وابن ماجة من طرق ، عن محمد بن هلال بن أبى هلال مولى بنى كعب ، عن أبيه ، عن أبى هريرة بنحوه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عُبيد اللّه بن موسى ، عن شيبان ، عن الأعمش ، عن ثُمامة بن عقبة ، عن زيد بن أرقم ، قال : **كان رجل من الأنصار يدخل على رسول اللّه**

---

(١) (صحيح) .

ـ ﷺ ـ ويأمنه ، وإنه عقد له عقداً وألقاه في بئر ، فصرع ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلانا عقد له عقداً وهى فى بئر فلان ، ولقد اصفر الماء من شدة عقده ، فأرسل النبى ـ ﷺ ـ فاستخرج العقد ، فوجد الماء قد اصفرّ ، فحل العقد ونام النبى ـ ﷺ ـ ، فلقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبى ـ ﷺ ـ م فما رأيته فى وجه النبى ـ ﷺ ـ حتى مات (1) .

قلت : والمشهور فى الصحيح : أن لَبيد بن الأعصم اليهودى هو الذى سَحر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مشط ومُشَاطَةَ فى جَفّ طَلْعة ذَكَر تحت بئر ذَرْوان ، وأن الحال استمر نحو ستة أشهر ، حتى أنزل الله سورتى المعوذتَين . ويقال : إن آياتهما إحدى عشرة آية ، وأن عَقَدُ ذلك الذى سُحر فيه إحدى عشرة عقدة ، وقد بسطنا ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية . والله أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا عمران بن زيد أبو يحيى المُلائى ، حدثنا زيد العَمّىّ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ، وإن استقبله بوجه لا يَصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه ، ولا يُرَى مقدِّما ركبتيه بين يدى جليس له .

ورواه الترمذى وابن ماجة من حديث عمران بن زيد الثعلبى أبى يحيى الطويل الكوفى ، عن زيد بن الحوارىّ العمى ، عن أنس به .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن مَنيع ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا مبارك بن فَضَالة ، عن ثابت البُنَانىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : ما رأيت رجلا قط التقم أذنَ النبى ـ ﷺ ـ فينحّى رأسهَ حتى يكون الرجل هو الذى ينحّى رأسه ، وما رأيت رسول الله آخذاً بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يدَع يده .

تفرد به أبو داود .

---

(1) (صحيح) البخارى ٥٧٦٣ ـ ٢١٨٩ .

(2) المشاطة : الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند التسريح بالمشط والجف وعاء الطلع وهو أول ما يبدو من ثمر النخل .

قال الإمام أحمد : وحدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالا : حدثنا شعبة . قال ابن جعفر فى حديثه قال : سمعت عليّ بن زيد قال : قال أنس بن مالك : إن كانت الوَليدة من ولائد أهل المدينة لتَجيء فتأخذ بيد رسول الله - ﷺ - ، فما ينزع يده من يدها حَتى تذهب به حيث شاءت .

ورواه ابن ماجة من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا حُميد ، عن أنس بن مالك ، **قال : إن كانت الأمةُ من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتنطلق به فى حاجتها** (١) .

وقد رواه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه معلّقا فقال : وقال محمد بن عيسى هو ابن الطَّباع : حدثنا هُشَيم فذكره .

* * *

وقال الطبرانى : حدثنا أبو شعيب الحَرَّانى ، حدثنا يحيى بن عبد الله البابَلْتى ، حدثنا أيوب بن نُهَيك ، سمعت عطاء بن أبى رباح ، سمعت ابن عمر ، سمعت رسول الله - ﷺ - رأى صاحب بَزّ فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم ، فخرج وهو عليه فإذا رجل من الأنصار فقال : يارسول الله اكسنى قميصاً كساك الله من ثياب الجنة . فنزع القميص فكساه إياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم، وبقى معه درهمان ، فإذا هو بجارية فى الطريق تبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : يا رسول الله دفع إليَّ أهلى درهمين لأشترى بهما دقيقاً فهلكا . فدفع إليها رسول الله الدرهمين الباقيين ، ثم انقلب وهى تبكى فدعاها فقال : ما يبكيك وقد أخذت الدهمين ؟ فقالت : أخاف أن يضربونى فمشى معها إلى أهلها ، فسلم فعرفوا صوته ، ثم عاد فسلم ثم عاد فسلم ثم عاد فثلّث فردوا ، فقال : أسمعتم أول السلام ؟ قالوا : نعم ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام ، فما أشخصك بأبينا وأمنا ؟ فقال : أشفقت هذه الجارية أن تضربوها . فقال صاحبها : هى حُرة لوجه الله لممشاك معها . فبشّرهم رسول الله بالخير والجنة . ثم قال : لقد بارك الله فى العشرة . كسا الله نبيه قميصاً ورجلا من الأنصار قميصاً وأعتق

---

(١) (صحيح) المسند ١١٨٨٠ والبخارى فى الأدب المفرد .

الله منها رقبة ، وأحمد الله هو الذى . . رزقنا هذا بقدرته .

هكذا رواه الطبرانى ، وفى إسناده أيوب بن نُهيك الحلبى ، وقد ضعَّفه أبو حاتم ، وقال أبو زُرعة : مُنكر الحديث ، وقال الأزدى : متروك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت عن أنس ، أن امرأة كان فى عَقلها شىء فقالت : **يا رسول الله إن لى حاجة . فقال : يا أم فلان انظرى أى الطرق شئت فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها** (1) .

وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة .

وثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : ما عاب رسول الله ـ ﷺ ـ طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وقال الثَّورى ، عن الأسود بن قيس ، عن شيخ العَوْفى ، عن جابر ، قال : **أتانا رسول الله فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال : كأنهم علموا أنَّا نحب اللحم** . الحديث .

* * *

وقال محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن يوسف ابن عبد الله بن سلام ، عن أبيه قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جلس يتحدَّث كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء .

وهكذا رواه أبو داود فى كتاب الأدب من سننه من حديث محمد بن إسحاق به :

وقال أبو داود : حدثنا سلمة بن شَبيب ، حدثنا عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا إسحاق ابن محمد الأنصارى ، عن ربيح بن عَبد الرحمن عن أبيه عن جده أبى سعيد الخدرى **أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا جلس احتبى بيده** (2) .

ورواه البزار فى مسنده ولفظه : كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه .

ثم قال أبو داود : حدثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل ، قالا : حدثنا عبد الرحمن ابن حسان العنبرى ، حدثنى جدتاى صفية ودُحَيْبَة ابنتا عُلَيْبة ، قال موسى : ابنة

---

(1) (صحيح) المسند ١٣٩٧٩ .

(2) (ضعيف) صححه الألبانى فى الصحيحة ٨٢٧ وقال صحيح لغيره .

حَرْمَلة وكانتا ربيبتى قَيْلَة بنت مَخْرَمة ، وكانت جدة أبيهما ، أنها أخبرتهما أنها رأت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو قاعد القُرفُصاء . قالت : فلما رأيت رسول الله المتخشع فى الجلسة أرْعِدْت من الفَرَق .

ورواه الترمذى فى الشمائل وفى الجامع عن عَبْد بن حُميد ، عن عفان بن مسلم بن عبد الله بن حسان : به . وهو قطعة من حديث طويل قد ساقه الطبرانى بتمامه فى معجمه الكبير .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كان يحدِّث حديثا لو عَدَّه العادُّ لأحصاه .

قال البخارى : وقال الليث : حدثنى يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، أنها قالت : ألا أعجبك أبو فلان ، جاء فجلس إلى جانب حجرتى يحدّث عن رسول الله ـ ﷺ ـ يُسمعنى ذلك ، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضى سُبْحتى (1) ولو أدركته لرددت عليه ، إن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن يَسرُد الحديث كسَرْدكم .

وقد رواه أحمد عن على بن إسحاق ، ومسلم عن حَرْملة ، وأبو داود عن سليمان ابن داود ، كلهم عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد به ، وفى روايتهم : ألا أعجبك من أبى هريرة ؟ فذكرت نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أسامة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان كلام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَصْلا يفهمه كل أحد لم يكن يسرد سردا (2) .

وقد رواه أبو داود ، عن ابن أبى شيبة ، عن وكيع .

وقال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا عبد الله بن مسْعَر ، حدثنى شيخ أنه سمع جابر بن عبد الله ـ أو ابن عمر ـ يقول : كان فى كلام النبى ـ ﷺ ـ ترتيل أو ترْسِيل .

(1) السبحة : النافلة .
(2) (صحيح) المسند ٢٤٩٥٨ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الله بن المثنى ، عن ثُمامة ، عن أنس أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا تكلم بكلمة ردَّدها ثلاثا ، وإذا أتى قوما يسلّم عليهم سلّم ثلاثا .

ورواه البخارى من حديث عبد الصمد .

وقال أحمد حدثنا أبو سعيد بن أبى مريم ، حدثنا عبد الله بن المثنى ، سمعت ثُمامة بن أنس يذكر أن أنسا كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، ويذكر أن النبى ـ ﷺ ـ **كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، وكان يستأذن ثلاثا** [(١)] .

وجاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن عبد الله بن المثَّنى ، عن ثمامة ، عن أنس ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ **كان إذا تكلم يُعيد الكلمة ثلاثا لتُعقل عنه** [(٢)] .

ثم قال الترمذى : حسن صحيح غريب .

وفى الصحيح أنه قال : أوتيت جوامعَ الكلم . وأختصر الحكَم اختصارا .

قال الإمام أحمد : حدثنا حَجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عَقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسَّيب ، أن أبا هريرة قال : **سمعت رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسَلم ـ يقول : بُعثت بجوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضِعت فى يدى** [(٣)] .

وهكذا رواه البخارى من حديث الليث . وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة ؛ قال : **قال رسول الله ـ ﷺ ـ : نُصرت بالرَعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضِعت فى يدى** [(٤)] .

تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة

---

(١) (صحيح) المسند ١٣١٥٤ والبخارى فى كتاب العلم .
(٢) (صحيح) الألبانى فى الجامع الصغير ٤٦٩٤ .
(٣) (صحيح) المسند ٩٨٢٨ .
(٤) (صحيح) المسند ٩١١٥ .

قال : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم : **نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فُتلت [(١)] فى يدى .**

تفرَّد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

* * * *

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، حدثنى أبو النَّضر ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة قالت : ما رأيت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مُستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لَهَواته [(٢)] إنما كان يتبسم .

وقال الترمذى : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن عبد اللّه بن المغيرة ، عن عبد اللّه بن الحارث بن جَزْء ، قال : ما رأيت أحدا أكثر تبسُّماً من رسول اللّه ـ ﷺ ـ [(٣)] .

ثم رواه من حديث الليث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد اللّه بن الحارث بن جَزْء قال : ما كان ضَحك رسول اللّه ـ ﷺ ـ إلا تبسما ، ثم قال : صحيح .

وقال مسلم : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خيثمة ، عن سمَاك بن حَرْب قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ؟ قَال : نعم ، كثيراً ، كان لا يقوم من مُصلاّه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس [فإذا طلعت الشمس [(٤)]] قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون فى زمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم رسول اللّه ـ ﷺ ـ .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شَريك وقيس بن سعد ، عن سمَاك بن حَرْب ، قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس النبى ـ ﷺ ـ ؟ قال : نعم كان كثير الصمت ، قليل الضحك ، فكان أصحابه ربما يتناشدون الشعر عنده وربما قال الشىء من أمورهم فيضحكون ، وربما يتبسم .

---

(١) تلت : ألقيت .

(٢) اللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة الناتئة فى الحلق .

(٣) (حسن) المسند ١٧٦٣٤ .

(٤) من صحيح مسلم ١ / ٤٦٣ ط الحلبى .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق أخبرنا أبو عبد الرحمن المقرى ، حدثنا الليث بن سعد ، عن الوليد بن أبى الوليد ، أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجه بن زيد ـ يعنى ابن ثابت ـ أن نفراً دخلوا على أبيه فقالوا : حدِّثنا عن بعض أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال : كنت جاره ، **فكان إذا نزل الوحى بعث إلىَّ فآتيه فأكتب الوحى ، وكنا إذا ذكَرْناه الدنيا ذكَرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا نحدّثكم عنه**[1] .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن عباس الدُّورى ، عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله ابن يزيد المقرى به نحوه .

* * * *

(١) الدلائل ١ / ٣٢٤ .

ذكر كرمه ـ عليه السلام ـ

تقدم ما أخرجاه فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجودَ الناس ، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان حين يَلْقاه جبريل بالوحى فيُدارسه القرآن ، فلَرَسول الله ـ ﷺ ـ أجود بالخير من الريح المرسَلة .

وهذا التشبيه فى غاية ما يكون من البلاغة ، فى تشبيهه الكرَم بالريح المرسَلة فى عمومها وتواترها وعدم انقطاعها .

وفى الصحيحين من حديث سفيان بن سعيد الثَّورى ، عن محمد بن المنكَدِر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : ما سئل رسول الله ـ ﷺ ـ شيئا قط فقال : لا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدىّ عن حُميد ، عن موسى بن أنيس ، عن أنس ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ **لم يُسأل شيئا على الإسلام إلا أعطاه . قال : فأتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة ، قال : فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلِموا فإن محمداً يُعطِى عطاءً ما يخشى الفاقة** (1) .

ورواه مسلم عن عاصم بن النضر ، عن خالد بن الحارث ، عن حُميد .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، **أن رجلا سأل النبى ـ ﷺ ـ فأعطاه غنما بين جبلين فأتى قومه فقال : أىْ قوم أسلموا ؛ فإن محمداً يعطى عطاءً ما يخاف الفاقة . فإنْ كان الرجل لَيجئ إلى رسول الله ما يريد إلا الدنيا ، فما يُمْسى حتى يكون دينه أحبَّ إليه وأعزَّ عليه من الدنيا وما فيها** (2) .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وهذا العطاء ليؤلِّف به قلوب ضعيفى القلوب فى الإسلام ، ويتألف آخرين ليدخلوا فى الإسلام ، كما فعل يوم حنينٍ ، حين قَسم تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاء

(1) (صحيح) المسند ١٣٩٦٢ .

(2) (صحيح) المسند ١٣٩٦٢ .

والذهب والفضة فى المؤلَّفة ، ومع هذا لم يعط الأنصار وجمهورَ المهاجرين شيئاً ، بل أنفق فيمن كان يحب أن يتألَّفه على الإسلام ، وترك أولئك لما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير .

وقال مُسلّيا لمن سأل عن وجه الحكمة فى هذه القسمة لمن عَتَب من جماعة الأنصار : أمَا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله تَحُوزونه إلى رِحالكم قالوا : رضينا يا رسول الله .

وهكذا أعطى عمَّه العباس بعد ما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين ، فوضع بين يديه فى المسجد ، وجاء العباس فقال : يا رسول الله أعطنى فقد فاديتُ نفسى يوم بدر وفاديت عَقيلا . فقال : خذ . فنزع ثوبه عنه وجعل يضع فيه من ذلك المال ، ثم قام ليُقلّه فلم يَقدر ، فقال : لرسول الله : ارفعه علىّ . فقال لا أفعل . فقال : مُرْ بعضَهم ليرفَعه علىّ . فقال : لا فوضع منه شيئا ثم عاد فلم يقدر فسأله أن يرفعه أو أن يأمر بعضهم برفعه فلم يفعل فوضع منه ثم احتمل الباقى وخرج به من المسجد ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُتبعه بصره عجباً من حِرصه !

قلت : وقد كان العباس ـ رضى الله ـ عنه رجلا شديداً طويلا نبيلا ، فأقلُّ ما احتمل شىء يقارب أربعين ألفا . والله أعلم .

وقد ذكره البخارى فى صحيحه فى مواضع معلّقا بصيغة الجزم ، وهذا يورد فى مناقب العباس لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] .

* * *

وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه ـ عليه السلام ـ أنه قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجودَ الناس ، وأشجع الناس . الحديث .

وكيف لا يكون كذلك ، وهو رسول الله ـ ﷺ ـ المجبُول على أكمل الصفات ، الواثق بما فى يدى الله ـ عز وجل ـ ، الذى أنزل الله عليه فى محكم كتابه العزيز : ﴿ وما

(١) سورة الأنفال ٧٠ .

لَكُمْ ألاَّ تُنفقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّموات والأَرْضِ ﴾ الآية [١] ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [٢] .

وهو ـ عليه السلام ـ القائل لمؤذنه بلال وهو الصادق المصدوق في الوعد والمقال : **« أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا »** [٣] .

وهو القائل عليه السلام : **« ما من يوم يُصبح العِباد فيه إلا وملكان يقول أحدهما : اللهم أعط مُنفِقا خلفا . ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسِكا تلفا »** [٤] .

وفى الحديث الآخرة أنه قال لعائشة : **« لا تُوعِي فيُوعِي الله عليكِ ، ولا تُوكِي فيُوكى الله عليك »** [٤] .

وفى الصحيح أنه ـ عليه السلام ـ قال : يقول اللّه تعالى : **« ابن آدم أنفق أنفق عليك »** .

فكيف لا يكون أكرمَ الناس وأشجع الناس ، وهو المتوكّل الذى لا أعظم منه فى توكله ، الواثق برزق اللّه ونصره ، والمستعين بربه فى جميع أمره .

ثم قد كان قبل بعثته وبعدها وقبل هجرته ، ملجأ الفقراء والأرامل والأيتام والضعفاء والمساكين ، كما قال عمه أبو طالب فيما قدمناه من القصيدة المشهورة :

وما تَرْكُ قومٍ لا أبالك سيداً	يَحُوط الذِّمار غير ذَرْبٍ مُوكَّلِ [٦]
وأبيض يُستَسْقى الغمامُ بوجهه	ثِمَالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل [٧]
يَلوذ به الهُلاَّك من آل هاشم	فَهم عنده فى نِعمةٍ وفواضِلِ

***

(١) سورة الحديد : ١٠ (٢) سورة سبأ : ٣٤ .
(٣) إسناده جيد مجمع الزوائد ١٧٧٧٨ .
(٤) (**صحيح**) الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ٥٧٩٧ .
(٥) (**صحيح**) الجامع الصغير ٧٤٨٠ . لا توعى : لا تجمعى وتشحى النفقة . ولا توكى : لا تدخرى وتمنعى ما فى يديك ، فتنقطع مادة الرزق عنك . النهاية .
(٦) **الذرب** : الفاحش اللسان . **والوكل** : الذى يكل أموره إلى غيره .
(٧) **الثمال** : الملجأ .

ومن تواضعه ما رَوى الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ـ زاد النسائي : وحُميد ـ عن أنس ، **أن رجلا قال لرسول الله ـ ﷺ ـ : يا سيدنا وابن سيدنا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يَستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ورسوله . والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله »** (١) .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله : **« لا تُطْروني كما أطرَت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله »** .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثني الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : **قلت لعائشة : ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يَصنع في أهله ؟ قالت : كان في مِهْنَة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة** (٢) .

وحدثنا وكيع ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا شُعبة ، عن الحكم عن إبراهيم ، عن الأسود قال : قلت لعائشة : ما كان النبيّ ـ ﷺ ـ يَصنع إذا دخل بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى .

ورواه البخاري عن آدم ، عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَبْدة ، حدثنا هشام بن عروة ، عن رجل قال : **سُئلت عائشة ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يصنع في بيته ؟ قالت كان يُرقّع الثوب ويَخْصِف النعل ونحو هذا** (٣) .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عروة وهشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعمل في بيته ؟ قالت : نعم ، كان يَخْصِف نعله ، ويَخيط ثوبه كما يعمل أحدكم في بيته .

رواه البيهقي فاتصل الإسناد .

---

(١) (**صحيح**) مسلم ٢٣٦٩ والمسند ١٣٤٦٣ وقال عنه الترمذي حسن صحيح .

(٢) (**صحيح**) البخاري في الأدب ٦٧٦ .

(٣) (**صحيح**) المسند ٢٥٩٢٦ .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بُشران ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البحترى - إملاءً - حدثنا محمد بن إسماعيل السُّلمى ، حدثنا ابن صالح ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرَة قالت : **قلت لعائشة : ما كان يعمل رسول الله - ﷺ - فى بيته ؟ قالت : كان رسولُ الله - ﷺ - بَشَراً من البشر ، يفلىّ ثوبه ويَحلب شاته ، ويخدم نفسه** (١) .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرة قالت : قيل لعائشة : ما كان يعمل رسول الله - ﷺ - فى بيته : الحديث .

وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة ، عن حارثة بن محمد الأنصارى ، عن عَمرة قالت : قلت لعائشة : كيف كان رسول الله - ﷺ - فى أهله ؟ قالت : كان أَلينَ الناس ، وأكرم الناس ، وكان ضَحّاكا بَسّاما .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، حدثنى مسلم أبو عبد الله الأعور ، سمع أنسا يقول : كان رسول الله - ﷺ - يُكثِر الذكر ويقلُّ اللغو ، ويركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوة المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف .

وفى الترمذى وابن ماجة من حديث مسلم بن كَيْسان الملائىّ ، عن أنس بعض ذلك .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إملاء - حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمى القارى ببغداد ، حدثنا عبد الله بن إبراهيم الدَّرْوذى ، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى ، حدثنا على بن الحسين بن واقد ، عن أبيه قال : سمعت يحيى بن عَقيل ، يقول : سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول : **كان رسول الله - ﷺ - يُكثر الذّكر ، ويَقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخُطبة ، ولا يَسْتنكف أن يمشى مع العبد ، ولا مع الأرملة ، حتى يَفرَغ لهم من حاجاتهم** (٢) .

ورواه النسائى عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبى زُرْعة ، عن الفضل بن موسى ،

---

(١) (صحيح) الدلائل ١ / ٣٢٨ .

(٢) (صحيح) الدلائل ١ / ٣٢٩ .

عن الحسين بن واقد ، عن يحيى بن عقيل الخزاعى البصرى ، عن ابن أبى أوفى بنحوه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالرَّى ، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شَيْبان أبو معاوية ، عن أشْعَث بن أبى الشعثاء ، عن أبى بُرْدَة ، عن أبى موسى ، قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ويأتى مراعاة الضيف [1] .

وهذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه وإسناده جيد .

وروى محمد بن سعد ، عن إسماعيل بن أبى فُدَيك ، عن موسى بن يعقوب الربعى ، عن سهل مولى عتبة ، أنه كان نصرانيا من أهل مريس ، وأنه كان فى حجْر عمه ، وأنه قال : قرأت يوما فى مصحف لعمى ، فإذا فيه ورقة بغير الخط وإذا فيها نعت محمد ـ ﷺ ـ : لا قصير ولا طويل ، أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ولا يَقْبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكِبْر ، وهو من ذرية إسماعيل ، إسمه أحمد .

قال : فلما جاء عمى ورآنى قد قرأتها ضربنى وقال : مالك وفَتْح هذه ! فقلت : إن فيها نعت أحمد ، فقال : إنه لم يأت بعد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن أنس قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ . وذكَر الحديث .

ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن إسماعيل بن عُلَيّة : به .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود ، عن الأشعث بن سليم [قال [2]] سمعت عمتى تحدث عن عمها قال : **بينا أنا أمشى بالمدينة إذا إنسان خلفى يقول : ارفع إزارك فإنه أنقى وأبقى ، [فنظرت[3]] فإذا هو رسول الله ،**

---

(١) كذا بالأصل . ولعله من المراعاة وهى الملاحظة يريد أنه يلاحظ صفه للإحسان إليه .
(٢) ، (٣) من ت .

فقلت يارسول إنما هي بُردة مَلْحاء . قال : أمالك فيَّ أسوة ؟ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه [(١)] .

ثم قال : حدثنا سُوَيد بن نصر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : كان عثمان بن عفان مُتزرا إلى أنصاف ساقيه قال : هكذا كانت إزْرَة صاحبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ .

وقال أيضا : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا وكيع ، حدثنا الرَّبيع بن صبيح حدثنا يزيد بن أبانَ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يُكثر القِناع [(٢)] ، كأن ثوبه ثوب زَيَّات [(٣)] .

وهذا فيه غرابة ونكارة والله أعلم .

وروى البخاري عن على بن الجعد ، عن شعبة ، عن يَسَار أبى الحكم ، عن ثابت ، عن أنس أن رسول الله ـ ﷺ ـ مرَّ على صبيان يلعبون فسلَّم عليهم

ورواه مسلم من وجه آخر عن شعبة .

ذكر مِزاحه ـ عليه السلام ـ

وقال ابن لَهيعة : حدثنى عمارة بن غَزية ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، قالَ : كان رسول الله ـ ﷺ ـ من أفكَه الناس مع صبى .

وقد تقدم حديثه فى ملاعبته أخاه أبا عمير ، وقوله : أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَير ؟ يذكِّره بموت نُغَر كان يلعب به ليُخْرِجه بذلك كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار .

---

(١) (**ضعيف**) ومتنه صحيح ذكره الألبانى فى الصحيحة .

(٢) القناع : خرقة تلقى على الرأس بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن . وقد قيل إن المراد بالثوب المذكور فى الحديث القناع نفسه ، لأن المناسب ألا يكون ثوبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثوب زيات وقال ابن حبان : الربيع بن صبيح ، أحد رواة هذا الحديث ، كان عابداً ولم يكن الحديث من صناعته ، فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث : كأنه ثوبه ثوب زيات ، فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وأحملهم سمتا ، انظر شرح شمائل الترمذى لابن جسوس ٢ / ٥٦ .

(٣) (**ضعيف**) فيه يزيد بن أبان .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خَلَف بن الوليد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن حُمَيد الطويل ، عن أنس بن مالك ، **أن رجلا أتى النبى - ﷺ - فاستحمله فقال رسول الله - ﷺ - : إنا حاملوك على ولَد ناقة . فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟** (١)

ورواه أبو داود عن وهب بن بَقِيَّة ، والترمذى عن قتيبة ، كلاهما عن خالد بن عبد الله الواسطى الطَّحان به . وقال التِّرمذى : صحيح غريب .

وقال أبو داود فى هذا الباب : حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا حَجَّاج بن محمد ، حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى إسحاق ، عن العَيزار بن حديث ، عن النعمان بن بشير قال : **استأذن أبو بكر على النبى - ﷺ - ، فسمع صوت عائشة عاليا على رسول الله ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله !**

فجعل النبى - ﷺ - يَحْجزه وخرج أبو بكر مُغضَبا ، فقال رسول الله حين خرج أبو بكر : كيف رأيتِنى أنقذتُك من الرَّجل ؟

فمكث أبو بكر أياما ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلانى فى سِلْمكما كما أدخلتمانى فى حَرْبكما . فقال رسول الله - ﷺ - : قد فعلنا قد فعلنا (٢) .

وقال أبو داود : حدثنا مؤمَّل بن الفضل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء ، عن بشر بن عبيد الله ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : أتيت رسول الله فى غزوة تبوك وهو فى قبة من آدَم ، فسلَّمت فردَّ وقال : ادخل . فقلت : أكُلِّى يا رسول الله ؟ فقال : كُلّك . فدخلت .

وحدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن عثمان بن أبى العاملة إنما قال : أدخُل كُلّى ؟ من صغَر القبة .

ثم قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن مهدى ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أنس

---

(١) (**صحيح**) سنن الترمذى ١٩٩١ .

(٢) **ضعيف** ذكره الألبانى وقال ضعيف الإسناد .

قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا ذا الأذُنين (١) .

قلت : ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلا من أهل البادية كان إسمه زاهراً ، وكان يُهْدى النبىَّ ـ ﷺ ـ الهدية من البادية فيجهزه النبى ـ ﷺ ـ إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحبه ، وكان رجلا دَميما ، فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصرُه الرَّجل ، فقال : أرسِلْنى ، من هذا ؟ فالتفت فعرف النبىَّ ـ ﷺ ـ ، فجعل لايألو ما ألصق ظَهره بصدر النبى ـ ﷺ ـ حين عرفه ، وجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : من يشترى العبد ؟ فقال : يا رسول الله إذن والله تجدنى كاسداً . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: لكنْ عند الله لست بكاسد . أو قال : لكن عند الله أنت غال .

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ولم يروه إلا الترمذى فى الشمائل ، عن إسحاق بن نصور ، عن عبد الرزاق.

ورواه ابن حبان فى صحيحه (٢) .

ومن هذا القبيل ما رواه البخارى فى صحيحه ، أن رجلا كان يقال له عبد الله ـ ويلقب حِمَاراً ـ وكان يُضحِك النبى ـ ﷺ ـ ، وكان يؤتَى به فى الشَّراب ، فجئ به يوما فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » .

ومن هذا ما قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنى شعبة ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس بن مالك ، أن النبى ـ ﷺ ـ كان فى مَسير وكان حاد يَحْدُو بنسائه أو سائق . قال : فكان نساؤه يتقدمن بين يديه ، فقال : يا أَنْجشَة ويحك ارفق بالقَرارير ! .

وهذا الحديث فى الصحيحين عن أنس ، قال : كان للنبى ـ ﷺ ـ حاد يحدو بنسائه يقال له أَنْجشَة ، فحدا فأعنقَت (٣) الإبلُ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ويحكَ يا أنجشة ارفق بالقوارير ! .

---

(١) (صحيح) سنن الترمذى ١٦٢٢ .

(٢) فى أ : فى صحيحه عن . ولم يذكر الراوى .

(٣) أعنقت : أسرعت .

ومعنى القوارير النساء . وهى كلمة دعابة - صلوات اللّه وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين - .

* * * *

ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحُسن خلقه استماعه - عليه السلام - حديث أم زَرع من عائشة بطوله ، ووقع فى بعض الروايات أنه - عليه السلام - هو الذى قصه على عائشة .

ومن هذا ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو عَقيل - يعنى عبد اللّه بن عقيل الثقفي - به ، حدثنا مُجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، **قالت : حدّث رسول الله - ﷺ - نساءه ذات ليلة حديثا ، فقالت امرأة منهن يا رسول اللّه كان الحديثُ حديثَ خُرافة . فقال رسول الله - ﷺ - : أتدرين ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من عُذْرة أسَرتْه الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهراً طويلاً ، ثم ردوه إلى الإنس ، فكان يحدّث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .**

وقد رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن بن الصباح البزار ، عن أبى النصر هاشم ابن القاسم به .

قلت : وهو من غرائب الأحاديث ، وفيه نكارة ، ومجالد ا بن سعيد يتكلمون فيه فاللّه أعلم .

وقال الترمذى فى باب مزاح النبى - ﷺ - من كتابه الشمائل : حدثنا عَبْدُ بن حُميد ، حدثنا مُصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : **أتت عجوز النبى - ﷺ - فقالت : يَا رسول الله ادع لى أن يدخلنى الله الجنة قال : يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز . فولت العجوز تبكى ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾**[1] .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

---

(١) سورة الواقعة : ٣٥ ، ٣٦ .

وقال الترمذى : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة قال : قالوا يا رسول الله إنك تُداعبنا . قال : إنى لا أقول إلا حَقّاً .

تداعبنا ـ يعنى تمازحنا ـ وهكذا رواه الترمذى فى جامعه فى باب البر بهذا الإسناد ثم قال : وهذا حديث مُرسَل حسن .

بـاب
زُهْده ـ عليه السلام ـ وإعراضه عن هذه الدار
وإقباله واجتهاده وعمله لدار القرار

قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه : ١٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ١٢٠] .

وقال تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٢٩ ، ٣٠] .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر ٨٧ ، ٨٨] . والآيات فى هذا كثيرة .

وأما الأحاديث ، فقال يعقوب بن سفيان : حدثنى أبو العباس حَيْوةَ بن شُريح ، أخبرنا بَقِيَّة ، عن الزبيدى ، عن الزُّهرى ، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : **كان ابن عباس يحدّث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : « إن الله يخيّرك بين أن تكون عبْدا نبيّاً وبين أن تكون ملكا نبيا » فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله : أن تواضعْ . فقال : رسول الله ـ ﷺ ـ : بل أكون عبداً نبيا » .**

قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقى الله عز وجل .

وهكذا رواه البخارى فى التاريخ ، عن حَيوة بن شُرَيح ، وأخرجه النسائى عن عمرو ابن عثمان ، كلاهما عن بَقِيّة بن الوليد : به . وأصل هذا الحديث فى الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن أبى زَرْعة ـ ولا أعْلمه إلا عن أبى هريرة ـ قال : جلس جبريل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة . فلما نزل قال : يا محمد أرسلنى إليك ربك : أفملكا نبياً يجعلك أو عبداً رسولا ؟ (١)

هكذا وجدته بالنسخة التى عندى بالمسند مقتصرا وهو من أفراده من هذا الوجه .

* * *

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب فى حديث إيلاء رسول الله ـ ﷺ ـ من أزواجه ألا يدخل عليهن شهراً واعتزل عنهن فى علّيّه، فلما دخل عليه عمر فى تلك العُلّيّة فإذا ليس فيها سوى صُبرة من قَرْظ ، وأهْبة معلقّة . وصُبْرة (٢) من شعير ، وإذا هو مضطجع على رُمَال (٣) حصير قد أثّر فى جنبه ، فهملت عينا عمر ، فقال : مالك ؟ فقلت : يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه ! .

فجلس محمَّراً وجهه فقال : أوَ فى شك أنت يابن الخطاب ؟ ثم قال : أولئك قوم عُجّلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا

وفى رواية لمسلم : أما تَرضى أن تكون لهم الدينا ولنا الآخرة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله قال : فاحمد الله عز وجل .

ثم لما انقضى الشهر أمره الله عز وجل أن يخيّر أزواجه وأنزل عليه قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] .

وقد ذكرنا هذا مبسوطاً فى كتابنا التفسير ، وأنه بدأ بعائشة ، فقال لها : إنى ذاكر لك

---

(١) (صحيح) المسند ٧١٦٠

(٢) القرظ : ورق السلم يدبغ به . والصبرة : بضم الصاد : ما جمع من الطعام بلا كيل أو وزن .

(٣) الرمال : المرمول ، وهو المزين .

أمراً فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك . وتلا عليها هذه الآية . قالت : فقلت : أفى هذا أستأمر أبوىّ ؟ فإنى أختار الله ورسوله والدارَ الآخرة : وكذلك قال سائر أزواجه ـ عليه السلام ورضى عنهن ـ.

وقال مبارك بن فضَالة ، عن الحسن ، عن أنس ، قال : **دخلت على رسول الله وهو على سرير مَرْمُول** (١) **بالشريط ، وتحت رأسه وسادة من أدَمَ حَشْوها ليف ، ودخل عليه عمر وناس من الصحابة ، فانحرف رسول الله انحرافةً ، فرأى عمر أثر الشريط فى جنبه، فبكى ، فقال له : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : ومالى لا أبكى وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشانَ فيه من الدنيا ، وأنت على الحال الذى أرى . فقال : يا عمر ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى قال : هو كذلك** (٢) .

هكذا رواه البيهقى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : **دخلت على رسول الله وهو على سرير مضطجع مُرَمَّل بشريط ، وتحت رأسه وِسَادة من آدَم حَشْوها ليف ، فدخل عليه نفرٌ من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف رسول الله انحرافةً فلم ير عمر بين جنبه وبين الشرط ثوباً ، وقد أثَّر الشريط بجنب رسول الله ، فبكى عمر ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ما أبكى ألا أكون أعلم أنك أكرمُ على الله من كسرى وقيصر ، وهما يعيشان فى الدنيا فيما يعيشان فيه وأنت يا رسول الله فى المكان الذى أرى . فقال رسول الله : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى . قال : فإنه كذلك .**

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا المسعودى ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن مسعود ، قال : **اضطجع رسول الله على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه وأقول : بأبى أنت وأمى : ألا آذَنْتَنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : مالى والدنيا ، وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** (٣) .

---

(١) مرمول : موصول أى جعله طهراً له

(٢) ضعيف ومتنه صحيح كما ثبت فى الصحيحين .

(٣) (صحيح) ذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ٤٣٩ .

ورواه ابن ماجة ، عن يحيى بن حكيم ، عن أبى داود الطيالسى : به .

وأخرجه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكندى ، عن زيد بن الحُبَاب ، كلاهما عن المسعودى : به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ، فقال : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان قالوا : حدثنا ثابت ؛ حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، **أن رسول الله دَخَلَ عليه عمر وهو على حصير قد أثَّر فى جنبه ، فقال : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا ؟ فقال : مالى وللدنيا ، مامثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها** (١) .

تفرد به أحمد .

وفى صحيح البخارى من حديث الزُّهرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله قال : **لو أن لى مِثل أحُدٍ ذهباً ما سرَّنى أن تأتى علىَّ ثلاث ليال وعندى منه شىء ، إلا شىء أرْصدُه لِدَيْن.**

وفى الصحيحين من حديث عمارة بن القَعْقَاع ، عن أبى زُرعة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : **اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتاً** .

فأما الحديث الذى رواه ابن ماجة من حديث يزيد بن سنّان ، عن ابن المبارك ، عن عطاء ، عن أبى سعيد ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : اللهم أحيِنى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين . فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده ، لأن فيه يزيد بن سنان أبا فروة الرَّهاوى وهو ضعيف جداً . والله أعلم .

وقد رواه الترمذى من وجه آخر فقال : حدثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفى ، حدثنا ثابت بن محمد العابد الكوفى ، حدثنا الحارث بن النعمان الليثى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زُمرة المساكين يوم القيامة . فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة . يا عائشة أحِبِّى**

---

(١) (صحيح) المسند ٢٧٤٤ .

المسـاكين وقَرِّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة (١) .

ثم قال : هذا حديث غريب . قلت : وفي إسناده ضعف وفي متنه نكارة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبو عبد الرحمن - يعني عبد الله بن دينار - عن أبي حازم ، عن سعيد بن سعد ، **أنه قيل له : هل رأى النَّقِيَّ بعينه - يعني الحُوَّارَى** (٢) **- فقال له : ما رأى رسول الله النقيَّ بعينه حتى لقى الله - عزو جل - . فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ؟ فقال : ما كانت لنا مَنَاخل . فقيل له فكيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفخه فيطير ما طار** (٣) .

وهكذا رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار : به . وزاد : ثم نُذريه ونعجنه . ثم قال : حسن صحيح . وقد رواه مالك عن أبي حازم .

قلت : وقد رواه البخاري عن سعيد بن أبي مريم ، عن محمد بن مُطَرِّف بن غسان المدني ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : به .

ورواه البخاري أيضا والنسائي عن شيبة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري ، عن أبي حازم عن سهل : به .

وقال الترمذي : حدثنا عباس بن محمد الدُّوري ، حدثنا يحيى بن أبي بُكَير ، حدثنا جرير بن عثمان ، عن سليم بن عامر ، سمعت أبا أمامة يقول : ما كان يَفْضُل عن أهل بيت رسول الله - ﷺ - خبز الشعير . ثم قال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كَيْسان ، حدثني أبو حازم قال : رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً : والذي نفسُ أبي هريرة بيده ما شَبِع نبيُّ الله وأهله ثلاثةَ أيام تِباعاً من خبز حِنْطة حتى فارق الدنيا .

ورواه مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث يزيد بن كَيْسان .

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن

(١) (ضعيف جداً) .

(٢) الحوارى : الدقيق النقي .

(٣) (صحيح) المسند ٢٢٧١٢ .

الأسود ، عن عائشة ، قالت : ما شَبع آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ قدموا المدينة ثلاثة أيام تباعاً عن خبز بُرّ حتى مضى لسبيله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خُبزِ بُرّ حتى قبض وما رُفع من مائدته كِسْرةٌ قط حتى قبض .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مطيع الغزّال ، عن كردوس ، عن عائشة قالت : **قد مضى رسول الله لسبيله وما شبع أهله ثلاثة أيام من طعام بُر**[1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زُويد ، عن أبى سهل ، عن سليمان بن رومان ـ مولى عروة ـ عن عروة ، عن عائشة ، **أنها قالت : والذى بعث محمداً بالحق ما رأى مُنْخُلا ولا أكل خبزاً منخولا منذ بعثه الله إلى أن قُبض .**

قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول أفّ[2] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وروى البخارى عن محمد بن كثير ، عن الثورى ، عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : إن كنا لَنُخرج الكُراعَ بعد خمسة عشر يوما فنأكله ، قلت : ولم تفعلون ذلك ؟ فضحكت وقالت : ما شبع آلُ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خبز مَأدوم حتى لحق بالله ـ عز وجل ـ .

وقال أحمد : حدثنا يحيى ، حدثنا هشام ، أخبرنى أبى ، عن عائشة قالت : **كان يأتى على آل محمد الشهر ما يوقدون فيه ناراً ، ليس إلا التمر والماء إلا أن يؤتى باللحم**[3] .

وفى الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : إن كنا آل محمد ليمرُّ بنا الهلالُ ما نوقد ناراً ، إنما هو الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهلُ دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن مَنائحهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن .

---

(١) (**حسن صحيح**) .
(٢) **ضعيف الإسناد وصحيح المتن** والحديث فى المسند للإمام أحمد ٢٤٣٠ .
(٣) (**صحيح**) البخارى ٢٥٦٧ ومسلم ٢٩٧٢

ورواه أحمد عن بُريدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة عنها بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا حسين حدثنا على بن عباس وحسين بن محمد ، قالا : حدثنا محمد بن مُطَرّف ، حدثنا أبو حازم ، قال حسين : عن عروة بن الزبير عن عائشة تقول **كان يمرُّ بنا هلالٌ وهلال ما يوقَد فى بيت من بيوت رسول الله ـ ﷺ ـ نار . قال : قلت : يا خالة على أى شئ كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسْودين التمر والماء** (١) .

تفرد به أحمد .

وقال أبو داود الطيالسى ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : **ما شبع رسول الله ـ ﷺ ـ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض** (٢) .

وقد رواه مسلم من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا بَهْز ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، قال : **قالت عائشة : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكتُ وقَطع رسول الله ـ ﷺ ـ أو قالت : أمسك رسول الله ـ ﷺ ـ وقطعْتُ . قالت : ـ تقول للذى تحدثه ـ هذا على غير مصباح** .

وفى رواية : **لو كان عندنا مصباح لأ تَدَمْنا به . قال قالت عائشة : إنه ليأتى على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزاً ولا يطبخون قِدراً** .

وقد رواه أيضا عن بهْز بن أسد ، عن سليمان بن المغيرة ، وفى رواية : **شهرين** (٣)

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خَلف ، حدثنا أبو مَعْشَر ، عن سعيد ـ هو ابن أبى سعيد ـ عن أبى هريرة ، قال : كان يمر بآل رسول الله هلال ثم هلال لا يوقدون فى بيوتهم النار لا

(١) (صحيح) المسند ٢٤٣٠١ .

(٢) (صحيح) المسند ٢٤٥٤٦ .

(٣) (صحيح) ٢٤٥١٢ .

بخبز ولا بطبخ . قالوا : بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان التمر والماء ، وكان لهم جيران من الأنصار ، جزاهم اللّه خيرا ، لهم مَنائح يرسِلون إليهم شيئا من لبن .

تفرد به أحمد .

وفى صحيح مسلم من حديث منصور بن عبد الرحمن الحجبى ، عن أمه ، عن عائشة قالت : توفى رسول اللّه وقد شبع الناسُ من الأسودين : التمر والماء .

* * *

وقال ابن ماجة : حدثنا سُويد بن سعيد ، حدثنا على بن مُسْهر ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : **أُتى رسول اللّه ـ ﷺ ـ يوما بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطنى طعام سَخِن منذ كذا وكذا** [(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا [عمار [(٢)]] أبو هاشم صاحب الزعفرانى ، عن أنس بن مالك ، أن فاطمة ناولت رسول اللّه ـ ﷺ ـ كسْرةً من خبز الشعير فقال : هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام [(٣)] .

تفرد به أحمد .

وروى الإمام أحمد عن عفان ، والترمذى وابن ماجة جميعا ، عن عبد اللّه بن معاوية ، كلاهما عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خبَّاب العبدى الكوفى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كان يبيت الليالى المتتابعة طاوياً وأهلُه لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير [(٤)] .

وهذا لفظ أحمد .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمى ، حدثنا عمر

(١) ضعيف الإسناد .
(٢) من ت .
(٣) (صحيح) المسند ١٣١٥٦ .
(٤) (صحيح) ذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ٢١١٩ .

ابن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن محمد بن أبى يحيى الأسلمى ، عن يزيد بن أبى أمية الأعور ، عن أبى يوسف بن عبد الله بن سلام قال : **رأيت رسولَ الله أخذ كسرةً من شعير** [1] **فوضع عليها تمرة ، وقال : هذه إدام هذه وأكل** [2] .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان أحب الشراب إلى رسول الله الحلو البارد .

وروى البخارى من حديث قتادة عن أنس قال : ما أعْلم رسولَ الله ـ ﷺ ـ رأى رغيفا مرققًا حتى لحق بالله ، ولا شاة سَميطا [3] بعينه قط .

وفى رواية له عنه أيضا : ما أكل رسول الله ـ ﷺ ـ على خوان ولا فى سُكُرجَة [4] ولا خبز له مرقّق ، فقلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على هذه السُّفر [5] .

وله من حديث قتادة أيضاً . عن أنس أنه مشى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بخبز شعير وإهَالة سَنخة [6] ولقد رهن درعه من يهودى فأخَذ لأهله شعيراً ، ولقد سمعته ذات يوم يقول : مَا أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حَبّ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفف [7] .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمىّ ، عن عفان ، وهذا الإسناد على شرط الشيخين .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شُعبة ، عن سماك بن حَرْب ، سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يخطب فذكرَ ما فَتح اللهُ على الناس ، فقال : لقد

---

(١) شمائل الترمذى : ١ / ١٨٢ من خبز الشعير .
(٢) (ضعيف الإسناد) .
(٣) السميط : ما ينتف صوفه بالماء الحار .
(٤) السكرجة : إناء صغير كانت العجم تستعمله فى الكوامخ وما أشبهها للاشتهاء .
(٥) السفر : جمع سفرة ، وهى فراش من جلد يوضع عليه الطعام .
(٦) الإهالة : الدهن الذى يؤتدم به . والسنخة : المتغيرة الرائحة .
(٧) (صحيح) صححه الألبانى فى مختصر الشمائل ١٠٩ ، الضفف : كثرة الأيدى على الطعام .

رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يلتوى من الجوع ما يجد من الدَّقل [1] ما يملأ بطنه .

وأخرجه مسلم من حديث شعبة .

وفى الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أم سليم ، **لقد سمعت صوت رسول الله ـ ﷺ ـ أعرفُ فيه الجوعَ** .

وسيأتى الحديث فى دلائل النبوة .

وفى قصة أبى الهيثم بن التَّيِّهان : أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع ، فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله ، فقال : ما أخرَجكما ؟ فقالا : الجوع . فقال : والذى نفسى بيده لقد أخرجنى الذى أخرجكما . فذهبوا إلى حديقة الهيثم بن التَّيهان فأطعمهم رُطبا وذبح لهم شاة ، فأكلوا وشربوا الماء البارد ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هذا من النعيم الذى تسألون عنه .

وقال الترمذى : حدثنا عبد الله بن أبى زياد ، حدثنا سَيّار حدثنا يزيد [2] بن أسلم ، عن يزيد بن أبى منصور ، عن أنس عن أبى طلحة قال : **شكونا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ الجوعَ ورفعنا عن بطوننا عن حَجَر حجر ، فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ [عن بطنه [3]] عن حجرين** . ثم قال : غريب .

* * * *

وثبت فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سئلت عن فراش رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : كان من آدم حشوه ليف .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا عَبَّاد بن المهلّبى ، عن مُجَالد بن سعيد ، عن الشَّعْبى ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : **دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراشَ رسول الله عَباءة مَثْنِيّة ، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حَشْوُه الصوف ، فدخل عليَّ رسول الله فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : قلت يا رسول الله : فلانة الأنصارية دخلت عليَّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت إليّ بهذا . فقال : رُدّيه** .

---

(١) **الدقل** : الرديء من التمر .

(٢) شمائل الترمذى : سهل بن أسلم .

(٣) من ت .

قالت : فلم أردَّه وأعجبني أن يكون في بيتي ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، قالت : فقال : ردِّيه يا عائشة فوالله لو شئتُ لأجرَى الله معي جبال الذهب والفضة (١)

وقال الترمذي في الشمائل : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري ، حدثنا عبد الله بن مَهْدي ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : سئلت عائشة : ما كان فراش رسول الله - ﷺ - في بيتك ؟ قالت : من أدَم حَشوه ليف .

وسئلت حفصة : ما كان فراش رسول الله - ﷺ - ؟ قالت : مسْحا (٢) نَثْنيه ثَنْيتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ له فثنيناه له بأربع ثنيات ، فلما أصبح قال : « ما فَرَشْتم لي الليلة ؟ قالت : قلنا هو فراشك ، إلا أنا ثَنَيْناه بأربع ثنيات ، قلنا هو أوْطأ لك . قال : ردّوه لحالته الأولى ؛ فإنه منَعَتْني وَطْأتهُ صلاتي الليلة .

[وقال الطبراني : حدثنا محمد بن أبَان الأصبهاني ، حدثنا محمد بن عُبادة الواسطي ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن حكيم بن حزام ، قال : **خرجتُ إلى اليمن فابتعت حلة ذي يَزَن فأهديتها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فردَّها ، فبعتها فاشتراها فلبسها ، ثم خرج على أصحابه وهي عليه فما رأيت شيئا أحسن منه فيها ، فما ملكت نفسي أن قلت :**

ما ينظر الحكام بالفَصلِ بعدما ... بدَا واضحٌ من غُرَّة وحُجُول

إذا قايَسوه الجَدَّار بي عليهمُ ... بمُستفرغ ماءَ الذِّناب سَجِيل (٣)

فسمعها النبي - ﷺ - فالتفت إليَّ يتبسم ، ثم دخل فكساها أسامة بن زيد] (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثني [حسين بن (٥)] علي ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن

---

(١) (ضعيف الإسناد) فيه بخالد بن سعيد .   (٢) المسح : كساء من شعر .

(٣) البيتان للنابغة الذبياني وقد ذكر البيت الثاني الزمخشري في الأساس مادة سجل . والذناب : ملء الدار من الماء . والسحيل الصخم . وفي المطبوعة : ما الذباب سحيل وهو تحريف .

(٤) (ضعيف) الاسناد فيه ابن لَهيعة .

(٥) ما بين القوسين من ت .

عمير [قال : حدثنى] رِبْعى بن حراش ، عن أم سلمة ، قالت : **دخل علىَّ رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ساهم الوجه ، قالت : فحسبتُ ذلك من وجَع ، فقلت : يا رسول الله أراك ساهم الوجه ، أفمن وجع ؟ فقال : لا ، ولكن الدنانير السبعة التى أتينا بها [أمس أمسَينا] ولم ننفقها نسيتها فى خُصم الفراش** (١) .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلَمة ،[قال أخبرنا بكر] بن مضر ، حدثنا موسى ابن جُبَيْر ، عن أبى أمامة بن سهل ، قال : **دخلت أنا وعروة بن الزبير يوما على عائشة فقالت : لو رأيتما نبىَّ الله ـ ﷺ ـ ذات يوم فى مرضٍ مرضه ، قالت : وكان له عندى ستة دنانير، قال موسى : أو سبعة . قالت : فأمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ أن أفرّقها ، قالت : فشغَلنى وجعُ نبى الله ـ ﷺ ـ حتى عافاه الله ـ عز وجل ـ .**

قالت : ثم سألنى عنها فقال : ما فعلت الستةُ ؟ قال : أو السبعة ، قلت : لا والله لقد شغلنى عنها وجعك . قالت : فدعا بها ثم صَفَّها فى كفه ، فقال : ما ظنُّ نبى الله لو لقى الله وهذه عنده ! (٢) . تفرد به أحمد . .

وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يَدَّخر شيئا لغد . وهذا الحديث فى الصحيحين والمراد أنه كان لا يدَّخر شيئا لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها ، لما ثبت فى الصحيحين عن عمر أنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركَاب فكان يَعْزل نفقة أهله سنةً ثم يجعل ما بقى فى الكراع والسلاح عُدّة فى سبيل الله ـ عز وجل ـ ومَما يؤيد ما ذكرناه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية ، [قال : أخبرنى] هلال بن سويد أبو يعلى [قال] : سمعت أنس بن مالك وهو يقول : أهْديت لرسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتته به ، فقالَ لها رسول الله ـ ﷺ ـ : ألم أنهكِ أن ترفعى شيئا لغد ؛ فإن الله [عز وجل] يأتى برزق كل غد .

(١) (صحيح) الإسناد مجمع الزوائد ١٠ / ٢٣٨ . ، وما بين القوسين من ت .
(٢) (صحيح) المسند ٢٤٦١٤ .

حديـث بـلال فى ذلـك

قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو محمد بن جعفر بن نصير ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصرى ، حدثنا بكار بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، **عن أبى هريرة أن رسـول الله دخل على بلال فـوجـد عنده صُبْراً من تمر ، فـقال : مـا هذا يا بلال ؟ قـال : تمر أدّخره ، قـال : ويحـك يا بـلال أوَ مـا تخـاف أن تكون له بُخَار** (١) **فى النار ! أنفق بلال ولا تخش َمن ذى العرش إقلالاً .**

قال البيهقى بسنده عن أبى داود السِّجستانى وأبى حاتم الرازى ، كلاهما عن أبى توبة الربيع بن نافع ، حدثنى معاوية بن سلام َ، عن زيد بن سلام ، حدثنى عبد الله الهوربنىّ قال : **لقيتُ بلالا مؤذن رسول الله ـ ﷺ ـ بحَلب ، فقلت : يا بلال حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله ـ ﷺ ـ .**

فقال : ما كان له شىء إلا أنا الذى كنت ألِي ذلك منه ، منذ بعثة الله إلى أن تُوفّى ، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عائلا ، يأمرنى فأنطلق فأستقرض فأشترى البُردة والشىء فأكسوه وأطعمه .

حتى اعترضنى رجل من المـشركين فقال : يا بلال ، إن عندى سعة فـلا تَستْقرض من أحد إلا منى . ففعلت .

فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك فى عصابة من التجار ، فلما رآنى قال : يا حبشى . قال : قلت يالبيّه . فتجهّمنى ، وقال قـولاً عظيماً أو غليظاً ، وقال : أتدرى كم بينك وبين الشّهر ؟ قلت : قريب . قال : إنما بينك وبينه أربع ليال فآخذك بالذى لى عليك ، فإنى لم أعطك الذى أعطيتك من كرامتك ولا من كـرامة صـاحبك ، وإنما أعطيـتك لتصير لى عبد فأذَرك ترعى فى الغنم كما كنت قبلَ ذلك .

قال : فأخذنى فى نفسى مـا يأخذ فى أنفس الناس ، فانطلقتُ فناديت بالصـلاة ، حتى إذا صليت العتَمة ورجع رسـول الله ـ ﷺ ـ إلى أهله فـاستـأذنـت عليـه فـأذن لى ، فـقلت : يا رسـول الله بأبى أنت وأمى ! إن المشرك الـذى ذكرتُ لـك أنى كنت أتديَّن منه قـد قـال كـذا

---

(١) بالأصل غير منقوطة . وفى حلية الأولياء ١ / ١٤٩ : سجار .

وكذا ، وليس عندك ما يقضى عنى ، ولا عندى ، وهو فاضحى ، فأذن لى أن آتى إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسولهُ - ﷺ - ما يقضى عنى .

فخرجت حتى أتيت منزلى ، فجعلت سيفى وجرابى ورمحى ونعلى عند رأسى ، فاستقبلت بوجهى الأفق فكلما نمت انتبهت ، فإذا رأيت علىَّ ليلاً نِمْت ، حتى انشق عمود الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو : يا بلال أجب رسول الله - ﷺ -

فانطلقت حتى آتيه ، فإذا أربع ركائب عليهم أحمالهن ، فأتيت رسولَ الله فاستأذنت، فقال لى رسول الله : أبْشر ! فقد جاءك الله بقضاء دَيْنك . فحمدت الله وقال : ألم تمرّ على الركائب المناخات الأربع ؟ قال قلت : بلى . قال : فإن لك رقابهن وما عليهن - فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فَدَك - ، فاقبضهن إليك ثم اقض دينك .

قال : ففعلت فحطَطْت عنهن أحمالهن ، ثم علفتهن ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح ، حتى إذا صلى رسول الله - ﷺ - خرجت إلى البقيع ، فجعلت إصبعى فى أذنى فقلت : من كان يطلب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دَينا فليحضر. فما زلت أبيع وأقضى وأعرض ، حتى لم يبقَ على رسول الله - ﷺ - دَين فى الأرض ، حتى فضل عندى أوقيتان أو أوقية ونصف .

ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى المسجد وحده ، فسلمت عليه ، فقال لى : ما فعل ما قِبلَك ؟ قلت : قد قضى الله كلَّ شىء كان على رسول الله - ﷺ - فلم يبق شىء . قال : فضل شىء؟ قلت : نعم ديناران ، قال : انظر أن تريحنى منهما ، فلستُ بداخل على أحد من أهلى حتى تريحنى منهما .

فلم يأتنا أحد ، فبات فى المسجد حتى أصبحَ ، وظل فى المسجد اليوم الثانى ، حتى إذا كان فى آخر النهار جاء راكبان فانطلقتُ بهما فكسوتهما وأطعمتهما ، حتى إذا صلى العتمة دعانى فقال : ما فعل الذى قِبلَك ؟ قلت : قد أراحك الله منه ، فكبَّر وحمد الله ، شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك ، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مَبِيته ، فهذا الذى سألتنى عنه [1] .

---

(١) (صحيح الإسناد) الدلائل ١ / ٣٤٨ .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا هارون بن موسى بن أبى علْقمة المدينى ، حدثنى أبى ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسْلَم ، عن أبيه ،عن عمر بن الخطاب ، أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله أن يعطيه ، فقال : ما عندى ما أعطيك ولكن ابتع على شيئا فإذا جاءنى شىء قضيتُه . فقال عمر : يا رسول الله قد أعطيته ، فما كلَّفك الله مالا تَقْدر عليه . فكره النبى ـ ﷺ ـ قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تَخَفْ من ذى العرش إقلالا . فتبسم رسول الله ـ ﷺ ـ ، وعُرف التبسم فى وجهه لقول الأنصارى وقال : بهذا أمرت.

وفى الحديث : ألا إنهم ليسألونى ويأبى الله علىَّ البخلَ[1] .

وقال يوم حنين حين سألوه قسم الغنائم : والله لو أن عندى عدد هذه العضاةَ نعَما لقسمتها فيكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا ضانًا ولا كذابا ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2] .

وقال الترمذى : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا شَريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الرُبَيِّع بنت مُعَوِّذ بن عفراء قالت : أتيت رسولَ الله بقِنَاع[3] من رُطَب ، وأجْر[4] [من قثّاء][5] زُغب ، فأعطانى ملء كفه حليًا أو ذهبا[6] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن مُطرف ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرنِ القرنَ ، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر :

قال المسلمون : يا رسول الله فما نقول ؟ قال : قولوا : « **حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا** »[7] .

ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن مُطَرِّف ، ومن حديث

---

(١) (صحيح) مسلم ١٠٥٦ .
(٢) (صحيح) البخارى ٦ / ١٩٣ ومسلم ١٠٥٧ .
(٣) القناع : الطبق من عسب النخل .
(٤) أجر : جمع جرو وهو الصغير من كل شىء . والزغب : التى عليها زغب وهو الوبر الصغير .
(٥) من شمائل الترمذى .
(٦) (ضعيف الإسناد) فيه شريك .
(٧) (حسن) الحاكم ٤ / ٥٥٩ .

خالد بن طَهْمان ، كلاهما عن عطية وأبى سعيد العَوْفى البَجَلى ، وأبو الحسن الكوفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، وقال الترمذى : حسن .

قلت . وقد روى من وجه آخر عنه ومن حديث ابن عباس كما يأتى فى موضعه .

* * * *

ومن تواضعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ . قال أبو عبد الله بن ماجة : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القَطَّان ، حدثنا عمر بن محمد ، حدثنا أسْبَاط بن نصر ، عن السُّدى ، عن أبى سعد الأزْدى ـ وكان قارئ الأزد ـ عن أبى الكنود ، عن خَبَّاب فى قوله تعالى : ﴿ وَلا تطْرُد الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالْغداة والْعشيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ منْ حسابهم مّن شيْءٍ وما منْ حسابكَ عَلَيْهِم مّن شيْءٍ فتطْرُدَهُمْ فتكُونَ منَ الظّالمينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢] قال : جاء الأقْرَعُ بن حابس التميمى ، وعُيَينة بن حِصن الفزارى ، فوجدوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ مع صُهَيب وبلال وعمار وخَبَّاب قاعداً فى ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوْهم حولَ رسول الله حقَروهم ، فأتوا فخلوا به فقالوا : نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنَا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العربُ مع هذه الأعْبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم : قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا قال : فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب ونحن قعود فى ناحية ، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالْغداة والْعَشيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ منْ حسابهم مّن شيْءٍ وما منْ حسابكَ عَلَيْهِم مّن شيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمينَ ﴾ [الأنعام : ٥٢]

ثم ذكر الأقرعَ بن حابس وعُيينة بن حصن فقال : ﴿ وَكَذَلكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مّنْ بَيْننَا أَلَيْسَ اللَّهُ بأَعْلَمَ بالشَّاكرينَ ﴾ الأنعام : ٥٣ . ثم قال : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذينَ يُؤْمنُونَ بآياتنا فَقُلْ سلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسه الرَّحْمَةَ ﴾ الأنعام : ٥٤.

قال : فدنونا منه حتى وضعنا رُكَبنا على ركبته ، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿واصْبرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالْغداة والْعَشيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[سورة الكهف ٢٨] ولا تجالس الأشراف ﴿ وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذكْرنَا ﴾ يعنى عُيينة والأقرع ﴿ واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ قال : هلاكا . قال أمر عُيينة والأقرع ، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا .

قال خبَّاب : فكنا نقعد مع رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا بلغنا الساعة التى يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم [(١)] .

ثم قال ابن ماجة : حدثنا يحيى بن حكيم ، حدثنا أبو داود ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن المقدام بن شُريح ، عن أبيه ، عن سعد ، قال : نزلت هذه الآية فينا ستةً ، فىّ وفى ابن مسعود وصُهَيب وعَمَّار والمقْداد وبلال . قال : قالت قريش : يا رسول الله إنا لا نَرْضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهمّ عنك . قال : فدخل قلبَ رسول الله ـ ﷺ ـ من ذلك ما شاء الله أن يدخل ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ الأنعام : ٥٢ .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهانى ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا أبو الحسن خلف بن محمد الواسطى الدَّوْسى ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا جعفر بن سليمان الضَّبعى ، حدثنا المعلَّى بن زياد ـ يعنى عن العلاء بن بَشير المازنى .

حدثنا أبو الصدِّيق الناجى ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : « كنت فى عصابة من المهاجرين جالسا معهم وإنّ بعضهم ليستتر ببعض من العُرى ، وقارئ لنا يقرأ علينا ، فكنَّا نسمع إلى كتاب الله ، فقال رسول الله : « الحمد لله الذى جعل من أمتى من أُمرت أن أصبر معهم نفسى » .

قال : فاستدارت الحلقة وبرزت وجوههم . قال : فما عرف رسولُ الله أحداً منهم غيرى ، فقال رسول الله : أبشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور يوم القيامة ، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » [(٢)] .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى من حديث حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، قال : **لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك** [(٣)] .

---

(١) (صحيح) الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٢٩ .
(٢) (صحيح) الألبانى فى صحيح سنن الترمذى ١٩١٦ .
(٣) (صحيح) المسند ١٢٢٨٥ والألبانى صحيح سنن الترمذى ٢٢١١ .

فصل فى عبادته - عليه السلام - واجتهاده فى ذلك

قالت عائشة : كان رسول الله - ﷺ - يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وكان لا تشاء تراه من الليل قائما إلا رأيته ، ولا تشاء تراه نائما إلا رأيته [1] .

قالت : وما زاد رسول الله - ﷺ - فى رمضان وفى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا ، فلا تسأل عن حُسْنهن وطُولهن ، ثم يصلى أربعا ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يوتِر بثلاث .

قالت : وكان رسول الله - ﷺ - يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطولَ من أطول منها ، قالت : ولقد كان يقوم حتى أرثى له من شدة قيامه .

وذكر ابن مسعود أنه صلى معه ليلة فقرأ فى الركعة الأولى بالبقرة والنساء وآل عمران ثم ركع قريبا من ذلك ، ورفع نحوه وسجد نحوه .

وعن أبى ذر : أن رسول الله - ﷺ - قام ليلة حتى أصبح يقرأ هذه الآية : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة : ١١٨] .

رواه أحمد .

وكل هذا فى الصحيحين وغيرهما من الصحاح ، وموضع بَسْط هذه الأشياء فى كتاب الأحكام الكبير .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عُيينة ، عن زياد بن عَلاقة ، عن المغيرة بن شعبة ، **أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام حتى تفطَّرت** [2] **قدَماه ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكورا .**

---

(١) قال العسقلانى : وليس المراد أنه كان يستوعب الليل قائما أو نائما ، والمعنى فى هذا التركيب على الإثبات لا على النفى . والمراد : إن شئت أن تراه مصليا رأيته كذلك ، وإن شئت أن تراه نائما رأيته كذلك . انظر شرح الشمائل لابن جسوس ٢ / ٨٧ .

(٢) **تفطرت** : تشققت .

وتقدم فى حديث سلام بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، **أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : حُبب إلى الطيّبُ والنساء وجُعلت قرّة عينى فى الصلاة .**

رواه أحمد والنسائى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنى على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن جبريل قال لرسول الله - ﷺ - : **« قد حُبّب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت »** (١) .

وثبت فى الصحيحين عن أبى الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله - ﷺ - فى شهر رمضان فى حَر شديد ، ومافينا صائم إلا رسول الله - ﷺ - ، وعبد الله بن رَواحة .

وفى الصحيحين من حديث منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : سألتُ عائشة : هل كان رسول الله - ﷺ - يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة (٢) وأيكم يستطيع ما كان رسول الله - ﷺ - يستطيع ؟

وثبت فى الصحيحين من حديث أنس وعبد الله بن عمرو وأبى هريرة وعائشة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يواصل ، ونهى أصحابه عن الوصال وقال : إنى لست كأحدكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .

والصحيح أن هذا الإطعام والسُّقيا مَعْنويان ، كما ورد فى الحديث الذى رواه ابن عاصم عن أبيه ، أن رسول الله - ﷺ - قال : لا تُكرهوا مَرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم .

وما أحسن ما قال بعضُهم :

لها أحاديث من ذكْراك تَشْغلها ... عن الشراب وتُلْيها عن الزادِ

وقال النَّضر بن شُمَيْل ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلَمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : **إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة** (٣) .

---

(١) (**ضعيف الإسناد**) فيه على بن زيد بن جدعان .

(٢) **الديمة** : الدائم وهو فى الأصل مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق .

(٣) (**صحيح**) ذكره الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٧٦ .

وروى البخاري عن الفرْيانّي ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **اقرأ عليّ . فقلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري .**

قال : **فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾** النساء : ٤١ . **قال : حسبك . فالتفت فإذا عيناه تذرفان .**

وثبت في الصحيح : أنه ـ عليه السلام ـ كان يجد التمرة على فراشه فيقول : **لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها .**

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده **أن رسول الله ـ ﷺ ـ وجد تحت جنبه تمرة من الليل ، فأكلها فلم ينم تلك الليلة ، فقال بعض نسائه : يا رسول الله أرقت الليلة ؟ قال : إني وجدت تحت جنبي تمرة فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة ، فخشيت أن تكون منه** (١) .

تفرد به أحمد . وأسامة بن زيد هو الليثي من رجال مسلم .

والذي نعتقد أن هذه التمرة لم تكن من تمر الصدقة ، لعصمته ـ عليه السلام ـ ، ولكن من كمال ورَعه ـ عليه السلام ـ أرق تلك الليلة ، وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : [والله إني] **لأتقاكم لله وأعلمكم بما أتقي** ، وفي الحديث الآخر أنه قال : **دَعْ ما يَريبك إلى مالا يريبك .**

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن مُطرف بن عبد الله بن الشّخّير ، عن أبيه ، قال : **أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المِرْجَل . وفي رواية : وفي صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء** (٢) .

وروى البيهقي من طريق أبي كُرَيب محمد بن العلاء الهمداني ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : **يا رسول الله أراك شِبْتَ . قال : شيّبتني هود والواقعة . والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت** (٣) .

---

(١) (حسن) المسند ٦٨٢٠ . (٢) (صحيح) المسند ١٦٢٧٨ . (٣) (صحيح) على شرط البخاري .

وفى رواية له عن أبى كريب عن معاوية ، عن هشام ، عن شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : **يا رسول الله أسرع إليك الشيب فقال : شيبتنى هود وأخواتها : الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت** .

فصل فى شجاعته ـ ﷺ ـ

[ذكرت فى التفسير عن بعض من السلف أنه استنبط من قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء : ٨٤ . أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان مأموراً ألا يفرّ من المشركين إذا واجهوه ، ولو كان وحده ، من قوله : ﴿ لا تكلف إلا نفسك ﴾ .

وقد كان ـ ﷺ ـ منْ أشْجع الناس وأصبر الناس وأجْلدهم ، وما فرّ قط من مُصَاف ولو تولى عنه أصحابُه .

قال بعض أصحابه : كنا إذا اشتد الحربُ وحَمِى الناس ، نتقى برسول الله ـ ﷺ ـ .

ففى يوم بدر رمَى ألفَ مُشْرك بقبضة من حصا فنالتهم أجمعين حين قال : شاهت الوجوه ، وكذلك يوم حنين كما تقدم ، وفر أكثر أصحابه فى ثانى الحال يوم أحد وهو ثابت فى مقامه لم يبرح منه ، ولم يَبْقَ معه إلا اثنا عشر ، قُتل منهم سبعة وبقى الخمسة .

وفى هذا الوقت قتَل أبيًّ بن خلف لعنه اللهُ ، فعجله اللّه إلى النار .

ويوم حنين ولى الناسُ كلهم ، وكانوا يومئذ اثنى عشر ألفا ، وثبت هو فى نحو من مائة من الصحابة ، وهو راكب يومئذ بغلته وهو يَرْكُض بها إلى نحو العدو ، وهو ينوّهُ باسمه ويعلن بذلك قائلا : أنا النبىُّ لا كَذب : أنا ابن عبد المطلب .

حتى جعل العباس وعلى وأبو سفيان يتعلقون فى تلك البغلة ليبطئوا سَيرها خوفاً عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه ، ومازال كذلك حتى نصره اللّه وأيده فى مقامه ذلك ، وما تراجع الناس إلا والأشلاء مُجندلة بين يديه ـ ﷺ ـ .

وقال أبو زُرعة : حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقى ، حدثنا مروان ـ يعنى ابن محمد ـ حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ فُضّلت على الناس بشدة البطش][1] .

---

(١) باطل وقال النسائى وابن حجر ضعيف .

فصل

فيما يذكر من صفاته ـ عليه السلام ـ
فى الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفا صالحا من ذلك فى البشارات [1] قبل مولده ، ونحن نذكر هنا غُرراً من ذلك .

فقد روى البخارى والبيهقى واللفظ له من حديث فُلَيح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يَسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوراة ، فقال : أجل ، واللّه إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى الفرقان :

(يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخاب [2] بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملّة العَوْجاء بأن يقولوا : « لا إله إلا اللّه » وأفتح به أعينا عُميا وآذنا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفا) .

قال عطاء بن يسار : ثم لقيت كعبا الحَبْر فسألته فما اختلفا فى حرفٍ ، إلا أن كعبا قال : أعينا .

ورواه البخارى أيضا عن عبد الله غير منسوب ، وقيل : هو ابن رجاء ، وقيل : عبد الله بن صالح ، وهو الأرجح ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشُون ، عن هلال بن على به .

قال البخارى : وقال سعيد ، عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سلام ، كذا علقه البخارى .

وقد روى البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ـ هو عبد الله بن

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الأول من السيرة .
(٢) أصخب .

صالح كاتب الليث ـ حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال عن أسامة ، عن عطاء ابن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لَنجد صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا أنت عبدى ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفَظّ ولا غليظ ولا سَخَّاب فى الأسواق ، ولا يَجْزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويتجاوز وليس أقبضه حتى يقيم الملة العوجاء : بأن تشهدَ أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عُميا وآذانا صُما وقلوباً غلفاً) .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرنى الليثى أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

وقد روى عن عبد الله بن سلام من وجه آخر ، فقال الترمذى : حدثنا زيد بن أخْرم الطائى البصرى ، حدثنا أبو قتيبة ـ مسلم بن قتيبة ـ حدثنى أبو مَوْدود المدَنى ، حدثنا عثمان الضحاك ، عن محمد بن يوسف ، عن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، قال : مكتوب فى التوراة : « محمد وعيسى بن مريم يدفن معه » فقال أبو مَوْدُود : قد بقى فى البيت موضع قَبْره .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن . هكذا قال : الضحاك . والمعروف : الضحاك ابن عثمان المدنى .

وهكذا حكى شيخنا الحافظ المزّى فى كتابه « الأطراف » عن ابن عساكر ، أنه قال مثلَ قول الترمذى ، ثم قال : وهو شيخٌ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان .

فقد روى هذا عن عبد الله بن سلام ، وهو من أئمة أهل الكتاب ممن آمن ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وقد كان له اطلاع على ذلك من جهة زاملتَيْن [1] كان اصابَهما يومَ اليرموك ، فكان يحدث منهما عن أهل الكتاب ، وعن كعب الأحْبار ، وكان بصيرا بأقوال المتقدمين على ما فيها من خَلْط وغَلَط وتحريف وتبديل ، فكان يقولها بما فيها من غير نَقْد ، وربما أحسنَ بعضُ السلف بها الظنَّ فنقلها عنه مُسَلَّمة ، وفى ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحق جملةُ كثيرة ، لكن لا يتَفطّن لها كثير من الناس .

(١) الزاملة : التى يحمل عليها من الإبل وغيرها . كان عليهما بعض كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها

ثم ليُعلم أن كثيراً من السلف يُطْلقون التوراةَ على كتب أهل الكتاب المتلوَّة عندهم ، أو أعمَّ من ذلك ، كما أن لفظ القرآن يُطْلق على كتابنا خصوصا ويراد به غيره ، كما فى الصحيح : خُفّف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتُسْرج فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ ، وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع ، والله أعلم .

وقال البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل ، عن أم الدرداء قالت : **قلت لكعب الحبْر : كيف تجدون صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة ؟ قال: نجده : محمد رسول الله : اسمه المتوكّل ، ليس بفَظّ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب بالأسواق ، وأعطى المفاتيح ليُبصّر الله به أعيناً عُميا ، ويسمع به آذاناً وُقْرا ، ويقيم به ألْسُنا مُعْوجَّة حتى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُعين المظلوم ويَمْنعه** [1] .

وبه عن يونس بن بُكَير ، عن يونس بن عمرو ، عن العَيزار بن حُرَيب ، عن عائشة : أن رسول الله ـ ﷺ ـ مكتوب فى الإنجيل : لافَظ ، ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا قيس البَجَلى ، حدثنا سلاّم بن مسكين ، عن مقاتل ابن حيان قال : أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى عيسى ابن مريم : جِدَّ فى أمرى ولا تهزل ، واسمع وأطع يا ابن الطاهر البَتُول ، إنى خلقتك من غير فحْل ، وجعلتك آيةً للعالمين ، فإيايَ فاعبُدْ ، وعليَّ فتوكَّل ، فبين لأهل سُوران أنى أنا الحق القائم الذى لا أزُول ، صدِّقوا بالنبى العربى ، صاحب الجمل والمدْرَعة والعمامة والنَّعلين والهرَاوة ، الجَعْد الرأس ، الصَّلْت الجبين ، المقرون الحاجبينَ ، الأدعَج العينين ، الأقنى الأنف الواضح الخدين ، الكثّ اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريحه المسك ينفح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجرى فى تَرَاقيه ، له شعرات من لَبَّتَه إلى سُرَّته تجرى كالقضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شعَر غيره ، شَثْن الكفين والقدم ، إذا جامَع الناس غمرهم ، وإذا مشى كأنما يَنْقلع من الصخر وينحدر فى صبَب ذو النسل القليل .

وروى الحافظ البيهقى بسنده عن وهب بن منَبّه اليمامى ، قال : إن الله ـ عز وجل ـ

---

(١) الدلائل ١ / ٣٧٧ .

لما قرب موسى نجيًّا ، قال : ربِّ إنى أجد فى التوراة أمةً خيرأمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون باللَّه ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم خير الأمم الآخرون من الأمم ، السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إنى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها ، وكان من قلبهم يقرءون كتبهم نظراً ولا يحفظونها ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والاخر ، ويقاتلون رءوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، ويقاتلون رءوسَ الضلالة حتى يقاتلوا الأعورَ الكذاب ، فاجعلهم أمتى. قال : تلك أمة أحمد .

قال رب إنى أجد فى التوراة أمة يأكلون صدقاتهم فى بطونهم ، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها فإن لم تُقْبَل لا تَقْربها النار ، فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملَها كُتبت عليه سيئةً واحدة ، وإذا هم، أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد.

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد [1] .

قال وذكر وهب بن منبه فى قصة داود ـ عليه السلام ـ وما أوحى إليه فى الزبور : **يا داود : إنه سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد ، صادقا سيداً ، لا أغضب عليه أبداً، ولا يُغضبنى أبداً ، وقد غَفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذَنْبه وما تأخَّر ، أمته مرحومة ، أعطيهم من النوافل مثلَ ما أعطيتُ الأنبياءَ ، وافترضت عليهم الفرائض التى افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم**

(١) ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوة ص ٣١ وقال عنه : « وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل لا أعلم أحد رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، تفرد به الربيع بن النعمان وبغيره من الأحاديث ، وفيه لين » .

أن يتطهّروا إلىّ كل صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلَهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبيـاء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم .

يا داود إنى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها ، أعطيتهم ستّ خصال لم أعطها غيرهم من الأمم : لا آخذهم بالخطأ والنسيان ، وذَنْب ركِبوه على غير عَمْد ،إن استغفرونى منه غفرته لهم ، [وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبةً به أنفسهم جعلته لهم أضعافا مضاعفة](1) ، ولهم فى المدّخر عندى أضعاف مضاعفة ، وأفضل من ذلك ، وأعطيتهم على المصائب فى البلايا إذا صبروا وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم ، فإن دعونى استجبت لهم ، فإما أن يَرَوْه عاجلاً ، وإما أن أصرف عنهم سوءاً ، وإما أن أدخره لهم فى الآخرة .

يا داود من لقَينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صادقاً بها فهو معى فى جنتى وكرامتى ، ومن لقينى وقد كذَّب محمداً أو كذَّب بما جاء به ، واستهزأ بكتابى صببت عليه فى قبره العذاب صبًا ، وضربتْ الملائكةُ وجهه ودبره عند مَنْشَره من قبره ، ثم أدخله فى الدَّرك الأسفل من النار (2) .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا الشريف أبو الفتح العُمرى ، حدثنا عبدَ الرحمن بن أبى شُريح الهرَوى ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عبد اللّه بن شَبِيب أبو سعيد ، حدثنى محمد بن عمر بن سعيد ـ يعنى ابن محمد بن جبير بن مطعم ـ قال : حدثنى أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جُبَير بن مُطعم عن أبيها ، عن أبيه ، قال : سمعت أبى جُبَيْرَ بن مُطعم يقول : لما بعث الله نبيه ـ ﷺ ـ وظهر أمره بمكة ، خرجتُ إلى الشام ، فلما كنت ببُصْرى أتتنى جماعةٌ من النصارى فقالوا لى : أمِن الحرَم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : فتَعْرِفَ هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم .

قال : فأخذوا بيدى فأدخلونى ديراً لهم فيه تماثيل وصُوَر ، فقالوا لى : انظر هل ترى صورة هذا النبى الذى بعث فيكم ؟ فنظرتُ فلم أر صورته ، فقلت لا أرى صورته فأدخلونى ديراً أكبر من ذلك الدير ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدير ، فقالوا

---

(1) من ت .

(2) الدلائل ١ / ٣٧٩ .

لى : انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ـ ﷺ ـ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعَقب رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقالوا لى : هل ترى صفتَه ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ ـ وأشاروا إلى صفة رسول الله ـ ﷺ ـ قلت : اللهم نَعم ، أشهد أنه هو . قالوا : أتعرف هذا آخذ بعَقِبه ؟ قلت : نعم . قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده .

ورواه البخارى فى التاريخ عن محمد غير منسوب ، عن محمد بن عمر هذا بإسناده فذكره مختصراً ، وعنده فقالوا : إنه لم يكن نبىٌّ إلا بعده نبى إلا هذا النبى .

وقد ذكرنا فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ الأعراف : ١٥٧ . ، ذكرنا ما أورده البيهقى وغيره من طريق أبى أمامة الباهلى ، عن هشام بن العاص الأموى قال : **بُعثت أنا ورجل من قريش إلى هرقل صاحب الرّوم ندعوه إلى الإسلام . فذكر اجتماعهم به وأن غُرفته تَنَقّضَتْ حين ذكروا الله ـ عز وجل ـ ، فأنزلهم فى دار ضيافته ثم استدعاهم بعد ثلاث فدعا بشىء نحو الرَّبْعة (١) العظيمة فيها بيوت صغار عليها أبواب ، وإذا فيها صور الأنبياء مُمثَّلة فى قِطَع من حرير ، من آدم إلى محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، فجعل يخرج لهم واحداً واحداً ويخبرهم عنه ، وأخرج لهم صورة آدم ثم نوح ثم إبراهيم ، ثم تعجَّل إخراج صورة رسول الله ـ ﷺ ـ . قال : ثم فتح باباً آخر فإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله ـ ﷺ ـ ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله . قال : وبكينا ، قال : والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا نعم إنه لهو كما تنظر إليه ، فأمسك ساعةً ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكنى عجَّلته لكم لأنظر ما عندكم .**

ثم ذكر تمام الحديث فى إخراجه بقية صور الأنبياء وتعريفه إياهما بهم .

وقال فى آخره : قلنا له : من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم أنها على ما صُوّرت عليه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ؛ لأنا رأينا صورة نبينا ـ عليه السلام ـ مثله .

فقال : إن آدم ـ عليه السلام ـ سأل ربَّه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم

(١) الربعة : الدار .

فكانت فى خزانة آدم ـ عليه السلام ـ عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ، ثم قال : أما والله [1] إن نفسى طابت بالخروج من ملكى وأنى كنت عبداً لأشركم مِلكةً حتى أموت .

قال : ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا ،فلما أتينا أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حدثناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر فقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ـ ﷺ ـ عندهم [2] .

[وقال الواقدى : حدثنى على بن عيسى الحكيمى ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطلب ولا أرانى أدْركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد برسالته ، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك ما نعتُه حتى لا يخفى عليك . قلت : هلمَّ .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشَّعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حُمْرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قوم منها ويَكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمْره ، فإياك أن تخدْعَ عنه فإنى طُفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكل من سأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وذاك ، وينعتونه مثل ما نعتّه لك ، ويقولون لم يبق نبى غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمتُ أخبرت النبى ـ ﷺ ـ ، قولَ زيد بن عمرو بن نفيل وإقراءه منه السلام ، فرد عليه السلام وترحَّم عليه ، وقال : قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا] [3] .

* * * *

(1) فى دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٢ والوفا لابن الجوزى ٧٣١ : « فو الله لو تطيب نفسى بالخروج عن ملكى ما باليت أن أكون عبدا لأشدكم ملكة ، ولكن عسى أن تطيب نفسى » .

(2) دلائل النبوة ١ / ٣٨٥ .

(3) من ت .

كتاب دلائل النبوة

وهى معنوية وحسية .

فمن المعنوية إنزال القرآن عليه ، وهو أعظم المعجزات ، وأبهر الآيات ، وأبين الحجج الواضحات ، لما اشتمل عليه من التراكيب المعجز الذى تحدَّى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافر دواعى أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحدَّاهم بعشر سور منه فعجَزوا ، ثم تنازل إلى التحدى بسورة من مثله فعجزوا عنه ، وهم يعلمون عَجْزَهم وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا مالا سبيل لأحد إليه أبداً .

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (1) وهذه الآية مكية .

وقال فى سورة الطور وهى مكية : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ أى إن كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده فهو بَشر مثلكم فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم بَشر مثله .

وقال تعالى فى سورة البقرة وهى مدنية ـ معيداً للتحدِّى ـ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة : ٢٣ ، ٢٤.

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (2) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ

(١) سورة الإسراء : ٨٨.

(٢) سورة هود ١٣ ، ١٤ .

كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين ﴾ يونس : ٣٧، ٣٨ ، ٣٩ .

فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة عن هذا القرآن ، بل عن عَشْر سور مثله ، بل عن سورة منه ، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ أى فإن لم تفعلوا فى الماضى ولن تستطيعوا ذلك فى المستقبل ، وهذا تحدّ ثان وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا فى الحال ولا فى المآل .

ومثل هذا التحدى إنما يَصْدُر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله ، ولو كان من مُتقوّل من عند نَفْسه لخاف أن يُعارَض ، فيفتضح ويعود عليه نقيضُ ما قصَده من متابعة الناس له .

ومعلوم لكل ذى لُبّ أن محمداً ـ ﷺ ـ من أعقل خَلق الله بل أعقلُهم وأكملُهم على الإطلاق فى نفس الأمر ، فما كان ليُقْدِم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته .

وهكذا وقع ، فإنه من لدن رسول الله ـ ﷺ ـ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه ، وهذا لا سبيل إليه أبدا ، فإنه كلام رب العالمين الذى لا يُشْبهه شىء من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فأنّى يُشْبِه كلامُ المخلوقين كلام الخالق ؟ .

وقول كفار قريش الذى حكاه تعالى عنهم فى قوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين ﴾ (١) . كَذِبٌ منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم يعلمون كَذِب أنفسهم ، كما يعلمون كذب أنفسهم فى قولهم : ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (٣) أى أنزله عالم الخفيات ، رب الأرض والسموات ، الذى يعلم ما كان وما

(١) سورة الأنفال ٣١

(٢) سورة الفرقان ٥ .

(٣) سورة الفرقان ٦ .

يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبى الأمى الذى كان لا يُحْسن الكتابةَ ولا يدريها بالكلية ، ولا يعلم شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضين ، فقص الله عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء .

وهو فى ذلك يَفْصل بين الحق والباطل الذى اختلفت فى إيراده جُملة الكتب المتقدمة ، كما قال تعالَى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٣) الآية وقال تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤) .

فبين تعالى أن نفس إنزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحكم ما هو كائن بين الناس على مثل هذا النبى الأمى وحده كان من الدلالة على صدقه .

***

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة هود ٤٩ . (٢) سورة طه ٩٩ ـ ١٠١

(٣) سورة المائدة ٤٨ . (٤) سورة العنكبوت : ٤٨ : ٥٢ .

(٥) سورة يونس : ١٥ ـ ١٧

يقول لهم : إنى لا أطيق تبديلَ هذا من تلقاء نفسى ، وإنما اللّه عز وجل هو الذى يمحو ما يشاء ويثبت ، وأنا مبلغ عنه ، وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به ؛ لأنى نشأت بين أظهركم ، أنتم تعلمون نسبى وصدقى وأمانتى ، وأنى لم أكْذب على أحد منكم يوماً من الدهر ، فكيف يسعنى أن أكذب على الله ـ عز وجل ـ ، مالك الضر والنفعً ، الذى هو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ؟ وأىُّ ذنب عنده أعظم من الكذب عليه ، ونسْبة ماليس منه إليه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [١] .

أى لو كذب علينا لا نتقمنا منه أشدَّ الإنتقام ، وما استطاع أحدٌ من أهل الأرض أن يَحْجزنا عنه ويَمْنعنا منه .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [٣] .

وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيدٌ على كل شىء ، وأنه تعالى أعظم الشهداء ، وهو مطّلع علىّ وعليكم فيما جئتكم به عنه ، وتتضمن قوة الكلام قسماً به أنه قد أرسلنى إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلغه منهم فهو نذير له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤] .

ففى هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية كالسموات والأرضين ومابينهما ومافيهن ، أمور عظيمة كثيرة مُبَرْهَنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح .

---

(١) سورة الحاقة ٤٤ ـ ٤٧
(٢) سورة الأنعام : ٩٣
(٣) سورة الأنعام : ١٩
(٤) سورة هود : ١٧

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

وفى القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق ، وبرهانه مافى كتب أهل الكتاب من ذلك شاهد له ، مع كونه نزل على رجل أمى لايعرف الكتابة ولم يعان يوماً من الدهر شيئا من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يَفْجأ الناس إلا بوحى إليه عما كان من الأخبار النافعة ، التى ينبغى أن تُذْكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وماكان منهم من أمورهم معهم ، وكيف نجىّ الله المؤمنين وأهلك الكافرين بعبارة لايستطيع بشَر أن يأتى بمثلها أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

ففى مكان تُقَصُّ القصة موجزةً فى غاية البيان والفصاحة ، وتارة تُبسْطَ ، فلا أحْلَى ولا أجْلَى ولا أعلى من ذلك السياق ، حتى كأن التالى أو السامع مشاهد لما كان ، حاضر له ، معاين للخبر بنفسه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ (٥) .

وقال تعالى فى سورة يوسف : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ إلى أن قال فى آخرها ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ

---

(١) سورة الإسراء : ٨٩
(٢) سورة العنكبوت : ٤٣
(٣) سورة الزمر : ٢٨
(٤) سورة القصص : ٤٦
(٥) سورة آل عمران : ٤٤
(٦) سورة يوسف : ١٠٢ : ١٠٤

الأُولَى ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (2) .

وعدَ تعالى أنه سيظهر الآيات : القرآن وصدْقَه وصدْقَ من جاء به بما يخلقه فى الآفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب ، وفى نفسَ المنكرين له المكذّبين مافيه حجةٌ عليهم وبرهان قاطع لشبَهِهم ، حتى يستيقنوا أنه مُنزَل منَ عند الله على لسان الصادق . وأيضا ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ الروم ١ : ٥ (3) .

ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى فى العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر كفاية فى صدق هذا المخبَر عنه ؛ إذ لو كان مفترياً عليه لعاجَله بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك .

وفى هذا القرآن إخبار عما وقع فى المستقبل طبق ماوقع سواء بسواء ، وكذلك فى الأحاديث ، حسب ماقررناه فى كتابنا التفسير ، وماسنذكره من الملاحم والفتن ، كقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (4) وهذه السورة من أوائل مانزل بمكة .

وكذلك قوله تعالى فى سورة اقتربت ، وهى مكية بلا خلاف : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ وقَع مِصْداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك .

إلى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة . وسيأتى فصلٌ فيما أخبر به من الأمور التى وقعت بعده ـ عليه السلام ـ طبق ماأخبر به .

---

(1) سورة طه : ١٣٣ .

(2) سورة فصلت : ٥٢ ، ٥٣

(3) فى مكة يخبر الله بغلبة الروم من الفرس وأنها تغلب الفرس فى بضع سنين (٣ ـ ٩ سنة) ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فى بدر وبتحقيق هذه النبوة . . ومن أصدق من الله قيلا .

(4) سورة المزمل : ٢٠

وفى القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً ، المشتملة على الحكم البالغة التى إذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات ، الرحيم بعباده الذى يعاملهم بلطفه ورحمته ، وإحسانه .

قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (١) أى صدقا في الأخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى ، وقال تعالى : ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٢) أى أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ (٣) أى العلم النافع والعمل الصالح .

وهكذا روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال لكميل بن زياد : هو كتاب الله فيه خبر ماقَبْلكم ، وحُكْم مابَيْنكم ، ونبأ مابعدكم

وقد بسطنا هذا كله فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

* * *

فالقرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة : من فصاحته ، وبلاغته ، ونَظْمه ، وتراكيبه وأساليبه، ، وماتضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة ، واشتمل عليه من الأحكام المُحْكَمة الجلية ، والتحدى ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب ، والتحدى بما اشتمل عليه من المعانى الصحيحة الكاملة ـ وهى أعظم فى التحدى عند كثير من العلماء يعم جميع [أهل الأرض] من الملتين أهل الكتاب وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بنى آدم فى سائر الأقطار والأمصار .

* * *

وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صَرْف دواعى الكفرة عن معارضته مع إنكار ذلك ، أو هو سَلْب قدرتهم على ذلك ، فقول باطل ، وهو مفرع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق ، خلقه الله فى بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق .

---

(١) سورة الأنعام :

(٢) سورة هود :

(٣) سورة الفتح :

وقولهم هذا كفر وباطل ، وليس مطابقا لما فى نفس الأمر ، بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شاء الله تعالى وتقدّس وتنزّه عما يقولون علواً كبيراً ، فالخَلْق كلهم عاجزون حقيقةً وفى نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك ، بل لاتقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكملهم ، أن يتكلموا بمثل كلام الله .

وهذا القرآن [الذى] يبلغه الرسول - ﷺ - عن الله ، أسلوبُ كلامه لايشبه أساليبَ كلام رسول الله - ﷺ - ، وأساليب كلامه - عليه السلام - المحفوظة عنه بالسَند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه فى فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعانى بألفاظه الشريفة ، بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين ، وهلم جرا إلى زماننا .

[و] علماء السلف أفصح وأعلم ، وأقلُّ تكلفا فيما يروونه من المعانى بألفاظهم من علماء الخلف ، وهذا يشهده من له ذَوْق بكلام الناس ، كما يُدْرك تفاوتَ ما بين أشعار العرب فى زمن الجاهلية ، وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك .

ولهذا جاء الحديث الثابت فى هذا المعنى وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلا : [حدثنا] حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « ما من الأنبياء نبى إلا قد أُعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الليث بن سعد به .

ومعنى هذا أن الأنبياء - عليهم السلام - كلٌّ منهم قد أوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ماجاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم ، سواء آمنوا به ففازوا بثواب إيمانهم أو جحدوا فاستحقوا العقوبة .

وقوله : « وإنما كان الذى أوتيت » أى جُلّه وأعظمه ، الوحى الذى أوحاه إليه ، وهو القرآن ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة فى زمانه وبعده ، فإن البراهين التى كانت للأنبياء انقرض زمانها فى حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من فى رسول الله - ﷺ - ، فحجة الله قائمة به فى حياته - عليه السلام -

وبعد وفاته ، ولهذا قال : « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » أى لاستمرار ماآتانى الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعا [1] .

فصل

ومن الدلائل المعنوية أخلاقه ـ عليه السلام ـ الطاهرة ، وخُلقه الكامل ، وشجاعته وحلمه ، وكرمه وزهده ، وقناعته وإيثاره ، وجميل صحبته ، وصدقه وأمانته ، وتقواه وعبادته ، وكَرم أصله ، وطيب مولده ومنشأه ومَرْباه ، كما قدمناه مبسوطا فى مواضعه

وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه اللّه فى كتابه الذى ردَّ فيه على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ، فإنه ذكر فى آخره دلائل النبوة ، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتجة ، بكلام بليغ يَخْضع له كل من تأمَّله وفهمه .

قال فى آخر هذا الكتاب المذكور :

فصل

وسيرة الرسول ـ ﷺ ـ وأخلاقة وأفعاله من آياته ، أى من دلائل نبوته .

قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته من آياته ، ودينهم من آياته وكرامات صالحى أمته من آياته ، وذلك يَظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أنَ بُعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبُّر نسبه وبلده وأصله وفضله .

فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سُلالة إبراهيم الذى جعل اللّه فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم نبى إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر فى التوراة هذا وهذا ، وبشَّر فى التوراة بما يكون من ولد إسماعيل .

ولم يكن من ولد إسماعيل من ظهر فيه ما بَشَّرت به النبوات غيره ، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول ـ ﷺ ـ من قريش من صفوة بنى إبراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ،

---

(١) فى أ : وهكذا بعد هو أكثر الأنبياء تبعاً .

ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه ولم يزل مَحْجوجا من عهد إبراهيم ، مذكوراً فى كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ـ ﷺ ـ من أكمل الناس تربية ونَشْأة ، ولم يزل معروفا بالصدق والبر ومكارم الأخلاق والعدل ، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة ، ولا يعرف شىء يعاب به لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ، ولا جُرِب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ـ ﷺ ـ خلقه وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أمّيا من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبر بأمر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله .

ثم اتبعه أتْباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذّبه أهلُ الرياسة وعادَوه ، وسَعَوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتّبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولا جهات يولّيهم إياها ، ولا كان له سيف ، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذَوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون ، ولا يرتدون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العربُ من عهد إبراهيم ، فيجتمع فى الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يَلْقاه من تكذيب المكذّب ، وجفاء الجافى ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، ، فلما دعاهم علموا أنه النبى المنتظر الذى يخبرهم به اليهود ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضا ما عرفوا به مكانته ، فإنّ أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا فى الظاهر ثم حَسُن إسلام بعضهم ثم أذن له فى الجهاد ، ثم أمِر به .

ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء لا يُحفظ له كذْبة واحدة ، ولا ظُلم لأحد ، ولا غَدْر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، [وأمْن] وخوف ، وغنىً ، وفقر ، وقُدرة وعجز ، وتمكّن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة .

وهو على ذلك لازمٌ لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التى كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكُهَّان ، وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرَّمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرةً ولا مَعاداً ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشامَ قالوا : ما كان الذين صَحِبوا المسيحَ أفضل من هؤلاء !

وهذه آثار عِلْمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم ، يَعْرف العقلاء فَرْقَ ما بين الأمرين .

وهو - ﷺ - مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلّف درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وَسْقا من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عَقَار ينفق منه على أهله ، والباقى يَصْرفه فى مصالح المسلمين ، فحكَم بأنه لا يورَث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو فى كل وقت يُظْهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويَشْرع الشريعة شيئا بعد شىء .

حتى أكمل الله دينه الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أجمل شريعة ، لم يَبْقَ معروف تَعْرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه لم يأمر بشىء فقيل : ليته لم يأمر به . ولا نهى عن شىء فقيل : ليته لم يَنْه عنه . وأحلَّ لهم الطيبات لم يحرّم منها شيئا كما حُرم فى شريعة غيره ، وحرم الخبائث لم يُحِلَّ منها شيئا كما استحل غيره .

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر فى التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست فى الكتب[1] ، وليس فى الكتب إيجاب لعَدْل وقضاء بفَصْل وندب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها ورجحانها ، وكذلك فى الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

* * * *

وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أديَن من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره فى ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً .

وإذا قيس سخاؤهم وبرهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلَّموها ، وهو الذى أمرهم بها ، ولم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعض الحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا لما غيروا دين المسيح ـ فى دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح

وأما أمة محمد ـ ﷺ ـ فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتواراة والإنجيل والزبور إلا من جهته ، وهو الذى أمَرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقرّوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى فى الكتب الذى جاء به : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ

(1) أ : الكتاب .

إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[2] الآية .

وأمته ـ عليه السلام ـ لا يستحلون أن يوجدوا شيئا من الدين غير ما جاء به ، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا بأنه باطل كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع .

وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمه الدين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خزلهم حتى تقوم الساعة** »[3] .

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما، ودين محمد ـ ﷺ ـ خصوصا ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ، دينا ما قام به أكابر علمائهم وعُبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ، ودان به جمهورهم ، وهو دين ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء .

والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة ، وإنما دخل فى البدع من قصر فى اتباع الأنبياء علما وعملا .

---

(١) سورة البقرة ١٣٦ ، ١٣٧ . (٢) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٣) (**صحيح**) مسلم والبخارى وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

ولما بعث الله محمداً ـ ﷺ ـ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عند المسلمون [من أمته[1]] فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ، أخذوه عن نبيهم كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية ، ومعلوم أن كل كمال فى الفرع المتعلم هو فى الأصل المعلم وهذا يقتضى أنه ـ عليه السلام ـ كان أكمل الناس علما ودينا .

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله : « **إنى رسول الله إليكم جميعا** » لم يكن كاذبا مفتريا ، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار[2] الناس وأكملهم ، إن كان صادقا ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذبا ، وما ذُكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله : ﴿ **إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ .

لأن الذى لم يكن صادقا إما أن يكون متعمد للكذب أو مخطئاً ، والأول يوجب أنه كان ظالما غاوياً ، والثانى يقتضى أنه كان جاهلا ضالا ، ومحمد ـ ﷺ ـ كان علمه ينافى جهله ، وكمال دينه ينافى تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3] . وقال تعالى عن الملك الذى جاء به : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ثم قال عنه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ㉕ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ㉖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ㉗ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ㉘ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4] وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑲② نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ⑲③ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ⑲④ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ㉒① تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ㉒② يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[5] .

---

(١) من ت .
(٢) أ : من هو خيار الناس .
(٣) النجم : ١ ـ ٤ .
(٤) سورة التكوير : ١٩ ـ ٢٧ .
(٥) الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣

بيّن سبحانه أن الشيطان إنما يَنْزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر ، وهو الكذب والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل فلا يقترن إلا بمن فيه كذب ، إما عمداً وإما خطأ ، وفجور أيضا ، فإن الخطأ فى الدين هو من الشيطان أيضا ، كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة : أقول فيها برأيى ، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه .

فإن رسول الله برىء من تنزل الشياطين عليه فى العمد والخطأ . بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه مغفوراً له ، فإذا لم يعرف له خبر أخبر به كان فيه مخطئا ولا أمْرٌ به كان فيه فاجراً ، عُلِمَ أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم ، ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

انتهى ما ذكره .

وهذا عين ما أورده بحروفه .

(١) الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣

باب

وأما دلائل النبوة الحسية ، أعنى المشاهدة بالأبصار ، فسماوية وأرضية

ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين .

قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (١) .

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان فى عهد رسول الله ـ ﷺ ـ

وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة .

رواية أنس بن مالك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتادة ، عن أنس قال : **سأل أهلُ مكة النبىَّ ـ ﷺ ـ آيةً فانشق القمر بمكة فرقتين ، فقال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾** .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق .

وقال البخارى : حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا بِشْر بن المفضل ، حدثنا سعيد بن أبى عروبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، **أن أهل مكة سألوا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما** (٢) .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث شيبان ، عن قتادة ، ومسلم من حديث شعبة عن قتادة .

---

(١) سورة القمر : ١ ـ ٥ .

(٢) الحديث فى صحيح البخارى باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا يونس ، حدثنا شيبان ، عن قتادة الخ وفى طريق أخرى : وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة الخ . ورواية أنس التى ذكرها هنا فى البخارى : « فأراهم انشقاق القمر » انظر صحيح البخارى ٢ / ٢٠٤ الأميرية .

روابة جبير بن مُطعم :

قال أحمد : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن بُكير ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مُطعم عن أبيه قال : **انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل وفرقةٌ على هذا الجبل ، فقالوا : سحرَنا محمدٌ . فقالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحرَ الناسَ** (١) .

تفرد به أحمد . ورواه ابن جرير والبيهقى من طرق ، عن حُصين بن عبد الرحمن به .

رواية حُذَيْفة بن اليمان :

قال أبو جعفر بن جَرير : حدثنى يعقوب ، حدثنى ابن عُلَيَّة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبى عبد الرحمن السُّلمى ، قال : نَزلْنا المدائن فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه ، فخطَبنا حذيفةُ فقال . إن الله تعالى يقول : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنَت بفراق ، ألا وإن اليوم لمضمار وغداً السِّباق .

فقلت لأبى : أتَسْتَبِق الناسُ غداً ؟ فقال : يا بنى إنك لجاهل ، وإنما هو السباق بالأعمال .

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرها فخطب حذيفة ، فقال : ألا إن الله يقول : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنَت بفراق .

[ورواه أبو زُرْعة الرازى فى كتاب « دلائل النبوة » من غير وجه عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن ، عن حُذَيفة . فذكر نحوه ، وقال : ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ] (٢) ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق ، ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة .

رواية عبد الله بن عباس :

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِراك بن مالك

(١) (صحيح) أخرجه البخارى ٣٦٣٦ .
(٢) من ت .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : انشق القمر فى زمان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة به .

طرق أخرى عنه :

قال ابن جرير : حدثنا ابن مثنَّى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقَّيه[2] .

وروى العَوْفى عن ابن عباس نحواً من هذا .

وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس . فقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد ابن عمرو البزار ، حدثنا محمد بن يحيى القطيعى ، حدثنا محمد بن بُكَيْر ، حدثنا ابن جُرَيج عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كُسف القمر على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : سُحِر القمر ، فنزلت : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ .

وهذا سياق غريب .

وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، فيدل على أن انشقاقه إنما كان فى ليالى إبداره ، والله أعلم .

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب :

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباسى بن محمد الدُّورى : حدثنا وهب بن جرير ، عن شُعبة ، عن الأعمش ، [عن مجاهد[1]] عن عبد الله بن عمر [بن

---

(١) من ت .

الخطاب [1]] فى قوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ، انشق فلقتين ، **فلقة من دون الجبل [2] وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: اللهم اشهد** [3] .

وهكذا رواه مسلم والترمذى من طرق ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد . قال مسلم كرواية مجاهد ، عن أبى مَعمر ، عن ابن مسعود ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

رواية عبد الله بن مسعود :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن أبى مَعْمَر ، عن ابن مسعود ، قال : **انشق القمر على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اشهدوا** [1] .

ورواه البخارى ومسلم من حديث سفيان بن عُيَينة ، وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عبد الله بن سَخْبرة ، عن ابن مسعود به .

قال البخارى : وقال أبو الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة .

وهذا الذى علقه البخارى قد أسنده أبو داود الطيالسى فى مسنده ، فقال : حدثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ، قال : **انشق القمر على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت قريش : هذا سِحر ابن أبى كَبْشة . قال : فقالوا: انظروا ما يأتينا به السفّار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السُّفار فقالوا ذلك** [2] .

وروى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن ابن عباس الدُّورى ، عن سعيد بن سليمان ، عن هشام ، عن معيرة ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال :

(١) من ت .
(٢) أ : من وراء الجبل .
(٣) (صحيح) دلائل النبوة ٢ / ٢٦٧ .
(٤) (صحيح) مسند الإمام أحمد ٣٥٨٣ .
(٥) البيهقى فى الدلائل ٢٦٦٢ .

انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقالت كفار قريش أهل مكة : هذا سِحْر سحَركم به ابن أبي كبشة ، انظروا المسافرين ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدَق ، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سِحْر سحــركم به . قال : فسئل السُّفار ـ وقدِموا من كل وجــه فقــالوا : رأيناه [1] .

ورواه ابن جرير من حديث المغيرة وزاد : فأنزل الله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمَّل ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ حتى رأيتُ الجبل بين فرقتي القمر [2] .

وروى ابن جرير عن يعقوب الدورى عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، قال : نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول : لقد انشق القمر .

ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه كان يقول : خمسٌ قد مضين : الروم ، واللِّزام [3] ، والبطشة والدخان والقمر . في حديث طويل عنه مذكور في تفسير سورة الدخان

[وقال أبو زُرْعة في الدلائل : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، حدثنا الوليد ، عن الأوزاعي ، عن ابن بُكير ، قال : انشق القمر بمكة والنبي ـ ﷺ ـ قبل الهجرة فخرَّ شقتين فقال المشركون : سحره ابنُ أبي كبشة .

وهذا مرسل من هذا الوجه [4]] .

***

فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة ، وشهرة هذا الأمر تُغْني عن إسناده مع وروده في الكتاب العزيز .

---

(1) فتح الباري ٧/ ١٨٢ .

(2) (صحيح) المسند للإمام أحمد ٣٩٢٤ .

(3) اللزام : الهلاك وقيل الأسر .

(4) من ت .

وما يذكره بعض القُصاص من أن القمر دخل في جيب النبى - ﷺ - وخرج من كمه ، ونحو هذا الكلام فليس له أصل يُعتمد عليه .

والقمر فى حال انشقاقه لم يزايل السماءَ بل انفرق باثنتين ، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء ، والأخرى من الناحية الأخرى ، وصار الجبل بينهما ، وكلتا الفرقتين فى السماءِ ، وأهل مكة ينظرون إلى ذلك ، وظن كثيرٌ من جهلتهم أن هذا شيء سُحرت به أبصارهم ، فسألوا من قَدِم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ماشاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

فإن قيل : فلم لم يُعرف هذا فى جميع أقطار الأرض

فالجواب : ومن ينفى ذلك ؟ ولكنّ تطاوَل العهد والكفَرة يجحدون بآيات الله ، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبى المبعوث ، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه ، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوباً عليه أنه بُنى فى الليلة التى انشق القمر فيها .

ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يخفى أمرُه على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته فى تلك الساعة ، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة فى بلدانهم ، ولنوم كثير منهم ، أو لعله كان فى أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس ، وغير ذلك من الأمور . والله أعلم .

وقد حررنا هذا فيما تقدم فى كتابنا التفسير .

❋ ❋ ❋ ❋

فأما حديث رَد الشمس بعد مغيبها : فقد أنبأنى شيخنا المسند الرِّحْلَة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء بن عساكر [إذناً و[1]] قال : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عساكر المشهور بالنَّسابة ، قال : أخبرنا أبو المظفر بن القُشَيرى وأبو القاسم المستَملى ، قالا حدثنا أبو عثمان المحبّر [2] ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن

---

(١) من ت .

(٢) أ : البحيرى .

الحسن الدَّنْدَانقانى [1] بها ، أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب ، وفى حديث ابن القشيرى : حدثنا أبو العباس المحبوبى حدثنا سعد بن مسعود . ح . قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أخبرنا أبو الفتح الماهانى ، أخبرنا شجاع بن على ، أخبرنا أبو عبد الله بن منده ، أخبرنا عثمان بن أحمد التِّنيسى [2] أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا فُضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسن ، زاد أبو أمية بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أسماء بنت عميس ، قالت : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ يوحَى إليه ورأسه فى حِجر على ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ـ ﷺ ـ صليتَ العصر ؟ وقال أبو أمية : صليت ياعلى ؟ قال : لا . قال رسول الله ـ ﷺ ـ، وقال أبو أمية : فقال النبى ـ ﷺ ـ: اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة نبيك . وقال أبو أمية : رسولك ، فارْدُدْ عليه الشمس . قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ماغربت** [3] .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجَوْزى فى الموضوعات من طريق أبى عبد الله بن مَنْدَه ، كما تقدم ، ومن طريق أبى جعفر العقيلى : حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فُضَيل بن مرزوق فذكره .

ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ، فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن على بن الحسن ، عن فاطمة بنت على عن أسماء .

وهذا تخليط فى الرواية . قال : وأحمد بن داود ليس بشىء ، قال الدارقطنى : متروك كذاب . وقال ابن حبَّان : كان يضع الحديث . وعمار بن مطَر قال فيه العقيلى : كان يحدّث عن الثقات بالمناَكير . وقال ابن عَدى : متروك الحديث . قال : وفُضَيل بن مرزوق قد ضعَّفه يحيى . وقال ابن حبان : يروىَ الموضوعات ويخطىء عن الثقات .

وبه قال الحافظ بن عساكر . قال : وأخبرنا أبو محمد ، عن طاوس ، أخبرنا عاصم ابن الحسن ، أخبرنا أبو عمرو بن مهدى ، أخبرنا أبو العباس بن عقدة ، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثنى أبى ، عن عروة بن عبد الله بن قُشَيْر قال : دخلت على فاطمة بنت على فرأيت فى عنقها خرزة ، ورأيت فى يديها مَسُكتين [4]

---

(١) نسبة إلى الدندانقان وهى بليدة عند مر وخرج منها جماعة من المحدثين . اللباب ١ / ٤٢٦ .

(٢) نسبة إلى تنيس بلدة بديار مصر . (٣) موضوع . (٤) الملكة : القطعة من الجلد .

غليظتين ـ وهى عجوز كبيرة ـ فقلت لها : ماهذا ؟ فقالت : إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال .

ثم حدثنى أن أسماء بنت عُمَيس حدثتها أن على بن أبى طالب دفع إلى النبى ـ ﷺ ـ وقد **أوحى إليه فجَلَّله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدْبرت الشمس يقول : غابت أو كادت أن تغيب ، ثم إن نبى الله ـ ﷺ ـ سُرِّى عنه فقال : أصليت ياعلى ؟ قال : لا . فقال النبى ـ ﷺ ـ : « اللهم رُدَّ على علّى الشمس ». فرجعت حتى بلغت نصف المسجد ، قال عبد الرحمن : وقال أبى حدثنى موسى الجهنى نحوه** (١) .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث مُنْكر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات : وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عُقْدة فذكره ، ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عُقدة ، فإنه كان رافضيا يحدّث بمثالب الصحابة .

قال الخطيب : حدثنا على بن محمد بن نصر ، سمعت حمزة بن يوسف يقول : كان ابن عُقدة بجامع براثا يُمْلي مَثَالبَ الصحابة أو قال : الشيخين ، فتركته .

وقال الدارقطنى : كان ابن عقدة رجل سوء ، وقال ابن عَدى : سمعت أبا بكر بن أبى غالب يقول : ابن عقدة لايتديَّن بالحديث ، لأنه كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب فيسوى لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها ، وقد تبيّنا كذبه من عند شيخ بالكوفة .

وقال الحافظ أبو بشر الدولابى فى كتابه « الذرِّية الطاهرة » : حدثنا إسحاق بن يونس ، حدثنا سُويد بن سعيد ، حدثنا المطَّلب بن زياد ، عن إبراهيم بن حيان ، عن عبد الله بن حسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن الحسين قال : **كان رأس رسول الله ـ ﷺ ـ فى حجرعلى وهو يوحى إليه . فذكر الحديث بنحو ماتقدم** (٢) .

وإبراهيم بن حبان هذا تركه الدارقطنى وغيره .

وقال محمد بن ناصر البغدادى الحافظ : هذا الحديث موضوع .

---

(١) (موضوع) راجع ما كتبه ابن كثير فى ذلك .
(٢) (موضوع) .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى : وصدَق ابن ناصر .

وقال ابن الجوزى : وقد رواه ابن مردويه من طريق حديث داود فَرَاهيج [1] عن أبى هريرة ، قال : نام رسول الله ـ ﷺ ـ ورأسه فى حجر علىّ ، ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس ، فلما قام رسول الله دعا له فردَّت عليه الشمس حتى صلى ثم غابت ثانية .

ثم قال : وداود ضعَّفه شُعبة .

ثم قال ابن الجوزى : ومن تَغْفيل واضع هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم يتلمح الفائدة ، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ، فرجوع الشمس لايعيدها أداء .

وفى الصحيح عن رسول الله ـ ﷺ ـ : أن الشمس لم تُحْبس على أحد إلا ليوشع .

قلت : هذا الحديث ضعيف ومنكَر من جميع طرقه ، فلا تخلو واحدة منها عن شيعى ومجهول الحال ، أو شيعى ومتروك ، ومثل هذا الحديث لايُقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده ، لأنه من باب ماتتوفر الدواعى على نقله ، فلابد من نقله بالتواتر أو الاستفاضة ، لا أقل من ذلك .

ونحن لا ننكر هذا فى قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جناب رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقد ثبت فى الصحيح أنها رُدَّت ليوشع بن نون ، وذلك يوم حاصَر بيتَ المقدس ، واتفق ذلك فى آخر يوم الجمعة ، وكانوا لا يقاتلون يوم السبت ، فنظر إلى الشمس وقد تضيَّفت للغروب فقال: إنك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ فحبسها الله عليه حتى فتحوها [2] .

ورسول الله ـ ﷺ ـ أعظم جاها وأجل منصبا وأعلى قدراً من يوشع بن نون ، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ، ولكن لانقول إلا ماصح عندنا [عنه[3]] ولا نُسند إليه ماليس بصحيح ، ولو صح ، لكنا من أول القائلين به ، والمعتقدين له وبالله المستعان .

---

(١) الأصل : ابن واهج . وهو تحريف . وما أثبته عن ميزان الاعتدال ٢ / ١٩ .

(٢) (صحيح) متفق عليه .

(٣) من ت .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زَنْجَويه البخاري في كتابه : « إثبات إمامة أبي بكر الصديق » : فإن قال قائل من الروافض : إنَّ أفضل فضيلة لأبي الحسن وأدل [دليل [1]] على إمامته ماروى عن أسماء بنت عُمَيس قالت : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ يوحى إليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لعليّ : صليتَ ؟ قال : لا . فقال رسول الله : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس . قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم طلعت بعد ماغربت** [2] .

قيل له : كيف لنا لو صح هذا الحديث ؟ فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى ، ولكن الحديث ضعيف جداً لا أصل له ، وهذا مما كسبت أيدي الروافض ، ولو رُدَّت الشمس بعد ماغربت لرآها المؤمن والكافر ونقلوا إلينا أن في يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا رُدَّت الشمس بعد ماغربت .

ثم يقال للروافض : أيجوز أن تُرد الشمس لأبي الحسن حين فاتته صلاة العصر ، ولا ترد لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعليٌّ فيهم حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق ؟

قال : وأيضا مرة أخرى عَرَّس[3] رسول الله ـ ﷺ ـ بالمهاجرين والأنصار حين قفل من غزوة خيبر . فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس

قال : فلم يردّ الليل على رسول الله وعلى أصحابه ، قال : ولو كان هذا فضلاً أعطيه رسولُ الله ، وماكان الله ليمنع رسوله شرفا وفضلا ـ يعني أعطيه عليٌّ بن أبي طالب .

ثم قال : وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي : ماتقول فيمن يقول : رجعت الشمس على عليّ بن أبي طالب حتى صلى العصر ؟ فقال : من قال هذا فقد كذَب .

وقال إبراهيم بن يعقوب : سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت : إن ناساً عندنا يقولون : إن علياً وصيّ رسول الله ـ ﷺ ـ ورجعت عليه الشمس . فقال : كذبُ هذا كله .

---

(١) من ت .

(٢) (ضعيف) جدا .

(٣) عرس : نزل للاستراحة في آخر الليل .

فصل
فى إيراد طرق هذا الحديث من أماكن متفرقة

وقد جمع فيه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكانىّ جزءاً وسماه : مسألة فى تصحيح رَدّ الشمس وترغيم النَّواصب الشمْس .

وقال : قد روى ذلك من طريق أسماء بنت عُميس وعلى بن أبى طالب ، وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى . ثم رواه من طريق أحمد بن صالح المصرى ، وأحمد بن الوليد الأنطاكى ، والحسن بن داود ، ثلاثتهم عن محمد بن إسماعيل بن أبى فُدَيك ، وهو ثقة ، أخبرنى محمد بن موسى الفطرى المدَنى وهو ثقة أيضا ، عن عَون بن محمد ، قال : وهو ابن محمد بن الحنفية ، عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، **أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل عليًا فى حاجة ، فجاء وقد صلى رسول الله ـ ﷺ ـ العصر فوضع رأسه فى حِجر على فلم يحركه حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « اللهم إن عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرُدَّ عليه شرْقها ».**

قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى رُفعت على الجبال ، فقام علىٌّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس (١) .

وهذا الإسناد فيه من يُجهل حاله . فإن عَونا هذا وأمه لايُعرف أمرهما بعدالة وضبط يُقْبل بسببهما خبرهما فيما هو دون هذا المقام ، فكيف يَثْبت بخبرهما هذا الأمرُ العظيم الذى لم يَرْوه أحدٌ من أصحاب الصّحاح ولا السُّنن ولا المسانيد المشهورة ؟ فالله أعلم .

ولا ندرى أسمعتْ أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس أم لا .

ثم أورده هذا المصنّف (٢) من طريق الحسين بن الحسن الأشقر ، وهو شيعىٌّ جلْد ، وضعّفه غير واحد ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين الشهيد ، عن أسماء بنت عُمَيس فذكر الحديث .

---

(١) (ضعيف الإسناد) .

(٢) بالأصل : المص .

قال : وقد رواه عن فُضَيل بن مرزوق جماعة منهم عبيد الله بن موسى . ثم أورده من طريق أبى جعفر الطحاوى من طريق عبد الله .

وقد قدمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود وأبى أمية الطَّرْسوسى ، عن عبيد الله بن موسى العَبْسى ، وهو من الشّيعة . ثم أورده هذا المصنَّف من طريق أبى جعفر العقيلى ، عن أحمد بن داود ، عن عمار بن مطر ، عن فضيل بن مرزوق . والأغرّ الرقاشى ويقال الرَّواسى أبو عبد الرحمن الكوفى مولى بنى عنزة ، وثَّقه الثورى وابن عيُينة .

وقال أحمد : لا أعلم إلا خيراً . وقال ابن مَعِين : ثقة ، وقال مرةً : صالحٌ ولكنه شديد التشيع ، وقال مرةً : لا بأس به .

وقال أبو حاتم : صدوق صالح الحديث يُبهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به .

وقال عثمان بن سعيد الدارمىّ : يقال : إنه ضعيف .

وقال النسائى : ضعيف ، وقال ابن عدى : أرجو أنه لابأس به .

وقال ابن حبان : مُنْكر الحديث جداً كان يخطىء علىٰ الثقات ويروى عن عطية الموضوعات .

وقد روى له مسلم وأهل السنن الأربعة . فمن هذه ترجمته لا يُتهم بتعمد الكذب ، ولكنه قد يتساهل ، ولا سيما فيما يوافق مذهبه ، فيروى عمن لا يعرفه أو يحسن به الظن فيدلّس حديثه ويسقطه ويذكر شيخه . ولهذا قال هذا الحديث الذى يجب الاحتراز فيه وتوقّى الكذب فيه : « عن » بصيغة التدليس ، ولم يأت بصيغة التحديث ، فلعل بينهما من يجهل أمره .

على أن شيخه هذا ـ إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ ليس بذلك المشهور فى حاله ، لم يرو له أحد من أصحاب الكتب المعتمدة ، ولا روى عنه غير الفضيل بن مرزوق هذا ويحيى بن المتوكل ، قاله أبو حاتم وأبو زُرْعة الرازيان ولم يتعرضا لجرح ولا تعديل .

وأما فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ـ وهى أخت زين العابدين ـ فحديثها مشهور ، وروى لها أهل السنن الأربعة ، وكانت فيمن قُدم به مع أهل البيت بعد مقتل أبيها إلى دمشق ، وهى من الثقات ، ولكن لايُدرى أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا؟ فالله أعلم .

* * * *

ثم رواه هذا المصنف من حديث أبى حفص الكنانى : حدثنا محمد بن عمر القاضى هو الجعَابى [1]، حدثنى محمد بن القاسم بن جعفر العسكرى من أصل كتابه ، حدثنا أحمدَ ابن محمد بن يزيد بن سليم ، حدثنا خلف بن سالم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان الثورى [عن أشعث أبى الشّعثاء ، عن أمه ، عن فاطمة ـ يعنى بنت الحسين ـ [2]] عن أسماء أن رسول الله ـ ﷺ ـ دعا لعلى حتى رُدّت عليه الشمس .

وهذا إسناد غريب جداً .

وحديث عبد الرزاق وشيخه الثورى محفوظ عند الأئمة ، لا يكاد يُترك منه شيء من المهمات ، فكيف لم يرو عن عبد الرزاق مثلَ هذا الحديث العظيم إلا خلفُ بن سالم بما قَبْله من الرجال الذين لايعرفون حالهم فى الضبط والعدالة كغيرهم ؟ ثم إن أم أشعث مجهولة . فالله أعلم .

ثم ساقه هذا المصنف من طريق محمد بن مرزوق : حدثنا حسين الأشقر ـ وهو شيعى وضعيف كما تقدم ـ عن على بن هاشم بن التَّريد ـ وقد قال فيه ابن حبان : كان غالياً فى التشيع يروى المناكير عن المشاهير ـ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن على بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت على ، عن أسماء بنت عُمَيس فذكره . وهذا إسناد لايَثْبت .

ثم أسنده من طريق عبد الرحمن بن شَرِيك ، عن أبيه ، عن عروة بن عبد اللّه ، عن فاطمة بنت على ، عن أسماء بنت عُمَيس . فذكر الحديث كما قدمنا إيراده من طريق ابن

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمى المعروف بابن الجعابى ، قال فى اللباب : أحد الحفاظ المشهورين ومذهبه فى التشيع معروف ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٥ اللباب ١ / ٢٣٩ .

(٢) من ت .

عُقدة ، عن أحمد بن يحيى الصوفى ، عن عبد الرحمن بن شريك ، عن عبد الله النخعى .

وقد روى عنه البخارى فى كتاب الأدب وحدث عنه جماعة من الأئمة ، وقال فيه أبو حاتم الرازى : كان واهى الحديث . وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات و [قال] : ربما أخطأ وأرَّخ ابن عقدة وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقد قدمنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قال : إنما أُتّهم بوضعه أبا العباس بن عقدة ، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطعن والجرح وأنه كان يسوّى النسخَ للمشايخ فيرويهم إياها . والله أعلم .

قلت : فى سياق هذا الإسناد عن أسماء أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد وهذا يناقض ماتقدم من أن ذلك كان بالصهباء من أرض خيبر ، ومثل هذا يوجب توهين الحديث وضعفه والقَدْح فيه .

ثم سرده من حديث محمد بن عمر القاضى الجعَابىّ ، حدثنا على بن العباس بن الوليد ، حدثنا عبّاد بن يعقوب الرَّواجنىّ [(1)] ، حدثنا علَى بن هاشم ، عن مصباح ، عن عبد الله بن الحسن ـ أبى جعفر ـ عن حَسين المقتول ، عن فاطمة ، عن أسماء بنت عُميس ، قالت : لما كان يوم شُغل علىّ لمكانه من قَسْم المغنم حتى غربت الشمس أو كادت ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أمَا صليت ؟ قال : لا فدعا الله فارتفعت الشمس حتى توسطت السماء ، فصلى على ، فلما غربت الشمس سمعتُ لها صرير كصرير المنشار فى الحديد »

وهذا أيضا سياق مخالف لما تقدم من وجوه كثيرة ، مع أن إسناده مُظلم جداً ، فإن مصباحا هذا لايُعرف ، وكيف يروى الحسين بن على المقتول شهيداً ، عن واحد عن واحد عن أسماء بنت عميس ؟! هذا تخبيط إسناداً ومتناً .

ففى هذا أن عليا شُغل بمجرد قَسْم الغنيمة ، وهذا لم يَقُله أحدٌ ، ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب .

---

(1) ذكر ابن الأثير فى اللباب ١ / ٤٧٧ أن نسبة أبى سعيد عباد بن يعقوب البخارى هذا إلى الدواجن بالدال المهملة ، فجعلها الناس الرواجن ، بالراء ، نقلا عن إسماعيل من محمد بن الفضل الأصبهانى ، ولم يسنده إلى أحد . قال : وظنى أن الرواجن بطن من بطون القبائل .

وإن كان قد جوز بعض العلماء تأخير الصلاة عن وقتها لعذر القتال ، كما حكاه البخارى عن مكحول والأوزاعى وأنس بن مالك ، فى جماعة من أصحابه ، واحتج لهم البخارى بقصة تأخير الصلاة يوم الخندق وأمره - عليه السلام - ألا يصلى أحد منهم العصر إلا فى بنى قريظة .

وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا نُسخ بصلاة الخوف .

والمقصود أنه لم يقل أحد من العلماء أنه يجوز تأخير الصلاة بعذر قسم الغنيمة حتى يُسْنَد هذا إلى صنيع علىّ - رضى الله عنه - ، وهو الراوى عن رسـول الله ﷺ - أن الوسطى هى العصر .

فإن [هذا] ثابتا على ماروواه هؤلاء الجماعة [1] ، وكان علىٌّ متعمدا لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة وأقره عليه الشارع ، صار هذا واحده دليلا على جواز ذلك ، ويكون أقطع فى الحجة مما ذكره البخارى ، لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعا ، لأنه كان بخيبر سنة سبع ، وصلاة الخوف شُرعت قبل ذلك ، وإن كان علىّ ناسيا حتى ترك الصلاة إلى الغروب فهو معذور ، فلا يحتاج إلى رَدّ الشمس بل وقتُها بعد الغروب والحالة هذه إذن ، كما ورد به الحديث . والله أعلم .

وهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث .

ثم إن جعلناه قصة أخرى وواقعة غير ماتقدم ، فقد تَعدَّد رَدُّ الشمس غير مرة ، ومع هذا لم ينقله أحدٌ من أئمة العلماء ولا رواه أهلُ الكتب المشهورة ، وتفرد بهذه الفائدة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومتهم . والله أعلم .

***

ثم أورد هذا المصنف من طريق أبى العباس بن عقدة : حدثنا يحيى بن زكريا ، حدثنا يعقوب بن سعيد ، حدثنا عمرو بن ثابت قال : سألت عبد الله بن حسن بن حسين بن على بن أبى طالب عن حديث رَدّ الشمس على على [بن أبى طالب [2]] : **هل يثبت**

(1) ت : هؤلاء الجهلة .

(2) من ت .

عندكم ؟ فقال لي : ماأنزل الله في كتابه أعظمُ من رد الشمس . قلت : صدقت جعلني الله فداك ولكني أحب أن أسمعه منك ، فقال : حدثني أبي ـ الحسن ـ عن أسماء بنت عُميس أنها قالت : أقبل عليٌّ بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلي العصر مع رسول الله ـ ﷺ ـ ، فوافق رسول الله ـ ﷺ ـ قد انصرف ونزل عليه الوحي فأسنده إلى صدره [فلم يزل مُسنده إلى صدره [1]] حتى أفاق رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أصليت العصر ياعلي ؟ قال جئت والوحي ينزل عليك ، فلم أزل مُسْندك إلى صدري حتى الساعة .

فاستقبل رسول الله ـ ﷺ ـ القبلة ـ وقد غربت الشمس ـ وقال : « اللهم إن عليًّا كان في طاعتك فارددْها عليه . قالت أسماء : فأقبلت الشمس ولها صَرير كصرير الرحي حتى كانت في موضعها وقت العصر ، فقام عليٌّ متمكنا فصلى ، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرحي ، فلما غابت اختلط الظلامُ وبدَت النجوم » [2] .

وهذا منكر أيضا إسناداً ومتناً ، وهو مناقض لما قبله من السّياقات ، وعمرو بن ثابت هذا هو المتهم بوضع هذا الحديث أو سَرقته من غيره ، وهو عمرو بن ثابت بن هُرمز البكري الكوفي مولى بَكْر بن وائل ، ويعرف بعمرو بن المقدام الحداد ، روى عن غير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة منهم سعيد بن منصور وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان . قال : تركه عبد الله بن المبارك وقال : لا تحدّثوا عنه فإنه كان يسبُّ السلف ولما مرَّت به جنازته توارى عنها .

وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدي ، وقال ابن معين والنسائي : ليس بثقة ولا مأمون ولا يُكتب حديثه . وقال مرة أخرى هو وأبو زُرعة وأبو حاتم : كان ضعيفا . زاد أبو حاتم : وكان رديء الرأي شديد التشيع لا يُكتب حديثه .

وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم .

وقال أبو داود : كان من شرار الناس كان رافضيا خبيثا رجل سوء . قال هنا : ولما مات لم أصل عليه لأنه قال : لما مات رسول الله ﷺ : كفر الناس إلا خمسة ، وجعل أبو داود يذمه .

---

(1) من ت .
(2) (موضوع).

وقال ابن حبان : يروى الموضوعات [عن الأثبات][1] وقال ابن عدى : والضعف على حديثه بيّن ، وأرّخوا وفاته فى سنة سبع وعشرين ومائة .

ولهذا قال شيخنا أبو العباس بن تَيْمية : وكان عبد الله بن حسن وأبوه أجلّ قَدْراً من أن يحدثا بهذا الحديث .

* * * *

قال هذا المصنّف المُنصف :

وأما حديث أبى هريرة فأخبرنا عَقيل بن الحسن العسكرى ، أخبرنا أبو محمد صالح ابن الفتح النسائى ، حدثنا أحمد بن عُمَير بن حَوْصاء ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، حدثنا يحيى بن يزيد عبد الملك النَّوفلى ، عن أبيه ، حدثنا داود بن فَرَاهيج ، وعن عمارة ابن برد وعن أبى هريرة . فذكره .

وقال : اختصرته من حديث طويل .

وهذا إسنادٌ مُظلم ، ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود بن فَراهيج كلهم مضُعّفون وهذا هو الذى أشار ابن الجوزى إلى أن ابن مردَوَيه رواه من طريق داود بن فراهيج عن أبى هريرة ، وضعف داود هذا شُعْبةُ والنسائى وغيرهما . والذى يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة ، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر. والله أعلم .

قال : وأما حديث أبى سعيد فأخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجانى كتابة ، أن أبا طاهر محمد بن على الواعظ أخبرهم : أخبرنا محمد بن أحمد بن متيم ، أخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب : [حدثنى أبى ، عن أبيه محمد ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيه عمر قال: [2]] قال الحسين بن على ، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : **دخلت على رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا رأسه فى حِجْرِ علىّ وقد غابت الشمس ، فانتبه النبى ـ ﷺ ـ وقال : ياعلى أصليت العصر ؟ قال : لا يارسول الله ماصليت ، كرهت أن أضع رأسك من حجرى وأنت وجع . فقال رسول الله : ياعلى ادع ياعلى أن ترد**

---

(١) من ت .

(٢) من ت .

عليك الشمس . فقال على : يارسول الله ادع أنت وأنا أؤمّن ، فقال : يارب إن علياً فى طاعتك وطاعة نبيك ، فاردد عليه الشمس . قال أبو سعيد : فوالله لقد سمعت للشمس صَريراً كصرير البكْرة حتى رجعت بيضاء نقية (1) .

وهذا إسناد مظلم أيضا ومَتْنه مُنْكر ، ومخالف لما تَقَدَّمه من السياقات ، وكل هذا يدل على أنه ، موضوع مصنوع مفتعل يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض ، ولو كان له أصل من رواية أبى سعيد لتلقاه عنه كبار أصحابه كما أخرجا فى الصحيحين من طريقه حديث قتال الخوارج ، وقصة المخدَّج وغير ذلك من فضائل على .

قال : وأما حديث أمير المؤمنين على فأخبرنا أبو العباس الفَرغانى ، أخبرنا أبو الفضل الشيبانى ، حدثنا رجاء بن يحيى السامانى ، حدثنا هارون بن مسلم بن سعيد بسامُرا سنة أربعين ومائتين .

حدثنا عبد الله بن عمرو بن الأشعث ، عن داود بن الكُمَيت ، عن عمه المستهل بن زيد ، عن أبيه زيد بن سَلْهَب عن جُوَيرية بنت شَهْر ، قالت : **خرجت مع على بن أبى طالب فقال : ياجويرية إن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يوحَى إليه ورأسه فى حجرى فذكر الحديث (2)** .

وهذا الإسناد مظلم وأكثر رجاله لايُعرفون ، والذى يظهر والله أعلم أنه مركَّب مصنوع مما عملته أيدى الروافض قبَّحهم الله ولعن من كذَب على رسول الله ـ ﷺ ـ وعجَّل له ماتوعَّده الشارع من العذاب والنكال حيث قال وهو الصادق فى المقال : « مَن كذَب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وكيف يَدخل فى عقل أحد من أهل العلم أن يكون هذا الحديث يرويه على بن أبى طالب وفيه مَنْقَبة عظيمة له ودلالة معجزة باهرة لرسول الله ـ ﷺ ـ، ثم لا يُروى عنه إلا بهذا الإسناد المظلم المركب على رجال لا يُعرفون ، وهل لهم وجود فى الخارج أم لا ؛ الظاهر والله أعلم لا ، ثم هو عن امرأة مجهولة العين والحال ، فأين أصحاب علىّ الثقات كعُبَيدة السَّلمانى وشُرَيح القاضى وعامر الشعبى وأضرابهم ، ثم فى ترك الأئمة كمالك

(1) (موضوع) .

(2) (موضوع) .

وأصحاب الكتب الستة وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحسآن رواية هذا الحديث وإيداعه فى كتبهم أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم وهو مفتعل مأفوك بعدهم .

وهذا أبو عبد الرحمن النَّسائى قد جمع كتابا فى خصائص على بن أبى طالب ولم يذكره ، وكذلك لم يروه الحاكم فى مستدركه وكلاهما يُنسب إلى شىء من التشيّع ولا رواه من رواه من الناس المعتبرين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب ، وكيف يقع مثل هذا نهاراً جَهرة ، وهو مما تتوافر الدواعى على نقله ، ثم لايُروى إلا من طرق ضعيفة منكرة ، وأكثرها مركبّة موضوعة ، وأجود مافيها ماقدمناه من طريق أحمد بن صالح المصرى عن ابن أبى فُدَيك ، عن محمد بن موسى الفطرى ، عن عون بن محمد ، عن أمه أم جعفر ، عن أسماء على مافيها من التعليل الذى أشرنا إليه فيما سلف .

وقد اغتر بذلك أحمد بن صالح - رحمه الله - ومال إلى صحته ، ورجح ثبوته .

قال الطحاوى فى كتابه مشكل الحديث : عن على بن عبد الرحمن عن أحمد بن صالح المصرى أنه كان يقول : لا ينبغى لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء فى ردّ الشمس ، لأنه من علامات النبوة . وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوى أيضا فيما قيل .

ونقل أبو القاسم الحَسكانى هذا عن أبى عبد الله البصرى المتكلم المعتزلى أنه قال : عَوْدُ الشمس بعد مغيبها آكدُ حالاً فيما يقتضى نقله ، لأنه وإن كان فضيلة لأمير المؤمنين فإنه من أعلام النبوة ، وهو مقارن لغيره فى فضائله فى كثير من أعلام النبوة .

وحاصل هذا الكلام يقتضى أنه كان ينبغى أن يُنقل هذا نقلا متواتراً ، وهذا حقُ لو كان الحديث صحيحا ، ولكنه لم يُنقل كذلك ، فدل على أنه ليس بصحيح فى نفس الأمر والله أعلم .

قلت : والأئمة فى كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث ويردونه ويبالغون فى التشنيع على رواته ، كما قدمنا عن غير واحد من الحافظ ، كمحمد ويَعْلى بن عبيد الطنافسيين ، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى خطيب دمشق ، وكأبى بكر محمد بن حاتم البخارى المعروف بابن زنْجويه ، وكالحفاظ أبى القاسم بن عساكر والشيخ أبى الفرج بن

الجوزى ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، وممن صرح بأنه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى والعلامة أبو العباس بن تيمية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : قرأت على قاضى القضاة أبى الحسن محمد بن صالح الهاشمى ، حدثنا عبد الله بن الحسين بن موسى ، حدثنا عبد الله بن على [بن][1] المدينى قال : سمعت أبى يقول : خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ـ ﷺ ـ : حديث : لو صدق السائل ماأفلح من ردّه ، وحديث لا وجَع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدين ، وحديث إن الشمس رُدّت على على بن أبى طالب ، وحديث : أنا أكرم على الله من أن يدّعنى تحت الأرض مائتى عام ، وحديث أفطر الحاجم والمحجوم إنهما كانا يَغْتابان .

والطحاوى ـ رحمه الله ـ وإن كان قد اشتبه عليه أمره فقد روى عن أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ إنكاره والتهكم بمن رواه .

قال أبو العباس بن عقدة : حدثنا جعفر بن محمد بن عمير ، حدثنا سليمان بن عَبَّاد ، سمعت بشار بن ذَرَّاع قال : لقى أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال : عمن رويتَ حديث ردّ الشمس ؟ فقال : عن غير الذى رويت عنه : ياسارية الجبل !

فهذا أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ وهو من الأئمة المعتبرين وهو كوفى لايُتَّهم على حب على بن أبى طالب وتفضيله بما فضّله الله به ورسوله . وهو مع هذا ينكر على راويه . وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة بما لا يُجدى ، أى : أنا رويت فى فضل على هذا الحديث ، وهو وإن كان مستغربا فهو فى الغرابة نظيرُ مارويته أنت فى فضل عمر بن الخطاب فى قوله ياسارية الجبل .

وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان ، فإن هذا ليس كهذا إسناداً ولا متناً ، وأين مكاشفة إمام قد شهد الشارع له بأنه مُحدَّث بأمر خير من ردّ الشمس طالعة بعد مغيبها الذى هو أكبر علامات الساعة ؟

والذى وقع ليوشع بن نون ليس ردًّا للشمس عليه ، بل حُبست ساعة قبل غروبها بمعنى تبطأت فى سيرها حتى أمكنهم الفتح . والله تعالى أعلم .

---

(1) من ت .

وتقدم ما أورده هذا المصنف من طرق هذا الحديث عن على وأبى هريرة وأبى سعيد وأسماء بنت عُميس ، وقد وقع فى كتاب أبى بشر الدولابى فى الذرية الطاهرة من حديث الحسين بن على ، والظاهر أنه عنه عن أبى سعيد الخدرى كما تقدم . والله أعلم .

وقد قال شيخ الرافضة جمال الدين يوسف بن الحسن الملقب بابن المطهّر الحلى فى كتابه فى الإمامة الذى رد عليه فيه شيخنا [العلامة][1] أبو العباس بن تيمية قال ابن المطر : التاسع : رجوع الشمس مرتين : إحداهما فى زمن النبى - ﷺ - والثانية بعده .

أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد : أن رسول الله - ﷺ - نزل عليه جبريل يوماً يناجيه من عند الله ، فلما تغشاه الوحى توسَّد فخذ أمير المؤمنين ، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، فصلى علىّ العصر بالإيماء ، فلما استيقظ رسول الله - ﷺ - قال له : سَلِ الله أن يرد عليك الشمس فتصلى قائما . فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائما .

وأما الثانية فلما أراد أن يَعْبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بدوابهم وصلى لنفسه فى طائفة من أصحابه العصر وفات كثيراً منهم ، فتكلموا فى ذلك فسأل الله رد الشمس فردت .

قال : وقد نظمه الحميرى فقال :

رُدّت الشـــمس لما فـــاته	وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورُها فى وقتـــها	للعصر ثم هوَتْ هُوِيَّ الكوكب
وعليـــه قـــد رُدَّت ببـــابل مـــرة	أخـري ومـا ردت لخلق مُقـرَّب

قال شيخنا أبو العباس [ابن تيمية[2]] - رحمه الله - : فَضْل على وولايته وعلوّ منزلته عند الله معلوم ولله الحمد بطرق ثابتة أفادتنا العلم اليقينى لايحتاج معها إلى مالا يُعلم صدقه أو يعلم أنه كذب ، وحديث رد الشمس قد ذكره طائفة كأبى جعفر الطحاوى والقاضى عياض وغيرهما وعدّوا ذلك من معجزات رسول الله - ﷺ - ، لكن المحققين من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع .

---

(١) من ت .

(٢) من ت .

ثم أورد طرقه واحدة [واحدة[1]] كما قدمنا وناقش أبا القاسم الحسكانى فيما تقدم ، وقد أوردنا كل ذلك وزدنا عليه ونقصنا منه . والله الموفق .

واعتذر عن أحمد بن صالح المصرى فى تصحيحه [هذا الحديث][2] بأنه اغترَّ بسنده ، وعن الطحاوى بأنه لم يكن عنده نقلٌ جيّد للأسانيد كجهابذة الحفاظ .

وقال فى عيون كلامه : والذى يُقْطَع به : أنه كذب مفتعل .

قلت : وإيراد ابن المطهَّر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ، ولكن لم يسنده وفى سياقه مايقتضى أن عليا [هو الذى[3]] دعا بردّ الشمس فى الأولى والثانية ، وأما إيراده لقصة بابل فليس لها إسناد ، وأظنه والله أعلم من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم ؛ فإن رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه يوم الخندق قد غربت عليهم الشمس ولم يكونوا صلوا العصر بل قاموا إلى بُطحان ، وهو واد هناك ، فتوضأوا وصلوا العصر بعد ماغربت الشمس ، وكان علىٌّ أيضا فيهم ولم تُردّ لهم ، وكذلك كثير من الصحابة الذين ساروا إلى بنى قُريظة فاتتهم العصر يومئذ حتى غربت الشمس ولم ترد لهم ، وكذلك لما نام رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس صلوها بعد ارتفاع النهار ولم يُرد لهم الليل .

فما كان الله ـ عز وجل ـ ليعطى عليًا وأصحابه شيئا من الفضائل لم يعطها رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه .

وأما نظم الحميْرى فليس [فيه] حجة ، بل هو كهذيان ابن المطهر ، هذا لا يعلم مايقول من النثر وهذا لايدرى صحة ماينْظِم ، بل كلاهما كما قال الشاعر :

إن كنت أدْرى فَعلىَّ بَدَنَهْ　　　من كثرة التخليط أنّى من أنَهْ

والمشهور عن على فى أرض بابل ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ فى سننه عن على ، أنه مرَّ بأرض بابل وقد حانت صلاة العصر فلم يصل حتى جاوزها ، وقال : نهانى خليلى ـ ﷺ ـ أن أصلى بأرض بابل فإنها ملعونة .

وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتابه « الملل والنحل » مُبطلا لرد الشمس على علىّ ،

(١ ، ٢ ، ٣) من ت .

بعد كلام ذكره رادا على من ادعى باطلا من الأمر ، فقال : ولا فرق بين من ادعى شيئا مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة ردَّ الشمس على على بن أبى طالب مرتين ، حتى ادعى بعضهم أن حَبيب بن أوْس قال :

فــرُدت علينا الشــمس والليل راغم بشــمس لهم من جـانب الخـدر تطلعُ
نضـا ضــوءها صبْغ الدجنة وانطوى لبــهــجــتــهـا نور الســمـاء المرجعُ
فـــوالله مـــاأدرى علىٌّ بدا لنا فــرُدَّت له أمْ كــان فى القــوم يوشع

هكذا أورده ابن حزم فى كتابه ، وهذا الشعر تظهر عليه الركة والتركيب وأنه مصنوع والله أعلم .

استسقاء الرسول

ومما يتعلق بالآيات السماوية فى دلائل النبوة : استسقاؤه ـ عليه السلام ـ ربه [عز وجل] لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه إلى سؤاله سريعا بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر على لحيته ـ عليه السلام ـ وكذلك استصحاؤه .

قال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا أبو قتيبة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيض يُستَسقى الغمام بوجهه ثمَال اليتامى عصمةٌ للأرامل

قال البخارى : [وقال أبو على الثقفى [1] عن] عمر بن حمزة : حدثنا سالم عن أبيه ، ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ـ ﷺ ـ يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش كلُ ميزاب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبى طالب

تفرد به البخارى . وهذا الذى علقه قد أسنده ابن ماجة فى سننه ، فرواه عن أحمد بن الأزهر ، عن أبى النضر ، عن أبى عَقيل ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم عن أبيه .

وقال البخارى : حدثنا محمد ـ هو ابن سلام ـ حدثنا أبو ضمرة ، حدثنا شَريك بن عبد الله بن أبى نمر « **أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة مَن باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله ـ ﷺ ـ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ـ ﷺ ـ قائما، فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وتقطعت السُبل ، فادع الله لنا يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ يديه فقال : اللهم اسقنا اللهم اسقنا [اللهم اسقنا]** [2] .

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة [3] **ولا شيئا وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل التُرْس ، فلما توسَّطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشمس سِتًا .**

---

(١) ليست فى صحيح البخارى . باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء .

(٢) من ت . (٣) القزعة : القطعة من السحاب .

ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله ـ ﷺ ـ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، وقال يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، ادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال [والظراب][(1)] ومنابت الشجر . قال : فأقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس . قال شريك : فسألت أنسا أهو الرجل الذى سأل أولا ؟ قال : لا أدرى » .

وهكذا رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك به .

وقال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا أبو عوانة ، عن قتادة عن أنس قال : « بينما رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب يوم جمعة إذ جاء رجل فقال : يارسول الله قَحط المطر ، فادع الله أن يسقينا . فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا ، فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة .

قال : فقام ذلك الرجل أو غيره ، فقال : يارسول الله ادع الله أن يصرفه عنا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اللهم حَوالينا ولا علينا . قال : فلقد رأيت السحاب يتقطع يميناً وشمالاً يُمطرون ولا يمطر [أهل] المدينة » .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، عن مالك ، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : هلكت المواشى وتقطعت السُبل ، فادع الله . فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، ثم جاء فقال : تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشى ، [فادع الله أن يمسكها] فقال : اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر ، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا الأوزاعى ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى ، حدثنى أنس بن مالك قال : « أصابت الناس سنةٌ على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فبينا رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، فقام أعرابى فقال : يارسول الله ، هلك المالُ ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا .

قال : فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ يديه وما فى السماء قزعة ، فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار سحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته .

(1) الظراب : الجبال الصغيرة .

قال : فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابى أو قال غيره ، فقال : يارسول الله تهدم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا .

فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ يديه فقال : اللهم حَوالينا ولا علينا . قال : فما جعل رسول الله ـ ﷺ ـ يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجَوْبة [1] وسأل الوادى قناةُ شهرا ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حَدَّث بالجوْد » .

ورواه البخارى أيضا فى الجمعة ومسلم من حديث الوليد عن الأوزاعى .

وقال البخارى : وقال أيوب بن سليمان : حدثنى أبو بكر بن أبى أويس ، عن سليمان بن بلال ، قال : قال يحيى بن سعيد : « سمعت أنس بن مالك قال : أتى أعرابى من أهل البدو إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يوم الجمعة فقال : يارسول الله هلكت الماشية ، هلك العيال هلك الناس . فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ يديه يدعو ورفع الناس أيديهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ يدعون . قال : فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا فمازلنا نُمطر حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله بَشَق [2] المسافر ومُنع الطريق » .

قال البخارى : وقال الأوَيْسى ـ يعنى عبد الله ـ : حدثنى محمد بن جعفر ـ هو ابن كثير ـ عن يحيى بن سعيد وشَرِيك ، سمعا أنسا عن النبى ـ ﷺ ـ رفع يديه حتى رأيتُ بياض إبطيه .

هكذا علّق هذين الحديثين ولم يسندهما أحد من أصحاب الكتب الستة بالكلية .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، قال : حدثنا معتمر ، عن عبيد الله ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : « كان النبى ـ ﷺ ـ يخطب يوم جمعة فقام الناس فصاحوا فقالوا : يا رسول الله قحط المطر ، واحمرت الشجر ، وهلكت البهائم ، فادع الله أن يسقينا . فقال : اللهم اسقنا مرتين . وايم الله ما نرى فى السماء قزعة من سحاب ، فنشأت سحابة وأمطرت ، ونزل عن المنبر فصلى .

---

(١) الجوبة . الحفرة المستديرة الواسعة ، أى صار الغيم والسحاب محيطاً بأفاق المدينة .

(٢) بشق : قال فى النهاية : قال ابن دريد : بشق : أسرع مثل بشك . وقيل : معناه تأخر ، وقيل : حبس . وقبل : مل . وقيل : ضعف . وقال الخطابى : بشق ليس بشيء وإنما هو لثق ، من اللثق : الوحل . وكذا هو فى رواية عائشة قالت : فلما رأى لثق الثياب على الناس . . . وقال غيره : إنما هو بالباء ، من بشقت الثوب وبشكته إذا قطعته فى خفة أى قطع بالمسافر . النهاية ١ / ٩٧ .

فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التى تليها ، فلما قام النبى ـ ﷺ ـ يخطب صاحوا إليه : تهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يحبسها عنا . قال : فتبسم رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فتكشطت [1] [عن] المدينة فجعلت تمطر ما حولها ولا تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفى مثل الإكليل » .

وقد رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان ، عن عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدى ، عن حُميد قال : سُئل أنس : « هل كان رسول الله ـ ﷺ ـ يرفع يديه ؟ فقال : قيلَ له يوم جمعة : يا رسول الله قَحِط المطر ، وأجدبت الأرض ، وهلك المال .

قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه فاستسقى ، ولقد رفع يديه فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما نرى فى السماء سحابة ، فما قَضينا الصلاة حتى إن الشاب قريب الدار لَيُهمه الرجوع إلى أهله .

قال : فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا : يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبست الركبان .

فتبسم رسول الله ـ ﷺ ـ من سُرعة مَلالة ابن آدم وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، قال : فتكشطت عن المدينة » .

وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

وقال البخارى وأبو داود واللفظ له : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، وعن يونس بن عُبيد ، عن ثابت ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال : يا رسول الله هلكت الكرَاع [2] ، هلكت الشاء فادع الله يسقينا ، فمد يده ودعا .

---

(١) أ : فتكشفت .

(٢) الكراع : يريد الماشية .

قال أنس : وإن السماء كمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سحابا ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عَزَالِيَها [1] فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه . فتبسم رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال : حوالينا ولا علينا ، فنظرت إلى السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل .

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك لأنها تفيد القطع عن أئمة هذا الشأن .

* * *

وقال البيهقى : بإسناده من غير وجه إلى أبى معمر سعيد بن خثيم الهلالى ، عن مسلم الملائى ، عن أنس بن مالك ، قال : **جاء أعرابى فقال : يا رسول الله والله لقد أتيناك ، وما لنا بعير يسط ولا صبى يَطبح وأنشد :**

أتيناك والعذراء يَدمى لَبانُها ... وقد شُغلت أم الصبى عن الطفل [2]

وألقى بكفيه الفتى لاستكانة ... من الجوع ضعفاً قائما وهو لا يُخلى

ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامى والعلهز الفَسل [3]

وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرارُ الناس إلاّ إلَى الرُّسُلِ

قال : فقام رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مَريئا مَريعا سريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث [4] ، نافعا غير ضار تملأ به الضَّرع ، وتنبت به الزرع ، وتحيى به الأرض [بعد موتها] [5] وكذلك تخرجون .

قال : فوالله ما رد يده إلى نحره حتى ألقت السماء بأوراقها .

---

(١) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) العلهز : نبات أو طعام من الدم والوبر كان يؤكل فى المجاعة . والفسل : المرذول .

(٤) المريع : الخصيب . والغدق : الكثير . والطبق : الذى يغطى وجه الأرض . والرائث : المبطئ .

(٥) من ت .

وجاء أهل البطانة[1] يصيحون : يا رسول الله الغرق الغرق. فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه ثم قال : لله در أبي طالب لو كان حيًا قرَّت عيناه من ينشد قوله ؟

فقام على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهُلاّك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ... ولما نقاتل دونه ونناضل[2]

ونُسلمه حتى نصرَّع حوله ... ونَذْهل عن أبنائنا والحلائل

قال : وقام رجل من بنى كنانة فقال :

لك الحمدُ والحمد ممن شكر ... سُقينا بوجه النبى المطر

دعا الله خالقه دعوة ... إليه وأشخص منه البصر

فلم يكُ إلا كلفٌ الرداء ... وأسرع حتى رأينا الدِّررْ

رقاق العوالى عَمَّ البقاع ... أغاث به الله[3] عليا مُضَر

وكان كما قاله عمُّه ... أبو طالب أبيض ذو غُرَرْ

به الله يَسقى بصوب الغمام ... وهذا العيان كذلك الخبر

فمن يشكر الله يلقى المزيد ... ومن يكفر الله يَلقى الغِيَر

قال : فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن يك شاعر يُحسن فقد أحسنت[4] .

وهذا السياق فيه غرابة ، ولا يشبه ما قدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس ، فإن كان هذا هكذا محفوظا فهو قصة أخرى غير ما تقدم . والله أعلم .

* * *

(١) البطانة : الخارج من المدينة .

(٢) نبزى : نغلب عليه .

(٣) الرقاق : الماء الرفيق . أ : أغاث الله به . وفى المطبوعة : علينا . وهو تحريف .

(٤) ضعيف ضعفه البخارى والنسائى .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهانى ، حدثنا أبو محمد بن حبَّان ، حدثنا عبد الله بن مُصعب حدثنا عبد الجبار ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا محمد بن أبى ذئب المدنى ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحى ، عن أبى وَجزَة يزيد بن عبيد السُّلمى قال : **لما قفل رسول الله - ﷺ - من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزارة فيهم بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن الحصين ، والحُر بن قيس - وهو أصغرهم - ابن أخى عُيينة بن حصن ، فنزلوا فى دار رَملة بنت الحارث من الأنصار ، وقدموا على إبل ضعاف عجاف وهم مُسنتون [1] ، فأتوا رسول الله - ﷺ - مُقرِّين بالإسلام ، فسألهم رسول الله - ﷺ - عن بلادهم قالوا : يا رسول الله ، أسنتت بلادنا ، وأجدبت أحياؤنا ، وعريت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا ، وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك .**

فقال رسول الله - ﷺ - : سبحان الله ، ويلك ! هذا ما شفعت إلى ربى ، فمن ذا الذى يشفع ربُّنا إليه ؟ لا إله إلا الله وَسِع كرسيه السموات والأرض وهو يَئِطُ من عظمته وجلاله كما يئط المرجل الحديد [2] قال رسول الله - ﷺ - : إن الله يضحك من شفقتكم وأزلكم [3] وقُرب غِيَاثكم .

فقال الأعرابى : ويضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال الأعرابى : لن نعدم يا رسول الله من ربٍ يضحك خيراً . فضحك رسول الله - ﷺ - من قوله .

فقام رسول الله - ﷺ - فصعد المنبر وتكلم بكلام ورفع يديه ، وكان رسول الله - ﷺ - لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء إلا فى الاستسقاء - ورفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه .

وكان مما حُفظ من دعائه : اللهم اسق بلدك وبهائمك ، وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار ، اللهم سُقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

فقام أبو لُبابة بن عبد المنذر فقال : يا رسول الله إن التمر فى المرابد ، فقال رسول الله :

---

(١) مسنتون : أصابتهم السنة وهى الجدب .

(٢) المطبوعة : الرجل الجديد . وهو تحريف .

(٣) الأزل : الشدة .

اللهم اسقنا . فقال أبو لبابة : التمر فى المرابد . ثلاث مرات ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب[1] مِربَده بإزاره .

قال : فلا والله ما فى السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل التُرس ، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت ، فوالله ما رأوا الشمس ستًا .

وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مِربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه .

فقال رجل : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل . فصعد النبى ـ ﷺ ـ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئى بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر ، فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب[2] .

وهذا السياق يشبه سياق مسلم المُلائى عن أنس ، ولبعضه شاهد فى سنن أبى داود ، وفى حديث أبى رَزِين العُقَيلى شاهد لبعضه والله أعلم .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن على ابن المؤمل ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حاتم ، حدثنا محمد بن حماد الظهرانى ، أخبرنا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسِّدى بن عبدويه ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى أويس المدنى ، عن عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبى لبابة بن عبد المنذر الأنصارى قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة وقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا . فقام أبو لُبابة فقال : يا رسول الله إن التمر فى المرابد ، وما فى السماء من سحاب نراه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا .

فقام أبو لبابة فقال : يا رسول الله إن التمر فى المرابد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا ، حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلب مِربده بإزاره . فاستهلت السماء ومطرت ، وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى [القوم] أبا لبابة يقولون له : يا أبا لبابة ، إن

(١) الثعلب : الجحر يخرج منه ماء المطر من الجرين .

(٢) ضعيف لأجل مروان بن معاوية .

السماء والله لن تُقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربدة بإزاره ، فأقلعت السماء .

وهذا إسناد حسن ولم يروه أحمد ولا أهل الكتب . والله أعلم .

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق ، كما قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة .

فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستتقطع ، حتى إن كان أحدُنا ليذهب فيلتمس الرَّحل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستتقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فَرْثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده.

فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عَوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، فقال : أو تحب ذلك ؟ قال : نعم .

قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعها حتى قالت السماء فأطلت [1] ، ثم سكبت فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر [2] .

وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه .

وقد قال الواقدي : كان مع المسلمين في هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ومثلها من الخيل ، وكانوا ثلاثين ألفا من المقاتلة . قال : ونزل من المطر ماء أغدق الأرض حتى صارت الغُدران تسكب بعضها في بعض ، في ذلك في حمارة القيظ [3] أي شدة الحر البليغ ، فصلوات الله وسلامه عليه .

وكم له عليه السلام من مثل هذا في غير ما حديث صحيح ولله الحمد .

---

(١) أطلت : أمطرت مطرا خفيفا .

(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣٨٣) .

(٣) الأصل : حمأة . وهو تحريف .

وقد تقدم أنه لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلط الله عليها سَبعاً كسبع يوسف فأصابتهم سنة حَصت[1] كل شيء حتى أكلوا العظام والكلاب والعِلهز ، ثم أتى أبو سفيان يَشفع عنده فى أن يدعو الله لهم ، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم .

وقد قال البخارى : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى عبد الله بن المثنّى ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك ، أن عمر ابن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[2] قال : فيُسقون .**

تفرد به البخارى .

* * * *

(١) حصت : أهلكت . من الحص وهو الحلق .

(٢) ليست فى أ .

فصل

وأما العجزات الأرضية :

فمنها ما هو متعلق بالجمادات ، ومنها ما هو متعلق بالحيوانات .

فمن المتعلق بالجمادات : تكثيره الماء في غير ما موطن على صفات متنوعة ، سنوردها بأسانيدها إن شاء الله ، وابتدأنا بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقائه وإجابة الله له .

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : **رأيت رسول الله - ﷺ - وحانت[1] صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه .**

فأتى رسول الله - ﷺ - بوضوء فوضع رسول الله - ﷺ - يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن مالك به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حَزم ، سمعت الحسن يقول : حدثنا أنس بن مالك أن **رسول الله - ﷺ - خرج ذات يوم لبعض مخارجه معه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة ، فلم يجد القوم ما يتوضؤون به ، فقالوا : يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به . ورأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك ، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير ، فأخذ نبى الله فتوضأ منه ، ثم مدَّ أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : هلموا فتوضؤوا . فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء .**

قال الحسن : سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين[2] .

---

(١) أ : وكانت .

(٢) حسن صحيح . وبإسناد البخارى صحيح .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الرحمن بن المبارك العَنسي ، عن حَزم بن مهران القَطِيعي به .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عَدي ، عن حُميد ويزيد قال : أخبرنا حميد المعنى ، عن أنس بن مالك قال : **نودي بالصلاة فقام كل قريب الدار من المسجد وبقي من كان [أهله] [١] نائي الدار ، فأتي رسول الله ـ ﷺ ـ بمخضب [٢] من حجارة فصغُر أن يبسط كفَّه فيه ، فضم أصابعه قال : فتوضأ بقيتهم .**

قال حميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة [٣] .

وقد روى البخاري عن عبد الله بن منير ، عن يزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس ابن مالك قال : **حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم ، فأتي رسول الله ـ ﷺ ـ بمخضب من حجارة فيه ماء فوضع كفه ، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه ، فضم أصابعه فوضعها في المخضب فتوضأ القوم كلهم جميعا .**

قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثمانين رجلا .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد إملاء ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ **كان بالزوراء** [٤] **فأتي بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضؤوا فوضع كفه في الماء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم ، قال : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .**

وهكذا رواه البخاري عن بندار ، عن ابن عَدي . ومسلم عن أبي موسى ، عن غُندر كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة . وبعضهم يقول : عن شعبة ، والصحيح سعيد عن قتادة

---

(١) ليست في أ .

(٢) المخضب : إناء يغسل فيه .

(٣) (صحيح) متفق عليه البخاري ٣٥٧٦ و مسلم ٢٢٧٩ .

(٤) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد .

عن أنس ، قال : **أتى رسول الله ـ ﷺ ـ بإناء وهو فى الزّوراء فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم .**

قال قتادة : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة .

لفظ البخارى .

حديث البراء بن عازب فى ذلك

قال البخارى : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : **كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة .**

فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ على شَفير البئر فدعا بماء ، فمضمض ومج فى البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا ، وروت أو صدرت رِكابنا .

تفرد به البخارى إسناداً ومتناً .

حديث آخر عن البراء بن عازب

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان وهاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، حدثنا يونس ـ هو ابن عُبيدة مولى محمد بن القاسم ـ عن البراء قال : **كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى سفر فأتينا على ركى [1] ذَمّة ، يعنى قليلة الماء . قال : فنزل فيها ستة أناس أنا سادسهم [ومعهم] [2] ماحَة [3] فأدليت إلينا دلو قال : ورسول الله ـ ﷺ ـ على شفا الرُّكى فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

قال البراء : فكِدْت [4] بإنائى هل أجد شيئا أجعله فى حَلقى ؟ فما وجدت . فرفعت الدلو إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فغمس يده فيها ، فقال : ما شاء الله أن يقول وأعيدت إلينا الدلو بما فيها .

---

(١) الركى : البئر .

(٢) من مسند أحمد . الفتح الربانى ٢٢ / ٦٢ .

(٣) الماحة : جمع مائح وهو الذى ينزل فى البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده .

(٤) كدت : احتلت وبالغت فى طلب الماء .

قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق . قال : ثم ساحت ، يعنى جرت نهراً [1] .

تفرد به الإمام أحمد ، وإسناده جيد قوى ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم [2] .

حديث آخر عن جابر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا سنَان بن حاتم ، حدثنا جعفر - يعنى ابن سليمان - حدثنا الجعد أبو عثمان ، حدثنا أنس بنَ مالك ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : **اشتكى أصحاب رسول الله - ﷺ - إليه العطش . قال : فدعا بعُس [3] فصُب فيه شيء من الماء ، ووضع رسول الله - ﷺ - فيه يده وقال : استقُوا . فاستقى الناس قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم** [4] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وفى أفراد مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبى حَزرة يعقوب بن مجاهد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله فى حديث طويل قال فيه : **سِرنا مع رسول الله - ﷺ - حتى نزلنا واديا أفيح ، فذهب رسول الله - ﷺ - يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله - ﷺ - إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : انقادى علىّ بإذن الله . فانقادت معه كالبعير المخشوش [5] الذى يصانع قائده ، حتى أتى الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادى علىّ [بإذن الله] فانقادت معه [كذلك] حتى إذا كان بالمَنْصَف مما بينهما لأم بينهما - يعنى جمعهما - فقال : التئما علىّ بإذن الله . فالتأمتا .**

قال جابر : فخرجت أحضِر [6] مخافة أن يحس رسول الله بقربى فيبتعد ، فجلست

(١) (صحيح) المسند ١٨٥٢٩ .

(٢) من ت .

(٣) العس : القدح الضخم .

(٤) (حسن) الإسناد .

(٥) المخشوش : الذى وضع له الخشاش ، وهو عود يجعل فى فم البعير لينقاد بسهولة .

(٦) أحضر : أعدو .

أحدّث نفسي فحالت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله ـ ﷺ ـ وإذا بالشجرتين قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله وقف وقفة فقال برأسه هكذا : يمينا وشمالا ، ثم أقبل . فلما انتهى إليّ قال : يا جابر هل رأيت مقامي ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنا فأقبل بهما ، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن شمالك .

قال جابر : فقمت فأخذت حجرا فكسرته وحدّدته فانذلق [١] لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا ، ثم أقبلت حتى قمت مقام رسول الله ـ ﷺ ـ أرسلت غصنا عن يمني وغصنا عن يساري ، ثم لحقت فقلت :قد فعلت يا رسول الله .

قال : فقلت : فلم ذاك ؟ قال : إني مررت بقبرين يعذّبان ، فأحببت بشفاعتي أن يرفع [٢] ذلك عنهما ما دام الغصنان رَطبين .

قال : فأتينا العسكر فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يا جابر ناد : الوضوء . فقلت : ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء ؟

قال : قلت : يا رسول الله ما وجِدت في الرُكب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله في أشجاب [٣] له على حِمارة [٤] من جريد .

قال : فقال لي : انطلق إلى فلان الأنصاري فانظرها هل ترى في أشجابه من شيء .

قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عَزْلاء [٥] شَجب منها لو أني أفرغته لشربه يابسُه ، فأتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عَزْلاء شَجب منها لو أني أفرغته لشربه يابسه . قال : اذهب فأتني به .

فأتيته فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وغمزني بيده ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة . فقلت : ياجفنة الرُكب . فأتيت بها تُحمل ، فوضعتها بين يديه ، فقال رسول

(١) (صحيح) مسلم : وحسرته فانذلق . وانذلق : صار محددا .
(٢) (صحيح) مسلم : أن يرفه .
(٣) الأشجاب : جمع شجب ، وهو سقاء يقطع نصفه فيتخذ دلوا .
(٤) الحمارة : أعواد تعلق عليها الأسقية .
(٥) العزلاء : مصب الماء من الراوية .

الله بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : خذ يا جابر فصُبَّ عليَّ وقل : بسم الله . فصببت عليه وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله - ﷺ - ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ، فقال : يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء .

قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ، فقلت : هل بقى أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله - ﷺ - يده من الجفنة وهى مَلأى .

قال : وشكا الناس إلى رسول الله - ﷺ - الجوع ، فقال عسى الله أن يطعمكم . فأتينا سيف البحر فزجر[1] زَجرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فطبخنا واشتوينا وأكلنا وشبعنا .

قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان وفلان ، حتى عد خمسة فى مَحاجر عينها ما يرانا أحد : حتى خرجنا وأخذنا ضِلعا من أضلاعها فقوّسناه ، ثم دعونا بأعظم رجل[2] فى الرُّكب وأعظم جمل فى الركب وأعظم كِفل[3] فى الركب ، فدخل تحتها ما يُطأطئ رأسه .

* * *

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا حصين ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى - ﷺ - بين يديه ركوة يتوضأ فجهش الناس نحوه .

قال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك . فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا .

قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وهكذا رواه مسلم من حديث حُصين ، وأخرجاه من حديث الأعمش .

زاد مسلم : وشعبة ثلاثتهم عن سالم بن جابر ، وفى رواية الأعمش : كنا أربع عشرة مائة .

---

(١) زجر : امتلأ . وفى صحيح مسلم : فزخر بالخاء .

(٢) الأصل : جمل . وما أثبته عن مسلم .

(٣) الكفل : شيء مستدير يتخذ من خرق يوضع على سنام البعير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى [بن حماد] حدثنا أبو عَوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن شقيق العَبدى أن جابر بن عبد الله قال : **غزونا أو سافرنا مع رسول الله - ﷺ - ونحن يومئذ بضع عشرة ومائتان فحضرت الصلاة ، فقال رسول الله - ﷺ - : هل فى القوم من ماء ؟ فجاءه رجل يسعى بإداوة فيها شىء من ماء . قال : فصبه رسول الله - ﷺ - فى قدح .**

قال : فتوضأ رسول الله - ﷺ - فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركِب الناس القدح تمسحوا وتمسحوا .

فقال رسول الله - ﷺ - : على رِسلكم حين سمعهم يقولون ذلك .

قال : فوضع رسول الله - ﷺ - كفه فى الماء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله ، ثم قال . أسبغوا الوضوء .

قال جابر : فوالذى ابتلانى ببصرى ! لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابع رسول الله - ﷺ - فما رفعها حتى توضؤوا أجمعون .

وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد وظاهره كأنه قصة أخرى غير ما تقدم .

وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوَع قال : **قدِمنا الحديبية مع رسول الله - ﷺ - ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك وعليها خمسون رأسا لا ترويها ، فقعد رسول الله على الركِية فإما دعا وإما بصق فيها . قال : فجاشت فسُقينا واستقينا .**

وفى صحيح البخارى من حديث الزهرى ، عن عروة ، عن المسوَر ومروان بن الحكم فى حديث صلح الحديبية الطويل . فعدل عنهم رسول الله - ﷺ - حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمد [١] قليل الماء يتبرضه تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله - ﷺ - العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّى حتى صدروا عنه .

وقد تقدم الحديث بتمامه فى صلح الحديبية [٢] ، فأغنى عن إعادته .

---

(١) الثمد : الماء القليل . ويتبرضه : يأخذون منه قليلا قليلا .

(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

وروى ابن إسحاق عن بعضهم أن الذى نزل بالسهم ناجية بن جُندَب سائق البُدن قال : وقيل : البراء بن عازب . ثم رجَّح ابن إسحاق الأول .

حديث آخر عن ابن عباس فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين الأشقر ، حدثنا أبو كدَينة ، عن عطاء ، عن أبى الضُّحى ، عن ابن عباس : **أصبح رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم وليس فى العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ليس فى العسكر ماء . قال : هل عندك شىء ؟قال : نعم ، قال : فأتنى .**

قال : فأتاه بإناء فيه شىء من ماء قليل ، قال : فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ أصابعه على فم الإناء وفتح أصابعه ،قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون ، وأمر بلالا فقال : ناد فى الناس : الوضوء المبارك (١) .

تفرد به أحمد ، ورواه الطبرانى من حديث عامر الشَّعبى عن ابن عباس بنحوه .

حديث عن عبد الله بن مسعود فى ذلك

قال البخارى حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نعدُّ الآياتُ بركة وأنتم تعدونها تخويفا .

كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى سفر فقلَّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : حَى على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل .

قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ـ ﷺ ـ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

ورواه الترمذى عن بندار عن ابن أحمد وقال : حسن صحيح .

حديث عن عمران بن حُصين فى ذلك

قال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا مسلم بن زيد ، سمعت أبا رجاء قال :

---

(١)(ضعيف) الإسناد فيه عطاء بن السائب .

حدثنا عمران بن حُصين ، أنهم كانوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى مَسير فأدلجوا ليلتهم ، حتى إذا كان وجه الصبح عَرَّسوا فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر ، وكان لا يوقظ رسول الله ـ ﷺ ـ من منامه حتى يستيقظ ، فاستيقظ عمر ، فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبر ويرفع حتى استيقظ النبى ـ ﷺ ـ فنزل وصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا .

فلما انصرف قال : يا فلان ما يمنعك أن تصلى معنا ؟ قال : أصابتنى جنابة . فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى .

وجعلنى رسول الله ـ ﷺ ـ فى ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير مع رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نحن بامرأة سادلة [1] رجليها بين مزادتين فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : إنه لا ماء . فقلنا : كم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة . فقلنا : انطلقى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ . قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبى ـ ﷺ ـ فحدثته بمثل الذى حدثتنا ، غير أنها حدثته أنها مُوتمة [2] فأمر بمزادتيها فمسح فى العزلاوين فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا ، وملأنا كل قربة معنا وإداوة ، غير أنه لم نَسْق بعيرا ، وهى تكاد تفضى من الملء ، ثم قال : هاتوا ماعندكم . فجمع لها من الكِسَر والتمر حتى أتت أهلها ، قالت : أتيت أسحر الناس أو هو نبى كما زعموا ، فهدى الله ذاك الصِّرم [3] بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا .

وكذلك رواه مسلم من حديث سلم بن رَزين ، وأخرجاه من حديث عوف الأعرابى ، كلاهما عن رجاء العُطَاردى ـ واسمه عمران بن تيم ـ عن عمران بن حصين به .

وفى رواية لهما فقال لها : اذهبى بهذا معك لعيالك ، واعلمى أنا لم نَرْزأك من مائك شيئا غير أن الله سقانا . وفيه أنه لما فتح العَزلاوين سمى الله عز وجل .

حديث عن أبى قتادة فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن

---

(١) سادلة : ملقية . (٢) مؤتمة : لها أولاد يتامى . (٣) الصرم : الطائفة من البيوت .

عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، قال : كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في سفَر فقال : إنكم إن لا تدركوا الماء غدا تعطشوا . وانطلق سُرعان (١) الناس يريدون الماء ، ولزمت رسول الله ـ ﷺ ـ ، فمالت برسول الله ـ ﷺ ـ راحلته فنعس رسول الله ـ ﷺ ـ فدعَمته فادعم ، ثم مال حتى كاد أن ينْجَفل (٢) عن راحلته فدعمته فانتبه فقال : من الرجل ؟ فقلت : أبو قتادة ، قال : منذ كم كان مسيرك ؟ قلت : منذ الليلة ، قال : حَفِظك الله كما حفظت رسوله .

ثم قال : لو عَرسنا . فمال إلى شجرة فنزل فقال (٣) انظر هل ترى أحداً ؟ قلت : هذا راكب ، هذان راكبان ، حتى بلغ سبعة . فقال : احفظوا علينا صلاتنا ، فنمنا فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس ، فانتبهنا فركب رسول الله ـ ﷺ ـ فسار وسرنا هُنَيهة ، ثم نزل فقال : أمعكم ماء ؟ قال : قلت : نعم معي مِيضأة فيها شيء من ماء ، قال : ائت بها . قال : فأتيته بها فقال : مَسُّوا منها مسوا منها . فتوضأ القوم وبقيت جرعة فقال : ازدهر (٤) بها يا أبا قتادة فإنه سيكون لها نبأ .

ثم أذن بلال وصلوا الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر ، ثم ركب وركبنا ، فقال بعضهم لبعض : فرطنا في صَلاتنا . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ما تقولون ؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم ، وإن كان أمر دينكم فإليَّ . قلنا : يارسول الله فرَّطنا في صلاتنا . فقال : لا تفريط في النوم ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا كان ذلك فصلوها ومن الغد وقتها ، ثم قال : صلُّوا بالقوم ، قالوا : إنك قلت بالأمس : إن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا ، فالناس بالماء .

قال : فلما أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم ، فقال بعضهم لبعض: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء . وفي القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيها الناس إن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن ليسبقكم إلى الماء ويخلفكم ، وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يَرْشُدوا ، قالها ثلاثا .

فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : يا رسول الله هلكنا عطشا ، انقطعت الأعناق ، فقال : لاهُلْك عليكم ، ثم قال : ياأبا قتادة ائت بالميضأة . فأتيته بها، فقال :

---

(١) السرعان : المسرعون .
(٢) ينجفل : يزول .
(٣) أ : فنظر ثم قال .
(٤) ازدهر : احتفظ .

احلُل لى غُمرى ـ يعنى قدَحه ـ فحلَلْته فأتيته به ، فجعل يصب فيه ويسقى الناس ، فازدحم الناس عليه فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ياأيها الناس أحسنوا المَلْء ، فكلكم سَيصْدُر عن رى .

فشرب القوم حتى لم يبق غيرى وغير رسول الله ـ ﷺ ـ فصب لى فقال : اشرب يا أبا قتادة . قال : قلت : اشرب أنت يارسول الله . قال : إن ساقى القوم آخرهم . فشربت وشرب بعدى وبقى فى الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلاثمائة .

قال عبد الله : فسمعنى عِمران بن حُصين وأنا أحدّث هذا الحديث فى المسجد الجامع فقال : من الرجل ؟ قلت : أنا عبد الله بن رباح الأنصارى ، قال : القوم أعلم بحديثهم ، انظر كيف تحدّث فإنى أحد السبعة تلك الليلة . فلما فرغت قال : ما كنت أحسب أحداً يحفظ هذا الحديث غيرى .

قال حماد بن سلمة : وحدثنا حُميد الطويل ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة الموصلى ، عن النبى ـ ﷺ ـ بمثله . وزاد : قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا عرّس وعليه ليل توسد يمينه ، وإذا عرّس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده (1) .

وقد رواه مسلم عن شيبان بن فَرُّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة الحارث بن ربعى الأنصارى بطوله وأخرج من حديث حماد ابن سلَمة بسنده الأخير أيضا .

حديث آخر عن أنس يشبه هذا

روى البيهقي من حديث الحافظ أبى يَعْلى الموصلى ؛ حدثنا شيبان ، حدثنا سعيد بن سليمان الضبَّعى حدثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ جهز جيشا إلى المشركين فيهم أبو بكر ، فقال لهم : جدوا السير فإن بينكم وبين المشركين ماء إن يسبق المشركون إلى ذلك الماء شق على الناس وعطشتم عطشا شديداً أنتم ودوابكم .

قال : وتخلف رسول الله ـ ﷺ ـ فى ثمانية أنا تاسعهم ، وقال لأصحابه : هل لكم أن نُعرّس قليلا ثم نلحق بالناس ؟ قالوا : نعم يا رسول الله .

---

(1) (صحيح) المسند ٢٢٤٤٥ .

فعرَّسوا فما أيقظهم إلا حَرُّ الشمس ، فاستيقظ رسول الله ـ ﷺ ـ واستيقظ أصحابه ، فقال لهم : تقدموا واقضوا حاجاتكم . ففعلوا ثم رجعوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لهم : هل مع أحد منكم ماء ؟ قال رجل منهم : يا رسول الله معي ميضأة فيها شيء من ماء . قال : فجيء بها ، فأخذها نبي الله ـ ﷺ ـ فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها وقال لأصحابه تعالوا فتوضؤوا ، فجاؤوا وجعل يصب عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ حتى توضؤوا كلهم ، فأذن رجل منهم وأقام فصلى رسول الله ـ ﷺ ـ لهم وقال لصاحب الميضأة : ازدهر بميضأتك فسيكون لها شأن .

وركب رسول الله ـ ﷺ ـ قبل الناس وقال لأصحابه : ما ترون الناس فعلوا ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم . فقال لهم : فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس .

فقدم الناس وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء ، فشق ذلك على الناس وعطشوا عطشا شديدا رِكابهم ودوابهم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أين صاحب الميضأة ؟ قالوا : هو هذا يا رسول الله . قال : جئنى بميضأتك ، فجاء بها وفيها شيء من ماء ، فقال لهم : تعالوا فاشربوا ، فجعل يصب لهم رسول الله ـ ﷺ ـ حتى شرب الناس كلهم وسقوا دوابهم وركابهم ، وملؤوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومزادة .

ثم نهض رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المشركين ، فبعث الله ريحا فضرب وجوه المشركين وأنزل الله نصره وأمكن من أدبارهم فقتلوا مقتلة عظيمة ، وأسروا أسارى كثيرة، واستاقوا غنائم كثيرة ، ورجع رسول الله ـ ﷺ ـ والناس وافرين صالحين [1] .

وقد تقدم قريبا عن جابر ما يشبه هذا وهو فى صحيح مسلم .

* * * *

وقدمنا فى غزوة تبوك ما رواه مسلم من طريق مالك ، عن أبى الزبير ، عن أبى الطُّفَيل عن معاذ بن جبل ، فذكر حديث جمع الصلاة فى غزوة تبوك إلى أن قال : وقال ـ يعنى رسول الله ـ ﷺ ـ : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحى ضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى .

---

(١) (ضعيف الإسناد) فيه سعيد بن سليمان الضبعى .

قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشِّرَاك تَبِضُّ بشيء ، فسألهما رسول الله ـ ﷺ ـ : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم . فسبَّهما وقال لهما : ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شىء ، ثم غسل رسول الله ـ ﷺ ـ وجهه ويديه ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد مُلئ جِنَانا .

وذكرنا فى باب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن زياد بن نعيم الحضرمى ، عن زياد بن الحارث الصُّدائى فى قصة وفادته . فذكر حديثا طويلا فيه ، ثم قلنا : يا رسول الله إن لنا بئرا إذا كان الشتاء وَسِعنا ماؤها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قَلَّ ماؤها فتفرقنا على مياه حَولنا ، وقد أسلمنا ، وكل من حولنا عدوٌّ ، فادع الله لنا فى بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق . فدعا بسبع حصيات ففركهن بيده ودعا فيهن ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا الله عز وجل . قال الصُّدَائى . ففعلنا ما قال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها ـ يعنى البئر ـ .

وأصل هذا الحديث فى المسند وسنن أبى داود والترمذى وابن ماجة . وأما الحديث طوله ففى دلائل النبوة للبيهقى ـ رحمه الله ـ[1] .

وقال البيهقى :

* * * *

(١) (ضعيف) فيه ابن زياد بن أنعم قال فيه أحمد : منكر الحديث .

باب
ما ظهر فى البئر التى كانت بقباء من بركته

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى ، حدثنا أبو حامد بن الشَّرْقى ، أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، أخبرنا أبى ، حدثنى إبراهيم بن طهمان ، عن يحيى بن سعيد ، أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك ، قال : **فدللته عليها ، فقال : لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حماره فينزح، فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ وأمر بذَنُوب فسُقى فإما أن يكون توضأ منه وإما أن يكون تفَل فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ، قال : فما نُزحت بعدُ . قال : فرأيته بالَ ثم جاء فتوضأ ومسح على جنبه ثم صلى** [1] .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن مثّنى ، عن أبيه ، عن ثُمامة ، عن أنس قال : أتىَ رسول الله ـ ﷺ ـ فنزلنا فسقيناه من بئر لنا فى دارنا كانت تسمى النَّزُور فى الجاهلية ، فتفل فيها فكانت لا تنُزح بعد .

ثم قال : لا نعلم هذا يروى إلا من هذا الوجه .

*****

باب تكثيره ـ عليه السلام ـ الأطعمة
للحاجة إليها فى غير ماموطن كما سنورده مبسوطا
تكثيره اللبن فى مواطن أيضاً

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا عمر بن ذر ، عن مجاهد ، أن أبا هريرة كان يقول : **والله إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ـ عز وجل ـ ، ما سألته إلا ليَستتبعنى فلم يفعل ، فمر عمر ـ رضى الله عنه ـ فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل .**

---

(١) (حسن الاسناد).

فمر أبو القاسم ـ ﷺ ـ فعرف ما في وجهي وما في نفسي ، فقال : أبا هريرة ، قلت له : لبيك يا رسول الله ، فقال : الحقْ . واستأذنتُ فأذِن لي فوجدت لبنا في قدَح ، قال .من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان .

قال أبا هرّ . قلت : لبيْك يا رسول الله . قال :انطلق إلى أهل الصُّفة فادعهم لي. قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهلٍ ولا مال ، إذا جاءت رسول الله ـ ﷺ ـ هديةٌ أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يُصِبْ منها .

قال : وأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شَرْبة أتقوّى بها بقية يومي وليلتي ، وقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم . وقلت : ما يَبْقَى لي من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدّ .

فانطلقتُ فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذِن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال : أبا هِرّ خذ فأعطِهم . فأخذت القدحَ فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح ،حتى أتيت على آخرهم ، ودفعت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضْلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلي وتبسّم وقال : أبا هِر . فقلت : لبيك رسول الله . قال : بقيتِ أنا وأنت . فقلت : صدقت يا رسول الله. قال :فاقعد فاشرب .

قال : فقعدت فشربت ، ثم قال لي : اشرب فشربت ، فما زال يقول لي : اشرب فأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له فيَّ مَسْلكا . قال : ناولني القدح ، فرددْت إليه القدحَ فشرب من الفضْلة (١) .

ورواه البخاري عن أبي نعيم وعن محمد بن مقاتل ، عن عبد الله بن المبارك وأخرجه الترمذي عن عبَّاد بن يونس بن بُكَير ، ثلاثتهم عن عمر بن ذَرٍ . وقال الترمذي : صحيح

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن زرّ ، عن ابن مسعود قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي مُعَيط ، فمر بي رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو بكر فقال : يا غلام هل من لبن ؟ قال : فقلت : نعم ولكن مؤتمن . قال : فهل من شاة لم يَنْزُ عليها الفحل ؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه في إناء ، فشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : اقْلص .

(١) (صحيح) المسند ١٠٦٢٧ .

فقَلص ، قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول . قال : فمسح رأسى وقال : ياغلام يرحمك الله ، فإنك عليم مُعلَّم (١) .

ورواه البيهقى من حديث أبى عَوانة ، عن عاصم ، بن أبى النَّجُود ، عن زرّ عن ابن مسعود ، وقال فيه : **فأتيته بعَناق جذعة فاعتقلها ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ، وأتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ، ثم قال للضرع : اقلصُ . فقلص فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال : إنك غلام معلم فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بَشر** (٢) .

وتقدم فى الهجرة (٣) حديث أم مَعبد وحَلْبه ـ عليه السلام ـ شاتها ، وكانت عجفاء لا لبن لها ، فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها .

وتقدم فى ذكر من كان يخدمه (٤) من غير مواليه ـ عليه السلام ـ المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذى كان قد جاء لرسول الله ـ ﷺ ـ ، ثم قام فى الليل ليذبح له شاة ، فوجد لبناً كثيراً فحلب ماملأ منه إناء كبيراً جداً . الحديث .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا زُهير ، عن أبى إسحاق ، عن ابنة خُبَاب أنها أتت رسول الله ـ ﷺ ـ بشاة فاعتقلها وحلبها ، فقال : ائتنى بأعظم إناء لكم ، فأتيناه بجَفْنة العجين ، فحلب فيها حتى ملأها ، ثم قال : اشربوا أنتم وجيرانكم .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أخبرنا إسمعيل بن محمد الصفَّار ، أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق ، حدثنا عصمة بن سليمان الخرَّاز ، حدثنا خلَف ابن خليفة عن أبى هاشم الرُّمانى ، عن نافع ـ وكانت له صُحْبة ـ قال : كُنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى سفر وكنا زهاء أربعمائة ، فنزلنا فى موضع ليسَ فيه ماء ، فشق ذلك على أصحابه وقالوا : رسولُ الله ـ ﷺ ـ أعلم .

قال : فجاءت شُوَيهة لها قرنان فقامت بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ فحلبها فشرب حتى روى وسقى أصحابه حتى رووا .

---

(١) (حسن الإسناد).
(٢) (حسن الاسناد) المسند ٤٤١٢ .
(٣) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .
(٤) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .

ثم قال : يا نافع املكها الليلة وما أراك تملكها .

قال : فأخذتها فوتدت لها وتداً ثم ربطتها بحبل ، ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحا ، فجئت رسول الله فأخبرته من قبل أن يسألنى فقال : يا نافع ذهب بها الذى جاء بها .

قال البيهقى : ورواه محمد بن سعد ، عن خلف بن الوليد ـ أبى الوليد الأزدى ـ عن خلف بن خليفة ، عن أبان .

وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتنا .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو سعيد المالينىّ ، أخبرنا أبو أحمد بن عدى ، أخبرنا ابن العباس بن محمد بن العباس ، حدثنا أحمد بن سعيد بن أبى مريم ، حدثنا أبو حفص الرياحى ، حدثنا عامر بن أبى عامر الخراز ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سعد ـ يعنى مولى أبى بكر ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إحلب لى تلك العنز .

قال : وعهدى بذلك الموضع لا عنز فيه . قال : فأتيت فإذا العنز حافل ، قال فاحتلبتُها واحتفظتُ بالعنز وأوصَيْتُ بها .

قال : فاشتغلنا بالرِّحلة ففُقدت فقلت : يا رسول الله ، قد فقدت العنز . فقال : إن لها ربّا [1] .

وهذا أيضاً حديث غريب جداً إسناداً ومتنا وفي إسناده من لا يعرف حاله .

وسيأتى حديث الغزالة فى قسم ما يتعلق من المعجزات بالحيوانات .

تكثيره ـ عليه السلام ـ السَّمن لأم سُليم

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا شيبان ، حدثنا محمد بن زياد البُرْجُمى ، عن أبى طَلاَل عن أنس ، عن أمه قال : **كانت لها شاة فجمعت من سمنها فى عُكَة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت : يا ربيبة أبلغى هذه العكة رسول الله ـ ﷺ ـ يأتدم بها .**

فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : يا رسول الله : هذه [عكة] سمن بعثت بها إليك أم سليم .

---

(١) ضعيف .

قال : أفرغوا لها عكتها . ففرغت العكة فَدُفِعت إليها فانطلقت بها وجاءت وأمُّ سليم ليست في البيت ، فَعَلَّقت العكة على وتد ، فجاءت أم سُليم فرأت العكة ممتلئةً تَقْطُر ، فقالت أمُّ سُلَيْم : يا ربيبةُ أليسَ أمرْتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت، فإن لم تصدِّقيني فانطلقي فسلي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فانطلقت ومعها ربيبة فقالت : يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال : قد فعلت ، قد جاءت . قالت : والذى بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تَقْطُر سمنا.

قال : فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ : يا أم سليم أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمتِ نبيه ؟ كلي وأطعمي .

قالت : فجئت إلى البيت فقسمت في قَعْب لنا وكذا وكذا ، وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين (١) .

حديث آخر في ذلك

قال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدثنا عباس الدُّوري ، حدثنا علي ابن بحر القَطَّان حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم الرماني ، عن يوسف بن خالد ، عن أوس بن خالد ، عن أم أوس البَهْزية قالت : سلَيْت سمناً لي فجعلته في عُكة فأهديته لرسول الله فقبله وترك في العكة قليلا وَنفخ فيها ودعا بالبركة ثم قال : رُدوا عليها عكتها فردوها عليها وهي مملوءة سمنا .

قالت : فظننت أن رسول الله لم يَقْبلها فجاءت ولها صراخ ، فقالت : يا رسول الله إنما سليته لك لتأكله . فعلم أنه قد استجيب له .

فقال : اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة ، فأكلتْ بقيةَ عمر النبي ـ ﷺ ـ وولاية أبي بكر وولاية عمرو ولاية عثمان ، حتى كان من أمر علي ومعاوية ما كان (٢) .

حديث آخر

روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن

(١) (ضعيف جداً) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ .
(٢)(ضعيف جداً) فيه يوسف بن خالد كذبه ابن معين .

بُكير ، عن عبد الأعلى بن المسْوَر القرشي ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دَوْسَ يقال لها : أم شَريك ، أسلمت في رمضان فذكر الحديث في هجرتها وصحبة ذلك اليهودي لها ، وأنها عطَشت فأبى أن يسقيها حتى تهوَّد ، فنامت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي ريانة .

فلما جاءت رسول الله قصت عليه القصة ، فخطبها إلى نفسها فرأت نفسها أقل من ذلك وقالت . بل زوجني من شئت . فزوجها زيداً وأمر لها بثلاثين صاعاً ، وقال : كلُوا ولا تكيلوا . وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله ، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ، ففُرِّغت ، وأمرها رسول الله إذا ردتها أن تعلقها ولا تُوكئها ، فدخلت أم شريك فوجدتها مَلأى .

فقالت للجارية : ألم آمرك أن تذهبي بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت ، فذكروا ذلك لرسول الله فأمرهم ألا يوكئوها ، فلم تزل حتى أوْكأتها أمُّ شريك ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء .

حديث آخر في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن أم مالك البَهْزية كانت تُهدى في عكة لها سمنا للنبي - ﷺ - ، فبينما بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شيء فعمدت إلى نِحْيها (١) التي كانت تهدى فيه إلى النبي - ﷺ - فقال : أعصرتيه ؟ : نعم . قال : لو تركتيه ما زال ذلك مقيما (٢) .

ثم روى الإمام أحمد بهذا الإسناد عن جابر ، عن النبي - ﷺ - أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شِطر وَسْق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته وضيف لهم حتى كالوه ، فقال رسول الله - ﷺ - لو لم تكيلوه لأكلتم فيه ولقام لكم (٣) .

وقد روى هذين الحديثين مسلم من وجه آخر ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

---

(١) النحى : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة . وفي المطبوعة : عكتها .
(٢) (ضعيف الاسناد) لكن متن الحديث صحيح كما في صحيح مسلم كتاب الفضائل .
(٣) (ضعيف الاسناد) فيه ابن لهيعة .

ذكر ضيافة أبى طلحة الأنصارى رسول الله ـ ﷺ ـ
وما ظهر فى ذلك اليوم من دلالات النبوة فى تكثير الطعام النَّزْر
حتى عمَّ من هنالك من الضِّيفان وأهل المنزل والجيران

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك يقول :

قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوت رسول الله ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خِمَاراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدى ولا ثتنى [1] ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ـ ﷺ ـ فى المسجد معه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم : قال بطعام ؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لمن معه : قوموا .

فانطلقَ وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سُليم قد جاء رسول الله ـ ﷺ ـ والناسُ وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : اللّٰه ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ـ ﷺ ـ ، فأقبل رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو طلحة معه .

فقال رسول الله :هلم يا أم سليم ما عندك . فأتت بذلك الخبز ،، فأمر به رسول الله ـ ﷺ ـ ففُتَّ وعصرت أم سليم عكة فآدمَتْه ، ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول . ثم قال : ائذن لعشرة . فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من غير وجه عن مالك ، به .

---

(١) لاثنى : غطتنى .

طريق آخر عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ

قال أبو يعلى : حدثنا هُدْبَة بن خالد ، حدثنا مبارك بن فَضَالة ، حدثنا بُكير وثابت البُنَانى ، عن أنس ، أن أبا طلحة رأى رسول الله ـ ﷺ ـ طاويا فجاء إلى أم سليم فقال : إنى رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ طاويا فهل عندك من شيء ؟

قالت : ما عندنا إلا نحوٌ من مُدٍّ دقيق شعير . قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعو رسول الله ـ ﷺ ـ فيأكل عندنا .

قال : فعجنته وخَبَزَتْه فجاء قرصا فقال : يا أنس ادع رسول الله : فأتيت رسول الله ومعه أناس ، قال مبارك : أحسبه قال : بضعة وثمانون .

قال : فقلت : يا رسول الله أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : أجيبوا أبا طلحة ، فجئت جزعاً حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه . قال بُكير فقَدَّى قومه . وقال ثابت : قال أبو طلحة : رسول الله أعلمُ بما فى بيتى منى ، وقالا جميعاً عن أنس : فاستقبله أبو طلحة فقال : يا رسول الله ما عندنا شيء إلا قرص ، رأيتك طاوياً فأمرت أمَّ سليم فجعلت لك قرصا .

قال : فدعا بالقرص ودعا بَجَفْنة فيها وقال : هل من سمن ؟ قال أبو طلحة قد كان فى العكة شيء ، قال : فجاء بها .

قال : فجعل رسول الله وأبو طلحة يَعْصرانها حتى خرج شيء مسَح رسول الله به سَبَّابته ، ثم مسح القرص فانتفخ وقال : بسم اللهَ . فانتفخ القرص فلم يزل يصنع كذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص فى الجفنة يميع (١) .

فقال : ادع عشرة من أصحابى ، فدعوت له عشرة ، قال : فوضع رسول الله ـ ﷺ ـ يده وسط القرص ، وقال : كلوا بسم اللّه ، فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا ، ثم قال ادع عشرة أخرى . فدعوت له عشرة أخرى ، فقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا ، فلم يزل يدعو عشرة يأكلون من ذلك القُرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالى القرص حتى شبعوا ، وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده كما هو (٢) .

وهذا إسناد على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه فالله أعلم .

---

(١) يميع : ينتشر . (٢) (حسن) .

طريق أخرى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نُمير ، حدثنا سعد ـ يعنى ابن سعيد بن قيس ـ أخبرنى أنس بن مالك قال :

بعثنى أبو طلحة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لأدعُوه وقد جعل له طعاما فأقبلْتُ ورسولُ الله ـ ﷺ ـ مع الناس ، قال : فنظر إلىّ فاستحييت فقلت : أجب أبا طلحة .

فقال للناس قوموا ـ فقال أبو طلحة : يا رسول الله إنما صنعت شيئا لك . قال : فمسّها رسول الله ودعا فيها بالبركة .

ثم قال : أدخلْ نفراً من أصحابى عشرة ، فقال : كلوا فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وقال : أدخل عشرة . فأكلوا حتى شبعوا ، فما زال يُدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها فإذا هى مثلها حين أكلوا منها [1] .

وقد رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير ، كلاهما عن عبد الله بن نُمير ، وعن سعيد بن يحيى الأموى ، عن أبيه ، كلاهما عن سعد بن سعيد بن قيس الأنصارى .

طريق أخرى

رواه مسلم فى الأطعمة عن عَبْد بن حُميد ، عن خالد بن مخْلَد ، عن محمد بن موسى ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، فذكر نحو ما تقدم .

وقد رواه أبو يَعْلى الموصلى ، عن محمد بن عباد المكى ، [عن حاتم] [2] عن معاوية ابن أبى مردد ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى صلحة ، عن أبيه ، عن أبى طلحة فذكره . والله أعلم .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حُصين بن عبد الرحمن ، عن عبد

---

(١) (حسن صحيح) صحيح البخارى ٣٥٧٨ ومسند الإمام أحمد ١٣٢١٦ .

(٢) من ت .

الرحمن بن أبى ليلى ، عن أنس بن مالك قال : أتى أبو طلحة بُمدَّين من شعير فأمر به فت...
طعاما ثم قال لى : يا أنس انطلق ائت رسول الله ـ ﷺ ـ فادعه وقد تَعْلم ما عندنا .

قال : فأتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه عنده . فقلت إن أبا طلحة يدعوك إلى طعامه . فقام وقال للناس : قوموا . فقاموا ، فجئت أمشى بين يديه حتى دخلت على أبى طلحة فأخبرته ، قال : فَضَحْتَنا قلت : إنى لم أستطيع أن أردّ على رسول الله ـ ﷺ ـ أمْرَهَ.

فلما انتهى رسول الله ـ ﷺ ـ قال لهم اقعدوا ، ودخل عاشرُ عشرة ، فلما دخل أتى بالطعام تناول فأكل وأكل معه القوم حتى شبعوا ، ثم قال لهم : قوموا ، وليدخل عشرةٌ مكانَكم ، حتى دخل القوم كلهم وأكلوا

قال : قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا نيفا وثمانين ، قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم (١)

وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن جعفر الرَّقى عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أنس قال ؛ أمر أبو طلحة أم سليم قال : اصنعى للنبى ـ ﷺ ـ لنفسه خاصة طعاما يأكل منه ، فذكر نحو ما تقدم .

طريق أخرى عن أنس

قال أبو يعلى : حدثنا شجاع بن مخلَد حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ؛ سمعت جرير بن يزيد يحدث عن عمرو بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك قال : رأى أبو طلحة رسولَ الله فى المسجد مضطجعاً يتقلَّب ظهراً لبطن ،فأتى أمَّ سُليم فقال : رأيت رسول اللّه مضطجعاً فى المسجد يتقلب ظهراً لبطن ، فخبزتَ أم سُلَيم قرصاً ، ثم قال لى أبو طلحة : اذهب فادع رسولَ الله .

فأتيته وعنده أصحابه فقلت : يا رسول الله يدعوك أبو طلحة ، فقام وقال : قوموا، قال : فجئت أسعى إلى أبى طلحة فأخبرته أن رسول الله قد كان تبعه أصحَابه ، فتلقاه أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله إنما هو قرص ، فقال : إن الله سيبارك فيه .

---

(١) (حسن صحيح) مسند أحمد ١٣٣٦١ .

فـدخل رسول الله وجيء بالقـرص في قصـعـة ، فقـال : هل من سمن ؟ فـجيء بشيء من سمـن فغـوَّر القرص بإصـبعـه هكذا ، ورفعها ، ثم صَبَّ وقـال : كلوا من بين أصابعي ، فـأكل القوم حتى شبـعوا ، ثم قال : أدخل عليَّ عشرةً ، فأكلوا حـتى شبعوا ، حتى أكل القوم فـشبعوا وأكل رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وأبو طلحة وأم سليم وأنا حتى شبـعنا وفضلت فضلة أهديت لجيران لنا (١) .

ورواه مسلم في الأطعمة من صحيحه عن حسن الحلواني ، وعن وهب بن جرير بن حازم ، عن عـمه جريربن يزيد ، عن عمرو بن عبد اللّه بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك فذكر نحو ما تقدم .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد ـ يعني ابن زيد ـ عن هشام ، عن محمد ـ يعني ابن سيرين ـ عن أنس قال : **عمدت أمُّ سُليم إلى نصف مد شعير فطحنْته ثم عمدت إلى عكة كان فيها شيء من سمن فاتخذت منه خَطِيفة** (٢) .

قـال : ثم أرسلتني إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ قال : فـأتيته وهو في أصحابـه فقلت : إن أم سليم أرسلتني إليك تدعوك ، فقال : أنا ومن معي ، قال :فجاء هو ومن معه .

قـال : فدخلت فـقلت لأبي طلحـة : قـد جاء رسـول الله ـ ﷺ ـ ومن معه ، فـخـرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبي ـ ﷺ ـ .

قال : يا رسول الله إنما هي خطيفة اتخذتها أم سليم من نصف مد شعير .

قال . فدخل فـأتي به ، قال : فوضع يده فيهـا ثم قال : أدخل عشرة ، قال : فـدخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم دخل عـشرة فأكلوا ، ثم عشـرة فأكلوا ، حتى أكل منهـا أربعون كلهم أكلوا حتى شبعوا .

قال : وبقيتْ كما هي ، قال : فأكلنا (٣) .

(١) (حسن) والحديث صحيح بأسانيد أخرى .
(٢) الخطيفة : دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ .
(٣) (صحيح) المسند ١٢٤٣٠ .

وقد رواه البخارى فى الأطعمة عن الصَّلت بن محمد ، عن حماد بن زيد ، عن الجعْد أبى عثمان عن أنس ، وعن هشام بن محمد ، عن أنس ، وعن سنَان بن ربيعة ، عن أبى ربيعة ، عن أنس : أن أم سليم عمدت إلى مُدٍّ من شعير جَشَّتَه وجعلت منه خطيفةً وعمدت إلى عُكة فيها شىء من سمن فعصرَتْه ثم بعثتنى إلى رسول الله وهو فى أصحابه ، الحديث بطوله .

ورواه أبو يعلى الموصلى : حدثنا عمرو ، عن الضحاك ، حدثنا أبى ، سمعت أشْعث الحرَّانى قال : قال محمد بن سيرين : حدثنى **أنس بن مالك أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ـ ﷺ ـ طعام ، فذهب فأجَّر نفسه بصاع من شعير ، فعمل يومه ذلك فجاء به وأمر أمُ سليم أن تعمله خطيفة وذكر الحديث** [1] .

طريق أخرى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : **قالت أم سُليم : اذهب إلى نبى الله ـ ﷺ ـ فقل له . إن رأيت أن تتغدَّى عندنا فافعل ، فجئته فبلَّغته ، فقال . ومن عندى ؟ قلت : نعم ، قال انهضوا ، قال : فجئته فدخلت على أم سليم وأنا لدِهش لمن أقْبَل مع رسول الله ـ ﷺ ـ قال . فقالت أم سليم : ما صنعتَ يا أنس ؟ فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ على إثر ذلك فقال : هل عندك سمن ؟ قالت : نعم ، قد كان منه عندى عكّة فيها شىء من سمن ، قال : فأتِ بها . قالت : فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : بسم الله اللهم أعْظِم فيها البركةَ قال : فقال اقلبيها ، فقلبتها فعصرها نبى الله ـ ﷺ ـ وهو يسمِّى .**

فأخذت نَقْع قِدْر ، فأكل منها بضع وثمانون رجلا وفضل فضلة ، فدفعها إلى أم سليم فقال : كلى وأطعمى جيرانك [2] .

وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن حجاج بن الشاعر ، عن يونس بن محمد المؤدِّب به .

---

(١) (صحيح) الترمذى فى المناقب من سننه ٣٦٣٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .
(٢) (صحيح) وهو فى صحيح مسلم والمسند ١٣٤٨١ .

طريق أخرى

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا على بن المدينى ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدى ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازنى ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، **أن أمه أم سليم صَنعت خزيراً**[(١)] **فقال أبو طلحة : اذهب يا بنى فادع رسول الله - ﷺ - قال : فجئته وهو بين ظَهْرَ الى الناس ، فقلت : إن أبى يدعوك ، قال فقام وقال للناس : انطلقوا.**

قال : فلما رأيته قام بالناس تقدمتُ بين أيديهم ، فجئت أبا طلحة فقلت : يا أبت قد جاءك رسول الله - ﷺ - بالناس ، قال : فقام أبو طلحة على الباب وقال : يا رسول الله إنما كان شيئا يسيراً . فقال : هلمَّهُ ، فإن الله سيجعل فيه البركة .

فجاء به فجعل رسول الله يده فيه ، ودعا الله بما شاء أن يدعو ، ثم قال : أدخل عشرة عشرة ، فجاءه منهم ثمانون فأكلوا وشبعوا [(٢)] .

ورواه مسلم فى الأطعمة عن عَبْد بن حُمَيد ، عن القَعْنَبى ، عن الدَّرَاوَرْدى ، عن يحيى بن عمارة بن أبى حسن الأنصارى المازنى [عن أبيه] [(٣)] عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم

طريق أخرى

ورواه مسلم فى الأطعمة أيضا عن حَرْمَلة ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثى، عن يعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس كنحو ما تقدم .

قال البيهقى : وفى بعض حديث هؤلاء : ثم أكل رسول الله - ﷺ - وأكل أهلُ البيت وأفْضَلوا ما بلغ جيرانهم .

* * *

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أنه شاهد ذلك ، على ما فيه من اختلاف عنه فى بعض حروفه .

---

(١) الخزير : الحساء من الدسم .
(٢) (صحيح) .
(٣) من ت .

ولكن أصل القصة متواترة لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة . فقد رواه عن أنس ابن مالك : إسحاقُ بن عبد الله أبى طلحة ، وبكر بن عبد اللّه المزنى ؛ وثابت بن أسلم البُنانى [والجعد بن عثمان] وسعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسنان بن ربيعة ، وعبد الله بن أبى طلحة ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعمرو بن عبد الله بن أبى طلحة ومحمد بن سيرين والنَّضر بن أنس ، ويحيى بن عُمَارة بن أبى حسن ، ويعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة .

وقد تقدم فى غزوة الخندق حديث جابر فى إضافته ـ ﷺ ـ على صاع من شعير وعَناق [1] ، فعزم ـ عليه السلام ـ على أهل الخندق بكمالهم ، فكانوا ألفا أو قريباً من ألف ، فأكلوا كلهُم من تلك العَناق وذلك الصاع حتى شبعوا وتركوه كما كان ، وقد أسلفناه [2] بسنده ومتنه وطرقه ولله الحمد والمنة .

ومن العجَب الغريب ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذر الهروى ـ المعروف بشَكَّر ـ فى كتاب « العجائب الغريبة » فى هذا الحديث فإنه أسنده وساقه بطوله وذكر فى آخره شيئا غريبا فقال .

حدثنا محمد بن على بن طَرْخان ، حدثنا محمد بن مسرور ، أنبأنا هاشم بن هاشم ، ويكنى بأبى بَرْزَة بمكة فى المسجد الحرام ، حدثنا أبو كعب البَدَّاح بن سهل الأنصارى ـ من أهل المدينة من الناقلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد ـ سمعت منه بالمصِّيصَة ، عن أبيه سهل ابن عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : أتى جابر بن عبد الله إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فعرف فى وجهه الجوعَ .

فذكر أنه رجع إلى منزله فذبح داجناً كانت عندهم وطبخها وثرد تحتها فى جَفْنة ، وحملها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأمره أن يدعو له الأنصار فأدخلهم عليه أرسالا فأكلوا كلهم وبقى مثلُ ما كان ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عَظْما ، ثم إنه جمع العظام فى وسط الجفنة فوضع عليها يده ثم تكلم بكلام لا أسمعه إلا أنى أرى شفتيه تتحرك ، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال : خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها .

---

(1) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(2) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

قال : فأخذتها ومضيت ، وإنها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها البيت ، فقالت لي المرأة : ما هذا يا جابر ؟ فقلت : هذه والله شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ، دعا الله فأحياها لنا . فقالت : أنا أشهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله .

حديث آخر عن أنس في معنى ما تقدم

قال أبو يعلى الموصلي والباغَنْدي : حدثنا شَيْبان ، حدثنا محمد بن عيسى بصري - وهو صاحب الطعام - حدثنا ثابت البُناني قلت لأنس بن مالك : يا أنس أخبرني بأعجب شيء رأيته ، قال : نعم يا ثابت . خدمت رسول الله - ﷺ - عشر سنين فلم يعِبْ عليَّ شيئا أسأتُ فيه وإن نبي الله - ﷺ - لما تزوج زينب بنت جحش قالت لي أمي : يا أنس إن رسول - ﷺ - أصبح عروسا ولا أدري أصبَح له غداء ، فهلم تلك العُكَّة . فأتيتها بالعكة وبتمر فجعلت له حَيْسا ، فقالت : يا أنس اذهب بهذا إلى نبي الله وامرأته .

فلما أتيت رسول الله - ﷺ - بتَوْر[1] من حجارة فيه ذلك الحيس قال : دعه ناحيةَ البيت وادع لي أبا بكر وعمر وعليا وعثمان ونفراً من أصحابه ، ثم ادع لي أهل المسجد ومن رأيت في الطريق .

قال : فجعلت أتعجَّب من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمرني أن أدعو الناس ، وكرهت أن أعصيه ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقال : يا أنس هل ترى من أحد ؟ فقلت : لا يا رسول الله ، قال : هات ذلك التَّوْر ، فجئت بذلك التور فوضعته قدامه ، فغمس ثلاث أصابع في التَّور فجعل التمر يَرْبُو فجعلوا يتغذون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون وبقي في التَّور نحو ما جئت به ، فقال : ضَعْه قدام زينب . فخرجت وأسقفت عليهم بابا من جريد .

قال ثابت : قلنا : يا أبا حمزة كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التَّور ؟ فقال : أحسب واحداً وسبعين ، أو اثنين وسبعين [2] .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه .

---

(١) التور : إناء يشرب فيه .
(٢) (ضعيف الإسناد) .

حديث آخر عن أبي هريرة في ذلك

قال جعفر بن محمد الفريابي : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى ، عن إسحاق بن سالم ، عن أبي هريرة ، **قال خرج عليَّ رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : ادع لي أصحاب الصُّفة . فجعلت أبهمهم رجلا رجلا ، فجمعتهم فجئنا باب رسول الله ـ ﷺ ـ فاستأذنا فأذن لنا .**

قال أبو هريرة : فوضعت بين أيدينا صحفة أظن أن فيها قدر مُدّ من شعير ، قال : فوضع رسول الله ـ ﷺ ـ عليها يده وقال : كلوا بسم الله ، قال : فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ حين وضعت الصحفة : والذى نفسي بيده ما أمسى في آل محمد طعام ليس ترونه .

قيل لأبي هريرة : قدركم كانت حين فرغتم منها ؟ قال : مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع (١) .

وهذه قصة غير قصة أهل الصفة المتقدمة في شربهم اللبن كما قدمنا .

حديث آخر عن أبي أيوب في ذلك

قال جعفر الفريابي : حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد الجريري ، عن أبي الورد ، عن أبي محمد الحضرمي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : صنعت لرسول الله ـ ﷺ ـ ولأبي بكر طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار .

قال : فشقَّ ذلك علي ، ما عندي شيء أزيده ، قال : فكأني تثاقلتُ ، فقال : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار ، فدعوتهم فجاءوا .

فقالوا : اطعموا .

فأكلوا حتى صدَروا ثم شهدوا أنه رسول الله ثم بايعوه قبل أن يخرجوا . ثم قال : اذهب فادعُ لي ستين من أشراف الأنصار .

---

(١) (ضعيف الإسناد) .

قال أبو أيوب : فوالله لأنا بالستين أحْرَد منى بالثلاثين . قال : فدعوتهم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ تربَّعوا . فأكلوا حتى صدَروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فاذهب فادع لى تسعين من الأنصار ، قال : فلأنا أحْرَد بالتسعين والستين منى بالثلاثين ، قال : فدعوتهم فأكلوا حتى صدَروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار .

وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتناً . وقد رواه البيهقى من حديث محمد بن أبى بكر المقدَّمِى عن عبد الأعلى به .

قصة أخرى فى تكثير الطعام فى بيت فاطمة

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا سهل بن الحنظلية ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى ابن لَهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، **أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقام أياما لم يَطْعَم طعاما حتى شقَّ ذلكَ عليه ، فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئا .**

فأتى فاطمة فقال : يا بنية هل عندك شيء آكله فإنى جائع ؟ فقالت : لا والله بأبى أنت وأمى .

فلما خرج من عندها رسول الله ـ ﷺ ـ بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها وغطَّت عليها وقالت : والله لأوثرن بهذا رسول الله ـ ﷺ ـ على نفسى ومن عندى .وكانوا جميعا محتاجين إلى شُبعة طعام ، فبعثت حَسناً أو حُسينا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فرجع إليها .

فقالت : له بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشيء فخبَّأته لك . قال : هلمى يا بنية . فكشفت عن الجفنة فإذا هى مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليها بُهتت وعرفت أنها بركة من الله ، وقال : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : يا أبت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فحمد الله وقال : الحمد الله الذى جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل ، فإنها

كانت إذا رزقها الله شيئا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ إلى على ، ثم أكل رسول الله ـ ﷺ ـ وعلىٌّ وفاطمة وحسن وحسين ، وجميع أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ وأهل بيته جميعاً حتى شبعوا .

قالت : وبقيت الجفنة كما هى ، فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها ، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً .

وهذا حديث غريب أيضاً إسناداً ومتناً .

وقد قدمنا فى أول البعثة حين نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [١] حديث ربيعة بن ماجد ، عن على فى دعوته ـ عليه السلام ـ بنى هاشم ـ وكانوا نحواً من أربعين ـ فقدم إليهم طعاماً من مد فأكلوا حتى شبعوا وتركوه كما هو ، وسقاهم من عُس [٢] شرابا حتى رووْا وتركوه كما هو لثلاثة أيام متتابعة ، ثم دعاهم إلى الله كما تقدم [٣] .

قصة أخرى فى بيت رسول الله ـ ﷺ ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، حدثنا سليمان التَّيمى ، عن أبى العلاء بن الشِّخير ، عن سَمرة بن جُندَب قال : بينما نحن عند النبى ـ ﷺ ـ إذ أتى بقَصعة فيها ثريد ، قال : فأكل وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر ، يأكل قومٌ ثم يقومون ويجئ قوم فيتعاقبونه .

قال : فقال له رجل : هل كانت تمدّ بطعام ؟ قال : أما من الأرض فلا ، إلا أن تكون كانت تُمَدّ من السماء .

ثم رواه أحمد ، عن يزيد بن هارون ، عن سليمان ، عن أبى العلاء ، عن سمرة ، أن رسول الله أتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها إلى الظُّهر من غَدْوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون [٤] .

---

(١) سورة الشعراء .

(٢) العس : القدح الضخم .

(٣) (ضعيف الاسناد) فيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر .

(٤) (صحيح) المسند ٢٠٠١١ .

قال له رجل : هل كانت تمدُّ ؟ فقال له : فمن أين ؟ ـ تعجّب ـ ما كانت تُمد إلا من ها هنا . وأشار إلى السماء (١) .

وقد رواه الترمذى والنسائى أيضا من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى العلاء ـ وإسمه يزيد بن عبد الله بن الشخِّير ـ عن سَمُرة بن جُندب به .

قصة قصْعة بيت الصديق

ولعلها هى القصعة المذكورة فى حديث سمرة والله أعلم

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا أبو عثمان ، أنه حدثه عبد الرحمن بن أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ : **أن أصحاب الصُّفة كانوا أناساً فقراء وأن النبى ـ ﷺ ـ قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس . أو كما قال .**

وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبى ـ ﷺ ـ بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة قال : فهو أنا وأبى وأمى . ولا أدرى هل قال : امرأتى وخادم من بيتنا وبيت أبى بكر ، وإن أبا بكر تعشى عند النبى ـ ﷺ ـ ، ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشَّى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك ؟ قال : أو ما عشَّيتِهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم ، فذهبت فاختبأت فقال : يا غُنثرَ (٢) فجدَّع وسبَّ وقال : كلوا [فى رواية أخرى لا هنيئاً (٣)] وقال : لا أطعمه أبدا والله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل .

فنظر أبو بكر فإذا هى شىء أو أكثر ، فقال لامرأته [فى رواية أخرى : ما هذا (٤)] يا أخت بنى فراس ؟ قالت : لا وقُرة عينى هى الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار .

فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان الشيطان ـ يعنى يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها

---

(١) (صحيح) المسند ٢٠٠٧٣ .

(٢) الغنثر : شتم ، كالجاهل أو الأحمق أو اللئيم . وجدع : دعا بالجدع وهو قطع الأنف أو الأذن .

(٣) ، (٤) من ت .

إلى النبي ـ ﷺ ـ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل فعرَّفنا [(1)] اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم ، قال : فأكلوا منها أجمعون أو كما قال [وغيرهم يقول : فتفرقنا] .

هذا لفظه وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من غير وجه ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مُلِّ النهدى ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر .

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا المعنى

قال الإمام أحمد : حدثنا حازم، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال : كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : هل مع أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن .

ثم جاء رجل مُشركُ مُشعَانٌ [(2)] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : أبيعاً أم عطية أو قال : أم هدية ؟ قال : لا ، بل بَيْع . فاشترى منه شاة فصُنِعت، وأمر النبي ـ ﷺ ـ بسواد البطن أن يُشوَى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حَزَّله رسول الله ـ ﷺ ـ حُزّة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه إياه ، وإن كان غائبا خبأ له .

قال : وجعل منها قصعتين . قال : فأكلنا منهما أجمعون وشبعنا وفضل في القصعتين فجعلناه عل البعير ، أو كما قال [(3)] .

وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث معتمر بن سليمان .

حديث آخر في تكثير الطعام في السفر

قال الإمام أحمد : حدثنا فَزارة بن عمر ، أخبرنا فليح ،عن سُهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة غزاها فأرمَل [(4)] فيها

---

(1) أ : فتفرقنا ، وهي إحدى روايات مسلم حديث ٢٠٥٧ . ومعنى عرفنا : جعلنا عرفاء .
(2) المشعان : الثائر الرأس .
(3) (صحيح) المسند ١٧٠٣ .
(4) أرمل : في طعامه .

المسلمون واحتاجوا إلى الطعام ، فاستأذنوا رسول الله ـ ﷺ ـ فى نحر الإبل فأذن لهم ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

قال : فجاء فقال : يا رسول الله ـ ﷺ ـ إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوّهم ينحرونها ؟ ادع يا رسول الله بغُبرات [1] الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة .

قال : أجل ، فدعا بُغبْرات الزاد فجاء الناس بما بقى معهم ، فجمعه ثم دعا الله ـ عز وجل ـ فيه بالبركة ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضلٌ كثير .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى عبد الله ورسوله ، ومن لقى الله ـ عز وجل ـ بهما غير شاكٍ دخل الجنة [2] .

وكذلك رواه جعفر الفِرْيابى ، عن أبى مُصعب الزهرى ، عن عبد العزيز بن أبى حازم، عن سهيل به .

ورواه مسلم والنسائى جميعا عن أبى بكر بن أبى النَّضر ، عن أبيه عن عبيد الله الأشجعى ، عن مالك بن مِغوَل ، عن طلحة بن مُصرّف ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا زهير ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح سعيد ، أو عن أبى هريرة ـ شك الأعمش ـ قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادّهنا ؟ فقال : افعلوا .

فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلوا قلّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة . فأمر رسول الله بنطع فبُسط ودعا بفضل أزوادهم . قال : فجعل الرجل يجىء بكفه التمر والآخر بالكِسرة ، حتى اجتمع على النِّطع شىء من ذلك يسير ، فدعا عليهم بالبركة ثم قال : خذوا فى أوعيتكم ، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأه ، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبد

(١) الغبرات : البقايا .

(٢) (ضعيف الاسناد) وهو فى المسند ٩٤٢٠ .

غير شاك فتحتجب عنه الجنة (١) .

وهكذا رواه مسلم أيضا عن سهل بن عثمان وأبى كُرَيب ، كلاهما عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد وأبى هريرة فذكر مثله .

حديث آخر فى هذه القصة

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أنبأنه الأوزاعى ، أخبرنا المطلب بن حَنطَب المخزومى ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى عَمْرة الأنصارى ، حدثنى أبى قال : **رسـول الله ـ ﷺ ـ فى غزاة ، فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناس رسول الله ـ ﷺ ـ فى نحر بعض ظهورهم وقالوا : يبلغنا الله به**

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد هَمَّ أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهورهم ، قال : يا رسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غدا جياعا رجالا ؟ ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم وتجمعها ثم تدعوا الله فيها بالبركة فإن الله سيبلّغنا بدعوتك ، أو سيبارك لنا فى دعوتك .

فدعا النبىُّ ـ ﷺ ـ ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون بالحثْية من الطعام وفوقَ ذلك ، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله ـ ﷺ ـ ، ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيش بأوعيتهم وأمرهم أن يحتثوا ، فما بقى فى الجيش وعاء إلا ملأوه ، وبقى مثله .

فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه وقال : أشهد أن لا إله إلا لله وأشهد أنى رسول الله ، لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حُجبت عنه النار يوم القيامة (٢) .

وقد رواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك بإسناده نحو ما تقدم .

حديث آخر فى هذه القصة

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن المعلى الأدَمى ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سَلمة ، حدثنى أبو بكر ـ أظنه من ولد عمر بن الخطاب ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة ، أنه سمع أبا خُنَيس الغفارى **أنه كان مع رسول الله ـ صلى الله**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخارى فى كتاب الشركة وأحمد فى المسند ١١٠٠٢٢ .

(٢) (حسن الإسناد) مسند الإمام أحمد ١٥٣٨٨

عليه وسلم ـ فى غزوة تِهامة حتى إذا كنا بُعسفان جاءه أصحابه فقالوا : يا رسـول الله جهدنا الجوع فأذن لنا فى الظهر أن نأكله .

قال : نعم . فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء رسول الله فـقال : يانبى الله ما صنعت ؟ أمرت الناس أن ينحروا الظُّهر فعلام يركبون ؟ قال : فما ترَى يا بن الخطاب ؟ قال : أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم فتجمعه فى ثوب ثم تدعو لهم ، فأمرهم فجمعوا فضل أزوادهم فى ثوب ثم دعا لهم ثم قال : ائتوا بأوعيتكم ، فملأ كل إنسان وعاءه .

ثم أذن بالرحيل ، فلما جاوز مُطِروا فنزل ونزلوا معه وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع رسول الله وذهب الآخر مُعرِضا ، فقال رسول الله : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما واحد فاستحى من الله فاستحى الله منه ، وأما الآخر فأقبل تائبا فتاب الله عليه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه .

ثم قال البَزّار : لا نعلم روى أبو خُنَيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد .

وقد رواه البيهقى عن الحسين بن بشران ، عن أبى بكر الشافعى : حدثنا إسحاق بن الحسن الحرَّى ، أخبرنا أبو رجاء ، حدثنا سعيد بن سلَمة ، حدثنى أبو بكر بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة أنه سمع أبا خُنيس الغفَارى . فذكره .

حديث آخر عن عمر بن الخطاب فى هذه القصة

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو هشام ـ محمد يزيد الرفاعى ـ ، حدثنا ابن فضل حدثنا يزيد ـ وهو ابن أبى زياد ـ عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن أبيه ، عن جده عمر ـ قال : كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزاة فقلنا : يا رسول الله إن العدو قد حضر وهم شِباع والناس جياع .

فقالت الأنصار : ألا ننحر نواضحنا فنطعمها الناس .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : من كان معه فضل طعام فليجىء به . فجعل الرجل يجىء بالمد والصاع وأقل وأكثر ، فكان جميع ما فى الجيش بضعا وعشرين صاعا ، فجلس النبى

ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جنبه فدعا بالبركة ، فقال النبى ـ ﷺ ـ خذوا ولا تنتهبوا . فجعل الرجل يأخذ فى جرابه وفى غرارته ، وأخذوا فى أوعيتهم حتى إن الرجل ليربط كمّ قميصه فيملؤه ، ففرغوا والطعام كما هو .

ثم قال النبى ـ ﷺ ـ : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يأتى بها عبد مُحِق إلا وقاه الله حَرّ النار .

ورواه أبو يعلى أيضا عن إسحاق بن إسماعيل الطالقانى ، عن جرير ، عن يزيد بن أبى زياد فذكره . وما قبله شاهد له بالصحة كما أنه مُتابع لما قبله والله أعلم .

حديث آخر عن سلمة بن الأكْوَع فى ذلك

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى القارئ ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : **كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزوة خيبر فأمرنا أن نجمع ما فى أزوادنا ـ يعنى من التمر ـ فبسط نِطعا نشَرنا عليه أزوادنا .**

قال : فتمطَّيتُ فتطاولت فنظرت فحَزرْته كَربْضة شاة [1] **ونحن أربع عشرة مائة قال : فأكلنا ثم تطاولتُ فنظرت فحزرته كربضة شاة .**

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هل من وَضوء ؟ قال : فجاء رجل بنقطة فى إداوته ، قال : فقبضها فجعلها فى قَدح ، قال : فتوضأنا كلنا نُدَغفِقها دَغْفقة [2] **ونحن أربع عشرة مائة قال : فجاء أناس فقالوا : يا رسول الله ألا وَضوء ؟ فقال : قد فرغ الوضوء** [3]

وقد رواه مسلم عن أحمد بن يوسف السُّلمى ، عن النضر بن محمد ، عن عكرمة بن عمار ، عن إياس ، عن أبيه سلمة ، وقال : **فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جُرُبنا .**

وتقدم ما ذكره ابن إسحاق فى حفر الخندق حيث قال : حدثنى سعيد بن ميناء أنه قد حُدِّث أن ابنة لبشير بن سعد ـ أخت النعمان بن بشير ـ قالت : **دعتنى أمى عَمرة بنت رَوَاحة**

---

(١) حزرته : قدرته . والربضة : اسم هيئة ، أى مقدار ربوضها .

(٢) ندغفق : نصبه صباً كثيرا .

(٣) (حسن صحيح) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

فأعطتني جَفنة من تمر في ثوبي ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغذائهما.

قالت : فأخذتها فانطلقت بها ، فمررت برسول الله ـ ﷺ ـ وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالي يا بنية . ما هذا معك ؟ قالت : قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه فقال : هاتيه . قالت : فصببته في كفي رسول الله ـ ﷺ ـ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليَسْقط من أطراف الثوب (١)

قصة جابر ودَيْن أبيه وتكثيره ـ عليه السلام ـ التمر

قال البخاري في دلائل النبوة : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكريا ، حدثنا عامر ، حدثني جابر أن أباه توفي وعليه دين ، فأتيت النبي ـ ﷺ ـ فقلت : إن أبي ترك عليه دينا ، وليس عندي إلا ما يُخرج نخلُه ، ولا يبلغ ما يخرج سنينَ ما عليه . فانطلق معي لكيلا يُفحش عليَّ الغرماء . فمشى حول بَيْدر من بيادر (٢) التمر فدعا ، ثم آخر ، ثم جلس عليه فقال : انزعوه ، فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم .

هكذا رواه هنا مختصراً . وقد أسنده من طرق عن عامر بن شُرَاحيل الشَّعْبي عن جابر بـه .

وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة وحاصلها : أنه ببركة رسول الله ـ ﷺ ـ ودعائه له ومشيه في حائطه ، وجلوسه على تمره ، وَفَّى الله دين أبيه ، وكان قد قُتل بأحُدُ ، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده ، ومع هذا فضَل له من التمر أكثر ، فوق ما كان يؤمله ويرجوه ، ولله الحمد والمنة .

قصــة ســلْمان

[في تكثيره ـ ﷺ ـ تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه في مكاتبته .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني يزيد بن

---

(١) (حسن الإسناد) .

(٢) البيدر : الموضع الذي يجمع فيه التمر أو الطعام .

أبى حبيب رجل من عبد القيس عن سلمان ، **قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىَّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ـ ﷺ ـ فقلبها على لسانه ثم قال : خذها فأوفهم منها . فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين أوقية]** [1] .

ذكر مِزْود أبى هريرة وتمره

قال الإمام : حدثنا يونس ، حدثنا حماد ـ يعنى ابن زيد ـ عن المهاجر ، عن أبى العالية عن أبى هريرة قال : **أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ يوما بتمرات فقال : ادع الله لى فيهن بالبركة . قال : فصفَّهن بين يديه ثم دعا فقال لى : اجعلهن فى مِزْوَد** [2] **وأدخل يدك ولا تنثره .**

قال فحملت منه كذا كذا وَسْقا فى سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لا يفارق حَقوى [3] **فلما قُتل عثمان ـ رضىَ الله عنه ـ انقطع عن حَقوى فسقط** [4] .

ورواه الترمذى ، عن عمران بن موسى القزَّاز البصرى ، عن حماد بن زيد ، عن المهاجر ، عن أبى مَخْلَد ، عن رفيع أبى العالية ، عنه ، وقال الترمذى : حسن غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفَّار أخبرنا الحسين بن يحيى بن عباس القَطَّان ، حدثنا حَفص بن عمر ، حدثنا سهل بن زياد أبو زياد ، حدثنا أيوب السَّخْتيانى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزاة فأصابَهم عَوزٌ من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة عندك شىء ؟ قال : قلت من تمر فى مِزْود لى ، قال : جىء به .**

قال : فجئت بالمزود ، قال : هات نطْعا . فجئت بالنطع فبسطته ، فأدْخَل يده فقبض على التمر فإذا هو واحد وعشرون ، فجَعل يضع كل تمرة ويسمّى ، حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه .

---

(١) (ضعيف الاسناد) وهو فى المسند ٢٣٦٢٨ .

(٢) المزود : وعاء الزاد .

(٣) الحقو : معقد الإزار . وفى أ : حقوتى .

(٤) (صحيح) المسند ٦٨١٣ .

فقال : ادع فلانا وأصحابه . فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلانا وأصحابه . فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا . ثم قال : ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، وفضل .

ثم قال لى : اقعد ، فقعدت فأكل وأكلت ، قال : وفضل تمر فأدخلته فى المزود ، وقال لى : يا أبا هريرة إذا أردت شيئا فأدخل يدك وخذه ولا تكفى [١] فيكفى عليك .

قال : فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدى ، فأخذت منه خمسين وَسقا فى سبيل الله

قال : وكان معلقا خلف رحلى فوقع فى زمن عثمان فذهب .

طريق أخرى عن أبى هريرة فى ذلك

ورى البيهقى من طريقين عن سهل بن أسلم العدَوى ، عن يزيد بن أبى منصور ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : أصبت بثلاث مصيبات فى الإسلام لم أصب بمثلهن : موت رسول الله ـ ﷺ ـ وكنت صُوَيحبه ، وقتل عثمان ، والمزود .

قالوا : وما المزود يا أبا هريرة قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر فقال : يا أبا هريرة أمعك شىء ؟ قال : قلت تمر فى مزود . قال : جىء به . فأخرجتُ تمراً فأتيته به ، قال : فمسَّه ودعا فيه ثم قال : ادع عشرة . فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقى تمر معى فى المزود ، فقال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك فيه ولا تَكفْه .

قال : فأكلتُ منه حياةَ النبى ـ ﷺ ـ ، وأكلت منه حياة عثمان كلها ، فلما قُتل عثمان انتهب مافى يدى وانتُهب المزود ، ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتى وَسق .

طـريق أخـرى

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا إسماعيل ـ يعنى ابن مسلم ـ عن أبى المتوكل ، عن أبى هريرة قال : **أعطانى رسول الله ـ ﷺ ـ شيئا من تمر فجعلته فى مِكتل فعلقناه فى سقف البيت ، فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره إصابة أهل الشام . حيث أغاروا بالمدينة** [٢] . تفرد به أحمد .

(١) لا تكفى : لا تقلب المزود لتستخرج ما فيه .　　(٢) (صحيح) الحديث فى المسند ٨٢٨٢ .

حديث عن العِرْباض بن سارية فى ذلك

رواه الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من طريق محمد بن عمر الواقدى

حدثنى ابن أبى سَبرة عن موسى بن سعد ، عن العرباض قال : **كنت ألزم باب رسول الله ـ ﷺ ـ فى الحضر والسفر ، فرأينا ليلة ونحن بتبوك أو ذَهبنا لحاجة فرجعنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقد تعشّى ومن عنده ، فقال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، وطلع جُعال بن سُراقة وعبد الله بن مَعقل المزنى ، فكنا ثلاثة كلنا جائع فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ بيت أم سلمة فطلب سيئا نأكله فلم يجده ، فنادى بلالا : هل من شيء ؟ فأخذ الجرب يَنقفها (١) فاجتمع سبع تمرات فوضعها فى صَحفة ووضع عليهن يده وسمى الله وقال : كلوا باسم الله ، فأكلنا . فأحصيت أربعا وخمسين تمرة ، كلها أعدُّها ونواها فى يدى الأخرى وصاحباى يصنعان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هن ، فقال : يا بلال ارفعهن فى جِرابك .**

فلما كان الغد وضعهن فى الصحفة وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رفعنا أيدينا وإنهن كما هن سبع ، فقال : لولا أنى أستحى من ربى عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نرد إلى المدينة عن آخرنا ، فلما رجع إلى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يَلوكهن] (٢) .

حديث آخر

روى البخارى ومسلم من حديث أبى أسامة ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت له : لقد توفى رسول الله ـ ﷺ ـ وما فى بيتى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى ، فأكلت منه حتى طال علىَّ فكلته ففنى .

حديث آخر

روى مسلم فى صحيحه ، عن سلمة بن شَبيب ، عن الحسن بن أعين ، عن معقل ، عن أبى الزبير ، عن جابر : **أن رجلا أتى النبى ـ ﷺ ـ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير ،**

---

(١) ينقفها : يشقها .

(٢) (ضعيف) جدا .

فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : لو لم تكِله لأكلتم منه ولقام لكم .

وبهذا الإسناد عن جابر ، أن أم مالك كانت تُهدى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فى عُكتها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندها شىء ، فتَعْمد إلى التى كانت تهدى فيه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فتجد فيه سمنا ، فما زال يقيم لها أدْم بيتها حتى عصرتها .

فأتت رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أعصرتيها ؟ قالت : نعم ، فقال لو تركتيها ما زالت قائمة .

وقد رواهما الإمام أحمد عن موسى ، عن ابن لَهيعة ، عن أبى الزبير عن جابر .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر البغدادى ، حدثنا يحيى ابن عثمان بن صالح ، حدثنا حسان بن عبد الله ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يونس بن يزيد حدثنا ابو إسحاق ، عن سعيد بن الحارث بن عكرمة ، عن جده نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسول الله فى التزويج فأنكحه امرأة فا لتمس شيئاً فلم يجده ، فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعا من شعير ، فدفعه رسول الله ـ ﷺ ـ إليه .

قال : فطَعمْنا منه نصف سنة ، ثم كِلناه فوجدناه كما أدخلناه .

قال نوفل : فذكرت ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : لو لم تكِله لأكلت منه ما عشت .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهانى ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا أبو بكر بن عياش ، عن هشام ـ يعنى ابن حسان ـ عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : **أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة ، فخرج إلى البرية فقالت امرأته : اللهم ارزقنا ما نعتجن ونختبز .**

قال : فإذا الجفنة ملأى خميرا والرَّحا تطحن والتَّنور ملأى خبزاً وشواء .

قال : فـجاء زوجهـا فقال : عندكم شيء ؟ قـالت : نعم رزق الله ، فرفع الرحـا فكنس ما حوله ، فذكر ذلك للنبى ـ ﷺ ـ فقال : لو تركها لدارت إلى يوم القيامة .

وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفَّار ، حدثنا أبو إسماعيل الترمذى ، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبى سعيد المقْبرى عن أبى هريرة ، أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة فخرج وليس عند أهله شىء .

فقالت امرأته : لو حرَّكتُ رَحاى وجعلت فى تنُّورى سَعفاتٍ فسمع جيرانى صوت الرحا ورأوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاماً وليس بنا خَصاصة . فقامَت إلى تنورها فأوقدته وقعدت تحرك الرحا .

قال : فأقبل زوجها وسمع الرحا فقامت إليه لتفتح له الباب ، فقال : ماذا كنت تطحنين ؟ فأخبرته ، فدخلا وإن رحاها لتدور وتصبُّ دقيقا ، فلم يبق فى البيت وعاء إلا مُلىء ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءاً خبزاً ، فأقبل زوجها فذكر ذلك النبى ـ ﷺ ـ : لو تركتموها ما زالت لكم حياتى . أو قال حياتكم .

وهذا الحديث غريب سنداً ومتناً (١) .

حـديث آخـر

وقال مالك عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة **أن رسول الله ـ ﷺ ـ ضافه ضيف كافر فأمر له بشاة فحلبت فشرب حِلا بها ، ثم أخرى فشرب حلابها ، ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياة .**

ثم إنه أصبح فأسلم فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أمر له بأخرى فلم يَستَتِمهَا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن المسلم يشرب فى مِعاً واحدٍ والكافر يشرب فى سبعة أمعاء (٢) . ورواه مسلم من حديث مالك .

---

(١) الحق أن الاحتفاء بأمثال هذه الروايات التى تناقض السنن الكونية والأسباب التى رتبها الله ـ سبحانه ـ لعباده يخلو عن المعنى ولا قيمة له فى مجال الدلائل ، وقد كان الأولى الإضراب عن هذه الغرائب مادامت قد فقدت حظها من الثبوت .

(٢) (صحيح) ذكره الإمام مسلم فى كتاب الأشربة .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عَبْدان ، حدثنا أحمد بن عبيد الصَّفار حدثنى محمد بن الفضل بن حاتم ، حدثنا الحسين بن عبد الأول ، حدثنا حفص بن غيَاث حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : ضاف النبىَّ ـ صلى الله عَليه وسلم ـ أعرابى .

قال : فطلب له شيئا فلم يجد إلا كسرة فى كَوّة . قال : فجزّأها رسول الله ـ ﷺ ـ أجزاء ودعا عليها وقال : كل . قال فأكل فأفضل . قال فقال : يا محمد إنك لرجل صالح . فقال له النبى ـ ﷺ ـ : أسلم . فقال : إنك لرجل صالح .

ثم رواه البيهقى من حديث سهل بن عثمان ، عن حفص بن غياث ، بإسناده نحوه .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو على الحسين بن على الحافظ . قال : وفيما ذكر عبدان الأهْوازى ، حدثنا محمد بن زياد البُرجمى ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن مسعر ، عن زبيد ، عن مُرَّة ، عن عبد الله بن مسعود قال : **أضاف النبى ـ ﷺ ـ ضيف ، فأرسل إلى أزواجه يبتغى عندهن طعاما فلم يجد عند واحدة منهن شيئا .**

فقال : اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك فإنه لا يملكها إلا أنت . قال : فأهديت له شاة مَصليّة [١] فقال : هذا من فضل الله ونحن ننتظر الرحمة [٢] .

قال أبو على : حدثنيه محمد بن عبدان الأهوازى عنه ، قال : والصحيح عن زيد مرسلا ، حدثنا محمد بن عبدان ، حدثنا أبى ، حدثنا الحسن بن الحارث الأهوازى ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن مسعر ، عن زبيد . فذكره مرسلا .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمى ، حدثنا أبو عمر بن حمدان ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا سليمان بن عبدالرحمن ، حدثنا

---

(١) المصلية : المشوية .

(٢) ضعيف لأجل ابن زياد البرمجى .

عـمرو بن بشـر بن السَّرح ، حـدثنا الوليـد بن سليمـان بن أبى السائب ، حـدثنا واثلة بن الخطاب ، عن أبيه ، عن جده واثلة بن الأسْقَع قـال : حضر رمضـان ونحن فى أهل الصُّفة فصُمْنا فكنا إذا أفطرنا أتى كـل رجل منا رجل من أهل البيعـة فانطلق به فعشَّاه ، فـأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صياماً ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحدٌ ، فانطلقنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرناه بالذى كان من أمرنا ، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شىء ، فـما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تُقسم ما أمسى فى بيتها ما يأكل ذو كبد .

فـقال لهم رسـول الله ـ ﷺ ـ : فاجتمـعوا . فدعـا وقال : اللهم إنى أسـألك من فضلك ورحمتك فإنها بيدك لا يملكها أحد غيرك .

فلم يكن إلا ومستـأذن يستأذن ، فإذا بشاة مَصلية ورُغُف ، فأمر بها رسول الله ـ ﷺ ـ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا .

فقال لنا رسول الله ـ ﷺ ـ : إنا سألنا الله من فضله ورحمته ، فهذا فضله وقد ادخر لنا عنده رحمته (١) .

حـديث الذّراع

قال الإمام أحمـد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنى رجل من بنى غفار فى مجلس سالم بن عبد الله ، حدثنى فلان أن رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بطعام من خبز وَلحم فـقال : ناولنى الدراع فنوول ذراعـا . قال يحـيى : لا أعلمه إلا هكذا . ثم قـال : ناولنى الدراع . فنوول ذراعا فأكلها ثم قال : ناولنى الذراع . فقال : يا رسول الله إنما هما ذراعان ، فقال : وأبيك لو سكتَّ مازلت أناول منها ذراعا ما دعوت به

فقال سالم : أما هذه فلا ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن الله ينهاكم إن تحلفوا بآبائكم (١) .

هكذا وقع إسناد هذا الحديث ، وهو عن مُبْهم عن مثله ، وقد روى من طرق أخرى .

قال الإمـام أحـمد : حـدثنا خلف بن الوليـد ، حدثنا أبو جـعفر ـ يعنى الرازى ـ عن

(١) (حسن الاسناد) الدلائل ١ / ١٢٩ .
(٢) (ضعيف) .

شَرحبيل ، عن أبى رافع مولى النبى ـ ﷺ ـ ، قال : أهديت له شاة فجعلها فى القدر فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ فقال :ما هذا يا أبا رافع ؟ قال : شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها فى القدر .

فقال : ناولنى الذراع يا أبا رافع . فناولته الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر فناولته الذراع الآخر ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر ، فقال : يا رسول الله إنما للشاة ذراعان .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أما إنك لو سكتَّ ، ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ، ثم قام فصلى ثم عاد إليهم فوجد عندهم لحما بارداً فأكل ثم دخل المسجد فصلى ولم يمسَّ ماء (١) .

طريق أخرى عن أبى رافع

قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤمّل ، حدثنا حماد ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى رافع ، عن عمته ، عن أبى رافع قال : صُنع لرسول الله ـ ﷺ ـ شاة مَصلية فأتى بها فقال لى : يا أبا رافع ناولنى الذراع . فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع فناولته . ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع . فقلت : يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان ؟! فقال : لو سكتَّ لناولتنى منها ما دعوت به .

قال : وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يعجبه الذراع .

قلت : ولهذا لما علمت اليهود عليهم لعائن اللّه بخيبر سَمُّوه فى الذراع فى تلك الشاة التى أحضرتها زينب اليهودية ، فأخبره الذراع بما فيه من السمّ ، لما نَهس منه نَهْسةً ، كما قدَّمنا ذلك فى غزوة خيبر مبسوطا (٢) .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى قائد مولى عبيد الله بن أبى رافع ، قال : أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ يوم الخندق بشاة فى مكتل فقال : يا أبا رافع ناولنى الذراع . فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع ...

(١) (حسن الاسناد) المسند ٢٧٠٧٣ .

(٢) (حسن) المسند ٢٣٧٤٩ .

ماولته، ثم قال : يا أبا رافع ناولني الذراع .

فقلت : يا رسول الله ألِلشّاة إلا دراعان ؟ فقال : لو سكتَّ ساعة ناولتنيه ما سألتك

فيه انقطاع من هذا الوجه .

وقال أبو يعلى أيضا : حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، حدثنا فُضَيْل بن سليمان ، حدثنا فائد مولى عبيد الله ، حدثني عبيد الله ، أن جدته سلمى أخبرته أن النبي - ﷺ - بعث إلى أبي رافع بشاة ، وذلك يوم الخندق فيما أعلم ، فصلّاها أبو رافع ليس معها خبز ، ثم انطلق بها ، فلقيه النبي - ﷺ - راجعا من الخندق ، فقال : يا أبا رافع ضع الذي معك . فوضعه ثم قال : يا أبا رافع ناولني الذراع ، فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولني الذراع . فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولني الذراع ، فقلت : يا رسول الله هل للشاة غير ذراعين ؟ فقال . لو سكَتّ لناولْتني ما سألتك (1) .

وقد روي من طريق أبي هريرة .

قال الإمام أحمد . حدثنا الضحاك . حدثنا ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن شاة طُبخت فقال رسول الله - ﷺ - : أعطني الذراع فناولته إياه ، فقال : أعطني الذراع فناولته إياه ، ثم قال . أعطني الذراع . فقال يا رسول الله إنما للشاة ذراعان ، قال أما إنك لو التمستها لوجدتها (2) .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن دُكَيْن بن سعيد الخثعمي ، قال أتينا رسول الله - ﷺ - ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال النبي - ﷺ - لعمر : قم فأعطهم ، فقال يا رسول الله ما عندي إلا ما يقيظني والصبية ، قال وكيع : القيظ في كلام العرب أربعة أشهر

قال : قم فأعطهم ، قال : يا رسول الله سمعاً وطاعة .

قال : فقام عمر وقمنا معه ، فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حُجْرته ففتح الباب

(1) (ضعيف الإسناد) .
(2) (حسن) المسند ١٠٦٥٤ .

قال دكين : فإذا فى الغرفة من التمر شبيه بالفَصِيل الرابض ، قال شأنكم . قال : فأخذ كلُّ رجل منا حَاجتَه ما شاء ثم التفتَ وإنِّى لمن آخرِهم فكأنَّا لم نرزأ منه تمرة [١] .

ثم رواه أحمد عن محمد ويعلى ابنى عبيد ، عَن إسماعيل ـ وهو ابن أبى خالد ـ عن قيس ـ وهو ابن أبى حازم ـ عن دُكين به .

ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرف الرّؤَاسى ، عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل به .

حديث آخر

قال على بن عبد العزيز : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا حَشْرج بن نُباته ، حدثنا أبو نضرة ، حدثنى أبو رجاء قال : خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى دخل حائطاً لَبعض الأنصار فإذا هو برسول الله ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ما تجعل لى إن أرويت حائطك هذا ؟ قال : إنى أجْهَد أن أروِيه فما أطيق ذلك . فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: تجعل لى مائة تمرة أختارها من تمرك ؟ قال : نعم .

فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ الغَرب [٢] ، فما لبث أن أرْوَاه حتى قال الرجل : غرقت حائطى . فاختار رسول الله ـ ﷺ ـ من تمرة مائة تمرة .

قال فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ثم رد عليه مائة تمرة ، كما أخذها .

هذا حديث غريب أورده الحافظ بن عساكر فى دلائل النبوة من أول تاريخه بسنده عن على بن عبد العزيز البغوى ، كما أوردناه .

وقد تقدم فى ذكر إسلام سلمان الفارسى ما كان من أمر النخيل التى غرسها رسول الله ـ ﷺ ـ بيده الكريمة لسلمان فلم يهلك منهن واحدة ، بل أنجب الجميع وكن ثلاثمائة [٣] وما كان من تكثيره الذهب حين قلبه على لسانه الشريف حتى قضى منه سلمان ما كان عليه من نجوم كتابته وعتق ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ .

---

(١) (صحيح) المسند ١٧٥٠٦ .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة .

(٣) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

باب
انقياد الشجر لرسول الله ـ ﷺ ـ

قد تقدم الحديث الذى رواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن أبى حَزرة يعقوب بن مجاهد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله قال : **سرنا مع النبى ـ ﷺ ـ حتى نزلنا واديا أفيح ، فذهب رسول الله ـ ﷺ ـ يقضى حاجته فاتبعه بإداوة من ماء فنظر فلم يرى شيئا يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، وقال : انقادى علىَّ بإذن الله . فانقادت معه كالبعير المخشُوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادى على بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ،حتى بالمنتصف إذا كان فيما بينهما لأم بينهما ـ يعنى جمعهما ـ وقال : التِئما عَلَىّ بأذن الله فالتأمَتَا .**

قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يحسّ بقربى فيبتعد ، فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة فإذا أنا برسول الله مُقبْلٌ ، وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله وقف وقفة وقال برأسه هكذا يمينا وشمالا .

وذكر تمام الحديث فى قصة الماء قصة الحوت الذى دسَره [١] البحر كما تقدم [٢] ولله الحمد والمنة .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى سفيان ـ وهو طلحة ابن نافع ـ عن أنس قال : **جاء جبريل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم وهو جالس حزين قد خُضّب بالدماء ضَرَبه [٣] بعض أهل مكة .**

قال : فقال له : مالك ؟ فقال : فعل بى هؤلاء وفعلوا ، قال : فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : فقال : نعم .

---

(١) دسره : ألقاه .

(٢) سبق ذلك فى هذا الجزء من ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٣) غير أ من ضربة .

قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال : ادع تلك الشجرة . فدعاها قال : فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه ، فقال : مُرها فلترجع . فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : حَسبى [1] .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجة عن محمد بن طَرِيف ، عن أبى معاوية .

حــديث آخــر

روى البيهقى من حديث حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى رافع ، عن عمر ابن الخطاب أن رسول الله كان على الحَجُون كئيبا لما آذاه المشركون ، فقال : اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذّبنى بعدها .

قال فأمرَ فنادى شجرة من قبل عقبة المدينة ، فأقبلت تَخُدّ [2] الأرض حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمَرها فرجعت إلى موضعها .

قال : فقال : ما أبالى من كذبنى بعدها من قومى

ثم قال البيهقى : أخبرنا الحاكم وأبو سعيد بن عمرو ، قالا : حدثنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى بعض شِعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله .

من تكذيب قومه إياه .

فقال : يا رب أرنى ما أطمئن إليه ويذهب عنى هذا الغم . فأوحى الله إليه : ادع إليك أيَّ أغصان هذه الشجرة شئت .

قال : فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خَدَّ فى الأرض حتى جاء رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له رسول الله : ارجع إلى مكانك ، فرجع فحمد الله رسول الله وطابت نفسه .

وكان قد قال المشركون : أفَضَلْتَ أباك وأجدادك يا محمد ؟! فأنزل الله : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ الآيات [3] . قال البيهقى : وهذا المرسل يشهد له ما قبله .

---

(١) (صحيح) المسند ١٢٠٥١ والدلائل ١٣١٦ .

(٢) تخد : تشق .

(٣) سورة الزمر .

حـديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ـ وهو حُصَيّن ابن جُندب ـ عن بن عباس ، قال : أتى النبىَّ ـ ﷺ ـ رجلٌ من بنى عامر فقال : يا رسول الله أرنى الخاتم الذى بين كتفيك فإنى من أطَبّ الناس .

فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : ألا أريك آية ؟ قال : بلى . قال : فنظر إلى نخلة فقال : ادع ذلك العِذْق [1] ، فدعاه فجاء يَنْقِز [2] بين يديه .

فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : ارجع ، فرجع إلى مكانه .

فقال العامرى : يا آل بنى عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسْحَرَ من هذا

هكذا رواه الإمام أحمد [3] .

وقد أسنده البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيدة ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : جاء رجل من بنى عامر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : إن عندى طباً وعلما فما تشتكى ؟ هل يريبك من نفسك شىء إلى ما تدعو ؟ قال : أدعو إلى الله والإسلام .

قال : فإنك لتقول قولا فهل لك من آية ؟ قال : نعم ، إن شئت أريتك آية . وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال يا غصن . فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل يَنْقز حتى قام بين يديه ، فقال : ارجع إلى مكانك فرجع .

فقال العامرى : يا آل عامر بن صعصعة لا ألومكَ على شىء قلته أبداً .

[وهذا يقتضى أنه سَالم الأمر ولم يُجبِ من كل وجه] [4] .

وقد قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا ابن أبى قماش ، حدثنا ابن عائشة ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن

---

(١) العذق : النخلة بما عليها .

(٢) ينقز : يثب .

(٣) (صحيح) المسند ١٩٥٤ .

(٤) (صحيح) الدلائل للبيهقى .

الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : ما هذا الذى يقول أصحابك .

قال : وحوْل رسول الله أعذاق وشجر ، قال : فقال رسول الله : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم فدعا عذقا منها فأقبل يخُدّ الأرض حتى وقف بين يديه يَخدّ الأرض ويسجد ويرفع رأسه حتىَ وقف بين يديه ثم أمره فرجع .

قال العامرى وهو يقول : يا آل عامر بن صعصعة ! والله لا أكذّبه بشىء يقوله أبداً .

طريق أخرى فيها أن العامرى أسلم

قال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو على حامد بن محمد بن الرَّفاء ، أخبرنا على بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن سعيد بن الأصبهانى ، أخبرنا شريك ، عن سمَاك ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ **قال : بم أعرف أنك رسول الله .**

قال : أرأيت إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم.

قال فدعا العذقَ ، فجعل العذقُ ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض فجعل يَنْقز حتى أتى رسول الله ، ثم قال له : راجع . فرجع حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن (١) .

قال البيهقى : رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن سعيد الأصبهانى .

قلت : ولعله قال أولا إنه سِحر ، ثم تبصر لنفسه فأسلم وآمن لما هداه الله ـ عز وجل ـ والله أعلم .

حديث آخر عن ابن عمر فى ذلك

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الورّاق ، أخبرنا الحسين بن سفيان ، أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أبَان الجعفى ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبى حيَّان ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : **كنا مع رسول الله**

---

(١) (صحيح) على شرط مسلم ، الحاكم فى المستدرك ٤٢٣٧ .

ـ ﷺ ـ في سفَر فأقبل أعرابى فلما دنا منه قال له رسول الله : أين تريد ، قال : إلى أهلى . قال : هل لك إلى خير ؟ قال ما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة . فدعاها رسول الله ـ ﷺ ـ وهى على شاطئ الوادى فأقبلت تَخُد الأرض خداً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى مَنْبتها ورجع الأعرابى إلى قومه ، فقال : إن يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه الإمام أحمد والله أعلم .

* * * *

باب

حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله - ﷺ - وشفقاً من فراقه

وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان .

الحديث الأول عن أُبَيّ بن كعب - رضى الله عنه -

قال الإمام أبو عبد الله بن محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله -: حدثنا إبراهيم بن محمد ، قال : أخبرني عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن أبى الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : **كان النبى - ﷺ - يصلّى إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عَريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .**

فقال رجل من أصحابه : يارسول الله هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة فتُسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم فصنع له ثلاث درجات هن اللاتى على المنبر، فلما صنع المنبر ووضع موضعه الذى وضعه فيه رسول الله - ﷺ - ، بدا للنبى - ﷺ - أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمرَّ إليه ، فلما جاوز ذلك الجذْع الذى كان يخطب إليه خار حتى تصدَّع وانشق ، فنزل النبى - ﷺ - لما سمع صوت الجذْع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر ، فلما هُدِم المسجد أخذ ذلك الجذع أُبيُّ بن كعب - رضى الله تعالى عنه - ، فكان عنده حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رُفاتا (١) .

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل ، عن زكريا بن عدى ، عن عبيد الله بن عمرو الرقى ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل ، عن أبى بن كعب فذكره . وعنده : فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر ، وكان إذا صلى صلى إليه . والباقى مثله .

وقد رواه ابن ماجة ، عن إسماعيل بن عبد الله الرقى ، عن عبيد الله بن عمرو الرقى به .

---

(١) (ضعيف الإسناد) .

الحديث الثاني عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي : حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس .

فجاءه رُومِّي فقال : ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم ؟ فصنع له منبراً درجتان ويقعد على الثالثة .

فلما قعد نبي الله على المنبر خار كخُوار الثور ارتَّج لخواره الثور حزنا على رسول الله ، فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يَخُور ، فلما التزمه سكت . ثم قال :والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله . فأمر به رسول الله ـ ﷺ ـ فدفن (١) .

وقد رواه الترمذي ، عن محمود بن غَيْلان ، عن عمر بن يونس به وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عن أنس

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا هُدْبة ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يخطب إلى جذع نخلة ، فلما اتخذ المنبر تحوَّل إليه ، فحن فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ حتى احتضنه فسكن ، وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة (٢) .

وهذا رواه ابن ماجة ، عن أبي بكر بن خَلاَّد ، عن بَهْز بن أسد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس . وعن حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس به . وهذا إسناد على شرط مسلم .

---

(١) (حسن) .
(٢) (صحيح) .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا المبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا خَطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابنو لى منبراً ـ أراد أن يُسمعهم ـ فبنوا عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المنبر .**

قال : فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تَحِنُّ حنين الواله . قال : فما زالت تحنُّ حتى نزل رسول الله ـ ﷺ ـ عن المنبر ، فمشى إليها فاحتضنها فسكنت (١) .

تفرد به أحمد .

وقد رواه أبو القاسم البغوى ، عن شَيبان بن فَرُّوخ ، عن مبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن أنس ، فذكره وزاد : فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكَى ثم قال : يا عباد الله الخشَبة تحنُّ إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحَقُّ أن تَشْتَاقوا إلى لقائه .

وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخياط عن أنس بن مالك . فذكره .

طريق أخرى عن أنس

قال أبو نعيم : حدثنا أبو بكر بن خَلاّد ، حدثنا الحارث بن محمد بن أبى أسامة ، حدثنا يعلى بن عَبَّاد ، حدثنا الحكم ، عن أنس قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ يَخْطب إلى جذع ، فحنَّ الجذع فاحتضنه وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة .**

الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب إلى جذع نخلة .**

---

(١) (صحيح) المسند ١٣٢٩٦ .

قال : فقالت امرأة من الأنصار ـ وكان لها غلام نجار ـ : يارسول الله إن لى غلاماً نجاراً أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، قال : فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال : فأنَّ الجذع الذى كان يقوم عليه كما يَئِنُّ الصبى .

فقال النبى ـ ﷺ ـ : إن هذا [1] بكى لما فقد من الذِّكر [2] .

هكذا رواه أحمد .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، قال : سمعت أبى ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت إمرأة من الأنصار [أو رجل] [3] : يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم . فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياحَ الصبى ، ثم نزل النبى ـ ﷺ ـ فضمها إليه تئن أنين الصبى الذى يُسكَّن .

قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذِّكر عندها .

وقد ذكره البخارى فى غير ما موضع من صحيحه من حديث عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، وهو أيمن الحبشى المكى مولى ابن أبى عَمرة المخزومى ، عن جابر به .

طريق أخرى عن جابر

قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنى أخى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، حدثنى حفص بن عُبيد الله بن أنس بن مالك ، أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصارى يقول : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبى ـ ﷺ ـ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبر [4] وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار ، حتى جاء النبى ـ ﷺ ـ فوضع يده عليها فسكنت .

تفرَّد به البخارى .

---

(١) أ : فإن الجذع .
(٢) (صحيح) وهو فى المسند ١٤١٤٠ .
(٣) ليست فى أ .
(٤) أ : فقام .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البزَّار ، حدثنا محمد بن المثَّنى ، حدثنا أبو المساور ، حدثنا أبو عَوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ـ وهو ذَكْوان ـ عن جابر بن عبد الله ، وعن أبى إسحاق ، عن كُرَيب ، عن جابر قال : كانت خشبة فى المسجد يخطب إليها النبى ـ ﷺ ـ فقالوا : لو اتخذنا لك مثل الكرسى تقوم عليه ؟ ففعل فحنَّت الخشبة كما تحن الناقة الخَلُوج [1] فأتاها فاحتضنها فوضع يده عليها فسكنت .

قال أبو بكر البزار : وأحسب أنا [2] قد حُدِّثناه عن أبى عوانة عن الأعمش ، عن أبى صالح عن جابر ، وعن أبى إسحاق عن كريب عن جابر بهذه القصة التى رواها أبو المُساور عن أبى عَوانة . وحَدَّثناه محمد بن عثمان بن كَرامة ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كُرَيب ، عن جابر عن النبى ـ ﷺ ـ بنحوه .

والصواب إنما هو سعيد بن أبى كُريب ، وكُرَيب خطأ ، ولا يعلم يروى عن سعيد بن أبى كُريب إلا إسحاق .

قلت : ولم يخرجوه من هذا الوجه وهو جيد .

طريق أخرى عن جابر

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كُرَيب ، عن جابر بن عبد الله قال : **كان النبى ـ ﷺ ـ يخطب إلى خشبة فلما جعل له منبر حنت حنين الناقة فأتاها فوضع يده عليها فسكنت** . تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن جابر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبى ـ ﷺ ـ يقوم إلى جذع قبل أن يُجعل له المنبر فلما جعل [له] [3] المنبر حن الجذع حتى سمعنا حنينه ، فمسح رسول الله ـ ﷺ ـ بيده عليه فسكن .

---

(١) الخلوج : الناقة التى اختلج عنها ولدها فقلَّ لبنها .

(٢) أ : وأحسب أبا كل .

(٣) من أ .

قال البزار : لا نعلم رواه عن الزهرى إلا سليمان بن كَثير .

قلت : وهذا إسناد جيد رجاله على شرط الصحيح ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو نُعَيم فى الدلائل : ورواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى عن رجل سماه عن جابر . ثم أورده من طريق أبى عاصم[1] بن على ، عن سليمان بن كثير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب عن جابر مثله .

ثم قال : حدثنا أبو بكر بن خَلاَّد ، حدثنا أحمد بن على الخرَّاز ، حدثنا عيسى بن المساور ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة ، عن جابر ، أن رسول الله كان يخطب إلى جذع فلما بنى المنبر حن الجذع فاحتضنه فسكن وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة .

ثم رواه من حديث أبى عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن جابر ، عن أبى إسحاق ، عن كريب ، عن جابر ، مثله .

طريق أخرى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جُرَيج ، ورَوْح قال : حدثنا ابن جريج : أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : **كان النبى ـ ﷺ ـ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سوارى المسجد ، فلما صُنع له منبره واستوى عليه فاضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله ـ ﷺ ـ فاعتنقها فسكنت ، وقال رَوْح : فسكنت .**

وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يُخَرّجوه .

طريق أخرى عن جابر

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدى ، عن سليمان ، عن أبى نَضْرة ، عن جابر قال : **كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقوم فى أصل شجرة ، أو قال : إلى جذع ، ثم اتخذ منبراً قال فحنَّ الجذع ، قال جابر : حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله ـ ﷺ ـ فمسحه**

(١) أ : طريق عاصم .

فسكن ، فقال بعضهم : لو لم يأته لحن إلى يوم القيامة (١) .

وهذا على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجة ، عن بُكَير(٢) بن خلف ، عن ابن أبى عدى ، عن سليمان التيمى ، عن أبى نَضْرة المنذر بن مالك بن قطفة [العبدى البصرى عن جابر به] (٣)

الحديث الرابع عن سهل بن سعد

قال أبو بكر بن أبى شَيبة : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى حازم ، قال : **أتوا سهل ابن سعد فقالوا من أى شىء منبر رسول الله ـ ﷺ ـ ؟**

فقال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يستند إلى جذع فى المسجد يصلى إليه إذا خطب ، فلما اتخذ المنبر فصعد حنَّ الجذع حتى أتاه رسول الله ـ ﷺ ـ فوطنه حتى سكن (٤) .

وأصل هذا الحديث فى الصحيحين ، وإسناده على شرطهما ، وقد رواه إسحاق بن راهويه ، [وابن أبى فُدَيك] عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده .

ورواه عبد الله بن نافع ، وابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، عن ابن عباس بن سهل، عن أبيه ، فذكره .

ورواه ابن لَهِيعة ، عن عمارة بن عرفة ، عن [ابن] (٥) عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه بنحوه .

الحديث الخامس
عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبى عمار ، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] **أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يخطب إلى جذع قبل أن يُتخذ المنبر،**

---

(١) (صحيح) المسند ١٤٢١٦ .
(٢) أ: بكر .
(٣) ليست فى أ .
(٤) صحيح .
(٥) ليست فى أ .

فلما اتخذ المنبر وتحوّل إليه حنّ عليه فأتاه فاحتضنه فسكن ، قال : لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة (١) .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -

قال البخارى : حدثنا محمد [بن المثنى ، حدثنا يحيى] (٢) بن كثير أبو غسان ، حدثنا أبو حفص [واسمه عمر] بن العلاء - أخو أبى عمرو بن العلاء - قال : سمعت نافعا ، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : **كان النبى - ﷺ - يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه** .

وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذ بن العلاء ، عن نافع بهذا .

ورواه أبو عاصم ، عن ابن أبى روَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى - ﷺ - ، هكذا ذكره البخارى .

وقد رواه الترمذى ، عن عمرو بن على الفلاَّس ، عن عثمان بن عمرو ، ويحيى بن كثير ، عن أبى غسان العنبرى ، كلاهما عن عن معاذ بن العلاء به ، وقال : حسن صحيح غريب .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى أطرافه : ورواه على بن نصر بن على الجَهْضَمىّ وأحمد بن خالد الخلاَّل وعبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمى [فى آخرين] عن عثمان بن عمر ، عن معاذ بن العلاء قال : وعبد الحميد هذا - يعنى الذى ذكره البخارى - يقال : إنه عبد بن حُمَيد والله أعلم .

قال شيخنا : وقد قيل إن قول البخارى : عن أبى حفص واسمه عمرو بن العلاء ، وَهْمٌ ، والصواب معاذ بن العلاء كما وقع فى رواية الترمذى .

---

(١) (صحيح) المسند ٢٤٠١ .
(٢) ليست فى أ .

قلت : وليس هذا ثابتا فى جميع النسخ ، ولم أر فى النسخة [1] التى كتبت منها تسميته بالكلية والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن رجاء ، عن عبيد الله ابن عمر ، ومن حديث أبى عاصم ، عن ابن أبى رواد ، كلاهما عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال تميم الدارى ألا نتخذ لك منبراً . فذكر الحديث .

طريق أخرى عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف ، عن أبى جناب ـ وهو يحيى بن أبى حية ـ عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر قال : **كان جذعُ نخلةٍ فى المسجد يُسند رسول الله ـ ﷺ ـ ظهره إليه إذا كان يوم جمعة أو حدَث أمر يريد أن يكلم الناس ، فقالوا : ألا نجعل لك يا رسول الله [شيئاً] [2] كقدر قيامك ؟ قال : لا عليكم أن تفعلوا ، فصنعوا له منبراً ثلاث مَراق ، قال : فجلس عليه .**

قال : فخار الجِذْعُ كما تَخُور البقرةُ جَزَعًا على رسول الله ـ ﷺ ـ فالتزمه ومسحه حتى سكن . تفرد به أحمد .

الحديث السابع

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ

قال [عَبْد بن حميد] [3] الليثى : حدثنا على بن عاصم ، عن الجريرى ، عن أبى نَضْرة العَبْدى ، حدثنى أبو سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة : فقال : له الناس : يا رسول الله إنه قد كثر الناس ـ يعنى المسلمين وإنهم ليحبون أن يروك ، فلو اتخذت منبراً تقوم عليه ليراك الناس ؟ قال : نعم ، من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا . قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله . قال : ما اسمك ؟ قال : فلان . قال : اقعد . فقعد ثم عاد فقال : من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا . قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال

(١) المطبوعة : النسخ .

(٢) ليست فى أ .

(٣) أ : عبد الرحمن بن حميد .

ما اسمك ؟قال : فلان ، قال : اقعد . فقعد .

ثم عاد فقال : من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال : تجعله ؟ قال نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال اقعد فقعد .

ثم عاد فقال : من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال تجعله ؟ قال : نعم إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : إبراهيم قال : اجعله .

فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي ـ ﷺ ـ في آخر المسجد فلما صعد رسول الله ـ ﷺ ـ المنبر فاستوى عليه استقبل الناس ، وَحنَّت النخلة حتى أسمعتنى ، أنا فى آخر المسجد ، قال : فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ عن المنبر فاعتنقها و فلم يزل حتى سكنت ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذه النخلة إنما حنت شوقاً إلى رسول الله ، لما فارقها ، فوالله لو لم أنزل إليها فأعتنقها لما سكَنَتْ إلى يوم القيامة .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولكن فى السياق غرابة . والله تعالى أعلم .

طريق أخرى عن أبى سعيد

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسروق بن المرْزبانى ، حدثنا زكريا ، عن مُجَالد ، عن أبى الوَدَّاك وهو جبر بن نَوْف ، عن أبى سعيد قال : كان النبى ـ ﷺ ـ يقوم إلى خشَبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال : إن شئت جعلت لك شيئا إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم . قال : نعم .

قال فجعل له المنبر ، فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها ، حتى نزل النبى ـ ﷺ ـ فوضع يده عليها ، فلما كان الغد رأيتها قد حُوِّلت ، فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : جاء رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو بكر وعمر البارحة فحولوها . وهذا غريب أيضا .

الحديث الثامن

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ

رواه الحافظ من حديث على بن أحمد الحوَّار ، عن قبيصة ، عن حبَّان بن على ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بُرَيْدة ، عن عائشة . فذكر الحديث بطوله وفيه أنه خيَّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يُعرف .

هذا حديث غريب إسناداً ومتناً .

الحديث التاسع

عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ

روى أبو نعيم من طريق شريك القاضى وعمرو بن أبى قيس ومُعَلَّى بن هلال ، ثلاثتهم عن عمار الدُّهنى[1] ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة قالت : كان لرسول الله ـ ﷺ ـ خشبة يستند إليها إذا خطب ، فصنع له كرسى أو منبر فلما فَقَدَتْه خارَتْ كما يخور الثور ، حتى سمع أهلُ المسجد ، فأتاها رسول الله ـ ﷺ ـ فسكنت .

هذا لفظ شريك ، وفى رواية مُعلَّى بن هلال : أنها كانت من دَوْم .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث عمار الدُّهنى عن أبى سلمة ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : قوائم منبرى فى زاوية فى الجنة .

وروى النسائى أيضا بهذا الإسناد : ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة . فهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن ، وكذا من تأمَّلها وأنعم فيها النظر والتأمل مع معرفته بأحوال الرجال . وبالله المستعان .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو أحمد بن أبى الحسن ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى ، قال : قال أبى ـ يعنى أبا حاتم الرازى ـ قال عمرو بن سَوَاد ، قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمداً ـ ﷺ ـ فقلت له : أعطى عيسى إحياء الموتى . فقال : أعطى محمد الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هُيِىء له المنبر ، فلما هُيِئ له المنبر حنَّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكْبر من ذلك .

---

(١) المطبوعة : الذهبى . وهو تحريف . وهو عمار بن معاوية الدهنى ، نسب إلى دهن بن معاوية وهو بطن من بجيلة . اللباب ١ / ٤٣٤ .

بـاب
تسبيـح الحصى فى كفـه ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عَبْدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا الكُدَيْمى ، حدثنا قريش بن أنس ، حدثنا صالح بن أبى الأخضر ، عن الزهرى ، عن رجل يقال له سُويد بن يزيد السلمى ، قال : **سمعت أبا ذر يقول : لا أذكر عثمانَ إلا بخير بعد شيء رأيته .**

كنت رجـلا أتبع خَلواتِ رسـول الله ـ ﷺ ـ ، فرأيته يوما جالسا وحده ، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه فجاء أبو بكر فسلَّم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ـ ﷺ ـ ، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبى بكر ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر .

وبينَ يَديْ رسول الله ـ ﷺ ـ سبع حصَيَات ، أو قال : تسع حصيات فأخذهن فى كفه فسبَّحن حتى سمعت لهن حَنِيناً كحنين النَّحْل ، ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن فى كف أبى بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت حنينا كحنين النَّحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبى ـ ﷺ ـ : هذه خلافة النبوة (١) .

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يسار عن قريش ، بن أنس عن صالح بن أبى الأخضر ، وصالح لم يكن حافظاً ، والمحفوظ [رواية شعيب بن(٢)] أبى حمزة عن الزهرى ، قال : ذكر الوليد بن سويد [هذا الحديث عن أبى ذر هكذا ، قال البيهقى : وقد قال محمد بن يحيى الذُّهلى فى الزهريات التى جمع فيها أحاديث الزهرى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب قال : ذكر الوليد بن سويد (٣)] أن رجلا من بنى سُلَيم كبير السن

(١) (**ضعيف جداً**) لأجل صالح بن أبى الأخضر حققه ابن حجر .
(٢) من أ .
(٣) سقط من أ .

كان ممن أدرك أبا ذر بالرَّبذة ذكر أنه بينما هو قاعد يوما فى ذلك المجلس وأبو ذر فى المجلس إذ ذكر عثمان بن عفان ، يقول السُّلمى : فأنا أظن أن فى نفس« أبى ذر على عثمان معتبة لإنزاله إياه بالرَّبْذة ، فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك ، وهو يظن أن فى نفسه عليه معتبة .

فلما ذكره قال : لا تقل فى عثمان إلا خيراً ، فإنى أشهد لقد رأيت منه مُنظراً وشهدت منه مشهداً لا أنساه حتى أموت ، كنت رجلا ألتمس خَلَوات النبى - ﷺ - لأسمع منه أو لآخذ عنه ، فهَجَّرت يوما من الأيام ، فإذا النبى - ﷺ - قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم فأخبرنى أنه فى بيت . فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكأنى حينئذ أرى أنه فى وَحْى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : ما جاء بك ؟ فقلت : جاء بى رسول الله . فأمرنى أن أجلس فجلست إلى جنبه ، لا أسأله عن شىء ولا يذكره لى ، فمكثت غير كثير .

فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلم عليه فرد السلام ثم قال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بى اللّه ورسوله . فأشار بيده أن اجلس ، فجلس إلى ربوة مقابل النبى - ﷺ - بينه وبينها الطريق ، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً فأشار بيده فجُلس إلى جنبى عن يمينى .

ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله - ﷺ - مثل ذلك ، وجلس إلى جنب أبى بكر على تلك الربوة .

ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال : ما جاء بك ؟ قال : جاء بى الله ورسوله ، فأشار إليه بيده فقعد إلى الربوة ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر .

فتكلم النبى - ﷺ - بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال : قليل ما يبقين ، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك ، فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل فى كف النبى - ﷺ - ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كف أبى بكر كما سبحن فى كف النبى - ﷺ - ، ثم أخذهن منه فوضعهن فى الأرض فخرسن فصرن حَصى ، ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه نحو ما سبحن فى كف أبى بكر وعمر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن .

قال الحافظ ابن عساكر : رواه صالح بن أبى الأخضر ، عن الزهرى ، فقال : عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمى ، وقول شعيب أصح ، [وقال أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة : وقد روى داود بن أبى هند ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى ، عن جبير بن نُفَير ، عن أبى ذر مثله . ورواه شَهْر بن حَوْشَب وسعيد بن المسيَّب عن أبى سعيد . قال : وفيه عن أبى هريرة] (١) . وقد تقدم ما رواه البخارى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

حديث آخر فى ذلك

روى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص، قال : حدثنى أبو أمى مالم بن جمزة بن أبى أسَيْد الساعدىّ ، عن أبيه ، عن جده أبى أسَيّد الساعدى ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ للعباس بن عَبد المطلب : **يا أبا الفضل لا ترِم (٢) منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم ، فإذا لى فيكم حاجة . فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى .**

فدخل عليهم فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

قال: كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله .

فكيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله ؟ قال : أصبحت بخير أحمد الله .

فقال لهم : تقاربوا يَزْحف بعضكم إلى بعض . حتى إذا أمْكَنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : يا رب هذا عمى وصِنْو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسَتْرى إياهم بملاءتى هذه .

وقال : فأمنت أسكُفة الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين (٣) .

وقد رواه أبو عبد الله بن ماجة فى سننه مختصراً عن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن حاتم الهرَوى ، عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص الوقّاصى الزهرى ، وروى عنه جماعة ، وقد قال ابن مَعين : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مُشْبِهة .

---

(١) ليست فى أ . (٢) لا ترم : لا تبرح .

(٣) (ضعيف الاسناد) فيه مالك بن حمزة .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بُكَير ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثنى سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال : **قال رسول الله - ﷺ -: إنى لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلّم علىَّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن** (١) .

رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن أبى بكير به .

ورواه أبو داود الطيالسى ، عن سليمان بن معاذ ، عن سِماك به .

حديث آخر

قال الترمذى : حدثنا عبَّاد بن يعقوب الكوفى ، حدثنا الوليد بن أبى ثور ، عن السُّدى ، عن عبَّاد بن أبى يزيد ، عن على بن أبى طالب ، قال : كنت مع النبى - ﷺ - بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

ثم قال : وهذا حديث حسن غريب .

وقد رواه غير واحد عن الوليد بن أبى ثور ، وقالوا : عن عبَّاد بن أبى يزيد ، منهم فَروة بن أبى الفرَّاء .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث زياد بن خَيْثمة ، عن السُّدى ، عن أبى عمارة الخيوانى ، عن على قال : **خرجت مع رسول الله - ﷺ - فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه** (٢) .

وقدَّمنا فى المبعث أنه - عليه السلام - لَّما رجع وقد أوحى إليه جعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مَدَر ولا شىء إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله .

وذكرنا فى وقعة بدر ووقعة حنين رَمْيَه - عليه السلام - بتلك القبضة من التراب ، وأمره أصحابه أن يتبعونها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعا .

---

(١) (صحيح) المسند ٢٠٧٢٠ .
(٢) (ضعيف الاسناد) فيه الوليد بن أبى ثور وذكره الألبانى فى ضعيف سنن الترمذى .

أما فى وقعة بدر فقد قال الله تعالى فى سياقها فى سورة الأنفال : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الآية .

وأما فى غزوة حنين فقد ذكرناه فى الحديث بأسانيده وألفاظه بما أغنى عن إعادته ها هنا ولله الحمد والمنة .

حديث آخر

ذكرنا فى غزوة الفتح أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما دخل المسجد الحرام فوجد الأصنام حول الكعبة فجعل يطعنها بشيء في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ ﴿ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ .

وفى رواية أنه جعل لا يشير إلى صنم منا إلا خرَّ لقفاه ، وفى رواية : إلا سقط .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر وأحمد بن عيسى اللّخمى ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، أخبرنا الأوزاعى ، عن ابن شهاب ، أنه قال : أخبرنى القاسم ابن محمد بن أبى بكر ، أخبرنا الأوزاعى ، عن ابن شهاب ، أنه قال : أخبرنى القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، عن عائشة قالت : دخل علىّ رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا مستترة بقرام [1] فهتكه ثم قال : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يُشَبِّهون بخلق الله .

قال الأوزاعى : وقالت عائشة : أتى [2] رسول الله ـ ﷺ ـ بتُرس فيه تمثال عُقاب فوضع عليه يده فأذهبه الله ـ عز وجل ـ .

(١) القرام : ثوب ملون من صوف فيه نقوش .
(٢) أ : اتأنى .

بـاب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

قصة البعير النادّ وسجوده له وشكواه إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حفص ـ هو ابن عمر ـ عن عمه أنس بن مالك قال : **كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون [1] عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : إنه كان لنا جمل نَسْنِي عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظَهره ، وقد عطش الزرع والنخل . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه : قوموا .**

فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحيته ، فمشى النبى ـ ﷺ ـ نحوه ، فقالت الأنصار : يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكَلِب وإنا نخاف عليك صَوْلته فقال : ليس علىَّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناصيته أذلَّ ما كانت قط ، حتى أدخله فى العمل .

فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ! ونحن أحق أن نسجد لك . فقال : لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صَلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدَمه إلى مفرق رأسه قرحة تَنْبَجَسُ [2] لقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته [3] ما أدت حقه .

وهذا إسناد جيد ، وقد روى النسائى بعضه من حديث خلف بن خليفة به .

رواية جابر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا مُصعب بن سلام سمعته من أبى مرتين ، حدثنا الأجْلَح ، عن الذيَّال بن حَرْمَلة ، عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شَدَّ عليه .

---

(١) يسنون : يسقون .　　(٢) غير أ : تنفجر .　　(٣) أ : تلحسه .

قال : فذكروا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مشفَره إلى الأرض حتى برك بين يديه .

قال : فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هاتوا خطاما [1] فخطمه ودفعه إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس .

تفرد به الإمام أحمد ، وسيأتى عن جابر من وجه آخر بسياق آخر إن شاء الله وبه الثقة .

رواية ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا يزيد بن مهران أخو خالد الجيَّار ، حدثنا أبو بكر بن عَياش ، عنَ الأجلح ، عن الذيَّال بن حَرملة ، عن ابن عباس قال : جاء قوم إلى رسول الله قالوا : يا رسول الله إن لنا بعيراً قد نَدَّ فى حائط . فجاء إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : تعال . فجاء مُطأطئا رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه فقال له أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، كأنه عَلم أنك نبى .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ما بين لابتَيْها أَحدٌ إلا يعلم أنى نبى الله إلا كفَرة الجن والإنس .

وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جداً ، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر ، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه الذيَّال ، عن جابر ، وعن ابن عباس والله أعلم.

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا العباس بن الفضل الأسفَاطى ، حدثنا أبو عون الزيادى ، حدثنا أبو عَزَّة الدبَّاغ ، عن أبى يزيد المدينى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رجلا من الأنصار كان له فَحْلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسدَّ عليهما الباب

ثم جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأراد أن يدعو له ، والنبى قاعد معه نفر من الأنصار ، فقال : يا نبى الله إنى جئت فى حاجة ، فإن فَحْلين لى اغتلما ، وإنى أدخلتهما حائطا

(١) أ : خاطما .

وسددت عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لى أن يسخرهما الله لى . فقال لأصحابه : قوموا معنا .

فذهب حتى أتى الباب فقال : افتح . فأشفق الرجل على النبى - ﷺ - فقال : افتح . ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريباً من الباب ، فلما رأى رسول الله - ﷺ - سجد له ، فقال رسول الله : ائت بشىء أشدُّ رأسه وأمَكِّنَك منه ، فجاء بخطام فشد رأسه وأمْكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجداً . فقال للرجل : ائتنى بشىء أشد رأسه وأمكنه منه ، فقال : اذهب فإنهما لا يعصيانك .

فلما رأى أصحاب رسول الله - ﷺ - ذلك قالوا : يا رسول الله هذان فحلان سجدا لك ، أفلا نسجد لك ؟

قال : لا آمر أحداً أن يسجد لأحد ، ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

وهذا إسناد غريب ومتن غريب .

ورواه الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن حامد فى كتابه دلائل النبوة ، عن أحمد بن حمدان السّجزى ، عن عمر بن محمد بن بَجير البحترى ، عن بشر بن آدم ، عن محمد بن عون أبى عون الزيادى به .

وقد رواه أيضا من طريق مكى بن إبراهيم ، عن فائد أبى الورْقاء ، عن عبد اللّه بن أبى أوفَى عن النبى - ﷺ - بنحو ما تقدم عن ابن عباس .

رواية أبى هريرة

قال أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه : أخبرنا أحمد بن حمدان ، أنبأنا عمر بن محمد بن بجير ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : انطلقنا مع رسول الله - ﷺ - إلى ناحية فأشرفنا إلى حائط فإذا نحن بناضح ، فلما أقبل الناضح رفع رأسه فبَصُر برسول الله - ﷺ - فوضع جِرَانه [1] على الأرض ، فقال أصحاب رسول الله - ﷺ - : فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة

(١) الجران : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى نحره .

فقال : سبحان الله ، أدون الله ! ما ينبغى لأحد أن يسجد لأحد دون الله ، ولو أمرت أحداً أن يسجد لشىء من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها] [1]

رواية عبد الله بن جعفر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا مهدى بن ميمون ، عن محمد بن أبى يعقوب عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر ، حدثنا بَهْز وعفان قالا : حدثنا مهدى ، حدثنا محمد بن أبى يعقوب ، عن الحسن بن سعد ـ مولى الحسن بن على ـ عن عبد الله ابن جعفر قال : **أردفنى رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم خلفه فأسرَّ إلىَّ حديثا لا أخبر به أحداً أبداً ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ أحب ما استتر به فى حاجته هَدَف أو حائش [2] نخل ، فدخل يوما حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجَرْجر [3] وذَرَفت عيناه .**

وقال بَهز وعفان : فلما رأى رسول الله حَنَّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله على سَرَاته وذِفْراه [4] فسكن .

فقال : من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار قال : هو لى يا رسول الله ، فقال : أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملَّككها الله لك ؟ : إنه شكا إلىَّ أنك تُجيعه وتُدْئبه [5]

وقد رواه مسلم من حديث مهدى بن ميمون به .

رواية عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ـ هو ابن سلمة ـ عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن عائشة أن **رسول الله ـ ﷺ ـ كان فى نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له ، فقال أصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك . فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغى لها أن تفعله .**

---

(١) (ضعيف جداً) فيه يحيى بن عبيد الله وهو ضعيف الحديث منكر جداً .

(٢) الحائش : جماعة النخل ، لا مفرد له .

(٣) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(٤) السراة : الظهر . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .

(٥) تدئبه : تتعبه .

وهذا الإسناد على شرط السنن ، وإنما روى ابن ماجة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد به : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إلى آخره .

رواية يَعْلى بن مُرة الثقفى ، أو هى قصة أخرى

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن حسين ، عن أبى جبيرة ، عن يعلى بن سيَّابة قال ؛ **كنت مع النبى ـ ﷺ ـ فى مَسير له فأراد أن يقضى حاجته فأمر وَدْيَتين** [1] **فانضمت إحداهما إلى الأخرى ، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما ،وجاء بعير فضرب بجرَانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتلَّ ما حوله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أتدرون مايقول البعير إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره .**

فبعث إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أواهبه أنت لى ؟ فقال : يا رسول الله مالى مال أحب إلىَّ منه . فقال استوص به معروفا . فقال : لا جرم لا أكرم مالا لى كرامته يا رسول الله .

قال : وأتى على قبر يعذَّب صاحبه فقال : إنه يعذَّب فى غير كبير . فأمر بجريدةٍ فوضعت على قبره . وقال : عسى أن يخفف عنه ما دامت رَطبة [2] **.**

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمر عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعلى بن مُرة الثقفى ، قال : **ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ـ ﷺ ـ**

بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسْنَىَ عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جِرانه فوقف عليه النبى ـ ﷺ ـ فقال أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال بعنيه ، فقال : لابل أهبهُ لك فقال : لابل بعنيه . قال : لابل نهبه لك إنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . قال : أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه .

قال : ثم صرنا فنزلنا منزلا فنام رسول الله ـ ﷺ ـ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى

---

(١) الودى : صغار النخل .

(٢) (ضعيف) فيه على بن زيد .

غَشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرتُ له ، فقال :هى شجرة استأذنت ربها ـ عز وجل ـ فى أن تسلِّم على رسول الله ـ ﷺ ـ فأذن لها.

قال : ثم سِرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لهابه جِنَّة ، فأخذ النبى ـ ﷺ ـ بمنخره فقال : اخرج إلى محمد رسول الله . قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بَجزْر [1] ولبن فأمرها أن تردَّ الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبى فقالت : والذى بعثك بالحق نبيا ما رأينا منه ريبا بعدك [2] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نُمَير ، حدثنا عثمان بن حكيم ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن يَعْلى بن مرة قال : لقد رأيت عن رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثا ما رآها أحد قبلى ، ولا يراها أحد بعدى : لقد خرجت معه فى سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها فقالت : يا رسول الله هذا الصبى أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة .

قال : ناولينيه ، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرَّحل ، ثم فَغَر فاه فنفث فيه ثلاثا وقال : بسم الله أنا عبد الله ، أخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه ، فقال : القينا فى الرَّجعة فى هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث ، فقال : ما فعل صبيك ؟ فقالت: والذى بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئا حتى الساعة . فاجْتَرِرْ هذه الغنم . قال : انزل فخذ منها واحدة وردَّ البقية .

قال : وخرجت ذات يوم إلى الجبَّانة حتى إذا برزنا قال : ويحك انظر هل ترى من شىء يوارينى ؟ قلت : ما أرى شيئاً يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك . قال : فما يقربها ؟ قلت : شجرة مثلها أو قريب منها . قال : فاذهب إليها فقل : إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن الله . قال : فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع ، فقال : اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله

(١) الجزر : ما يذبح من الشاء .

(٢) (ضعيف) فيه عبد الله بن حفص ذكره فى الضعفاء .

يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها . فرجعت .

قال : وكنت معه جالسا ذات يوم إذ جاء جمل نجيب حتى ضرب[(١)] بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لشأنا . قال: فخرجت التمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال : ما شأن جملك هذا ؟ فقال وما شأنه ؟ قال : لا أدرى والله ما شأنه ، عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هبه لى أو بعنيه . فقال بل هو لك يا رسول الله ، فوسّمه بسمة الصدقة ثم بعث به[(٢)] .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن المنْهال بن عمرو ، عن يَعْلى ابن مُرَّة الثقفى ، عن أبيه ، ولم يقل مُرَّة عن أبيه ، أن امرأة جَاءت إلى رسول الله معها صبى لها به لمم[(٣)] ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أخرج عدو الله أنا رسول الله .

قال : فبرئ ، قال : فأهدت إليه كبشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن ، قال : فقال رسول الله : خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورُدَّ عليها الآخر ، ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدم .

وقال أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى قال : ما أظن أن أحداً من الناس رأى من رسول الله ـ ﷺ ـ إلا دون ما رأيت ، فذكر أمْرَ الصبى والنخلتين وأمْر البعير ، إلا أنه قال : ما لبعيرك يشكوك ؟ زعم أنك سانيته حتى إذا كبر تريد تنحره .

قال : صدقت والذى بعثك بالحق قد أردت ذلك ، والذى بعثك بالحق لا أفعل .

---

(١) المطبوعة : ضوى .

(٢) (ضعيف) لأجل عبد الرحمن بن عبد العزيز .

(٣) غير أ : عن يعلى بن مرة عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم .

طريق أخرى عنه

روى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا حمدان بن الأصبهانى ، حدثنا يزيد ، عن عمرو بن عبد الله بن يَعْلى بن مُرة ، عن أبيه عن جده قال : رأيت من رسول الله - ﷺ - ثلاثة أشياء ما رآها أحد قبلى . كنت معه فى طريق مكة فمرَّ بامرأة معها ابن لها به لَمَم ما رأيت لما أشدَّ منه ، فقالت : يا رسول الله ابنى هذا كما ترى . فقال إن شئت دعوت له . فدعا له .

ثم مضى فمر على بعير ناد جرانه يرغو ، فقال : علىَّ بصاحب هذا البعير ، فجيء به ، فقال : هذا يقول : نُتِجْتُ عندهم فاستعملونى حتى إذا كبرتُ عندهم أرادوا أن يَنْحَرونى .

قال : ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين فقال لى : اذهب فمرهما فليجتمعا لى . قال : فاجتمعتا فقضى حاجته .

قال : ثم مضى فلما انصرف مرَّ على الصبى وهو يلعب مع الغلمان وقد ذهب ما به وهيأت أمه أكبشا فأهدت له كبشين ، وقالت ما عاد إليه شىء من اللمم .

فقال النبى - ﷺ -: ما من شىء إلا ويعلم أنى رسول الله ، إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس .

* * *

فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين ، أن يعلى بن مُرَّة حدث بهذه القصة فى الجملة ، وقد تفرد بهذا كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ولم يرو أحد منهم شيئا سوى ابن ماجة فإنه روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب ، عن يحيى بن سُلَيم ، عن ابن خُثَيم عن يونس بن خَبَّاب [1] ، عن يعلى بن مُرة ، أن رسول الله - ﷺ - كان إذا ذهب إلى الغائط أبعد .

وقد اعتنى الحافظ أبو نُعيم بحديث البعير فى كتابه « دلائل النبوة » وطرقه من وجوه كثيرة .

---

(١) كان رافضيا قال يحيى بن سعيد : كان كذابا ، وقال ابن معين : رجل سوء ضعيف ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه ، وقال البخارى : منكر الحديث . ميزان الاعتدال ٤ / ٤٧٩ .

ثم أورد حديث عبد الله بن قرط اليماني قال : جيء رسول الله - ﷺ - ببست ذَود فجعلهن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ ، وقد قدمت الحديث فى حجة الوداع .

قلت : قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين ، وذكرنا آنفا عن غير واحد من الصحابة نحواً من حديث الجمل لكن بسياق يشبه أن يكون غير[1] هذا فالله أعلم .

وسيأتى حديث الصبى الذى كان يُصْرَع ودعاؤه - عليه السلام - له وبرؤه فى الحال من طرق أخرى .

وقد روى الحافظ البيهقى عن أبى عبد الله الحاكم ، غيره ، عن أبى العباس الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : خرجت مع رسول الله - ﷺ - فى سفر ، وكان رسول الله - ﷺ - إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد ، فنزلنا منزلاً بفلاةٍ من الأرض ، ليس فيها عَلَم ولا شجر ، فقال لى : يا جابر خذ الإداوة وانطلق بنا . فملأت الإداوة ماء وانطلقنا ، فمشينا حتى لا نكاد نرى ، فإذا شجرتان بينهما أذرع .

فقال رسول الله - ﷺ - : يا جابر إنطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله : ألحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، ففعلت فرجعت فلحقت بصاحبتها ، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته .

ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسرْنا كأنما على رءوسنا الطير تظلنا ، وإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله - ﷺ - فقالتَ : يا رسول الله ، إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله - ﷺ - فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرَّحل فقال : اخسأ عدو الله ، أنا رسول الله . وأعاد ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه .

فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا تلك المرأة ومعها كبشان تقودهما والصبى تحمله ، فقالت : يا رسول الله اقبل منى هديتى ، فوالذى بعثك بالحق إن عاد إليه بعدُ فقال رسول الله - ﷺ - : خذوا أحدهما وردوا الآخر .

---

(١) الأصل : عن هذا .

قال : ثم سرنا ورسول الله ـ ﷺ ـ بيننا فجاء جمل ناد ، فلما كان بين السِّماطين خرَّ ساجداً ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه قالوا : سَنْونا عليه منذ عشرين سنة فلما كبرت سنه وكانت عليه شُحَيمة أردنا نحره لنقسمه بين غِلمتنا .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ تبيعونيه ؟ قالوا : يا رسول الله هولك . قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .

قالوا : يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن .

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات .

وقد روى أبو داود ، وابن ماجة ، من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصفراء ، عن الزبير ، عن جابر أن رسول الله كان إذا ذهب المذهب أبعد .

ثم قال البيهقى : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الحسين بن على بن زياد ، حدثنا أبو جُمة ، حدثنا أبو قُرة عن زياد ـ هو ابن سعد ـ عن أبى الزبير ، أنه سمع يونس بن خبَّاب الكوفى يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبى ـ ﷺ ـ أنه كان فى سفر إلى مكة فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لا يراه أحد ، قال : فلم يجد شيئا يتوارى به ، فبصر بشجرتين . فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر .

قال البيهقى : وحديث جابر أصح .

قال : وهذه الرواية ينفرد بها زمعة بن صالح ، عن زياد ـ أظنه ابن سعد ـ عن أبى الزبير .

قلت : وقد يكون هذا أيضا محفوظاً ، ولا ينافى حديث جابر ويعلى بن مرة ، بل يشهد لهما ، ويكون هذا الحديث عند أبى الزبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المكى عن جابر وعن يونس بن خباب ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه . والله أعلم

وروى البيهقى من حديث معاوية بن يحيى الصيرفى ـ وهو ضعيف ـ عن الزهرى ،

عن خارجة بن زيد ، عن أسامة بن زيد ، حديثا طويلا نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله .

وفيه قصة الصبى الذى كان يُصرع ومجئ أمه بشاة مشوية فقال : ناولينى الذراع . فناولته ، ثم قال : ناولينى الذراع فناولته ، ثم ثال : ناولينى الذراع . فقلت : كم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذى نفسى بيده لو سكتِّ لناولتينى ما دعوت .

ثم ذكر قصة النخلات واجتماعهما وانتقال الحجارة معهما حتى صارت الحجارة رجماً خلف النخلات . وليس فى سياقه قصة البعير ، فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده وبالله المستعان .

[وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة غَيْلان بن سلمة الثقفى بسنده إلى يَعْلى بن منصور الرازى ، عن شَبيب بن شيبة ، عن بشر بن عاصم ، عن غَيْلان بن سلمة ، **قال : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فرأينا عجبا . فذكر قصة الشجرتين واستتاره بهما عند الخلاء ، وقصة الصبى الذى كان يُصرَع ، وقوله : بسم الله أنا رسول الله ، أخرج عدو الله فعوفى .**

ثم ذكر قصة البعيرين النادَّين وأنهما سجداله بنحو ما تقدم فى البعير الواحد ، فلعل هذه قصة أخرى ، والله أعلم][1] .

وقد ذكرنا فيما سلف[2] حديث جابر وقصة جمله الذى كان قد أعيىَ ، وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره فى أخريات القوم ، فلحقه النبى ـ ﷺ ـ فدعا له وضربه فسار سيراً لم يسر مثله حتى جعل يتقدم أمام الناس .

وذكرنا شراءه ـ عليه السلام ـ منه وفى ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه .

وتقدم[3] حديث أنس فى ركوبه ـ عليه السلام ـ على فرس أبى طلحة حين سمع الناس صوتا بالمدينة فركب ذلك الفرس ، وكان ببطىء ، وركب الفرسان نحو ذلك

(١) (ضعيف) لأجل شبيب بن شيبة ضعفه النسائى وابن حبان .

(٢) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .

(٣) سبق ذلك فى ص ٦٢ .

الصوت ، فوجدوا رسول الله ـ ﷺ ـ قد رجع بعد ما كشف ذلك الأمر ، فلم يجد له حقيقة .

وكان قد ركبه عُرْياً لا شيء عليه وهو متقلد سيفا ، فرجع وهو يقول : لن تُراعوا لن تراعوا ، ما وجدنا من شيء ، وإن وجدناه لبَحْراً ، أي لسابقا .

وكان ذلك الفرس يُبطَّأ قبل تلك الليل فكان بعد ذلك لا يجارَىَ ولا يُكشف له غبار ، وذلك كله ببركته ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

حديث آخر غريب في قصة البعير

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه « دلائل النبوة » وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد : أخبرنى أبو على الفارسى ، حدثنا أبو سعيد ، عن عبد العزيز بن شهلان القوَّاس ، حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد بن خالد الراسبىٌّ ، حدثنا عبد الرحمن ابن على البصرى ، حدثنا سلامة بن سعيد بن زياد بن أبى هند الرازى ، حدثنى أبى ، عن أبيه عن جده ، حدثنا غنيم بن أوس ـ يعنى الرازى ـ قال : كنا جلوسا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ فزعا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أيها البعير اسكن ، فإن تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك ، مع أن الله تعالى قد أمَّن عائذنا ، ولا يخاف لائذنا .

قلنا : يا رسول الله ما يقول هذا البعير ؟ قال : هذا بعيرهم أهله بنحره فهرب منهم فاستغاث بنبيكم .

فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يشكو مُرَّ الشكاية ، فقالوا يا رسول الله ما يقول ؟ قال يقول إنه ربِّى فى إبلكم جواراً وكنتم تحملون عليه فى الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء . فقالوا : قد كان ذلك يا رسول الله ، فقال : ما جزاء العبد الصالح من مَواليه ؟ قالوا : يا رسول الله فإنا لا نبيعه ولا ننحره ، قال : فقد استغاث فلم تغيثوه ، وأنا أولى بالرحمة منكم ، لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين .

فاشتراه النبى ـ ﷺ ـ بمائة درهم ، ثم قال : أيها البعير انطلق فأنت حرّ لوجه الله . فرغا على هامة رسول الله ـ ﷺ ـ فقال رسول الله : آمين . ثم رغا الثانية فقال : آمين . ثم رغا الثالثة فقال : آمين ، ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله ـ ﷺ ـ .

فقلنا : يا رسول الله ما يقول هذا البعير ؟ قال : يقول جزاك الله أيها النبى عن الإسلام والقرآن خيراً . قلت آمين ، قال : سكَّن الله رُعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبى . قلت : آمين . قال : حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمى ، قلت : آمين . قال : لاجعل الله بأسها بينها ، فبكيت وقلت : هذه خصال سألت ربى فأعطانيها ومنعنى واحدة ، وأخبرنى جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف ، فجرى القلم بما هو كائن .

قلت : هذا الحديث غريب جداً ، لم أر أحداً من هؤلاء المصنفين فى الدلائل أورده سوى هذا المصنف ، وفيه غرابة ونكارة فى إسناده ومتنه أيضا . والله أعلم .

حديث فى سجود الغنم له ـ ﷺ ـ

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً : قال يحيى بن صاعد : حدثنا محمد بن عوف الحمْصى ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى ، حدثنا عبَّاد بن يوسف الكندى أبو عثمان ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس بن مالك قال : دخل النبىّ ـ ﷺ ـ حائطا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار ، وفى الحائط غنم فسجدت له .

فقال أبو بكر : يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم ، فقال إنه لا ينبغى أن يسجد أحد لأحد ، ولو كان ينبغى لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (1) .

[غريب وفى إسناده من لا يعرف]

قصة الذئب وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّانى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : **عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه ، فأقعى**

(1) من ت .

الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنزع منى رزقاً ساقه الله إلى ؟ فقال: يا عجبى ذئب يُقعى على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ! .

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ـ ﷺ ـ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق .

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ فنودى : الصلاة جامعة .

ثم خرج فقال للراعى : أخبرهم . فأخبرهم فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : صدق و الذى نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبةُ سوطه ، وشِرَاك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده [1] .

وهذا إسناد على شرط الصحيح .

وقد صححه البيهقى ولم يروه إلا الترمذى من قوله : والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس . إلى آخره ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن القاسم ابن الفضل .

ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث وثّقه يحيى وابن مهدى .

طريق أخرى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنى شعيب ، حدثنى عبد الله بن أبى حسين ، حدثنى شَهْر أن أبا سعيد الخدرى حدثه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : بينما أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه الأعرابى فاستنقذها منه وهَجْهَجه [2] فعانده الذئب يمشى ثم أقعى مُستذفراً [3] بذنبه يخاطبه فقال : أخذت رزقا رزقنيه الله .

قال : واعجباً من ذئب مُقع مُستذفر بذنبه يخاطبنى ! فقال : والله إنك لتترك أعجب من ذلك . قال : وما أعجب من ذلك ؟ قال : رسول الله ـ ﷺ ـ فى النخلتين بين الحَرَّتين

(١) (صحيح) رجاله ثقات . (٢) هجهجه : صاح به . (٣) مستذفرا : جاعلا ذنبه بين رجليه

يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك .

قال : فعنق الأعرابى بغنمه حتى ألجأها إلى المدينة ثم مشى إلى النبى - ﷺ - حتى ضرب عليه بابه .

فلما صلى النبى - ﷺ - قال : أين الأعرابى صاحب الغنم ؟ فقام الأعرابى فقال له النبى - ﷺ - : حدث الناس بما سمعت وبما رأيت ، فحدث الأعرابى الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه .

فقال النبى - ﷺ - عند ذلك : صدق ، آيات تكون قبل الساعة ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده .

وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

وقد رواه البيهقى من حديث النفيلى قال : قرأت على مَعْقل بن عبد الله عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أبى سعيد فذكره .

ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى سعيد . فذكره .

وراه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى سعيد فذكره .

حديث أبى هريرة فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أشعث بن عبد الملك ، عن شهر بن حَوْشَب ، عن أبى هريرة ، قال : جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه .

قال : فصعد الذئب على تل فأقعى فاستذفر وقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله - عز وجل - انتزعته منى .

فقال الرجل : لله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم .

فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحَرَّتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم .

وكان الرجل يهوديا ، فجاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فأسلم وخبَّره فصدَّقه النبي ـ ﷺ ـ .

ثم قال رسول الله : إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهلُه بعده .

تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه ، ولعل شَهْر بن حَوْشَب قد سمعه من أبى سعيد وأبى هريرة أيضا . والله أعلم .

حديث أنس فى ذلك

قال أبو نُعَيم فى دلائل النبوة (١) : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد ابن يحيى بن مَنْدَه ، حدثنا على بن الحسن بن سالم ، حدثنا الحسن الرفَّا ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أنس ح ، وحدثنا سليمان ـ هو الطبرانى ـ : حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية حدثنا هشام بن يونس اللُّؤلؤى ، حدثنا حسين بن سليمان الرقَّا ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال ؟ : **كنت مع النبى ـ ﷺ ـ فى غزوة تبوك فشردتْ علىَّ غنمى، فجاء الذئب فأخذ منها شاة ، فاشتد الرِّعاء خلفه ، فقال : طُعمة أطعمنيها الله تنزعونها منى ؟**

قال : فبُهت القوم ، فقال : ما تعجبون من كلام الذئب وقد نزل الوحى على محمد . فمن مُصَدِّق ومكذب (٢) .

ثم قال أبو نُعيم : تفرد به حسين بن سليمان عن عبد الملك .

قلت : الحسين بن سليمان الرفا هذا يقال له الطَّلحى ، كوفى أورد له ابن عَدى عن عبد الملك بن عمير أحاديث ثم قال : لا يتابع عليها .

حديث ابن عمر فى ذلك

قال البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينىّ ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدى ، حدثنا عبد الله ابن أبى داود السِّجستانى ، حدثنا يعقوب بن يوسف بن أبى عيسىَ ، حدثنا جعفر بن حسن ، أخبرنى أبو حسن ، حدثنا عبد الرحمن بن حَرملة ، عن سعيد بن المسيَّب قال :

(١) ليس فى دلائل النبوة المطبوع .

(٢) (ضعيف) فيه حسين بن سليمان الرفا قال الذهبى لا يعرف .

قال ابن عمر : **كان راع على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ إذ جاء الذئب فأخذ شاة ووثب الراعي حتى انتزعها من فيه ، فقال له الذئب : أما تتقى الله أن تمنعنى طعمة أطعمنيها الله تنزعها منى ؟ فقال له الراعى : العجب من ذئب يتكلم ! فقال الذئب : أفلا أدلك على ما هو أعجب من كلامى ؟ ذلك الرجل فى النخل يخبر الناس بحديث الأولين والآخرين أعجب من كلامى .**

فانطلق الراعى حتى جاء رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره وأسلم .

فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : حَدِّث به الناس (1) .

قال الحافظ ابن عَدى : قال لنا أبو بكر بن أبى داود : وَلَدُ هذا الراعى يقال لهم : بنو مُكَلِّم الذئب ، ولَهُم أموال ونَعَم ، وهم من خُزاعة ، واسم مُكَلِّم الذئب أُهْبَان ، قال : ومحمد بن أشعث الخُزَاعى من ولده .

قال البيهقى : فدل على اشتهار ذلك ، وهذا مما يقوِّى الحديث .

وقد روى من حديث محمد بن إسماعيل البخارى فى التاريخ ، حدثنى أبو طلحة حدثنى سفيان بن حمزة الأسلمى ، سمع عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن ربيعة بن أوس، عن أنس بن عمرو ، عن أُهْبَان بن أوس قال : كنت فى غنم لى . فكلّمه الذئب وأسلم .

قال البخارى : إسناده ليس بالقوى .

ثم روى البيهقى عن أبى عبد الرحمن السُّلمى ، سمعت الحسين بن أحمد الرازى ، سمعت أبا سليمان المقرئ يقول : خرجت فى بعض البلدان على حمار ، فجعل الحمار يَحيد بى عن الطريق فضَربت رأسه ضربات ، فرفع رأسه إلى وقال لى : اضرب يا أبا سليمان فإنما على دماغك هو ذا يضرب .

قال : قلت له : كلّمك كلاماً يفهم ؟ قال : كما تكلمنى وأكلمك .

حديث آخر عن أبى هريرة فى الذئب على وجه آخر

وقد قال سعيد بن مسعود : حدثنا حِبَّان بن على ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن

(1) الدلائل ٦ / ٤٤ .

أبى الأوس الحارثى عن أبى هريرة قال : جاء الذئب فأقعى بين يدى النبى - ﷺ - وجعل يُبصبص بذنبه ، فقال رسول الله - ﷺ - : هذا وافد الذئاب ، جاء ليسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا . قالوا : والله لا نفعل . وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه فأدبر الذئب وله عُواء ، فقال رسول الله - ﷺ - : الذئب ، وما الذئب ! (1)

وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، عن أبى عبد الله الأصبهانى ، عن محمد بن مَسْلَمة ، عن يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رجل به .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن محمد بن المُثَّنى ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن رجل ، عن مكحول ، عن أبى هريرة . فذكره ، وعن يوسف بن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن أبى الأوْبَر، عن أبى هريرة قال : صلى رسول الله - ﷺ - يوماً صلاة الغَداة ثم قال : هذا الذئب وما الذئب ! جاءكم يسألكم أن تعطوه أو تُشركوه فى أموالكم . فرماه رجل بحجر فمرَّ أو ولى وله عُواء .

وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى ، عن حمزة بن أبى أسَيد ، قال : خرج رسول الله - ﷺ - فى جنازة رجل من الأنصار بالبقيع فإذا الذئب مفترشا ذراعيه على الطريق ، فقال رسول الله - ﷺ - : هذا جاء يستفرض فافرضوا له . قالوا : ترى رأيك يا رسول الله . قال : من كل سائمة شاة فى كل عام . قالوا : كثير ، قال : فأشار إلى الذئب أن خالسهم . فانطلق الذئب .

رواه البيهقى .

وروى الواقدى عن رجل سماه ، عن المطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَب قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة إذا أقبل ذئب فوقف بين يديه ، فقال . هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئا لا يَعْدُوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه . فقالوا : يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشىء . فأومأ إليه بأصابعه الثلاث : أن خالسهم . قال : فولى وله عُواء.

(1) (ضعيف) فيه عبد الملك بن عمير ضعفه .

وقال أبو نُعَيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن شَمر بن عطية ، عن رجل من مزينة ، أن جهينة قال : أتت وفود الذئاب قريب من مائة ذئب حين صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقْعَيْن ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هذه وفود الذئاب ، جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم وتأمنوا على ما سواه . فشكوا إليه الحاجة ، قال : فأدبروهم . قال : فخرجن ولهن عواء .

[وقد تكلم القاضي عياض على حديث الذئب ، فذكر عن أبى هريرة وأبى سعيد وعن أهبان بن أوس وأنه كان يقال له : مكلم الذئب ، قال : وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبى سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، مع ذئب وجداه أخذ صبيا ، فدخل الصبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها] (1) .

قصة الوحش الذى كان فى بيت النبى ـ ﷺ ـ

وكان يحترمهُ ـ عليه السلام ـ ويوقره ويجله

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا يونس ، عن مجاهد قال : قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : كان لآل رسول الله ـ ﷺ ـ وحش ، فإذا خرج رسول الله ـ ﷺ ـ لعب واشتد ، وأقبلَ وأدْبَر ، فإذا أحس برسول الله ـ ﷺ ـ قد دخل ربض فلم يترَمْرَم ما دام رسول الله ـ ﷺ ـ فى البيت كراهية أن يؤذيه .

ورواه أحمد أيضا عن وكيع ، وعن قطن ، كلاهما عن يونس ـ وهو ابن أبى إسحاق السَّبِيعى ـ وهذا الإسناد على شرط الصحيح . ولم يخرجوه وهو حديث مشهور والله أعلم .

---

(1) من ت . وهو فى الشفا ٢٦٥ .

قصة الأســـد

وقد ذكرنا فى ترجمة سَفينة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ حديثه حين انكسرت بهم السفينة فركب لوحاً منها حتى دخل جزيزة فى البحر فوجد فيها الأسد ، فقال له : يا أبا الحارث إنى سفينة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ . قال : فضرب منكبى وجعل يحاذينى حتى أقامنى على الطريق ، ثم هَمْهَمَ ساعةً فرأيت أنه يُودعنى .

وقال عبد الرزاق : حدثنا مَعمر ، عن الحجَبى ، عن محمد بن المنكدر ، أن سَفينة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ أخطأ الجيش . بأرض الروم ، أو أسر فى أرض الروم ، فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأســد ، فقال : يا أبا الحارث إنى مولى رسول الله ـ ﷺ ـ، كان من أمرى كيت وكيت . فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم أقبل يمشى إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه .

رواه البيهقى

حديث الغزالة

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى ـ رحمه الله ـ فى كتابه « دلائل النبوة » : حدثنا سليمان بن أحمد ـ إملاء ـ حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا إبراهيم بن محمد ابن ميمون ، حدثنا عبد الكريم بن هلال الجعفى [عن صالح][1] المُرِّى ، عن ثابت البُنانى، عن أنس بن مالك قال : مر رسول الله ـ ﷺ ـ على قوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فُسطاط ، فقالت : يا رسول الله ، إنى أخذت ولى خِشْفان ، فاستأذن لى أرضعهما وأعود إليهم .

فقال : أين صاحب هذه ؟ فقال القوم : نحن يا رسول الله . قال : خَلوُّا عنها حتى تأتى خشفيها ترضعهما وترجع إليكم . فقالوا : من لنا بذلك ؟ قال أنا . فأطلقوها فذهبت فأرضعَت ثم رجعت إليهم فأوثقوها .

فمرّ بهم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أين أصحاب هذه ؟ فقالوا : هو ذا نحن يا رسول الله ، فقال : تبيعونيها ؟ فقالوا : هى لك يا رسول الله . فقال : خَلُّوا عنها، فأطلقوها فذهبت .

---

(١) سقطت من أ .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفى ـ من أصله ـ حدثنا أحمد ابن موسى بن أنس بن نصر بن عبيد الله بن محمد بن سِيرين بالبصرة ، حدثنا زكريا بن يحيى بن خَلاَّد ، حدثنا حبان بن أغلب بن تميم ، حدثنا أبى ، عن هشام بن حَسَّان [عن الحسن] ، عن ضَبَّة بن محصن ، عن أم سلـمة زوج النبى ـ ﷺ ـ قالت : بينا رسـول الله ـ ﷺ ـ فى حجر من الأرض إذا هاتف يهتف : يا رسول الله ، يا رسول الله . قال : فالتفت فلم أر أحداً .

قال : فمشيت غير بعيد فإذا الهاتف : يا رسول الله ، يا رسول الله . قال : فالتفت فلم أر أحداً ، وإذا الهاتف يهتف بى ، فاتبعت الصوت وهجمت على ظبية مشدودة فى وثاق ، وإذا أعرابى مُنجدل فى شَمْلة نائم فى الشمس .

فقالت الظبية : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابى صادنى قبلُ ، ولى خشْفان فى هذا الجبل ، فإن رأيت أن تطلقنى حتى أرضعهما ثم أعود إلى وَثاقى ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت عذبنى الله عذاب العَشَّار (١) إن لم أفعل .

فأطلقها رسول الله ـ ﷺ ـ . فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت . قال : فبينا رسول الله ـ ﷺ ـ يوثقها إذ انتبه الأعرابى ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنى أصبتها قبيلا ، فلك فيها من حاجة ؟ قال : قلت نعم ، قال : هى لك ، فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحاً وهى تضرب برجلها فى الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

قال أبو نعيم : وقد رواه آدم بن أبى إياس فقال : حدثنى حبىٌّ الصدوق نوح بن الهيثم ، عن حَبَّان بن أغلب ، عن أبيه ، عن هشام بن حسان ولم يجاوِزه به .

[وقد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه « دلائل النبوة » من حديث إبراهيم بن مهدى ، عن ابن أغلب بن تميم ، عن أبيه عن هشام بن حسَّان عن الحسن بن ضبة بن أبى سلمة به] (٢) .

---

(١) العشار : صاحب المكوس الذى يأخذ العشر من الأموال .

(٢) من ت .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : [أنبأني أبو عبد الله الحافظ ـ إجازة ـ أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحَيم الشيباني] [١] ، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي عروة الغفاري ، حدثنا علي بن قادم ، حدثنا أبو العلاء خالد بن طَهمان ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : مر النبي ـ ﷺ ـ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله خَلِّني حتى أذهب فأرضع خِشفي ثم أرجع فتربطني ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : صَيْد قوم وربيطة قوم !

قال : فأخذ عليها فحلفت له ، قال : فحلَّها ، فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها ، فربطها رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أتى خباء أصحابها ، فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلَّها .

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ، ما أكلتم منها سمينا أبداً .

قال البيهقي : وروي من وجه آخر ضعيف : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهَرَوي ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا أبو حفص عمر بن علي ، حدثنا يعلى بن إبراهيم الغزالَي ، حدثنا الهيثم بن حماد ، عن أبي كثير ، عن يزيد ابن أرقم قال : كنت مع النبي ـ ﷺ ـ في بعض سكَك المدينة ، قال : فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابي اصطادني ، وإن لي خشفين في البرية ، وقد تعقَّد اللبن في أخلافي ، فلا هو يذبحني فأستريح ، ولا هو يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية .

فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ: إن تركتك ترجعين ؟ قالت نعم وإلا عذبني الله عذاب العَشَّار . قال : فأطلقها رسول الله ـ ﷺ ـ فلم تلبث أن جاءت تَمحص [٢] ، فشدها رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الخباء ، وأقبل الأعرابي ومعه قربة فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أتبيعنيها ؟ قال : هي لك يا رسول الله . فأطلقها رسول الله ـ ﷺ ـ .

قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تُسَبِّح في البرية . وهي تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

---

(١) سقطت من أ .

(٢) تمحص : تعدو .

ورواه أبو نعيم : حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن بن مطر ، حدثنا بشر بن موسى . فذكره .

قلت : وفى بعضه نكارة [1] والله أعلم .

وقد ذكرنا فى باب تكثيره ـ عليه السلام ـ اللبن حديث تلك الشاة التى جاءت وهى فى البرية ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ الحسن بن سعيد مولى أبى بكر أن يحلبها فحلبها ، وأمره أن يحفظها فذهبت وهو لا يشعر ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ذهب بها الذى جاء بها .

وهو مروى من طريقتين عن صحابيين كما تقدم والله أعلم .

حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة

قال البيهقى : أخبرنا أبو منصور أحمد بن على الدامغانىّ من ساكنى قرية نامين من ناحيةَ بَيْهَق ـ قراءة عليه من أصل كتابه ـ حدثنا أبو أحمدَ عبد الله بن عدى الحافظ ـ فى شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة ـ حدثنا محمد بن على بن الوليد السُّلَمى ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا معمر بن سلمان ، حدثنا كَهْمَس ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، **أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان فى مَحفل من صحابه إذ جاء أعرابى من بنى سُليم قد صاد ضَبا وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله.**

فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا : هذا الذى يذكر أنه نبى . فجاء فشق الناس فقال : واللات والعزى ما شملت السماء [2] على ذى لهجة أبغض إلىّ منك ، ولا أمقتَ منك، ولولا أن يسمينى قومى عَجولا لعَجِلت عليك فقتلتك فسرَرْت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فأقوم فأقتله . قال : يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا .

---

(١) روى حديث الظبية البيهقى من طرق من حديث أبى سعيد ، وضعفه جماعة من الأئمة . وذكره القاضى عياض فى الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل قال السخاوى : حديث الغزالة اشتهر على الألسنة وفى المدائح النبوية وليس له كما قال ابن كثير أصل ، ومن نسبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب .

(٢) الرواية فى الوفا لابن الجوزى ١ / ٣٣٦ : ما سلمت على ذى مهجة . وفى شرح المواهب عند الدارقطنى : ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب إلى منك .

ثم أقبل على الأعرابى وقال : ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرمنى فى مجلسى ؟

فقال : وتكلمنى أيضا ؟ـ استخفافا برسول الله ـ ﷺ ـ واللات والعزة لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب ـ وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يا ضب . فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه القوم جميعا : لبَّيك وسَعديك يا زين من وافى القيامة .

قال : من تعبد ياضب ؟ قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا يا ضب ، فقال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدّقك ، وقد خاب من كذبك .

فقال الأعرابى : والله لا أتبع أثراً بعد عَيْن ، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلى منك ، وإنك اليوم أحب إلىّ من والدى ومن عينى ومنى ، وإنى لأحبك بداخلى وخارجى ، وسرى وعلانيتى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال : رسول الله : الحمد لله الذى هداك بى ، وإن الدين يعلو ولا يُعْلَى ولا يُقْبَل إلا بصلاة ، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن . قال : فعلّمنى ، فعلمه قل هو الله أحد .

قال : زدنى فما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا .

قال : يا أعرابى إن هذا كلام الله ، ليس بشعرٍ ، إنك إن قرأت قل هو الله أحد مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأتها مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثى القرآن وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله .

قال الأعرابى : نعم الإله إلهنا . يقبل اليسير ويعطى الجزيل . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ألك مال ؟ فقال : ما فى بنى سليم قاطبة رجل هو أفقر منى ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه : أعطوه . فأعطوه حتى أبطروه .

قال : فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، إن له عندى ناقة عُشَراء ، دون البُختية وفوق الأغرى[1] ، تلحق ولا تُلحق أهديت إلى يوم تبوك ، أتَقَرَّبُ بها إلى الله ـ عز وجل ـ فأدفعها إلى الأعرابى ؟

(١) الأغرى : كل مولود ، أو المهزول .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ وصفت ناقتك ، فأصفُ مالك عند الله يوم القيامة ؟قال : نعم . قال : لك ناقة من دُرَّة جَوفاء قوائُمها من زَبَرجد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج ، وعلى الهودج السندس والإستبرق ، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف يَغبطك بها كل من رآك يوم القيامة فقال عبد الرحمن : قد رضيت .

فخرج الأعرابى فلقيه ألف أعرابى من بنى سليم على ألف دابة ، معهم ألف سيف وألف رمح ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نذهب إلى هذا الذى سفَّه آلهتنا فنقتله قال : لا تفعلوا ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم دخلوا ، فقيل لرسول الله ، فتلقَّاهم بلا رداء ، ونزلوا عن رُكُبهم يقبلون حيث ولَوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ثم قالوا : يا رسول الله : مُرنا بأمرك . قال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد . فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم [1] .

قال البيهقى : قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ فى المعجزات بالإجازة عن أبى أحمد بن عدى الحافظ .

قلت ، ورواه الحافظ أبونعيم فى الدلائل عن أبى القاسم بن أحمد الطبرانى ـ إملاء وقراءة ـ : حدثنا محمد بن على بن الوليد السلمى البصرى أبو بكر بن كنانة ، فذكر مثله .

[ورواه أبو بكر الإسماعيل عن محمد بن على بن الوليد السلمى] [2] .

قال البيهقى : روى فى ذلك عن عائشة ، وأبى هريرة ، وما ذكرناه هو أمثل الأسانيد فيه وهو أيضا ضعيف [3] ، والحمل فيه على هذا السلمى ، والله أعلم

حديث الحمار

وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار . فقال أبو محمد بن عبد الله بن حامد : أخبرنا أبو الحسن أحمد السحركى ، حدثنا عمر بن بجير ، حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد

---

(١) (باطل) فيه محمد بن على بن الوليد السلمى .

(٢) سقطت من أ .

(٣) حديث الضب هذا مشهور على الألسنة ولكنه غريب ضعيف . قال المزى : لا يصح إسنادًا ولا متناً وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع وانظر شرح المواهب ٤ / ١٤٨ ـ ١٤٩ .

- إملاء - أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبى الصهباء ، حدثنا أبو حذيفة عن عبد الله ابن حبيب الهذلى ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن أبى منظور قال : لما فتح الله على نبيه - ﷺ - خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال وأربعة أزواج خفاف وعشر أواق ذهب وفضة ، وحمار أسود ، ومِكْتَل .

قال : فكلم النبى - ﷺ - الحمار فكلمه الحمارَ ، فقال له : ما اسمك ، قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبى ، لم يبق من نسل جدى غيرى ، ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنت أتوقعك أن تركبنى ، قد كنت قبلك لرجل يهودى ، وكنت أعثر به عمداً ، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى ، فقال النبى - ﷺ - : سميتك يَعفور ، يا يعفور ، قال : لبيك ، قال : تشتهى الإناث . قال : لا .

فكان النبى - ﷺ - يركبه لحاجته ، وإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله - ﷺ - ، فلما قبض النبى - ﷺ - جاء إلى بئر كان لأبى الهيثم بن التَّيهان فتردَّى فيها فصارت قبره جزعا منه على رسول الله - ﷺ -] (١) .

حديث الحُمْرة وهو طائر مشهور

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود ، قال : **كنا مع رسول الله - ﷺ - فى سفر فدخل رجل غَيطة فأخرج بيضة حمرة ، فجادت الحمرة ترف على رسول الله وأصحابه ، فقال : أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها ، فقال : ردّه ردّه رحمةً بها** (٢) .

وروى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو معاوية ، عن أبى إسحاق الشَّيبانى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : **كنا مع رسول الله فى سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمرة فأخذناهما .**

---

(١) من ت . وقد كان الأولى الإضراب صفحاً عن هذه الروايات الظاهرة الاختلاف ، وفى الصدق غنية عن الكذب .

(٢) (صحيح) المسند ٣٨٣٥ .

قال : فجاءت الحمرة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهي تفرّش [1]، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ قال : فقلنا نحن ، قال : ردوهما . فرددناهما إلى موضعهما فلم ترجع [2] .

حديث آخر في ذلك وفيه غرابة

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن الحسين بن داود العَلَوي ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي ، حدثنا محمد بن عبيد بن عُتبة الكنْدي ، حدثنا محمد بن الصَّلت ، حدثنا حِبَّان ، حدثنا أبو سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : **كان رَسول الله ـ ﷺ ـ إذا أراد الحاجة أبعد .**

قال : فذهب يوماً فقعد تحت سَمُرة ونزع خُفَّيه ، قال : ولبس أحدهما ، فجاء طير فأخذ الخف الآخر فحلق به في السماء ، فانسلت منه أسودٌ سالح [3] ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هذا كرامة أكرمني الله بها ، اللهم إني أعوذ بك من شر [ما] [4] مشى على رجليه ، ومن شر ما مشى على بطنه [5] .

حديث آخر

قال البخاري : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ ، حدثني أبي ، عن قَتادة قال : حدثنا أنس بن مالك **أن رجلين من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ خرجا من عند النبي ـ ﷺ ـ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما حتى أتى أهله.**

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس ، **أن أُسَيد بن حُضير الأنصاري ورجلاً آخر من الأنصار تحدثا عند النبي ـ ﷺ ـ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة ، وهي ليلة شديدة الظلمة حتى خرجا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ ينقلبان ، وبيد كل واحد منهما عُصية ، فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى أتى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله [6] .**

---

(١) تفرش : ترفرف . (٢) (ضعيف الإسناد) .

(٣) الأسود : الحية العظيمة والسالح : ذو سلاح وهو ناب الحية .

(٤) من : أ .

(٥) (ضعيف) فيه أبو سعد البقال وهو مدلس .

(٦) (صحيح) وقيل صحيح على شرط مسلم .

وقد علّقه البخارى . فقال : وقال معَمر فذكره . وعلقه البخارى أيضا عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبى ـ ﷺ ـ، فذكر مثله .

وقد رواه النسائى عن أبى بكر بن نافع عن بشر بن أسيد ، وأسنده البيهقى من طريق يزيد بن هارون كلاهما عن حماد بن سلمة به .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهانى ، حدثنا أحمد بن مهران ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا كامل بن العلاء عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : **كنا نصلى مع رسول الله ـ ﷺ ـ العشاء وكان يصلى فإذا سجد وثب الحسنُ والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا .**

فلما صلى جعل واحداً ها هنا وواحداً ها هنا ، فجئته فقلت : يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما ؟ فبرقت بَرقة فقال : ألحقا بأمكما . فما زالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا [1] .

حديث آخر

قال البخارى فى التاريخ : حدثنى أحمد بن حجاج ، حدثنا سفيان بن حمزة ، عن كثير ابن زيد ، عن محمد بن عمرو الأسلمى ، عن أبيه قال : **كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فتفرَّقنا فى ليلة ظلماء دَحسة** [2] **، فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتنير** [3] .

ورواه البيهقى من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامى . عن سفيان بن حمزة [ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن حمزة الزهرى ، عن سفيان بن حمزة [4]] به .

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبى وهو فى الدلائل ٦ / ٧٦ .
(٢) الدحسة : الشديدة الظلمة .
(٣) حسن .
(٤) سقط من أ .

حديث آخر

قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله [الحافظ] [1] ، حدثنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الله المدنى [2] ، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى ، حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا زيد بن الحُباب ، حدثنا عبد الحميد بن أبى عبس الأنصارى من بنى حارثة ، **أخبرنى ميمون بن زيد ابن أبى عبس ، أخبرنى أبى ، أن أبا عبس ، كان يصلى مع رسول الله ـ ﷺ ـ الصلوات ثم يرجع إلى بنى حارثة ، فخرج فى ليلة مظلمةٍ مَطِيرة ، فنوِّر له فى عصاه حتى دخل دار بنى حارثة** [3] .

قال البيهقى : أبو عبس ممن شهد بَدْراً .

قلت : وروينا عن يزيد بن الأسود وهو من التابعين أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين ، فربما أضاءت له إبهام قدمه فى الليلة المظلمة .

وقد قدمنا فى قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدُّوْسى بمكة قبل الهجرة [4] ، وأنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ آية يدعو قومه بها ، فلما ذهب إليهم وانهبط من الثَّنية أضاء له نور بين عينيه . فقال : اللهم [لا] يقولوا : هو مُثْلة . فحوَّله الله إلى طرف سَوطه حتى جعلوا يرونه مثل القنديل

حديث آخر فيه كرامة لتميم الدارى

روى الحافظ البيهقى من حديث عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريرى ، عن معاوية بن حَرْمَل قال : **خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم الدارى فقال : قم إلى هذه النار .**

قال : يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه .

قال : وتبعتهما ، فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشَّعْب ودخل تميم خلفها .

---

(١) سقط من أ .

(٢) أ : المزنى .

(٣) (ضعيف) أعله الذهبى بالإرسال .

(٤) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

قال : فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير قالها ثلاثا [1] .

حديث فيه كرامة لولى من هذه الأمة

وهى معدودة من المعجزات لأن كل ما ثبَت [2] لولى فهو معجزة لنبيه .

قال الحسن بن عروة [3] : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى سَبرة النَّخعى ، قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نفق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى جئت من الدفينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىَّ اليوم منة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح .

ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة .

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلى وغيره ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبى ، وكأنه عند إسماعيل عنهما . والله أعلم .

طريق أخرى

قال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » : حدثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بجير وغيرهما قالوا : حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، أن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى ، فقام فتوضأ وصلى ثم قال : اللهم إنى جئت من الدفينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وإنى أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىَّ منة ، فإنى أطلب إليك أن تبعث لى حمارى .

ثم قام إلى الحمار ، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه ، فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : شأنى أن الله بعث حمارى .

---

(١) (صحيح الإسناد) .
(٢) غير أ : يثبت .
(٣) أ : ابن عرفة .

قال الشعبى : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع فى الكناسة - يعنى بالكوفة -

قال ابن أبى الدنيا : وأخبرنى العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن مسلم بن عبد الله بن شريك النَّخعى ، أن صاحب الحمار رجل من النَّخع ، يقال له نُباتة بن يزيد ، خرج فى زمن عمر غازيا ، حتى إذا كان بلقى عميرة نفق حماره فذكر القصة ، غير أنه قال : فباعه بعدُ بالكناسة .

فقيل له : تبيع حمارك وقد أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنع .

وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت :

ومنا الذى أحيْى الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومِفْصَل

وقد ذكرنا فى باب رضاعه [1] - عليه السلام - ، ما كان من حمارة حليمة السعدية وكيف كانت تسبق الركب فى رَجوعها لما ركب معها عليها رسول الله - ﷺ - وهو رضيع ، وقد كانت أذَمتّ [2] بالرَّكب فى مسيرهم إلى مكة . كذلك ظهرت بركته عليهم فى شارفهم - وهى النّاقة التى كانوا يحلبونها - وشياههم وسمنهم وكثرة ألبانها ، - صلوات الله وسلامه عليه - .

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمى

قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى خالد بن خدآش بن عَجلان المهلّبى وإسماعيل بن بَشَّار قالا : حدثنا صالح المزى ، عن ثابت البُنانى ، عن أنس بن مالك قال : عُدْنا شابا من الأنصار ، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب .

وقال بعضنا لأمه : احتسبيه ، قالت : وقد مات ؟ قلنا : نعم . فمدت يديها إلى السماء وقالت : اللهم إنى آمنت بك ، وهاجرت إلى رسولك ، فإذا نزلت بى شدة دعوتك ففرَّجها ، فاسألك اللهم لا تحمل علىَّ هذه المصيبة .

قال : فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا .

وقد رواه البيهقى عن أبى سعيد المالِينىّ ، عن ابن عدى ، عن محمد بن طاهر بن أبى

(١) تقدم ذلك فى الجزء الأول من السيرة .
(٢) اذمت : أبطأت .

الدُّمَيل ، عن عبد الله بن عائشة ، عن صالح بن بشير المزنى ـ أحد زهاد البصرة وعُبَّادها ـ مع لين فى حديثه عن أنس . فذكر القصة وفيه أن أم السائب كانت عجوزاً عمياء .

قال البيهقى : وقد روى من وجه آخر مرسل ـ يعنى فيه انقطاع ـ عن ابن عدى (1) وأنس بن مالك .

ثم ساقه من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن عون ، عن أنس قال : أدركت فى هذه الأمة ثلاثا لو كانت فى بنى إسرائيل لما تقاسمها الأمم ، قلنا : ما هى يا أبا حمزة ؟ قال : كنا فى الصُّفة عند رسول الله ـ ﷺ ـ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض ، فغمضه النبى ـ ﷺ ـ وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : يا أنس ائت أمه فأعْلمها ، فأعلمتها ، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : [اللهم إنى أسلمت لك طوعا ، وخالفتُ الأوثانَ زهداً ، وهاجرت لك رغبة] (2) اللهم لا تُشْمت بى عبدَة الأوثان ، ولا تحملنى من هذه المصيبة مالا طاقة لى بحَمْلَهَا .

قال : فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسول الله ـ ﷺ ـ وحتى هلكت أمه .

قال : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمى . قال أنس : وكنت فى غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثارَ الماء والحر شديد ، فجهدنا العطش ودوابُّنا وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء ، وما نرى فى السماء شيئا .

قال : فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشِّعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا .

ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : يا

---

(1) أ : عن ابن عون .
(2) سقط من أ .

على ، يا عظيم ، يا حليم يا كريم . ثم قال : أجيزوا بسم الله .

قال : فأجَزْنا ما يبلّ الماء حوافر دوابنا ، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا وسَبَيْنَا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبل الماءُ حوافرَ دوابنا .

قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمى فى جنازته ، قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه ، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقالَ : من هذا ؟ فقلنا : هذا خير البشر ، هذا ابن الحضرمى .

فقال إن هذه الأرض تلفظ الموتى ، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين ، إلى أرض تقبل الموتى . فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله . قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه وإذا اللحد مدَّ البصر نور يتلألأ قال : فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا .

قال البيهقى رحمه الله : وقد روى عن أبى هريرة فى قصة العلاء بن الحضرمى فى استسقائه ومشيهم على الماء دون قصة الموت بنحو من هذا .

وذكر البخارى فى التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر ، وقد أسنده ابن أبى كُرَيب ، عن محمد بن فضيل ، عن الصَّلْت بن مطر العجلى ، عن عبد الملك بن سهم ، عن سهم بن منْجَاب قال : **غزونا مع العلاء بن الحضرمى ، فذكره . وقال فى الدعاء : يا عليم ، يا حليم ، يآ على ، يا عظيم ، إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا .**

وقال فى البحر : اجعل لنا سبيلا إلى عدوك . وقال فى الموت : أخف جثتى ولا تُطلع على عورتى أحداً فلم يُقدر عليه . والله أعلم (1) .

قصة أخرى

قال البيهقى : أخبرنا الحسين بن بشران ، أخبرنا إسماعيل الصفار ، حدثنا الحسن بن على بن عثمان ، حدثنا ابن نُمَير ، عن الأعمش ، عن بعض أصحابه قال : انتهينا إلى دجلة وهى مادَّة والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله . ثم اقتحم بفرسه

(1) الدلائل ٦ / ٥٣ .

فارتفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله . ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم .

قال : فما فقد الناس إلا قَدحاً كان معلقاً بعذَبة سرْج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاءَ ؟

قصة أخرى

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمى ، أخبرنا أبو عبد الله بن محمد السمرى ، حدثنا أبو العباس السراج ، حدثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا : حدثنا أبو النضر ، حدثنا سليمان بن المغيرة أن **أبا مسلم الخولانى جاء إلى دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متعكم شيئا فندعوا الله ـ عز وجل ـ ؟**[1] .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح .

قلت : وقد ذكرنا قصة مسلم الخولانى ـ واسمه عبد الله بن ثوب ـ مع الأسود العَنْسى حين ألقاه فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت

وشهادته بالرسالة لمحمد ـ ﷺ ـ وبالخلافة لأبى بكر الصديق ثم لعمر ثم لعثمان ـ رضى الله عنهم ـ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو صالح بن أبى طاهر العنبرى ، أخبرنا جَدّى يحيى بن منصور القاضى ، حدثنا أبو على بن محمد بن عمرو بن كشمرد ، أخبرنا القَعْنبى ، أخبرنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب ، أن زيد بن خارجة الأنصارى ثم من بنى الحارث بن الخزرج توفى زمن عثمان بن عفان فسُجّى بثوبه ، ثم إنهم سمعوا جَلْجلة فى صدره ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول ، صدَق صدق أبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عمر بن الخطاب القوى الأمين فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عثمان بن

---

(١) الدلائل ٦ / ٥٤ .

عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن، وأكل الشديد الضعيف . وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر، بئر أريس، وما بئر أريس .

قال يحيى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بنى خَطمة فسجيّ بثوبه ، فسُمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق .

ثم رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن إسحاق ، عن موسى بن الحسن ، عن القعنى فذكره وقال : هذا إسناد صحيح وله شواهد .

ثم ساقه من طريق أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » : حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، قال : جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير ـ يعنى إلى أمه ـ بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبى هاشم ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، فإنك كتبت إلىّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة ، وإنه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حلقه ـ وهو يومئذ من أصح الناس أو أهل المدينة ـ فتوفى بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأضجعناه لظهره وغشيّناه ببردين وكساء .

فأتانى آت فى مقامى ، وأنا أسبح بعد المغرب فقال : إن زيداً قد تكلم بعد وفاته ، فانصرفت إليه مسرعاً ، وقد حضره قوم من الأنصار ، وهو يقول أو يقال على لسانه : الأوسط أجلَد الثلاثة الذى كان لا يبالى فى الله لومة لائم ، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويُّهم ضعيفهم ، عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك فى الكتاب الأول .

ثم قال : عثمان أمير المؤمنين وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة ، خلت اثنتان وبقى أربع ، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضا فلا نظام وأُنْتِجت الأكماء [1] ، ثم ارعوى المؤمنون وقال : كتاب الله وقدره ، أيها الناس : أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا ، فمن تولى فلا يعهدن دماً وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار ، ويقول النبيون والصديقون : سلام عليكم : ياعبد الله بن رواحة هل أحسست لى خارجة

(١) الاكماء : الأرض التى أكل كل ما فيها .

لأبيه (١) وسعداً اللذين قُتلا يوم أحد ؟ ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ⑮ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ⑯ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ⑰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ المعارج ١٥ : ١٧ .

ثم خفت صوته ، فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه ، فقالوا : سمعناه يقول أنصتوا أنصتوا ، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب .

قال : فكشفنا عن وجهه فقال : هذا أحمد رسول الله ، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

ثم قال : أبو بكر الصديق الأمين ، خليفة رسول الله كان ضعيفاً فى جسمه ، قويا فى أمر الله صدق وكان فى الكتاب الأول .

ثم رواه الحافظ البيهقى عن أبى نصر بن قتادة عن أبى عمرو بن بجير (٢) عن على بن الحسين [بن الجنيد (٣)] عن المعافى بن سليمان ، عن زهير بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى فذكره خالد وقال : هذا إسناد صحيح .

وقد روى هشام بن عمار فى كتاب البعث عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمير بن هانئ ، حدثنى النعمان بن بشير قال : توفى رجل منا يقال له : خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوباً ، فذكر نحو ما تقدم (٤)] .

قال البيهقى : وروى ذلك عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير وذكر بئر أريس كما ذكرنا فى رواية ابن المسيب .

قال البيهقى : والأمر فيها أن النبى - ﷺ - اتخذ خاتما فكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم كان فى يدعمر ، ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيَّرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن كما قيل على لسان زيد بن خارجة .

---

(١) كذا بالأصل .
(٢) أ : عمرو بن نجيد .
(٣) سقطت من المطبوعة .
(٤) زيادة من ت .

قلت : وهى المرادة من قوله مضت اثنتان وبقى أربع وبقى اثنتان ، على اختلاف الرواية والله أعلم .

وقد قال البخارى فى التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً ، توفى زمن عثمان وهو الذى تكلم بعد الموت .

قال البيهقى : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا خالد الطحَّان ، عن حصين ، عن عبد الله بن عبيد الأنصارى أن رجلا من بنى سلمة تكلم فقال : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عثمان اللين الرحيم .

قال : ولا أدرى إيش قال فى عمر .

كذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه .

وقد قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعيد بن أبى عمرو ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، أخبرنا على بن عاصم ، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال : **بينما هم يثوّرون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل ، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى ، فقال : محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت** (١) .

[وقال هشام بن عمار فى كتاب البعث] .

* * * *

(١) الدلائل ٦/ ٥٥ : ٨٥ .

باب
في كلام الأموات وعجائبهم

حدثنا الحكم بن هشام الثقفى ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن ربعى بن خراش العبسى ، قال : مرض أخى الربيع بن خراش فمرَّضته ثم مات فذهبنا نجهزه ، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، قَدمتَ ؟ قال : بلى ولكن لقيت بعدكم ربى ولقينى بروح وريحان ورب غير غضبان ، ثم كسانى ثيابا من سندس أخضر ، وإنى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى ، وإن الأمر كما ترون، فسدِّدوا وقاربوا ، وبَشروا ولا تنفروا . فلما قالها كانت كحصاة وقعت فى ماء[1] .

ثم أورد بأسانيد كثيرة فى هذا الباب وهى آخر كتابه .

قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمى ، حدثنا شاصُونة بن عبيد أبو محمد اليمانى - وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحَردة - حدثنى مُعْرض بن عبد الله بن معرض بن مُعَيْقيب اليمانى ، عن أبيه ، عن جده قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله - ﷺ - ووجهه مثل دارة القمر ، وسمعت منه عجباً ، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله - ﷺ - : من أنا؟ قال : أنت رسول الله ، قال : صَدقت ، بارك الله فيك . ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب ، قال أبي : فكلنا نسميه مبارك اليمامة ، قال شاصونة : وقد كنت أمرُّ على مَعمَر فلا أسمع منه .

قلت : هذا الحديث مما تكلم الناس فى محمد بن يونس الكُدَيمى بسببه وأنكروه عليه واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا ينكر عقلا ولا شرعاً ، فقد ثبت فى الصحيح فى قصة جُريج العابد أنه استنطق ابن البَغى ، فقال له : يا باسوس[2] ابن من أنت ؟ قال : ابن الراعى ، فعلم بنوا إسرائيل براءةَ جريج مما كان نسب إليه . وقد تقدم ذلك .

على أنه قد روى هذا الحديث من غير طريق الكُديمى ، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً .

(١) الدلائل ٦ / ٤٥٤ .

(٢) المطبوعة : يا أبا يونس .

قال البيهقى : أخبرنا سعد عبد الملك بن أبى عثمان الزاهد ، أخبرنا أبو الحسين محمد ابن أحمد بن جُميع الغَسَّانى ـ بثغر صَيدا ـ ، حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل ، حدثنا أبى ، حدثنا جدى شاصُونة بن عبيد ، حدثنى مُعرض بن عبد الله بن مُعَيقيب [عن أبيه] (١) عن جده . قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله ـ ﷺ ـ وجهه كدارَة القمر ، فسمعت منه عجباً أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفَّه فى خرقة ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، فقال له : بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها .

قال البيهقى : وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، عن أبى الحسن على بن العباس الوراق ، عن أبى الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرى القَزوينى ، عن أبى الفضل العباس بن محمد بن شاصُونة به .

قال الحاكم : وقد أخبرنى الثقة من أصحابنا عن أبى عمر الزاهد قال : لما دخلت اليمن دخلتُ حَرْدة . فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيها لشاصونة عَقِباً ، وحُملت إلى قبره فزرته .

قال البيهقى : ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه فى وقت الكلام .

ثم أورد من حديث وكيع ، عن الأعمش ، عن شَمر بن عطية ، عن بعض أشياخه أن النبى ـ ﷺ ـ أتى بصبى قد شَبَّ لم يتكلم قط ، قال : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله .

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها قد تحرك فقالت : يا رسول الله ، إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولد ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أدنيه منى . فأدنته منه ، فقال من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله .

قصة الصبى الذى كان يُصْرع فدعا له ـ عليه السلام ـ فبرأ

وقد تقدم ذلك من رواية أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة الثقفى مع قصة الجمل الحديث بطوله .

---

(١) سقطت من أ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن فَرْقد السَّنْجى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس **أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : يا رسول الله إن به لَمماً وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا .**

قال : فمسح رسول الله ـ ﷺ ـ صدره ودعا له فثع ثَعّة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى (١) .

تفرد به أحمد .

وفَرقد السَّنجى رجل صالح ولكنه سيئ الحفظ ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد واحتمل حديثه ، ولما رواه ها هنا شاهد مما تقدم . والله أعلم .

وقد تكون هذه القصة هى مَا (٢) سبق إيرادها ، ويحتمل أن تكون أخرى غيرها . والله أعلم .

حديث آخر فى ذلك

قال أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا صدقة ـ يعنى ابن موسىُ ـ حدثنا فرقد ، يعني السَّنجى (٣) ـ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان النبى ـ ﷺ ـ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبنى .

فقال لها : إن تصبرى على ما أنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب .

قالت : والذى بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله . قالت : إنى أخاف الخبيث أن يجردنى ، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتعلق بها وتقول له : اخسأ . فيذهب عنها .

قال البزار : لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، وصدقه ليس به بأس

---

(١) (**ضعيف**) إسناداً ومتناً فيه فرقد السنجي وهو ضعيف .

(٢) المطبوعة : كما .

(٣) الأصل : السنجى . وهو تحريف والتصويب من ميزان الاعتدال ٣ / ٣٤٥ .

وفَرْقَد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم ، منهم شعبة وغيره ، واحتمل حديثه على سوء حفظه فيه .

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن عمران أبي بكر ، حدثنا عطاء بن أبي رباح ، قال . قال لي ابن عباس : **ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال هذه السوداء أتت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : إني أصرع وأتكشف فادع الله لي .**

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك .

قالت: لا بل أصبر فادع الله ألا أتكشف ولا ينكشف عني ، قال : فدعا لها [1] .

وهكذا رواه البخاري عن مُسَدَّد عن يحيى ـ وهو ابن سعيد القطان ـ وأخرجه مسلم عن القواريري ، عن يحيى القطان وبشر بن الفضل ، كلاهما عن عمران بن مسلم أبي بكر الفقيه البصري ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس فذكر مثله .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد ، حدثنا مَخلد ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرني عطاء أنه رأى أم زُفرة تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة .

وقد ذكر الحافظ ابن الأثير في الغاية أن أم زفر هذه كانت مَشَّاطة خديجة بنت خويلد قديما ، وأنها عُمِّرت حتى أدركها عطاء بن أبي رباح فالله أعلم .

حديث آخر

قال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، حدثنا محمد ابن يونس ، حدثنا قُرة بن حبيب القنوِّي ، حدثنا إياس بن أبي تميمة ، عن عطاء عن أبي هريرة ، قال : **جاءت الحمَّى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : يا رسول الله ابعثني إلى أحب قومك إليك أو أحب أصحابك إليك ، شكَّ قُرة .**

فقال : اذهبي إلى الأنصار . فذهبت إليهم فصرعتهم . فجاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : يا رسول الله قد أتت الحمى علينا فادع الله لنا بالشفاء . فدعا لهم فكُشفت عنهم .

---

(١) (صحيح) .

قال : فاتبعته امرأة . فقالت : يا رسول الله ادع الله لى ، فإنى لمن الأنصار فادع الله لى كما دعوت لهم . فقال : أيهما أحب إليك أن أدعو لك فيكشف عنك ، أو تصبرين وتجب لك الجنة ؟

فقالت لا والله يا رسول الله بل أصبر ثلاثا ولا أجعل والله لجنته خطراً (١) .

محمد بن يونس الكُديمى ضعيف (٢) .

وقد قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن لاحق سنة خمس وثمانين ومائة ـ حدثنا عاصم الأحول ، عن أبى عثمان النَّهدى ، عن سليمان الفارسى ، قال : استأذنت الحمى على رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال : من أنت ؟ قالت : أنا الحمى ، أبرى اللحم ، وأمص الدم ، قال : اذهبى إلى أهل قُباء ، فأتتهم فجاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقد اصفرت وجوههم ، فشكوا إليه الحمى فقال لهم : ما شئتم إن شئتم دعوت الله فيكشف عنكم ، وإن شئتم تركتموها فأسقطت ذنوبكم . قالوا: بل تدَعها يا رسول الله (٣) .

وهذا الحديث ليس هو فى مسند الإمام أحمد ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة (٤) .

وقد ذكرنا فى أول الهجرة دعاءه ـ عليه السلام ـ لأهل المدينة أن يُذهب حُماها إلى الجُحفة ، فاستجاب الله له ذلك ؛ فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله فصححها الله ببركة حلوله بها ، ودعائه لأهلها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

حديث آخر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا شُعبة ، عن أبى جعفر المدينى ، سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريراً أتى النبىَّ ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يعافينى .

---

(١) (ضعيف جداً) فيه محمد بن يونس وهو متهم بالكذب . الخطر : العدل أو المثل .

(٢) الحق أن منهج ابن كثير العلمى فى فحص الأحاديث من جهة السند ، هو الذى أوسع صدره لذكر هذه الروايات ، وإلا فإنها بمتونها تناقض العقل وتجنح إلى الخرافة . وما أغنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أمثال هذه الأكاذيب .

(٣) (ضعيف الإسناد) لكن الحديث له أصل فى الصحيح على شرط مسلم .

(٤) بل هو ظاهر الوضع بعيد عن العقل .

فقال : إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك .

قال : لا ، بل ادع الله لى .

قال : فأمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن يتوضأ ويصلى ركعتين ، وأن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك فى حاجتى هذه فتُقضَى وتشفعنى به وتُشفّعه فى .

قال : فكان يقول هذا مراراً . ثم قال بعد : أحْسب أن فيها أن تشفّعنى فيه . قال : ففعل الرجل فبرأ (١) .

وقد رواه أحمد أيضا عن عثمان بن عمرو عن شعبة به . وقال : اللهم شفعه فىّ ، ولم يقل الأخرى ، كأنها غلط من الراوى والله أعلم .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى عن محمود بن غيلان ، وابن ماجة ، عن أحمد بن منصور بن سيّار ، كلاهما عن عثمان بن عمرو .

وقال الترمذى : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن جعفر الخطَمىّ .

ثم رواه أحمد أيضا عن مؤمّل بن حماد بن سلمة بن أبى جعفر الخطمى ، عن عمارة ابن خزيمة ، عن عثمان بن حُنيف . فذكر الحديث .

وهكذا رواه النسائى عن محمد بن معمر ، عن حبان ، عن حماد بن سلمة به .

ثم رواه النسائى عن زكريا بن يحيى ، عن محمد بن المثنّى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن أبى جعفر ، عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف .

وهذه الرواية تخالف ما تقدم ، ولعله عند أبى جعفر الخطمى من الوجهين والله أعلم .

وقد روى البيهقى والحاكم من حديث يعقوب بن سفيان ، عن أحمد بن شَبيب ، بن سعيد الحنطبى ، عن أبيه ، عن روح بن القاسم ، عن أبى جعفر المدينى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف قال : **سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وجاءه رجل**

---

(١) (صحيح) المسند ١٧١٧٥ والدلائل ٦ / ١٦٦ .

ضرير ،فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال :يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق عليّ .

فقـال رسول الله ـ ﷺ ـ ائت الميضأة فتـوضأ ثم صل ركـعتين ثم قل : اللهـم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمـد نبى الرحمـة ، يا محـمد إنى أتوجه بك إلى ربى فينجلى بـصرى ، اللهم فشفعه فى وشفعنى فى نفسى .

قال عثمان : فوالله مـا تفرقنا ، ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضُرّ قط [1] .

قال البيهقى : ورواه أيضا هشام الدَّسْتُوائى ، عن أبى جعفر ، عن أبى أمامة بن سهل عن عمه عثمان بن حنيف .

حـديث آخـر

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثنى رجل من بنى سُلامان بن [2] سعد ، عن أبيه ، عن خاله أو أن خـاله أو خالها حـبيب بن مُرَيط حـدثهـا ، أن أباه خرج إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ وعيناه مُبيضتان لا يبصر بهما شـيئا أصلا ، فسأله : مـا أصـابك ؟ فقـال كنت أرعى جـملا لى فوقعت رجلى على بطن حية فأصبتُ ببصرى .

قـال : فنفث رسـول الله ـ ﷺ ـ فى عينيه فـأبصر ، فرأيته وإنه ليُدخل الخيط فى الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضّتان .

قال البيهقى : كذا فى كتابه : وغيره يقول ، حبيب بن مُدْرك .

قـال : وقد مـضى فى هذا المعنى حـديث قـتادة بن النعمانَ أنه أصيبت عينه فسالت حدَقته فردها رسول الله إلى موضعها ، فكان لا يدرى أيهما أصيبت .

قلت : وقد تقدم ذلك فى غزوة أحد .

وقد ذكرنا فى مقتل أبى رافع مَسحه بيده الكريمة على رجْل عبد الله [3] بن عتيك ـ وقد انكسرت ساقه ـ فبرأ من ساعته .

---

(١) (صحيح) الدلائل ٦ / ١٦٧ .

(٢) المطبوعة : وبى وهو تحريف .

(٣) كذا فى ت وهو الصواب . وفى أ : جابر بن عتيك .

وذكر البيهقى بإسناد : أنه ـ ﷺ ـ مسح يد محمد بن حاطب ـ وقد احترقت يده بالنار ـ فبرأ من ساعته .

وأنه ـ عليه السلام ـ نفث فى كف شُرَحْبيل الجُعفى فذهبت من كفه سَلْعة كانت به .

قلت : وتقدم فى غزوة خيبر تَفله فى عينى على وهو أرْمَد فبرأ .

وروى الترمذى عن على حديثه فى تعليمه ـ عليه السلام ـ ذلك الدعاء لحفظ القرآن فحفظه .

وفى الصحيح أنه قال لأبى هريرة وجماعة : من يبسط رداءه اليوم فإنه لا ينسى شيئاً من مقالتى .

قال : فبسطته فلم أنس شيئا من مقالته تلك .

فقيل : كان ذلك حفظاً من أبى هريرة لكل ما سمعه منه فى ذلك اليوم ، [وقيل][1] وفى غيره . فالله أعلم .

ودعا لسعد بن أبى وقاص فبرأ .

وروى البيهقى أنه دعا لعمه أبى طالب فى مَرضةَ مرضها ، وطلب من رسول الله ـ ﷺ ـ أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته .

والأحاديث فى هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها .

وقد أورد البيهقى من هذا النوع كثيراً طيبا أشرنا إلى أطراف منه ، وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد واكتفينا بما أوردنا عما تركنا . وبالله المستعان .

حـديث آخر

ثبت فى الصحيحين من حديث زكريا بن أبى زائدة ، زاد مسلم : والمغيرة كلاهما عن شَراحيل الشَّعبى ، عن جابر بن عبد الله ، أنه كان يسير على جمل قد أعيا ، فأراد أن يسيبَه[2] .

---

(١) سقطت من : أ .

(٢) يسيبه : يتركه ولا يركه .

قال : فلحقنى رسول الله ـ ﷺ ـ فضربه ودعا لى ؛ فسار سيراً لم يسر مثله ، وفى رواية فما زال بين يدى قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر عليه ، فقال : كيف ترى جملك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك يا رسول الله .

ثم ذكر أن رسول الله ـ ﷺ ـ اشتراه منه .

واختلف الرواة فى مقدار ثمنه على روايات كثيرة ، وأنه استثنى حُمْلانه إلى المدينة ، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه [(١)] وزاده ثم أطلق له الجمل أيضاً ، الحديث بطوله

حديث آخر

روى البيهقى واللفظ له ، وهو فى صحيح البخارى من حديث حسن بن محمد المروزى عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : فزع الناس فركب رسول الله ـ ﷺ ـ فرساً لأبى طلحة بطيئا ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ـ ﷺ ـ . فقال : لن تراعوا إنه لبَحْر ، قال فوالله ما سبق بعد ذلك اليوم .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو بكر القاضى ، أخبرنا حامد بن محمد الهروى ، حدثنا على ابن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عبد الله الرَّقاشى ، حدثنا رافع بن سلمة بن زياد ، حدثنى عبد الله بن أبى الجعد ، عن جُعيل الأشجعى ، قال : **غزوت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى بعض غزواته وأنا على فرس لى عجفاء ضعيفة .**

قال : فكنت فى أخريات الناس ،فلحقنى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال : سِرْ يا صاحب الفرس، فقلت : يا رسول الله عجفاء ضعيفة . قال : فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ مِخْفَقة [(٢)] معه فضربها بها وقال : اللهم بارك له .

قال : فلقد رأيتنى أمسك برأسها أن تقدم الناس ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا [(٣)] .

---

(١) أ : الثمن .

(٢) المخفقة : السوط .

(٣) (صحيح) الدلائل ٦ / ١٥٣ .

ورواه النسائى عن محمد بن رافع ، عن محمد بن عبد الله الرقاشى فذكره .

وهكذا رواه أبو بكر بن أبى خيثمة ، عن عبيد بن يعيش ، عن زيد بن الحُباب ، عن رافع بن سلمة الأشجعى فذكره .

وقال البخارى فى التاريخ : وقال رافع زياد بن الجعد بن أبى الجعد : حدثنى أبى عبد الله بن أبى الجعد أخى سالم ، عن جعيل فذكره .

حـديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدثنا محمد بن شاذَان الجوهرى ، حدثنا زكريا بن عَدى ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن يزيد بن كَيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : **جاء رجل إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال : إنى تزوجت امرأة .**

فقال : هلاّ [1] **نظرت إليها فإن فى أعين الأنصار شيئا ؟ قال قد نظرت إليها . قال : على كم تزوجتها ؟ فذكر شيئا .**

قال : كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شىء تعطيكه ، ولكن سأبعثك فى وجه تُصيب فيه ، فبعث بعثاً إلى بنى عبس وبعث الرجل فيهم ، فأتاه فقال : يا رسول الله أعيتنى ناقتى أن تنبعث .

قال : فناوله رسول الله ـ ﷺ ـ يده كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاه فضربها برجله .

قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لقد رأيتها تسبق به القائد [2] .

رواه مسلم فى الصحيح ، عن يحيى بن مَعين ، عن مروان .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو زكريا بن أبى إسحاق المزنى ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب ، أخبرنا أبو جعفر بن عون ، أخبرنا

---

(١) أ : هل .

(٢) (صحيح) الدلائل ٦ / ١٥٤ وأخرجه مسلم فى كتاب النكاح .

الأعمش ، عن مجاهد ، أن رجلا اشترى بعيراً فأتى رسول الله - ﷺ - فقال : إنى اشتريت بعيراً فادع الله أن يبارك لى فيه . فقال : اللهم بارك له فيه .

فلم يلبث إلا يسيراً أن نفق ، ثم اشترى بعيراً آخر فأتى به رسول الله - ﷺ - فقال : إنى اشتريت بعيراً فادع الله أن يبارك لى فيه . فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث حتى نفق .

ثم اشترى بعيراً آخر فأتى رسول الله - ﷺ - فقال : يا رسول الله قد اشتريت بعيرين فدعوت الله أن يبارك لى فيهما فادع الله أن يحملنى عليه . فقال : اللهم احمله عليه . فمكث عنده عشرين سنة (١) .

قال البيهقى : وهذا مرسل ودعاؤه - عليه السلام - صار إلى أمر الآخرة فى المرتين الأوليين .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلمى ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله الميكالى ، حدثنا على بن سعيد العسكرى ، أخبرنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خَلاَّد الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسلم بن سعيد ، حدثنا خُبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن إساف عن ابيه ، عن جده حبيب بن إساف ، قال أتيت رسول الله - ﷺ - ، أنا ورجل من قومى فى بعض مغازيه فقلنا : إنا نشتهى أن نشهد معك مشهداً .

قال : أسلمتم ؟ قلنا : لا ، قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين .

قال : فأسلمنا ، وشهدت مع رسول الله - ﷺ - فأصابتنى ضربة على عاتقى فجافتْنى (٢) فتعلقت يدى ، فأتيت رسول الله - ﷺ - فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأت وقتلت الذى ضربنى .

ثم تزوجت ابنة الذى قتلته وضربنى ، فكانت تقول : لا عدمت رجلا وشّحك هذا الوشاح .

فأقول : لا عدمت رجلا أعجل أباك إلى النار (٣) .

---

(١) (ضعيف) فيه الأعمش وهو مدلس .

(٢) جافتنى : بلغت جوفى .

(٣) حسن المسند ٢٤٢٦٧ وهو عن عائشة وأخرجه مسلم ١٨١٧ .

وقـد روى الإمـام أحمـد هذا الحـديث عن يزيد بن هارون بإسناده مثله ولم يذكـر : «فتفَل فيها فبرأت»

حديث آخر

ثبت فى الصحيحين من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن ورْقاء بن عـمر السّكُرى ، عن عبد الله بن يزيد ، عن ابن عباس ، قال : **أتى رسول الله ـ ﷺ ـ الخلاء فوضعت له وَضُوءا فلما خرج قال : من صنع هذا ؟ قالوا : ابن عباس ، قال : اللهم فقّهه فى الدين .**

وروى البيهقى عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن عباس الدَّورقى ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، عن زهير ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس **أن رسول الله ـ ﷺ ـ وضع يده على كتفى ـ أو قال : منكبى . شك سعيد ـ ثم قال : اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل** [1] .

وقد استجاب الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الدعوة فى ابن عمه ، فكان إماماً يهتدى بهداه ويقتدى بسنّاه فى علوم الشريعة ، ولا سيما فى علم التأويل وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قَبْله ، وما كان عَقَله من كلام ابن عمه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد قال الأعمش ، عن أبى الضُّحىَ ، عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منَّا .

وكان يقول لهم : نعم ترجمان القرآن ابنُ عباس .

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود ببضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حَصَّله بعده فى هذه المدة .

وقد روينا عن بعض أصحابه أنه قال : خطب الناس ابن عباس فى عشية عرفة ففسر لهم سورة البقرة ، أو قال سورة ، ففسرها تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا . رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) (صحيح) أخرجه الشيخان البخارى ١٤٣ ومسلم .

حديث آخر

ثبت فى الصحيح أنه ـ عليه ـ السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ، فكان كذلك حتى روى الترمذى ، عن محمود بن غَيْلان ، عن أبى داود الطيالسى ، عن أبى خَلدة ، قال : قلت لأبى العالية : سمع أنس من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فقال : خدَمه عشر سنين ودعا له ، وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين [وكان فيه ريحان يجئ منه ريح المسك] (١)

وقد روينا فى الصحيح أنه ولد له لصُلبه قريبٌ من مائة أو ما ينيف عليها .

وفى رواية : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال : اللهم أطل عمره ، فعمِّر مائةً .

وقد دعا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأم سُليم ولأبى طلحة فى غابر ليلتهما ، فولدت له غلاماً سماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله ، فجاء من صُلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن ، ثبت ذلك فى الصحيح .

وثبت فى صحيح مسلم من حديث عكْرمة بن عمار ، عن أبى كَثير العَنْبَرى ، عن أبى هريرة أنه سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو لأمه فيهديَها الله فدعا لها .

فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب فلما فرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو هريرة يبكى من الفرح .

ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ، وسأل أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما ، فحصل ذلك .

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبنا .

وقد صدق أبو هريرة فى ذلك ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ، ومن تمام هذه الدعوة أن الله شَهر ذكْرَه فى أيام الجمَع حيث يذكره الناس بين يدى خطبة الجمعة ، وهذا من التقييض القَدرى والتقدير المعنوى .

وثبت فى الصحيح أنه ـ عليه السلام ـ ، دعا لسعد بن أبى وقاص و هو مريض فعوفى

---

(١) سقط من : أ .

ودعا له أن يكون مجاب الدعوة ، فقال : اللهم أجب دعوته ، وسدِّد رَميته ، فكان كذلك ، فنعم أمير السرايا والجيوش كان .

وقد دعا على أبى سُعدة أسامة بن قتادة حين شهد فيه بالزُّور بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن ، فكان ذلك ، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد .

وثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمُره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يشب منه موضع أصابت يدُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومُتِّع بحواسه وقواه .

وقال أحمد : حدثنا جرير بن عمارة (1) ، حدثنا عروة بن ثابت ، حدثنا على بن أحمد ، حدثنى أبو زيد الأنصارى ، قال : **قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ادنُ منى ، فمسح بيده على رأسى ثم قال : اللهم جَمِّله وأدِم جماله .**

قال : فبلغ بضعا ومائة ـ يعنى سنة ـ وما فى لحيته بياض إلا نبذة يسيرة ، ولقد كان منبسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات (2) .

قال السُّهيلى : إسناد صحيح موصول .

ولقد أورد البيهقى لهذا نظائر كثيرة فى هذا المعنى ، تشفى القلوب ، وتحصل المطلوب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر ـ هو ابن سليمان ـ قال : سمعت أبى يحدث عن أبى العلاء قال : كنت عند قتادة بن مِلْحان فى موضعه الذى مات فيه ، **قال : فمرَّ رجل فى مُؤخر الدار ، قال : فرأيته فى وجه قتادة .**

وقال : **كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مسح وجهه ، قال : وكنت قلَّ ما رأيته إلا ورأيت كأن على وجهه الدِّهان** (3) .

---

(1) المطبوعة : بن عمير .

(2) (صحيح) ورجاله ثقات .

(3) (صحيح) .

وثبت فى الصحيحين أنه ـ عليه السلام ـ دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس ، فاستجاب الله لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففتح له فى المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل بحيث إنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثُّمن على ثمانين ألفاً .

وثبت فى الحديث من طريق شبيب بن غَرْقَد أنه سمع الحىَّ يخبرون عن عروة بن أبى الجعد المازنى ، **أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطاه ديناراً ليشترى له به شاة فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار وأتاه بشاة ودينار ، فقال له : بارك الله لك فى صَفقة يمينك**[1] .

وفى رواية : فدعا له بالبركة فى البيع ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، عن أبى عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشترى الطعام فيلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان : أشركنا فى بيعك فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا لك بالبركة . فيُشركهم فربما أصاب الراحلة كما هى فبعث بها إلى المنزل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينى ، أخبرنا ابن عدى ، حدثنا على بن محمد بن سليمان الحلبى[2] ، حدثنا محمد بن يزيد المستَمْلى ، حدثنا شَبابة بن عبد الله ، حدثنا أيوب بن سيّار عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن أبى بكر ، عن بلال قال : **أذَّنتُ فى غَداة باردة فخرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم ير فى المسجد واحداً .**

فقال : أين الناس ؟ فقلت : منعهم البردُ .

فقال : اللهم أذهب عنهم البرد . فرأيتهم يتروَّحون[3] .

ثم قال البيهقى تفرد به أيوب بن سيَّار . ونظيره قد مضى فى الحديث المشهور عن حذيفة فى قصة الخندق .

---

(١) (صحيح) المسند ١٩٢٥٧ .

(٢) المطبوعة : الحليمى .

(٣) ضعيف .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الله الأصبهانى - إملاء - أخبرنا أبو إسماعيل الترمذى ، عن محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأُوَيسى ، حدثنا على بن أبى اللَّهبى[1] ، عن أبى ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج وعمر بن الخطاب معه ، فعرضت له امرأة ، فقالت يا رسول الله إنى امرأة مسلمة مُحرمة ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة .

فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ادعى لى زَوْجَك ، فدعته وكان خرازاً

فقال له : ما تقول فى امرأتك يا عبد الله ؟ فقال الرجل : والذى أكرمك ما جَفَّ رأسى منها . فقالت امرأته : جاء مرة واحدة فى الشهر .

فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أتبغضينه ؟ قالت : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أدنيا رءوسكما . فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال : اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه .

ثم مرَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب ، فطلعت المرأة تحمل أدماً على رأسها ، فلما رأت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طرحته وأقبلت فقبلت رجليه .

فقال : كيف أنت وزوجك ؟

فقالت : والذى أكرمك ما طارفٌ ولا تالدٌ أحب إلى منه .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أشهد أنى رسول الله .

فقال عمر : وأنا أشهد أنك رسول الله .

قال أبو عبد الله : تفرد به على بن [أبى] على اللَّهَبى وهو كثير الرواية للمناكير .

---

(١) نسبة إلى أبى لهب عم النبى - صلى الله عليه وسلم - ، حجازى من أولاد أبى لهب ، يحدث عن الثقات بالموضوعات لايجوز الاحتجاج به . اللباب ٣/ ٧٣ .

قال البيهقى : وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله - يعنى هذه القصة - إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب .

حديث آخر

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا على ابن زيد بن جُدْعان ، عن أبى الطفيل ، أن رجلا ولد له غلام فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فدعا له بالبركة وأخذ بجبهته فنبتت شعرة فى جبهته كأنها هُلبة [1] فرس ، فشب الغلام ، فلما كان زمن الخوارج أجابهم فسقطت الشعرة عن جبهته ، فأخذ أبوه فحبسه وقيده مخافة أن يلحق بهم .

قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : ألم تر إلى بركة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقعت ؟ فلم نزل به حتى رجع عن رأيهم .

قال : فردَّ الله تلك الشعرة إلى جبهته إذ تاب .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقى ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أبى أسامة الكلبى عن سُريج بن مسلم ، عن أبى يحيى إسماعيل بن إبراهيم التيمى ، حدثنى سيف ابن وهب ، عن أبى الطُّفيل ، أن رجلا من بنى ليث يقال له : فرَاس بن عمرو أصابه صداع شديد فذهب به أبوه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأجلسه بين يديه ، وأخذ بجلدة بين عينيه فجذبها حتى تبعَّضت [2] فنبتت فى موضع أصابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شعرة ، وذهبَ عنه الصداع فلم يُصدع وذكر بقية القصة فى الشعرة كنحو ما تقدم .

حديث آخر

قال حافظ أبو بكر البزار : حدثنا هاشم بن القاسم الحُدَّانى ، حدثنا يَعْلى بن الأشدق ، سمعتُ عبد الله بن حراد العقيلى ، حدثنى النابغة - يعنى الجَعْدى - قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشدته من قولى

---

(١) الهلب : الشعر كله ، أو ما غلظ منه أو شعر الذنب .
(٢) تبعضت : تجزأت .

بلغنا السماءَ عفة وتكرما وإنا لنرجو فوقَ ذلك مظهرا

قال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قال : قلت : أى الجنة . قال : أجل إن شاء الله . قال أنشدنى . فأنشدته من قولى :

ولا خيرَ فى حِلْم إذا لم يكن له بوادر تحمى صَفْوه أن يُكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال أحسنت لا يَفضض الله فاك .

هكذا رواه البزار إسناداً ومتناً .

وقد رواه الحافظ البيهقى من طريق أخرى فقال : أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن عبدان ، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن المؤمل ، حدثنا جعفر بن محمد بن سوار ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكرى الرقى ، حدثنى يعلى بن الأشدق ، قال : سمعت النابغة ـ نابغة بنى جَعْدَة ـ يقول : أنشدت هذا الشعر ، فأعجبه :

بلغنا السماء مجدنا وتراثنا وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال كذلكِ إن شاء الله :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بَوادرُ تحمى صَفْوه أن يُكدرًا

ولا خير فى جهل إذا لم يكنِ له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أجدت لا يفضض الله فاك

قال يعلى : ولقد أتى عليه نَيف ومائة سنة وما ذهب له سنّ .

قال البيهقى : وروى عن مجاهد بن سليم ، عن عبدَ الله بن حراد سمعت نابغة يقول : سمعنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أنشد من قولى :

بلغنا السماءَ عفة وتكرما وإنا لنرجو فوقَ ذلك مظهرا

ثم ذكر الباقى بمعناه ، قال : فلقد رأيت سِنه كأنها البرد والمنهل ما سقط له سن ولا انفلت .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو بكر القاضى ، وأبو سعيد بن يوسف أبى عمرو ، قالا : حدثنا الأصم ، حدثنا عباس الدُّورى ، حدثنا على بن بحر القَطَّان ، حدثنا هاشم ابن يوسف ، حدثنا مَعْمَر ، حدثنا ثابت ، وسليمان التيمى عن أنس **أن رسول الله ـ ﷺ ـ نظر قِبلَ العراق والشام واليمن ـ لا أدرى بأيتهن بدأ ـ ثم قال : اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعتك وحُطّ من أوزارهم** (١) .

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحق الصَّغَانِى ، عن على بن بحر ابن سَرِىّ ، فذكره بمعناه .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن زيد بن ثابت ، قال : **نظر رسول الله ـ ﷺ ـ قِبلَ اليمن فقال : اللهم أقبل بقلوبهم . ثم نظر قِبلَ الشام فقال : اللهم أقبل بقلوبهم . ثم نظر قبل العراق فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، وبارك لنا فى صاعنا ومُدّنا** (٢) .

وهكذا وقع الأمر ، أسلم أهلُ اليمن قَبلَ أهل الشام ، ثم كان الخير والبركة قِبلَ العراق ، ووعِد أهلُ الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر .

وروى أحمد فى مسنده : **لا تقوم الساعة حتى يتحول خِيَار أهل العراق إلى الشام ويتحول شِرار أهل الشام إلى العراق** (٣) .

فصل

وروى مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة عن زيد بن الحُبَاب ، عن عكرمة بن عمار حدثنى إيَاس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلا أكل عند رسوَل الله ـ ﷺ ـ بشماله ، فقال له : كُل بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، ما يمنعه إلا الكبْر قال : فما رفعها إلى فيه .

---

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ١٠ / ٥٧ .

(٢) (ضعيف) .

(٣) (صحيح) المسند ٢٢٠٤٥ .

وقد رواه أبو داود الطيالسي ، عن عكرمة ، عن إياس ، قال : **أبصر رسول الله ـ ﷺ ـ بشرَ بن راعي العير وهو يأكل بشماله فقال : كل بيمينك . قال لا أستطيع ، قال : لا استطعت . قال : فما وصلت يده إلى فيه بعد** [1] .

وثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : **كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ فاختبأت منه ، فجاءني فخطأني خطوة أو خطوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة ، فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فأرسلني الثانية ، فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه !**

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن علي بن حماد ، عن هشام بن علي ، عن موسى بن إسماعيل ، حدثني أبو عَوانة ، عن أبي حمزة : سمعت ابن عباس قال : **كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله قد جاء فقلت : ما جاء إلا إليَّ ، فذهبت فاختبأت على باب ، فجاء فحطَّأني حَطأة وقال : اذهب فادع لي معاوية وكان يكتب** [2] **الوحي .**

قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : إنه يأكل، فقال : اذهب فادعه لي فأتيته الثانية ، قيل إنه يأكل . فأتيت رسول الله فأخبرته فقال في الثانية : لا أشبع الله بطنه [3]**، قال : فما شبع بعدها**[4] .

قلت : وقد كان معاوية ـ رضي الله عنه ـ لا يشبع بعدها ، ووافقته هذه الدعوة في أيام إمارته فيقال : إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاماً بلحم .

وكان يقول : والله لا أشبع وإنما أعْيَى .

وقدمنا في غزوة تبوك أنه مرّ بين أيديهم وهم يصلون غلام فدعا عليه فأقعد فلم يقم بعدها .

وجاء من طرق أوردها البيهقي أن رجلا حاكى النبي ـ ﷺ ـ في كلام واختلج بوجهه ،

---

(١) (**صحيح**) الدلائل ٦ / ٢٣٨ .

(٢) ت يثبت . **حطاني** : ضربني بيده مبسوطة بين الكتفين . وفي الأصل : فخطاني خطوة . وهو تحريف وما أثبته من صحيح مسلم .

(٣) ت لا أشبعه الله .

(٤) (**ضعيف**) .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : كن كذلك . فلم يزل يختلج ويرتعش مدة عمره حتى مات .

وقد ورد فى بعض الروايات أنه الحكم بن أبى العاص ، أبو مروان بن الحكم فالله أعلم .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : **خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزوة بنى أنمار ، فذكر الحديث فى الرجل الذى عليه ثوبان قد خلقا ، وله ثوبان فى القُنْيَة ، فأمره رسول الله ـ ﷺ ـ فلبسهما ثم ولَّى فقال رسول الله : ماله ؟ ضرب الله عنقه ؟ فقال الرجل : فى سبيل الله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : فى سبيل الله ، فقتل الرجل فى سبيل الله** (١).

وقد ورد من هذا النوع كثير .

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع كما سنوردها قريباً فى باب فضائله ـ ﷺ ـ : أنه قال : **اللهم من سَبَبته أو جلدته أو لعنته وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك قُرْبة له تقربه بها عِندك يوم القيامة .**

وقد قدمنا فى أول البعثة حديث ابن مسعود فى دعائه ـ ﷺ ـ على أولئك النَّفر السبعة ، الذين أحدهم أبو جهل بن هشام وأصحابه ، حين طرحوا على ظهره ـ عليه السلام ـ سَلا الجَزور ، وألقته عنه ابنته فاطمة ، فلما انصرف قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وشَيبة بن ربيعة ، وعُتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، ثم سمَّى بقية السبعة .

قال ابن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صَرعَى فى القَليب قليب بدر . الحديث .

وهو متفق عليه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنى هشام ، حدثنا سليمان ـ يعنى ابن المغيرة ـ عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : **كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب**

---

(١) (صحيح) الدلائل ٦ / ٢٣٤ .

لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب .

قال : فرفعوه وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم .

فحفروا له فوَاروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له وواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً [1] .

ورواه مسلم عن محمد بن راضى ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حُميد ، عن أنس ، أن رجلا كان يكتب للنبى ـ ﷺ ـ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران .

وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران عزَّ فينا ـ يعنى عَظُم ـ فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يُملى عليه : غفوراً رحيماً . فيكتب : عليماً حكيماً .

فيقول له النبى ـ ﷺ ـ : اكتب كذا وكذا فيقول : أكتب كيف شئت . ويملى عليه : عليماً حكيماً ، فيكتب : سميعاً بصيراً ، فيقول : أكتب كيف شئت .

قال : فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين ، وقال : أنا أعلمكم بمحمد ، وإنى كنت لا أكتب إلا ما شئت .

فمات ذلك الرجل ، فقال النبى ـ ﷺ ـ : إن الأرض لا تقبله .

قال أنس : فحدثنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذاً .

فقال أبو طلحة : ما شأن هذا الرجل ؟ قالوا : قد دفناه مِراراً فلم تقبله الأرض [2].

وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن أنس

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الرزاق [3] ، حدثنا عبد العزيز ، عن

---

(١) (صحيح) المسند ١٣٢٥٧ .

(٢) (صحيح) المسند ١٢١٥٤ .

(٣) أ : عبد الوارث : وهو تحريف .

أنس بن مالـك قـال : كان رجل نصرانى فأسلم وقرأ البـقرة وآل عمـران ، وكان يكتب للنبـى - ﷺ - فعاد نصرانياً ، وكان يقول لا يدرى محمد إلا كتبتُ له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض .

فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشَوا عنْ صاحبنا فألقوه ،

فحفروا له فأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس . فألقوه .

* * *

بـاب

المسائل التى سئل عنها رسول الله ـ ﷺ ـ فأجاب عنها

بما يطابق الحقَّ الموافق لما تشهد به الكتب المتقدمة الموروثة

عن الأنبياء قبله

قد ذكرنا فى أول البعثة ما تعنّت به قريش وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله ـ ﷺ ـ .

فقالوا : سَلُوه عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا فى الدهر فلا يُدْرَى ما صنعوا ، وعن رجل طَوّاف فى الأرض بَلَغ المشارقَ والمغارب .

فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفتْية الذين فارقوا دين قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد ، وأفردوه بالعبادة ، واعتزلوا قومهم ، ونزلوا غاراً وهو الكهف ، فناموا فيه ، ثم أيقظهم الله بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، وكان مِن أمرهم ما قصَّ الله علينا فى كتابه العزيز .

ثم قصّ خبر الرجلين المؤمن والكافر ، وما كان من أمرهما .

ثم ذكر خبر موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم والمواعظ .

ثم قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ ، ثم شرح ، ثم ذكر خبره وما وصل إليه من المشارق والمغارب ، وما عمل من المصالح فى العالم .

وهذا الإخبار هو الواقع فى الواقع ، وإنما يوافقه من الكتب التى بأيدى أهل الكتاب ما كان منها حقاً ، وأمَّا ما كان مُحَرَّفاً مبدلاً فذاك مَردود .

فإن الله بعث محمداً ـ ﷺ ـ بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام .

قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١) .

وذكرنا فى أول الهجرة قصة إسلام عبد الله بن سلام ، وأنه قال : لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة انجفل(٢) الناس إليه فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه قلت(٣) إن وجهه ليس بوجه كَذَّاب .

فكان أول ما سمعته يقول : **أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحام وأطعموا الطعام ، وصَلُّوا بالليل والناس نِيام ، تدخلوا الجنة بسلام** (٤) .

وثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث إسماعيل بن عطية وغيره ، عن حُميد ، عن أنس ، قصة سؤاله رسول الله ـ ﷺ ـ [عن] ثلاث لا يعلمهن إلا نبى : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

وما يَنزِع الولدَ إلى أبيه وإلى أمه ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **أخبرنى بهنّ جبريل آنفاً ، ثم قال : أمّا أول أشراط الساعة فنار تَحشُر الناس من المشرق إلى المغرب .**

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت .

وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه .

وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بُكير ، عن أبى مَعْشَر ، عن سعيد المقبُرى ، فذكر مُساءلة عبد الله بن سلاّم إلا أنه قال : فسأله عن السَّواد الذى فى القمر ، بدَل أشراط الساعة .

فذكر الحديث إلى أن قال : **وأما السواد الذى فى القمر فإنهما كانا شمسين فقال**

---

(١) سورة المائدة ٤٨ .

(٢) **انجفل** : اجتمع .

(٣) ت : علمت .

(٤) (صحيح) الترمذى ٢٤٨٧ وقال حسن صحيح .

الله ـ عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ (١) فالسواد الذى رأيت هو المحو فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (٢) .

حديث آخر فى معناه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكى ، أخبرنا أبو الحسن ـ أحمد بن محمد بن عَبْدَروس ـ حدثنا عثمان بن سعيد ، أخبرنا الربيع بن نافع ، أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام يقول : أخبرنى أبو أسماء الرَّحَبى أن ثَوْبان حدَّثه قال : كنت قائما عند رسول الله ـ ﷺ ـ فجاءه حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يُصرع منها .

قال : لم تدفعنى ؟ قال : قلت ألا تقول : يا رسول الله ؟ قال : إنما سميته باسمه الذى سمّاه به أهله .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن اسمى الذى سمانى به أهلى محمد .

فقال اليهودى : جئت أسألك . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ينفعك شىء إن حدَّثتك ؟ قال : أسمع بأذنى . فنكت بعود معه ، فقال له : سَل .

فقال له اليهودى : أين الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : فى الظُّلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة ؟ فقال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودى : فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة ؛ قال : زيادة كبد الحوت .

قال : وما غذاؤهم على إثره ؟ قال يُنحَر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سَلْسبيلا .

قال : صدقتْ .

قال : وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان .

---

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) (ضعيف الإسناد)

قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني . قال : جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منى المرأة أذكَرا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل أنثا بإذن الله.

فقال اليهودى : صدقت وإنك لنبى . ثم انصرف .

فقال النبى - ﷺ - : إنه سألنى عنه وما أعلم شيئا منه حتى أتانى الله به [(١)] .

وهكذا رواه مسلم عن الحسن بن على الحُلْوانى ، عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام ، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم .

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا عبد الحميد بن بَهْرام ، عن شهْر بن حَوْشَب ، حدثنى ابن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود يوما عند رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا رسول الله حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبى .

قال : سلونى عما شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمةَ الله وما أخذ يعقوب على بنيه ، إن أنا حدثتكم بشىء تعرفونه صدقاً لتتابعنىّ على الإسلام .

قالوا : لك ذلك . قال : سَلوا عما شئتم .

قالوا : أخبرنا عن أربع خِلاَل ثم نسألك : أخبرنا عن الطعام الذى حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل تنزل التوراة . وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً، وكيف تكون الأنثى حتى تكون أنثى . وأخبرنا عن هذا النبى فى النوم ، ومن وليك من الملائكة .

قال : فعليكم عهد الله لئن أنا حدَّثتكم لتُتابِعنى ؟ فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق .

قال : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون إسرائيل - يعقوب - مرض مرضا شديداً طال سُقْمه فيه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرِّمنَّ من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل ، وأحب الطعام إليه

(١) (صحيح) الدلائل ٦ / ٢٦٣ .

لُحْمان الإبل ؟

قالوا اللهم نعم .

فقال رسول الله : اللهم اشهد عليهم .

قال : فأنشدكم الله الذى لا إله إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض ، وأن ماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما علا كان له الولد والشَّبه بإذن الله ، فإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله .

قالوا : اللهم نعم . قال رسول الله : اللهم اشهد عليهم .

قال : وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبى تنام عينيه ولا ينام قلبه ؟

قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد عليهم .

قالوا : أنت الآن حَدِّثنا عن وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك .

قال : وليى جبريل ـ عليه السلام ـ ، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه .

فقالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقناك .

قال : فما يمنعكم أن تصدِّقوه ؟

قالوا : إنه عدوُّنا من الملائكة .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [1] . الآية ، ونزلت : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ [2] ﴾ الآية [3] .

(١) سورة البقرة : ٩٧ .

(٢) سورة البقرة : ٩٠ .

(٣) (ضعيف الإسناد) فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف .

حـديث آخر

قال الإمام أحمد ، حدثنا يزيد ، حدثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، سمعت عبد الله ابن سلَمة يحدث عن صفوان بن عَسَّال المرادى ، قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى حتى نسأله عن هذه الآية ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ [1] ﴾ .

فقال لا تقل له شيئا ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين ، فسألاه : فقال النبى ـ ﷺ ـ : لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرئ إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا مُحصَنة ، أوقال : لا تفروا من الزحف ـ شُعبة الشاكُّ ـ وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة أن لا تَعْدُوا فى السَّبْت .

قال : فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبى .

قال : فما يمنعكما أن تتبعانى ؟ قالا : إن داود ـ عليه السلام ـ دعا أن لا يزال من ذريتا نبى ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة وابن جرير والحاكم والبيهقى من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

قلت : وفى رجاله من تُكلِّم فيه ، وكأنه اشتبه على الراوى التسع الآيات بالعشر الكلمات .

وذلك أن الوصايا التى أوصاها الله إلى موسى وكلَّمه بها ليلة القدر بعد ما خرجوا من ديار مصر وشعب بنى إسرائيل حول الطور حضور ، وهارون ومن معه وقوف على الطور أيضا ، وحينئذ كلم الله موسى تكليماً آمراً له بهذه العشر كلمات ، وقد فُسِّرت فى هذا الحديث .

وأما التسع الآيات فتلك دلائل وخوارق عادات أيِّد بها موسى ـ عليه السلام ـ ، وأظهرها الله على يديه بديار مصر ، وهى العصا واليد والطُّوفان والجراد والقُمَّل

(١) سورة الإسراء .

والضفادع والدم والجدْب ونقص الثمرات .

وقد بسطتُ القول على ذلك في التفسير بما فيه الكفاية . والله أعلم .

فصل

وقد ذكرنا في التفسير عند قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة : ٩٤ . ومثلها في سورة الجمعة وهي قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ الجمعة : ٦، ٧ .

وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك ، وأن الصواب أنه دعاهم إلى المباهلة وأن يدعوا بالموت على المبطل منهم أو المسلمين ، فنكَلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم ، وأن الدعوة تنقلب عليهم ، ويعود وبالُها إليهم .

وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجُّوه في عيسى ابن مريم ، فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة في قوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [1] .

وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة في قوله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [2] وقد بسطنا القول في ذلك عند هذه الآيات في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

حديث آخر يتضمن اعتراف اليهود بأنه رسول الله

ويتضمن تحاكمهم إليه ورجوعهم إلى ما يحكم به ، ولكن بقصد منهم مذموم وذلك أنهم ائتمروا بينهم أنه إن حكَم بما يوافق هواهم اتبعوه ، وإلا فاحذروًا ذلك ، وقد ذمهم الله في كتابه العزيز على هذا القصد .

(١) سورة آل عمران : ٦١ .

(٢) سورة مريم : ٧٥ .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا مَعمَر ، عن الزهرى قال : كنت جالساً عند سعيد بن المسيَّب ، وعند سعيد رجل وهو يوقّره ، وإذا هو رجل من مُزَينة ، كان أبوه شهد الحديبية وكان من أصحاب أبى هريرة .

قال : قال أبو هريرة : كنت جالساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ إذ جاء نفر من اليهود ـ وقد زنا رجل منهم وامرأة ـ فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه نبى بُعث بالتخفيف ، فإن أفتانا حداً دون الرجم فعلناه واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبى من أنبيائه .

قال مرة عن الزُّهرى : وإن أمرنا بالرجم عصيّناه ، فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم فى التوراة .

فأتوا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو جالس فى المسجد فى أصحابه فقالوا : يا أبا القاسم ما ترى فى رجل منا زنا بعد ما أحصن ، فقام رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يَرْجع إليهم شيئا ، وقام معه رجال من المسلمين ، حتى أتو بيت مِدراس اليهود فوجدوهم يتدارسون التوراة .

فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ : يا معشر اليهود ، أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون فى التوراة من العقوبة على من زنا إذا أحصن ؟

قالوا : نُجَبِّيه : والتجبية أن يحملوا اثنين على حمار فيولوا ظهر أحدهما ظهر الآخر .

قال : وسكت حبرهم وهو فتى شاب ، فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ صامتا ألظَّ به [1] النِّشْدَة .

فقال حبرهم : أما إذ نشدْتَهم فإنا نجد فى التوراة الرجمَ على من حصن .

قال النبى ـ ﷺ ـ : فما أول ما ترخَّصتم أمر الله ـ عز وجل ـ ؟ فقال : زنا رجل منا ذو قرابة بملك من ملوكنا ، . فأخِّر عنه الرجم فزنا بعده آخر فى أسرة من الناس ، فأراد ذلك الملك أن يرجمه فقام قومه دونه فقالوا : لا والله لا نرجمه حتى يرجم فلانا ابن عمه ، فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة .

---

(١) ألظ : أعاد عليه .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : فإنى أحكم بما حكم فى التوراة . فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ بهما فرجما .

قال الزهرى : وبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ (1) . وله شاهد فى الصحيح عن ابن عمر .

قلت : وقد ذكرنا ما ورد فى هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ المائدة : 41 . يعنى الجلد والتحميم الذى اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم ، يعنى إن حكم لكم محمد بهذا فخذوه ، ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ ، يعنى وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذروا قبوله . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة : 41 ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2)

فذمهم الله تعالى على سوء ظنهم وقَصْدهم بالنسبة إلى اعتقادهم فى كتابهم ، وأن فيه حكم الله بالرجم ، وهم مع ذلك يعلمون صحته ، ثم يَعْدلون عنه إلى ما ابتدعوه من التحميم والتَّجبية .

وقد روى هذا الحديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى قال : سمعت رجلا من مزينة يحدث سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة حدثهم فذكره ، وعنده : فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لابن صوريا : أنشدك بالله وأذكرك أيامه عند بنى إسرائيل : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟ فقال : اللهم نعم . أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبى مرسل ، ولكنهم يحسدونك .

(1) سورة المائدة 44 .

(2) سورة المائدة 43 .

فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى تميم عند مالك بن النجار .

قال : ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ المائدة ٤١ .

وقد ورد ذكر عبد الله بن صوريا الأعور فى حديث ابن عُمَير وغيره بروايات صحيحة قد بيناها فى التفسير .

حديث آخر

قال حماد بن سلمة : حدثنا ثابت ، عن أنس **أن غلاما يهوديا كان يخدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فمرض فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال : له رسول الله ـ ﷺ ـ : يا يهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون فى التوراة نعتى وصفتى ومخرجى ؟ فقال : لا**

فقال الفتى : بلى والله يا رسول الله ، إنا نجد فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإنى أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله .

فقال النبى لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، ولُوا أخاكم [1] .

ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبى شَيْبة ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه قال : إن الله ابتعث نبيه ـ ﷺ ـ لإدخال رجل الجنة ، فدخل النبى ـ ﷺ ـ كنيسة وإذا يهودى يقرأ التوراة ، فلما أتى على صفته أمسك .

قال : وفى ناحيتها رجل مريض ، فقال النبى ـ ﷺ ـ : مالكم أمسكتم .

فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبى فأمسكوا .

---

(١) (صحيح) الدلائل ٢٧٢٦ .

ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال : ارفع يدك ، فقرأ حتى أتى على صفته فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك [1] رسول الله ، ثم مات ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : لُوا أخاكم .

حديث آخر

إن النبي ـ ﷺ ـ : وقف على مُدراس اليهود فقال : يا معشر يهود أسلموا فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله إليكم .

فقالوا : قد بلَّغت يا أبا القاسم . فقال : ذلك أريد .

فصل

فالذي يُقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد بَشَّرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يَعْلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [4] .

---

(١) المطبوعة : وأشهد أن محمداً .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) سورة الأنعام : ١١٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ ﴾ (١) ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ (٢). وقال تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ (٥). وقال تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٦)

فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم ، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له .

قال ـ ﷺ ـ : « **والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ولا يؤمن بى إلا دخل النار** » (٧) . رواه مسلم .

وفى الصحيحين : « **أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة (٨) ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة** » .

وفيها : « **بعثت إلى الأسود والأحمر** » (٩) .

قيل : إلى العرب والعجم ، وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعم من ذلك .

والمقصود أن البشارات به ـ ﷺ ـ موجودة فى الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بنى إسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة فى بنى إسرائيل ، وقص الله خبره فى ذلك فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١٠) .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٠ .
(٢) البقرة : ١٣٧ .
(٣) سورة إبراهيم : ٥٢
(٤) سورة الأنعام : ١٩ .
(٥) سورة هود : ١٧ .
(٦) سورة يس : ٧٠ .
(٧) (صحيح) مسلم .
(٨) كانت فى الأصل : السماحة .
(٩) (صحيح) .
(١٠) سورة الصف .

فإخبار محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن ذكره موجود فى الكتب المتقدمة ، فيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق ، يدل على صدقه فى ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقا بما أخبر به من ذلك ، لكن ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يقدم على ذلك عاقل ، والفرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم فى نفس الأمر .

ثم إنه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته أقطار الآفاق عموما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ـ ﷺ ـ نبيا ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة فى كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم ، ونصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى قد أنذر نوح ـ وهو أول الرسل ـ قومه .

ومعلوم أنه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهى عن مخالفته والخروج عن طاعته .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه .

رواه البخارى

* * *

(١) سورة آل عمران : ٨١ ، ٨٢ .

وقد وجدت البشارات به - ﷺ - في الكتب المتقدمة ، وهى أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر .

وقد قدمنا قبل مولده - عليه السلام - طرفاً صالحاً من ذلك [1] ، وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة ، نحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ، ويتدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ، واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم .

ففى السِّفر الأول من التوراة التى بأيديهم فى قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - ما مضمونه وتعريبه : « إن الله أوحى إلى إبراهيم - عليه السلام - بعدما سلمه من نار النمروذ : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك » .

فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه ، وحرصت على إبعاد هاجر وولدها ، حتى ذهب بهما الخليل إلى برية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم - عليه السلام - أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه ما مضمونه :

« أما ولدك إسحاق فإنه يرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإنى باركته وعظمته وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته ماذ ماذ ، يعنى محمدا - ﷺ - وجعلت فى ذريته اثنى عشر إماما ، وتكون له أمة عظيمة » .

وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشت وحزنت على ولدها وجاء الملك فأنبع زمزم ، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم ، وأعظم قدراً ولا أوسع جاهاً ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصباً ، من محمد - ﷺ - ، وهو الذى استولت دولة أمته على المشارق والمغارب وحكموا على سائر الأمم .

وهكذا فى قصة إسماعيل من السفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن .

وهذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

وأيضا فى السفر الرابع فى قصة موسى : « أن الله أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ : أن قل لبنى إسرائيل سأقيم لهم نبيا من أقاربهم مثلك يا موسى ، وأجعل وحيى بفيه وإياه تتبعون »[1] .

وفى السفر الخامس ـ وهو سفر الميعاد : أن موسى ـ عليه السلام ـ خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره ـ وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سِنى التِّيه ـ وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم .

وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى إليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة » .

وأيضا فى آخر السفر الخامس وهو آخر التوراة التى بأيديهم : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قُدسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب » .

أى جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ـ وهو الجبل الذى كلم الله موسى ـ عليه السلام ـ عنده ـ وأشرق من ساعير وهى جبال بيت القدسْ ـ المحلة التى كان بها عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ واستعلن أى ظهر وعلا أمره من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا خلاف ، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ـ ﷺ ـ .

فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى ، ذكر مَحلة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا ، ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه ، على قاعدة القسَم فقال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ والمراد بها محلة بيت المقدس ، حيث كان عيسى ـ عليه السلام ـ ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ وهو البلد الذى ابتعث منه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات .

---

(١) المطبوعة : تسمعون .

وفى زبور داود ـ عليه السلام ـ صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيـه مثل ضربه لمحمد ـ ﷺ ـ ، بأنه ختام القبة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لَبِنة ، فجعل الناس يُطيفون بها ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » .

ومصداق ذلك أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

وفى الزبور صفة محمد ـ ﷺ ـ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر ، وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا ، وأنه يخلص المضطر ، ويكشف الضرَّ عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويُصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه فى كل يوم ، ويدوم ذكره إلى الأبد .

وهذا إنما ينطبق على محمد ـ ﷺ ـ .

* * *

وفى صحف شَعيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى إسرائيل ، وفيه : « فإنى أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب فى الأسواق ، أسدِّده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى ملته ، والإسلام دينه ، والقرآن كتابه ، أحمد اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الَخمالة ، وأجمع به بعد الفُرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثا بالنهار « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وفى الفصل الخامس[1] من كلام شعيا : « يدوس الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ، وينهزمون قدامه » .

وفى الفصل السادس والعشرين منه : « لتفرح أرض البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله ببهجته »[2] .

---

(١) ت : العاشر .

(٢) المطبوعة : بمهجته .

وفى صحف إلياس ـ عليه السلام ـ : « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحا ، فلما رأى العـرب بأرض الحـجـاز قـال لمن مـعـه : انظروا إلى هؤلاء فـإنهم هـم الذين يملكون حصونكم العظيمة . فقالوا : يا نبى الله فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال : يعظمون ربَّ العزة فوق كل رابية عالية » .

ومن صحف حزقيل : « إن عبدى خيرتى أنزل عليه وحيى ، يظهر فى الأمم عدلى ، اخترته واصطفيته لنفَسى ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » .

ومن كتاب النبوات : « أن نبيًّا من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك يا نبى الله ؟ فقال : نبى يبعثه الله من الحرم [(١)] يخرب دياركم ويسبى حريمكم » .

قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم .

ومن كلام حزقيل ـ عليه السلام ـ : « يقول الله : من قَبْل أن صورتك فى الأحشاء قدَّستك وجعلتك نبيا ، وأرسلتك إلى سائر الأمم » .

وفى صحف شعيا أيضا ، مثل مضروب لمكة شرّفها الله : « إفرحى يا عاقر بهذا الولد الذى يهبه لك ربك ، فإن ببركته تتسع لك الأماكن ، وتُثبت أوتادك فى الأرض وتعلوا أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم ، وولدك هذا يرث جميع الأمم ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى فما بَقى يلحقك ضيم من عدو أبدا ، وجميع أيام ترمُّلك تنسينها » .

وهذا كله إنما حصل على يدى محمد ـ ﷺ ـ . وإنما المراد بهذه العاقر مكة ثم صارت كما ذكر فى هذا الكلام لا محالة .

ومن أراد من أهل الكتاب أن يَصْرف هذا ويتأوله على بيت المقدس فهذا [(٢)] لا يناسبه من كل وجه والله أعلم .

---

(١) المطبوعة : من الحرة .

(٢) الأصل : وهذا .

وفى صحف أرْميا : « كوكبٌ ظهر من الجنوب ، أشعَّته صواعق ، سهامه خوارق ، دُكّت له الجبال » .

وهذا المراد به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفى الإنجيل يقول عيسى ـ عليه السلام ـ : إنى مُرْتَق إلى جنات العُلى ، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كلَّ شيء ، ولم يَقُل شيئا مَن تلقاء نفسه » .

والمراد بالفارقليط محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمدُ » .

وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً ، وقد أشرنا إلى نُبَذ من ذلك يهتدى بها من نوَّر الله بصيرتَه وهداه إلى صراطه المستقيم ، وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويُخْفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ومحمد بن موسى بن الطُّفيل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن عبيد الله بن أبى داود المنادى ، حدثنا يونس بن محمد المؤدِّب ، حدثنا صالح بن عمر ، حدثنا عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن الغلْبان ابن عاصم قال : **كنا جلوساً عند النبى ـ ﷺ ـ ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يا رسول الله . فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فجعل لا يقول شيئا إلا قال : يا رسول الله . فيقول : أتشهد أنى رسول ؟ فيأبى .**

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ :أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، قال والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقانَ ورب محمد لو شئت لقرأته .

قال : فأنشدك بالذى أنزل التوراة والإنجيل وأشياء حلفه بها ، [1] تجدنى فيهما ؟

قال : نجد مثلَ نَعْتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا إذا أنت لستَ به .

(١) المطبوعة : وأنشأ خلقه بها . وهو تحريف .

قال : من أين ؟ قال : نجد من أمتك سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وإنما أنتم قليل .

قال فهللَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكبرَّ ، وهلل وكبر ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده إننى لأنا هو ، وإن من أمتى لأكثر من سبعين ألفا وسبعين وسبعين (١) .

حديث فى جوابه ـ ﷺ ـ

لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شىء منه

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مُكْرَز ـ ولم يسمعه منه (٢) ـ قال : حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة الأسدى .وقال عفان : حدثنا غير مَرّة ولم يقل : حدثنى جلساؤه . قال : أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البرِّ والإثم إلا سألته عنه ، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم .

فقالوا : إليك وابصة عن رسول الله . فقلت : دعونى فأدنوَ منه ، فإنه أحب الناس إلى أن أدنوَ منه .

قال : دَعُوا وابصة ، ، ادْنُ يا وابصة ، مرتين أو ثلاثا .

قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال : يا وابصة أخْبِرُك أم تسألنى ؟ فقلت : لا . بل أخبرنى .

فقال ، جئت تسأل عن البر والإثم ؟ فقلت : نعم ، فجمع أنامله فجعل يَنْكت بهن فى صدرى ويقول : يا وابصة استفتِ قلبك ، ثلاث مرات ، البرُّ ما اطمئنت إليه النفس والإثم ما حاك فى النفس وتردّد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفْتوك (٣) .

* * *

---

(١) (حسن) الدلائل ٦ / ٢٧٣ .

(٢) أ : منى .

(٣) حسن .

باب

ما أخبر به ـ ﷺ ـ من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده ، فوقعت طبْق ما أخبر به سواءً بسواء

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ، ولكن نحن نشير إلى طرف منها وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . وذلك مُنتزَع من القرآن ومن الأحاديث .

أما القرآن فقال تعالى فى سورة المزمل ـ وهى من أوائل ما نزل بمكة ـ : ﴿ علِمَ أن سيكُونُ منكُم مَرْضَىٰ وآخَرُونَ يضْرِبُونَ في الأرض يبْتغُون من فضْل الله وآخَرُون يُقاتلُون في سبيل الله ﴾ . ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة .

وقال تعالى فى سورة اقتربتْ ـ وهى مكية ـ : ﴿ أمْ يقُولُون نحْنُ جمِيعٌ مُنتصرٌ (٤٤) سيُهْزمُ الْجمْعُ ويُولُّون الدُّبُر ﴾ .

ووقع هذا يوم بدر وقد تلاها رسول الله ـ ﷺ ـ وهو خارج من العريش ، ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظَّفر ، وهذا مصْداق ذلك .

وقال تعالى : ﴿ تبَّتْ يدَا أبِي لهبٍ وتبَّ (١) ما أغْنىٰ عنْهُ مالُهُ وما كسب (٢) سيصْلىٰ نارًا ذات لهبٍ (٣) وامْرأتُهُ حمَّالة الْحطب (٤) في جيدها حبْلٌ مِّن مَّسد ﴾ .

فأخبر أن عمه عبد العُزى بن عبد المطلب الملقب بأبى لهب سيدخل النار هو وامرأته ، فقدر الله ـ عز وجل ـ أنهما ماتا عى شركهما لم يُسْلما ، حتى ولا ظاهراً ، وهذا من دلائل النبوة الباهرة .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتمعتِ الإِنسُ والْجِنُّ علىٰ أن يأْتُوا بمثْل هذا الْقُرْآن لا يأْتُون بمثْله ولوْ كان بعْضُهُمْ لبعْضٍ ظهيرًا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وإن كُنتُمْ في ريْبٍ مِّمَّا نزَّلْنا علىٰ عبْدنا فأْتُوا بسُورةٍ مِّن مِّثْله وادْعُوا شُهداءكُم مِّن دُون الله إن كُنتُمْ صادقين (٢٣) فإن لَّمْ تفْعلُوا ولن تفْعلُوا ﴾ البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضلوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ، وحلاوته وإحكام أحكامه ، وبيان حلاله وحرامه ، وغير ذلك من وجوه إعجازه ، لما استطاعوا ذلك ، ولما قدروا عليه ، ولا على عشر سور منه ، بل ولا سورة ، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً « ولن» لنفى التأييد فى المستقبل .

ومثل هذا التحدى ، وهذا القطع ، وهذا الإخبار الجازم ، لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به ، عالم بما يقوله ، قاطع أن أحداً لا يمكنه أن يعارضه ، ولا يأتى بمثل ما جاء به عن ربه ـ عز وجل ـ.

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الآية [(١)] .

وهكذا وقع سواء بسواء ، مكنَّ الله هذا الدين وأظهره ، وأعلاه ونشره فى سائر الآفاق ، وأنفذه وأمضاه .

وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ، ولا شك فى دخوله فيها ، ولكن لا تخص به ، بل تعمه كما تعم غيره .

كما ثبت فى الصحيح « **إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده** .

[**والذى نفسى بيده** [(٢)]] **لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله** [(٣)] .

وقد كان ذلك فى زمن الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ـ.

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِه الْمُشْرِكُون ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة النور : ٥٥ .
(٢) سقط من : أ .
(٣) (صحيح) البخارى ٦٦٢٩ .
(٤) سورة التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .

وهكذا وقع وعمّ هذا الدّين ، وغلب وعلا على سائر الأديان ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمته فى زمن الصحابة ومن بعدهم ، وذلت لهم سائر البلاد ، ودان لهم جميع أهلها ، على اختلاف أصنافهم ، وصار الناس إما مؤمن داخل فى الدين ، وإما مهادن باذل الطاعة والمال ، وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله .

وقد ثبت فى الحديث : إن الله زوى [1] لى مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها .

وقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [2] الآية .

وسواء كان هؤلاء هوازن أو أصحاب مُسيلمة ، أو الروم ، فقد وقع ذلك .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [3] .

وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [4] .

فكان هذا الوعد فى سنة الحديبية عام ست ، ووقع إنجازه فى سنة سبع ، عام عمرة القضاء . كما تقدم [5] .

وذكرنا هناك الحديث بطوله . وفيه أن عمر قال : يا رسول الله ألم تكن تخبرنا أنا

(١) زوى : جمع .
(٢) سورة الفتح : ١٦ .
(٣) سورة الفتح : ٢٠ ، ٢١ .
(٤) سورة الفتح : ٢٧ .
(٥) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا ، قال فإنك تأتيه وتطوف به .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (١) .

وهذا الوعد كان فى وقعة بدر ، لما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ من المدينة ليأخذ عير قريش ، فبلغ قريشاً خروجه إلى عيرهم ، فنفروا فى قريب من ألف مقاتل .

فلما تحقق رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه قدومهم وعده الله إحدى الطائفتين أن سيظفره بها ، إما العير ، وإما النفير ، فودَّ كثير من الصحابة ـ ممن كان معه ـ أن يكون الوعد للعير ، لما فيه من الأموال وقلة الرجال ، وكرهوا لقاء النفير لما فيه من العدد والعُدد ، فخار الله لهم وأنجز لهم وعده فى النفير ، فأوقع بهم بأسه الذى لا يرد ، فقتل من سَراتهم سبعون وأسر سبعون وفادَوا أنفسهم بأموال جزيلة ، فجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ وقد تقدم بيان هذا فى غزوة بدر .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

وهكذا وقع ، فإن الله عَوَّض من أسلم منهم بخير الدنيا والآخرة .

ومن ذلك ما ذكره البخارى **أن العباس جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله أعطِنى ، فإنى فاديت نفسى ، وفاديت عَقيلا .**

فقال له : خذ . فأخذ فى ثوب مقداراً لم يمكنه أن يُقلّه ، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن يحمله على كاهله ، وانطلق به ، كما ذكرناه فى موضعه مبسوطاً .

وهذا من تصديق هذه الآية الكريمة .

---

(١) سورة الأنفال : ٧.

(٢) سورة الأنفال : ٧٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ الآية [1].

وهكذا وقع ، عوَّضهم اللّه عما كان يَغْدو إليهم مع حجاج المشركين ، بما شَرَعه لهم من قتال أهل الكتاب ، وضَرْب الجزية عليهم ، وسَلْب أموال من قُتل منهم على كفره ، كما وقع بكفار أهل الشام من الرومَ ومَجُوس الفُرس ، بالعراق وغيرها من البلدان التى انتشر الإسلام على أرجائها ، وحكم على مدائنها وَفيْفائها .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقال ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ [2].

وهكذا وقع ، لما رجع ـ ﷺ ـ من غزوة تبوك كان قد تخَلَّف عنه طائفة من المنافقين ، فجعلوا يحلفون باللّه لقد كانوا معذورين فى تخلّفهم ، وهم فى ذلك كاذبون ، فأمر الله رسوله أن يُجْرى أحوالهم على ظاهرها ، ولا يفضحهم عند الناس ، وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلا . كما قدمناه لك فى غزوة تبوك [3]، فكان حذيفة بن اليمان ممن يعرفهم بتعريفه إياه ـ ﷺ ـ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [4].

وهكذا وقع ، لما اشتوروا [5] عليه ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه من بين أظهرهم ، ثم وقع الرأى على القتل ، فعند ذلك أمر الله رسوله بالخروج من بين أظهرهم ، فخرج هو وصديقه أبو بكر ، فكَمنا فى غار ثَوْر ثلاثا ، ثم ارتحلا بعدها ، كما قدمنا .

وهذا هو المراد بقوله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ

---

(١) سورة التوبة : ٢٨ .

(٢) سورة التوبة : ٩٥ .

(٣) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .

(٤) سورة الإسراء ٧٦ .

(٥) تشاوروا ، ليثبتوه أى ليحبسوه .

هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

وهو المراد من قوله : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢).

ولهذا قال : « وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا ».

وقد وقع كما أخبر ، فإن الملأ الذين اشتوروا على ذلك لم يلبثوا بمكة بعد هجرته ـ ﷺ ـ إلا ريثما استقر ركابه الشريف بالمدينة وتابعه المهاجرون والأنصار ، ثم كانت وقعة بدر فقُتلت تلك النفوس ، وكُسرت تلك الرءوس ، وقد كان ـ ﷺ ـ يَعْلم ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك .

ولهذا قال سعد بن معاذ لأمية بن خلف : أما إنى سمعت محمداً ـ ﷺ ـ يذكر أنه قاتلك . فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فإنه والله لا يَكْذب . وسيأتى الحديث فى بابه .

وقد قدمنا أنه ـ عليه السلام ـ جعل يشير لأصحابه قبل الوقعة إلى مَصارع القتلى ، فما تعدى أحد منهم موضعه الذى أشار إليه ، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وقال تعالى : ﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

وهذا الوعد وقع كما أخبر به ، وذلك أنه لما غَلبت فارسُ الرومَ فرح المشركون ، واغتم بذلك المؤمنون ، لأن النصارى أقرب إلى الإسلام من المجوس فأخبر الله رسوله ـ ﷺ ـ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة بسبع سنين ، وكان من أمر مراهنة الصديق رءوس المشركين على أن ذلك سيقع فى هذه المدة ، ما هو مشهور كما قررنا فى كتابنا التفسير .

(١) سورة التوبة : ٤٠ .
(٢) سورة الأنفال : ٣٠ ، **يخرجوك** : نفى الرسول خارج مكة .
(٣) سورة الروم ١ ـ ٦ .

فوقع الأمر كما أخبر به القرآن ، غلبت الرومُ فارسَ بعد غلبهم غلباً عظيما جداً ، وقصتهم فى ذلك يطول بسطها ، وقد شرحناها فى التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١] .

وكذلك وقع ، أظهر الله من آياته ودلائله فى أنفس البشَر وفى الآفاق بما أوقعه من البأس [٢] بأعداء النبوة ومخالفي الشرع و ممن كذب به من أهل الكتابين والمجوس والمشركين ، مادلَّ ذوى البصائر والنُّهى على أن محمداً رسول الله حقاً ، وأن ما جاء به من الوحى عن الله صِدقٌ ، وقد أوقع له فى صدور أعدائه وقلوبهم رعباً ومهابة وخوفا .

كما ثبتَ عنه فى الصحيحين أنه قال : **نُصرت بالرُّعْب مَسيرة شهر** [٣] .

وهذا من التأييد والنصر الذى آتاه الله ـ عز وجل ـ، وكان عدوّه يخافه وبينه وبينه مسيرة شهر .

وقيل : كان إذا عزم علىٰ غزو قوم أرعبوا قبل مجيئه إليهم ، وورود عليهم بشهر ـ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ـ.

فصل

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما أخبر ، فمن ذلك ما أسلفناه فى قصة الصحيفة التى تعاقدت فيها بطونُ قريش ، وتمالأوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألاّ يؤووهم، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، حتى يُسْلموا إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ .

فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب ، بمسْلمهم وكافرهم شِعْبَ أبى طالب أنفين لذلك ممتنعين منه أبداً ، مابَقُوا دائماً ، ما تناسلوا وتعاقبوا .

وفى ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية التى يقول فيها :

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ولما نُقاتلْ دونه ونُناضلِ

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) الأصل : الناس . وهو تحريف .

(٣) (صحيح) .

ونُسْـلمه حتـى نُصَـرَّع حـولَه ... ونَذْهـل عـن أبنـائنـا والحلائل

ومـا تـرْكُ قـومٍ لا أبالك سـيداً ... يـحوط الـذّمار غير ذَرْبٍ مواكلِ

وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه ... ثِمَـال اليتـامى عِصْمة للأراملِ

يلـوذ بـه الهُـلاك من آل هاشـم ... فهـم عنـده فـى نعـمة وفواضلِ

وكانت قريش قد علَّقت صحيفة التعاقد[1] فى سقف الكعبة ، فسلَّط الله عليها الأرضة فأكلت ما فيها من أسماء اللّه ، لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور وقيل : إنها أكلت ما فيها إلا أسماء الله ـ عز وجل ـ.

فأخبر بذلك رسولُ الله ـ ﷺ ـ عمَّه أبا طالب ، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخى قد أخبرنى بخبر عن صحيفتكم ، بأن[2] اللّه قد سلَّط عليها الأرَضة فأكلتها إلا ما فيها من أسماء اللّه ، أو كما قال : فأحْضِروها ، فإن كان كما قال وإلا أسلمتُه إليكم .

فأنزلوها ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله ـ ﷺ ـ ، فعند ذلك نقَضوا حُكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك ، كما أسلفنا ذكره[3] ولله الحمد .

ومن ذلك حديث خَبَّاب بن الأرَتّ حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين يستنصرون النبى ـ ﷺ ـ ، وهو[4] مُتَوَسِّد رداءه فى ظل الكعبة فيدعوا لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة، **فجلس محمراً وجهه وقال : إن من كان قبلكم كان أحدُهم يُشَق باثنتين ما يَصْرِفه ذلك عن دينه ، والله ليُتمِنَّ الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون[5] .**

ومن ذلك الحديث الذى رواه البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا حماد[6] بن

---

(١) المطبوعة : الزعامة .

(٢) المطبوعة : فإن . وهو تحريف .

(٣) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .

(٤) غير أ : يتوسد .

(٥) (صحيح) البخارى ٣٦١٢ وأبو داود ٢٦٤٣ .

(٦) البخارى : حدثنا أبو أسامة .

أسامة ، عن بُريد[١] بن عبد الله بن أبى بُردة ، عن أبيه ، عن جده أبى بُردة ، عن أبى موسى ، أراه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : **رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل ، فذهب وَهْلى[٢] إلى أنها اليمامة أو هَجَر ، فإذا هى المدينة يثرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هزَزْت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقراً واللّه خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد ، ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر .**

* * *

ومن ذلك قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدم عليه مكة .

قال البخارى : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ؛ عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف ، أبى صَفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد ، فقال أمية لسعد : انتظر حتى انتصف النهار وغفَل الناسُ انطلقتَ فطُفْتَ .

فبينا سعد يطوف فإذا أبو جهل ، فقال : مَن هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد .

فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً ، وقد آوَيْتم محمداً وأصحابَه ؟ فقال : نعم فتلاحَيَا[٣] بينهما .

فقال أمية لسعد : لا تَرفع صوتَك على أبى الحكَم فإنه سيد أهل الوادى .

ثم قال سعد : والله لئن منعتَنى أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ مَتْجَرك بالشام .

قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك . وجعل يُمْسكه ، فغضب سعد

---

(١) الأصل : يزيد . وهو تحريف والتصويب من صحيح البخارى ٢ / ٢٢١ .

(٢) وهلى : ظنى .

(٣) تلاحيا : تشاتما وتخاصما .

فقال : دَعْنا عنك ، فإني سمعت محمداً ـ ﷺ ـ يزعم أنه قاتلك . قال : إيايَ ؟ قال : نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حَدَّث

فرجع إلى امرأته فقال : أمَا تعلمين ما قال لى أخى اليَثْربى ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتِلى . قالت : فوالله ما يَكْذب محمد .

قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصَّريخ ، قالت له امرأته : ما ذكرتَ ما قال لك أخوك اليَثْربى ؟ قال : فأراد ألا يخرج .

فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى ، فسِرْ يوما أو يومين . فسار معهم فقتله الله .

وهذا الحديث من أفراد البخارى ، وقد تقدم بأبسط من هذا السياق [1] .

* * *

ومن ذلك قصة أبى بن خلف الذى كان يَعْلف حصانا له ، فإذا مرَّ برسول الله ـ ﷺ ـ يقول: إنى سأقتلك عليه . فيقول له رسول الله ـ ﷺ ـ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فقتله يوم أُحد كما قدمنا بَسْطه [2] .

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر ، كما تقدم الحديث فى الصحيح أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى مَحلّها ويقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان . قال : فوالذى بعثه بالحق ما حاد أحد منهم عن مكانه الذى أشار إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن ذلك قوله لذلك الرجل الذى كان لا يترك للمشركين شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها فَفَرَاها بسيفه ، وذلك يوم أحد ، وقيل : خيبر وهو الصحيح ، **وقيل : فى يوم حنين .**

فقال الناس : ما أغنى أحدٌ اليوم ما أغنى فلان . يقال : إنه قُزْمان . فقال : إنه من أهل النار .

فقال بعض الناس : أنا صاحبه . فاتبعه ، فجُرح فاستعجل الموت فوضع ذُبَاب سيفه فى

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة فى غزوة بدر .

(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

صدره ثم تحامل عليه حتى أنفذه ، فرجع ذلك الرجل فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : وما ذاك ، فقال : إن الرجل الذى ذكرت آنفا كان من أمره كيت وكيت ، فذكر الحديث كما تقدم (١) .

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق ، لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربة ، ثم أخرى ، ثم أخرى كما قدمناه .

ومن ذلك إخباره ـ ﷺ ـ عن ذلك الذراع أنه مسموم ، فكان كما أخبر به ، اعترف اليهود بذلك ، ومات من أكل معه ـ بِشْرُ بن البراء بن مَعْرور ـ .

ومن ذلك ما ذكره عبد الرزاق ، عن مَعْمَر أنه بلغه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال ذات يوم : اللهم نَجِّ أصحاب السفينة ، ثم مكث ساعة ، ثم قال : قد استمرَّت ، والحديث بتمامه فى دلائل النبوة للبيهقى ، وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخيبر .

ومن ذلك إخباره عن قبر أبى رِغَال ، حين مرَّ عليه وهو ذاهب إلى الطائف وأن معه غصنا من ذهب ، فحفروه فوجدوه كما أخبر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

رواه أبو داود من حديث أبى إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبى بحر عن عبد الله بن عمرو به .

ومن ذلك قوله ـ عليه السلام ـ للأنصار ، لما خطبهم تلك الخطبة مُسلياً لهم عما كان وقع فى نفوس بعضهم من الإيثار عليهم فى القِسمة لما تألّف قلوب من تألف من سادات العرب ورءوس قريش ، وغيرهم ، فقال : أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رِحَالكم ؟ (٢)

وقال : إنكم ستجدون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض (٣) .

وقال : إن الناس يكثرون وتقل الأنصار (٤) .

---

(١) (صحيح) مسلم ١٠٧ .

(٢) ، (٣) ، (٤) (صحيح) .

وقال لهم فى الخطبة قبل هذه على الصَّفا : بل المَحْيا محياكم ، والممات مماتكم .

وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء .

* * *

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : وأخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفس محمد بيده لتُنفقنّ كنوزهما فى سبيل الله .**

ورواه مسلم عن حَرمَلة عن أبى وهب ، عن يونس به .

وقال البخارى : حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن جابر بن سَمُرة رفَعه : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده .

وقال : لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث جرير .

وزاد البخارى : وابن عَوانة ، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عُميرَ به .

وقد وقع مصْداق ذلك بعده فى أيام الخلفاء الثلاثة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوثقت هذه المَمالك فتحاً على أيدى المسلمين ، وأنفقت أموال قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، فى سبيل الله .

وفى هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين ، وهى أن مُلك فارس قد انقطع فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها ، فلا يملكوها بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

وفيه دلالة على صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، والشهادة لهم بالعدل ، حيث أنفقت الأموال المغنومة فى زمانهم فى سبيل الله على الوجه المرضى الممدوح .

* * *

وقال البخارى : حدثنا محمد بن الحكم ، حدثنا النَّضر ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سعد الطائى ، أخبرنا مُحل بن خليفة ، عن عَدِىّ بن حاتم ، قال : **بينا أنا عند النبى ـ صلى**

الله عليه وسلم ـ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقةَ ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل .

فقال : يا عَدىّ هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرَها ، وقد أنبئت عنها .

قال : فإن طالت بك حياة لترينّ الظعينة [1] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحداً إلا الله ــ عز وجل ـ . قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دُعَّارُ طيئ اللذين قد سَعَّروا [2] البلاد ؟ .

ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوزُ كسرى . قلت كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز .

ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يُخرج مِلْء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يَقْبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه .

ولَيلْقَين الله أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقول له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضلت عليك ؟ فيقول : بلى فينظر عن يمينه لا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم .

قال عدىّ : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : اتقوا النار ولو بِشقّ تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة .

قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله ـ عز وجل ـ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم ـ ﷺ ـ يخرج ملء كفه .

ثم رواه البخارى ، عن عبد الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبى شيبة ـ عن أبى عاصم النبيل ، عن سَعْدَان بن بِشْر ، عن أبى مجاهد ـ سعد الطائى ـ عن مُحِل عنه به .

وقد تفرد به البخارى من هذَين الوجهين .

ورواه النسائى من حديث شعبة ، عن محل عنه : اتقوا النار ولو بشق تمرة .

---

(١) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

(٢) الدعار : جمع داعر وهو المفسد . وسعروا : أفسدوا .

وقد رواه البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث زهير ، كلاهما ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن مُغَفَّل ، عن عدى مرفوعاً : اتقوا النار ولو بشق تمرة .

وكذلك أخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الرحمن ، عن عدى ، وفيها من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن خيثمة ، عن عدى به .

وهذه كلها شواهد لأصل هذا الحديث الذى أوردناه .

وقد تقدم فى غزوة الخندق الإخبار بفتح مدائن كسرى وقصوره وقصور الشام وغير ذلك من البلاد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن خَبَّاب قال : **أتينا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو فى ظل الكعبة متوسداً بُردة له ، فقلنا : يا رسول الله ، ادع الله لنا واستنصره .**

قال : فاحمر لونه أو تغير ، فقال : لقد كان مَنْ قبلكم تُحفر له الحفيرة وُيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق ما يَصْرفه عن دينه ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد مادُون عَظْم أو لحم عصب ، مايصرفه عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت ما يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون [1] .

وهكذا رواه البخارى عن مُسَدَّد ، ومحمد بن المثنى ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد به .

* * *

ثم قال البخارى فى كتاب علامات النبوة : حدثنا سعيد بن شرحبيل ، حدثنا ليث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الحسين ، **عن عقبة عن النبى ـ ﷺ ـ أنه خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : أنا فرطكم وأنا شهيد عليكم ، إنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإنى والله ما أخاف بعدى أن تُشركوا ، ولكنى أخاف أن تنافسوا فيها .**

---

(١) (صحيح) المسند ٢٠٩٥٦ .

وقد رواه البخارى أيضا من حديث حَيْوة بن شُرَيْح ، ومسلم من حديث يحيى بن أيوب ، كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب ، كرواية الليث عنه .

ففي هذا الحديث مما نحن بصددَه أشياء ، منها : أنه أخبر الحاضرين أنه فَرطهم ، أى المتقدم عليهم فى الموت ، وهكذا وقع . فإن هذا كان فى مرض موته ـ عليه السلام ـ .

ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم ، وأخبر أنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض ، أى فُتحت له البلاد ، كما جاء فى حديث أبى هريرة المتقدم .

قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ـ ﷺ ـ وأنتم تفتحونها كَفراً كَفراً أى بلداً بلداً .

وأخبر أن أصحابه لا يُشْركون بعده ، وهكذا وقع ولله الحمد والمنة ، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا فى الدنيا ، وقد وقع هذا فى زمان على ومعاوية ـ رضى الله عنهما ـ ثم من بعدهما ، وهلم جرا إلى وقتنا هذا .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، أخبرنا أزهر بن سعد و أخبرنا ابن عون ، أنبأنى موسى بن أنس بن مالك ، عن أنس **أن النبى ـ ﷺ ـ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله أعلم لك علمه ؟ فأتاه فوجده جالساً فى بيته منكساً رأسه .**

فقال : ماشأنك ؟ فقال : شرًا كان يرفع صوته فوق صوت النبى ـ ﷺ ـ فقد حبط عمله وهو من أهل النار . فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا .

قال موسى : فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة .

تفرد به البخارى .

وقد قتل ثابت بن قيس بن شَمَّاس شهيداً يوم اليمامة .

وهكذا ثبت فى الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الإسلام ويكون من أهل الجنة ، وقد مات ـ رضى الله عنه ـ على أكمل أحواله وأجملها ، وكان الناس يشهدون له بالجنة فى حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام ، وكذلك وقع .

وقد ثبت فى الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ، بل ثبت أيضا الإخبار عنه - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وقيل : وخمسمائة ، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء - رضى الله عنهم - عاش إلا حميداً ، ولا مات إلا على السَّداد والاستقامة والتوفيق ، ولله الحمد والمنة .

وهذا من أعلام النبوات ، ودلالات الرسالة .

فصل

فى الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة

روى البيهقى من حديث إسرائيل ، عن سماك ، عن جابر بن سَمُرة قال : جاء رجل فقال : يارسول الله إن فلاناً مات . فقال : لم يمت . فعاد الثانية فقال : إن فلاناً مات ، فقال : لم يمت ، فعاد الثالثة فقال : إن فلاناً نحر نفسه بِمِشْقَص عنده . فلم يصل عليه .

ثم قال البيهقى تابعه زُهير عن سِماكَ .

ومن ذلك الوجه رواه مسلم مختصراً فى الصلاة .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هُرَيم بن سفيان ، عن سنَان بن بشر ، عن قيس بن أبى حازم ، عن قيس بن أبى شَهم قال : مرت بى جارية بالمدينة فأخذتُ بكَشْحها [1]

قال : وأصبح رسول الله - ﷺ - يبايع الناسَ . قال : فأتيته فلم يبايعنى، فقال : صاحب الجُبَيْذة [2] ؟ قال : قلت : والله لا أعود ، قال : فبايعنى.

ورواه النسائى ، عن محمد بن عبد الله المحرمى [3] عن أسود بن عامر به ، ثم رواه أحمد عن سُرَيج ، عن يزيد بن عطاء ، عن سِنان بن بشر ، عن قيس ، عن أبى هاشم فذكره .

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

(٢) الجبيذة : تصغير الجذة ، وهى الجذبة .

(٣) المطبوعة : عن محمد بن عبد الرحمن الحربى .

وفى صحيح البخارى : عن أبى نُعَيم ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر قال : كنا نتقى الكلام والانبساط إلى نسائنا فى عهد رسول الله ـ ﷺ ـ خشية أن يَنْزِل فينا شيء ، فلما توفى تكلمنا وانبسطنا .

وقال ابن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أبى حازم عن سهل بن سعد أنه قال : والله لقد كان أحدنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو وإياها فى ثوب واحد تخوفا أن ينزل فيه شيء من القرآن .

وقال أبوداود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا ابن ادريس أنبأنا عاصم بن كليب عن أبيه، عن رجل من الأنصار ، قال : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى جنازة فرأيت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على القبر يوصى الحافر : أوْسع من قبل رجليه ،أوسع من قبل رأسه . فلما رجع استقبله داعى امرأة ، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ، ووضع القومُ أيديهم فأكلوا فنظر آباؤنا رسولَ الله ـ ﷺ ـ يَلُوك لقمة فى فيه ، ثم قال : أجد لحَم شاة أخذت بغير إذن أهلها .

قال فأرسلت المرأة : يا رسول الله إنى أرسلت إلى البقيع يُشْترى لى شاةٌ فلم تُوجد فأرسلت إلى جار لى قد اشترى شاة : أن أرْسل بها إلىَّ بثمنها فلم يوجد ، فأرسلتُ إلى امرأته فأرسلَتْ إلىّ بها .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أطْعميه الأسارى .

فـصـل

فى ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده ـ ﷺ ـ

ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذَيفة ابن اليمان : قال : **قام رسول الله ـ ﷺ ـ فينا مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلا قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمه ، وَجهِله من جَهله ، وقد كنت أرى الشىء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه .**

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن موسى ،حدثنا الوليد ، حدثنى ابن جابر ، حدثنى بشربن عبيد الله الحضرمى ، حدثنى أبو إدريس الخولانى ، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : **كان الناس يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى .**

فقلت : يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم .

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم . وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ فقال : قوم يهدون بغير هديى يعرف منهم وينكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر قال: نعم دُعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلت : يا رسول الله صِفهم لنا . قال : هم من جِلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلت : فإنْ لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن [1] تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم ، عن محمد بن المثنى ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر به .

---

(١) أ : وأن تعض .

قال البخاري : حدثنا محمد بن مثنى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن حذيفة قال : تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر .

تفرد به البخاري .

وفي صحيح مسلم من حديث شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن حذيفة قال : لقد حدثني رسول الله ـ ﷺ ـ بما يكون حتى تقوم الساعة ، غير أني لم أسأله ما يُخرج أهلَ المدينة منها .

وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أحمر ، عن أبي يزيد ـ عمرو بن أخطب ـ قال : أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأعلمنا أحفظنا .

وفي الحديث الآخر : حتى دخل أهلُ الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

وقد تقدم حديث خبّاب بن الأرتّ : والله ليتمنّ الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون وكذا حديث عدى بن حاتم في ذلك .

وقال الله تعالى : ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ الآية .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء .

وفي حديث آخر : ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرّ على الرجال من النساء .

وفي الصحيحين من حديث الزهري ، عن عروة بن المسور ، عن عمرو بن عوف ، فذكر قصة بَعْث أبي عُبيدة إلى البحرين قال : وفيه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : أبْشروا وأمّلوا ما يسرُّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم .

وفي الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : هل لكم من أنماط ؟ قال : قلت يا رسول الله وأنى يكون لنا أنماط ؟ فقال : أما إنها ستكون لكم أنماط .

قال : فأنا أقول لامرأتي : نحّي عنى أنماطك . فتقول : ألم يقل رسول الله : إنها ستكون لكم أنماط ؟ فأتركُها .

وفى الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبى زُهَير قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ **تُفتح اليَمن فيأتى قوم يبِسّون [1] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .**

كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعة كثيرون ، وقد أسنده الحافظ بن عساكر من حديث مالك وسفيان بن عُيينة وابن جُرَيج وأبو معاوية ومالك بن سعد بن الحسن وأبو ضَمْرة أنس بن عياض ، وعبد العزيز بن أبى حازم وسلمة بن دينار ، وجرير بن عبد الحميد .

ورواه أحمد عن يونس ، عن حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة وعبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن هشام ، ومن حديث مالك ، عن هشام به بنحوه .

ثم روى أحمد ، عن سليمان بن داود الهاشمى عن إسماعيل بن جعفر : أخبرنى يزيد بن خصيفة . أن بشر بن سعيد أخبره أنه سمع فى مجلس المكيين يذكرون أن سفيان أخبرهم : فذكر قصة وفيها : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال له : **ويوشِك الشام أن يُفتح فيأتيهِ رجال من هذا البلد ـ يعنى المدينة ـ فيعجبهم رَبعهم ورخاؤه ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح العراق فيأتى قوم يَبِسُّون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [2] .**

وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل ، ورواه الحافظ بن عساكر من حديث أبى ذر عن النبى ـ ﷺ ـ بنحوه . وكذا حديث ابن حوالة ، ويشهد لذلك : منعت الشام مُدها ودينارها ، ومنعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنَعت مصر أردبها ودينارها ، وعُدتم من حيث بدأتم . وهو فى الصحيح .

وكذا حديث المواقيت لأهل الشام واليمن ، وهو فى الصحيحين ، وعند مسلم : ميقات أهل العراق .

---

(١) يبسون : يسوقون دوابهم سوقا لينا .

(٢) فى إسناده ضعف وأخرجه البخارى فى صحيحه برقم ١٨٧٥ .

ويشهد لذلك أيضا حديث : **إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله ـ عز وجل ـ** [1] .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزوة تبوك : **أعْدد ستا بين يدى الساعة ، فذكر موته ـ عليه السلام ـ، ثم فَتْح بيت المقدس ، ثم مَوَتان ـ وهو الوباء ـ ثم كثرة المال ، ثم فتنة ، ثم هدنة بين المسلمين والروم ، وسيأتى الحديث فيما بعد .**

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبى ذَرٍّ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورَحِما ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فى موضع لبنة فاخرج منها .**

قال : فمرَّ بربيعة وعبد الرحمن بن شُرحبيل بن حسنة يختصمان فى موضع لِبَنة فخرج منها ـ يعنى ديار مصر على يدى عمرو بن العاص فى سنة عشرين .

وروى ابن وهب عن مالك ، والليث عن الزهرى ، عن ابن لكعب بن مالك ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً .

رواه البيهقى من حديث إسحق بن راشد ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه .

وحكى أحمد بن حنبل ، عن سفيان بن عُيينة أنه سئل عن قوله : ذمةً ورحماً فقال : من الناس من قال : إن أم إسماعيل ـ هاجَر ـ كانت قبطية ، ومن الناس من قال أم إبراهيم .

قلت : الصحيح الذى لا شك فيه أنهما قبطيتان كما قدمنا ذلك [2] ، ومعنى قوله : ذمة ، يعنى بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه ، وذلك نوع ذِمَام ومهادنة . والله تعالى أعلم .

وتقدم ما رواه البخارى من حديث مُحل بن خليفة ، عن عَدِى بن حاتم فى فتح كنوز

---

(١) صحيح .

(٢) سبق ذكر مارية فى الجزء الرابع من السيرة وذكر هاجر فى الجزء الأول من البداية .

كسرى وانتشار الأمن ، وفيضان المال حتى لا يتقبله أحد ، وفى الحديث أن عديا شهد الفتح ورأى الظَّعينة ترتحل من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله .

قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ ، من كثرة المال حتى لا يقبله أحد .

قال البيهقى : وقد كان ذلك فى زمن عمر بن عبد العزيز .

قلت : ويحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المهدى كما جاء فى صفته ، أو إلى زمن نزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ بعد قتله الدجال ، فإنه قد روى فى الصحيح أنه يقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد . والله تعالى أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن أبى ذئب ، عن مهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : **لا يزال هذا الدين قائما ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، ثم يخرج كذابون بين يدى الساعة ، وليفتحن عصابة من المسلمين كنز القصر الأبيض ، قصر كسرى ، وأنا فَرَطكم على الحوض . الحديث بمعناه .**

وتقدم حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همام ، عن أبى هريرة مرفوعاً : **إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله ـ عز وجل ـ**(١) .

أخرجاه ، وقال البيهقى : المراد زوال ملك قيصر عن الشام ، ولا يبقى فيها ملكه على الروم ، لقوله ـ عليه السلام ـ **لما عَظَّم كِتابه** : ثبت مُلكه ، وأما ملك فارس فزال بالكلية ، لقوله : **مزق الله ملكه**(٢) .

وقد روى أبو داود ، عن محمد بن عبيد ، عن حماد ، عن يونس ، عن الحسن أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما جئ بفروة كسرى وسيفه ومنْطقته وتاجه وسوَارَيْهِ ، ألبَس ذلك كله لسُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم ، وقال : قل الحمد للهَ الذى ألبس ثيابَ كسرى لرجل أعرابى من البادية .

---

(١) (صحيح) .

(٢) (صحيح) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى والدلائل ٤ / ٣٨٨ .

قال الشافعى : إنما ألبسه ذلك لأن النبى ـ ﷺ ـ قال لسراقة ـ ونظر إلى ذراعيه ـ : كأنى بك وقد لبست سِوَارَىْ كسرى . والله أعلم .

وقال سفيان بن عيينة : عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : مُثلت لى الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها . فقام رجل فقال : يا رسول الله هب لى ابنته نُفيلة . قال : هى لك فأعطوه إياها .

فجاء أبوها فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال : فبكم ؟ احكم ما شئت ، قال : ألف درهم . قال : قد أخذتها . فقالوا له : لو قلت ثلاثين ألفاً لأخذها . فقال : وهل عدد أكثر من ألف ؟! (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا معاوية ، عن ضمرة بن حبيب ، أن ابن زغْب الإيادى حدثه قال : نزل علىّ عبد الله بن حَوالة الأزدى فقال لى : بعثنا رسول الله ـ ﷺ ـ حول المدينة على أقدامنا لنغنم ، فرجعنا ولم نغنم شيئاً وعرف الجَهْد فى وجوهنا .

فقام فينا فَقال : اللهم لا تَكِلْهم إلىّ فأضعف ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تَكِلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم .

ثم قال : لتُفتحن لكم الشام والروم وفارس ، أو الروم وفارس ، وحتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا ، ومن البقر كذا وكذا ، ومن الغنم كذا وكذا ، وحتى يعطى أحدكم مائة دينار فيسخَطها .

ثم وضع يده على رأسى أو على هامتى فقال : يا بن حَوالة ، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازلُ والبلابل والأمور العِظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه من من رأسك (٢) .

ورواه أبو داود من حديث معاوية بن صالح .

---

(١) (صحيح) رجال إسناده ثقات .

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود من سننه ٢٥٣٥ المسند ٢٢٣٨٦ .

وقال أحمد : حدثنا حَيْوَة بن شريح ، ويزيد بن عبد ربه قالا : حدثنا بَقية ، حدثنى بحيرة بن سعد ، عن خالد بن مَعدان ، عن ابى قيلة ، عن ابن حَوَالة أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **سيصير الأمر إلى أن تكون جنود مجندة : جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق .**

فقال ابن حوالة : خِر لى يا رسول الله إن أدركت ذلك . فقال : عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرضه يجئ إليه خيرته من عباده ، فإن أبَيْتم فعليكم بيمنكم واسعَوا من غُدَره . فإن الله تكفَّل لى بالشام وأهله (1) .

وهكذا رواه أبو داود عن حَيْوة بن شرَيح به .

وقد رواه أحمد أيضا عن عصام بن خالد وعلى بن عباس ، كلاهما عن جرير بن عثمان عن سليمان بن سمير ، عن عبد الله بن حوالة ، فذكر نحوه .

ورواه الوليد بن مسلم الدمشقى ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، وربيعة ابن يزيد ، عن إدريس ، عن عبد الله بن حوالة به

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى أبو علقمة ـ نصر بن علقمة ـ يردُّ الحديث إلى جبير بن نفير ، قال : قال عبد الله بن حوالة : **كنا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فشكونا إليه العُرْى والفقر ،وقلة الشئ فقال : أبشروا ،فوالله لأنا بكثرة الشئ أخوفنى عليكم من قلته ،والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله عليكم أرض الشام ،أوقال : أرض فارس وأرض الروم وأرض حِمْيَرَ ،وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة ،جند بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن وحتى يعطى الرجلَ المائة فيسخطها .**

قال ابن حوالة قلت : يا رسول الله ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون ؟ قال : والله ليفتحنها الله عليكم ،وليستخلفنكم فيها حتى تظل العصابة البيض منهم قُمصهم الملَحمية

---

(1) (صحيح) أخرجه أبو داود برقم ٢٤٨٣ المسند ١٦٩٤٢ .

أقباؤهم (١) قياما على الرويجل الأسود منكم المخلوق ما أمَرهم من شئ فعلوه وذكر الحديث .

قال أبوعَلْقمة : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول :فعرف أصحاب رسول الله نعت هذا الحديث فى جزء بن سُهيل السُّلمى وكان على الأعاجم فى ذلك الزمان ، فكانوا إذا رجعوا إلى المسجد نظروا إليه وإليهم قياماً حوله فيعجبون لنعت رسول الله ـ ﷺ ـ فيه وفيهم (٢) .

وقال أحمد : حدثنا حجاج ،حدثنا الليث بن سعد ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن ربيعة بن لقيط النجيبى ، عن عبد الله بن حوالة الأزدى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : **من نجا من ثلاث فقد نجا . قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : موتى ، ومن قتال خليفة مصطبر بالحق يعطيه ، والدجال** (٣) .

وقال أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة قال : أتيت على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو جالس فى ظل دومة ، وعنده كاتب له يملى عليه . فقال ألا نكتبك يا بن حوالة ؟ . قلت فيم يا رسول ؟فأعرض عنى وأكبّ على كاتبه يُملى غليه ، ثم قال : ألا نكتبك يا بن حوا ة ؟ .

قلت لا أدرى ما خار الله لى ورسوله ، فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه ثم قال : ألا نكتبك يا بن حوالة ؟ .

قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله ؟ فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه .

ثم قال : ألا نكتبك يابن حوالة ؟ قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله ؟ فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه .

قال : فنظرت فإذا فى الكتاب عمر فقلت : لا يكتب عمر إلا فى خير ، ثم قال : أنكتبك يا بن حوالة ؟قلت : نعم .

---

(١) الملحمية جنس من الثياب . والأقباء : جمع قباء .
(٢) (صحيح) رجاله ثقات الدلائل ٦ / ٣٢٧ .
(٣) (صحيح) المسند ٢٢٣٨٧ .

فقال : يا بن حوالة ، كيف تفعل فى فتنة تخرج فى أطراف الأرض كأنها صياصى[1] بقر ؟

قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله . قال فكيف تفعل فى أخرى تخرج بعدها كأن الأولى منها انتفاجة[2] أرنب ؟

قلت : لا أدرى ما خار الله لى ورسوله . قال : ابتغوا هذا ، قال : ورجل مُقْفٍ[3] حينئذ .

قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : هذا ؟ قال : نعم .

قال : فإذا هو عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

* * *

وثبت فى صحيح مسلم من حديث يحيى بن آدم ، عن زهير بن معاوية ، عن سهل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : **قال رسول الله ـ ﷺ ـ : مَنعت العراقُ درهمها وقَفيزها ، ومنعت الشام مُدْها ودينارها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها ، وعُدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحمُ أبى هريرة ودمه.**

وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم : هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضرَ به عم على أرض العراق من الدراهم والقُفزان ، وعما ضرَب من الخراج بالشام ومصر قبل وجو ذلك ، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وقد اختلف الناس فى معنى قوله ـ عليه السلام ـ : مَنعت العراق الخ.

فقيل : معناه أنهم يُسْلمون فيسقط عنهم الخراج . ورجحه البيهقى .

وقيل : معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤدون الخراجَ المضروب عليهم .

---

(١) الصياصى : قرون البقر . وفى الأصل صياصى نفر . وهو تحريف .

(٢) الانتفاجة : ثورة الأرنب .

(٣) المقفى : المدبر الذى يظهر قفاه .

ولهذا قال : وعُدْتم من حيث بدأتم أى رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك ،كما ثبت فى صحيح مسلم : إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغُرَباء[1] .

ويؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجئ إليهم قفيز ولا درهم قلنا : من أين ذلك قال : من قبل الروم ، يمنعون ذلك .

قال : ثم سكت هنيهة ، ثم قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا ،لا يعدّه عداً .**

قال الجريرى فقلت لأبى نضرة وأبى العلاء : أترياته عمر بن عبد العزيز ! فقالا : لا[2] .

وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَية ، وعبد الوهاب الثقفى ، كلاهما عن سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قطفة العبدى ، عن جابر كما تقدم .

والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقى احتج به على ما رجحه من أحد القولين المتقدمين وفيما سلكه نظر والظاهر خلافه .

وثبت فى الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجُحْفة ، ولأهل اليمن يَلَمْلَم** .

وفى صحيح مسلم عن جابر : ولأهل العراق ذات عرق .

فهذا من دلائل النبوة ، حيث أخبر عما وقع من حج أهل الشام واليمن والعراق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

وفى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **ليأتين على الناس زمان يغزو فيه فِئَامٌ**[3] **من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من صَحِب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقال نعم ، فيفتح الله لهم .**

---

(١) (صحيح) مسلم ٢٣٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم وصحيحه ٢٩٣ والمسند ١٤٣٤٣ .

(٣) الفئام : الجماعات .

ثم يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس ،فيقال لهم هل فيكم من صَحِب أصحابَ رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فيقال نعم ، فيفتَح لهم .

ثم يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس،فيقال : هل فيكم من صحب من صاحبهم؟ فيقال : نعم فيفتح الله لهم .

وثبت في الصحيحين من حديث ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة قال : كنا جلوسا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ .

فقال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فوضع يده على سلمان الفارسي وقال : لو كان الإيمانُ عند الثريا لنا له رجالٌ من هؤلاء .

وهكذا وقع كما أخبر به ـ عليه السلام ـ .

وروى الحافظ البيهقي من حديث محمد بن عرق ، عن عبد الله بن بشر قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : والذي نفسي بيده لتفتحن عليكم فارس والروم حتى يكثر الطعام فلا يذكر عليه اسم الله ـ عز وجل ـ [(١)] .

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عدي وغير واحد من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة ، عن أخيه سهل ، عن أبيه عبد الله بن بريدة بن الحصيب مرفوعا : ستبعث بعوث فكن في بعث خراسان ، ثم اسكن مدينة مرنو ، فإنه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة ، وقال : لا يصيب أهلها سوء [(٢)] .

وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعا . فالله أعلم وقد تقدم حديث أبي هريرة ، من جميع طرقه في قتال الترك ، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء ، وسيقع أيضا .

وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن قراب القزاز ، عن أبي حازم ، عن أبي

---

(١) (صحيح) الدلائل ٦ / ٣٣٤ وأبو داود ٣٧٧٣ وابن ماجة ٣٢٦٣ .

(٢) باطل فيه سهل بن عبد الله بن بريدة .

هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ،كلما هلك نبى خلفه نبى ،وإنه لا نبى بعدى ،وإنه سيكون خلفاء فيكثُرُون .**

قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول ،وأعطوهم حقهم،فإن الله سائلهم عما استرعاهم .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى رافع ،عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ **ما كان نبى إلا كان له حواريون يهدون بهديه،ويستنون بسنته ، ثم يكون من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ،ويعملون ما ينكرون .**

وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحى ، عن سُهَيْل[1] بن أبى صالح ،عن أبيه ،عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ **يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ،ويعدلون فى عِبَاد[2] الله ،ثم يكون من بعد الخلفاءملوك يأخذون بالثأر ،ويقتلون الرجال ،ويصطفون الأموال ، فمغيِّر بيده ، ومغيِّر بلسانه ، وليس وراء ذلك من الإيمان شئ[3] .**

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا جرير بن حازم ،عن ليث ،عن عبد الرحمن بن سابط ،عن أبى ثعلبة الخشنى ،عن أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ،عن النبى ـ ﷺ ـ قال : **إن الله بدأ هذا الأمر نُبوَّة ورحمة ،وكائنا ملكا عضوضا وكائناً عزة وجَبْرِيَّة وفسادا فى الأمة ، يستحلون الفروج والخمور والحرير ، ويُنْصَرون على ذلك ، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله ـ عز وجل ـ[4] .**

وهذا كُلُّه وقع .

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه ـ والنسائى من حديث سعيد بن جُمْهان[5] ،عن سفينة مولى رسول الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه

---

(١) المطبوعة : إسماعيل بن أبى صالح . وهو تحريف . وانظر ميزان الاعتدال ٢ / ٢٤٣ .

(٢) المطبوعة : عبادة . وهو تحريف .

(٣) (حسن الإسناد) لأجل عبد الله بن الحارث .

(٤) (ضعيف الاسناد) عبد الرحمن بن سابط وليث والأسير ذكره ابن حبان فى المجروحين .

(٥) الأصل : جهمان وهو تحريف . والتصويب من ميزان الاعتدال .

وسلم ـ قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا .

وفى رواية : ثم يؤتى الله مُلكه من يشاء .

وهكذا وقع سواء ، فإن أبا بكر ـ رضى الله ـ عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال ، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما ، وكانت خلافة على بن أبى طالب خمس سنين إلا شهرين .

قلت : وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن على نحواً من ستة أشهر ، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن فضيل ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **يقول : خلافة نبوة ثلاثون عاما ثم يؤتى الله ملكه من يشاء .فقال معاوية: رضينا بالملك** [1] .

وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة ، وعلى النواصب من بنى أمية ومن تبعهم من أهل الشام ، فى إنكار خلافة على بن أبى طالب .

فإن قيل : فما وجه الجمع بين حديث سفينة هذا وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم فى صحيح مسلم : لا يزال هذا الدين قائما ما كان فى الناس اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .

فالجواب : أن من الناس من قال : إن الدين لم يزل قائما حتى ولى اثنا عشر خليفة ثم وقع تخبيط بعدهم فى زمان بنى أمية .

وقال آخرون : بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثنى عشر خليفة عادلاً من قريش وإن لم يوجدوا على الولاء ، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة فى ثلاثين سنة .

ثم كان بعد ذلك خلفاء راشدون ، فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى ـ رضى الله عنه ـ وقد نص على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين ، غير

---

(١) (صحيح) أبو داود ٤٦٤٦ والدلائل ٦ / ٣٤٢ .

واحد من الأئمة ، حتى قال أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ : ليس قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

ومنهم من ذكر من هؤلاء المهدى بأمر الله العباسى ، والمهدى المبشَّر بوجوده فى آخر الزمان منهم أيضا بالنص على كونه من أهل البيت ، واسمه محمد بن عبد الله ، وليس بالمنتظر فى سرداب سامرا ، فإن ذاك ليس بموجود بالكلية ، وإنما ينتظره الجهلة من الروافض وقد تقدم فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لقت هممت أن أدعو أباك وأخاك وأكتب كتابا لئلا يقول قائل أو يتمنى متمنٍ ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر

وهكذا وقع فإن الله ولاه وبايعه المؤمنون قاطبة . كما تقدم . وفى صحيح البخارى : أن امرأة قالت : يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ ـ كأنها تعرض بالموت ـ فقال : إن لم تجدينى فأت أبابكر .

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر وأبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **بينا أنا نائم رأيتنى على قليب ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذَنُوباً**[1] **أو ذنوبين ، وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غَرْبا**[2] **، فلم أر عبقريا من الناس يفرى فَرِيَّه**[3] **، حتى ضربَ الناسَ بعَطَن**[4] .

قال الشافعى رحمة الله : رؤيا الأنبياء وَحْيٌ .

وقوله : وفى نَزْعه ضَعف : قصر مدته ، وعَجلة موته ، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتح الذى ناله عمر بن الخطاب فى طول مدته .

قلت : وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس ، فوقع كما أخبر سواء .

ولهذا جاء فى الحديث الآخر الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجة وابن حبان من

---

(١) **الذنوب** : الدلو .

(٢) **الغرب** : الدلو العظيمة .

(٣) **يفرى فريه** : يصنع مثل صنعه .

(٤) **ضرب الناس بعطن** : سقوا حتى رووا .

حديث ربْعى بن خراش ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : **اقتدوا باللذين من بعدى ، أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ** [1] .

وقال الترمذى : حسن ، وأخرجه من حديث ابن مسعود عن النبى ـ ﷺ ـ وتقدم من طريق الزهرى عن رجل ، عن أبى ذر حديث تسبيح الحصى فى يد رسول الله ، ثم يد أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وقوله ـ عليه السلام ـ : هذه خلافة النبوة .

وفى الصحيح عن أبى موسى قال : **دخل رسول الله ـ ﷺ ـ حائطاً فدلّى رجليه فى القُفّ** [2] **فقلت : لأكونن اليوم بوابَ رسول الله ـ ﷺ ـ ، فجلستُ خلف الباب فجاءَ رجلٌ فقال : افتح ، فقلت : من أنت ؟ قال : أبو بكر . فأخبَرتُ رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال : افتح له وَبشّرْهُ بالجنة ثم جاء عمر فقال : كذلك ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وَبشّرهُ بالجنة على بلوى تصيبه . فدخل وهو يقول : الله المستعان.**

وثبت فى صحيح البخارى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس قال : **صعد رسول الله ـ ﷺ ـ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل ، فضربه رسول الله ـ ﷺ ـ برجله وقال : اثبت ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان .**

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد أن حراء ارتجَّ وعليه النبى ـ ﷺ ـ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبى ـ ﷺ ـ : **اثبت ما عليكَ إلا نبى وصديق وشهيدان .**

قال مَعْمَر : قد سمعت قتادة عن النبى ـ ﷺ ـ مثله [3] .

وقد روى مسلم ، عن قتيبة ، عن الدّراوَردى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبى ـ ﷺ ـ : اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد .

وهذا من دلائل النبوة ، فإن هؤلاء كلهم أصابوا الشهادة واختُص رسول الله

---

(١) (صحيح) المسند ٢٣١٣٨ والألبانى فى الصحيحة ١٢٣٣ .

(٢) القف : الحافة .

(٣) (صحيح) المسند ٢٢٧٠٩ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأعلى مراتب الرسالة والنبوة ، واختص أبو بكر بأعلى مقامات الصّديقية وقد ثبت فى الصحيح الشهادة للعشرة بالجنة بل لجميع من شهدَ بيْعة الرضوان عام الحديبية ، وكانوا ألفا وأربعمائة .

وقيل : وخمسمائة ، وكلهم استمر على السداد والاستقامة حتى مات ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

وثبت فى صحيح البخارى البشارة (لعُكَّاشة)[1] **بأنه من أهل الجنة فقتل شهيداً يوم اليمامة.**

وفى الصحيحين من حديث يونس ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن ابى هريرة أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: **يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ، تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر . فقام عكّاشة بن محصن الأسدى يجر نمِرة ،فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم .فقال النبى ـ ﷺ ـ : اللهم اجعله منهم.ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : سبقك بها عكاشة.**



وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة تفيد القطع ، وقد أوردناه فى باب صفة الجنة وقد ذكرنا فى قتال أهل الردة أن طليحة الأسدى قتل عُكّاشة بن محصن شهيداً ـ رضى الله عنه ـ ، ثم رجع طليحة الأسدى عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله ، وقدم على أبى بكر الصديق واعتمر وحسن إسلامه .

* * *

ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : **بينا أنا نائم كأنه وضع فى يدى سواران فقطعتهما ،فأوحى إلىّ فى المنام : أن انفخهما .فنفختهما فطارا ، فأولهما كذابين يخرجان ،صاحب صنعاء ،وصاحب اليمامة.**

وقد تقدم فى الوفود أنه قال لمسيلمة حين قدم مع قومه وجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته .

---

(١) سقطت من : أ .

فوقف عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وقال له : والله لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت . وهكذا وقع ، عقره الله وأهانه وكسره وغلبه يوم اليمامة ، كما قتل الأسود العنسى بصنعاء .

وروى البيهقى من حديث مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن أنس قال : **لقى رسول الله ـ ﷺ ـ مسيلمة فقال له مسيلمة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال النبى ـ ﷺ ـ : آمنت بالله وبرسله .ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ إن هذا رجل أخر لهلكة قومه** [1] .

وقد ثبت فى الحديث الآخر أن مسيلمة كتب بعد ذلك إلى النبى ـ ﷺ ـ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد فإنى قد أشركت فى الأمر بعدك ، فلك المدَر ولى الوَبر ، ولكن قريشا قوم يعتدون . فكتب إليه رسول الله ـ ﷺ ـ: بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وقد جعل الله العاقبة لمحمد وأصحابه ، لأنهم هم المتقون وهم العادلون المؤمنون ، لا من عداهم .

وقد وردت الأحاديث المروية من طرق عنه ـ ﷺ ـ فى الإخبار عن الردة الت وقعت فى زمن الصديق فقاتلهم الصديق بالجنود المحمدية حتى رجعوا إلى دين الـ أفواجاً ، وعَذُب ماء الإيمان كما كان ، بعد ما صار أجاجا ، وقد قال الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾** [2] الآية .

قال المفسرون : هم أبو بكر وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ .

وثبت فى الصحيحين من حديث عامر الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة فى قصة مسارة النبى ـ ﷺ ـ **ابنته فاطمة وإخباره بأن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل مرة ، وأنه**

---

(١) ضعيف فيه الحسن البصرى وهو مدلس وقد عنعن .

(٢) سورة المائدة .

عارضنى العام مرتين ،وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى ،فبكت فأخبرها بأنهاسيدة نساء أهل الجنة ،وأنها أول أهله لحوقا به.

وكان كما أخبر .

قال البيهقى : واختلفوا فى مكث فاطمة بعد رسول الله ـ ﷺ ـ فقيل : شهران ،وقيل: ثلاثة، وقيل :ستة ،وقيل :ثمانية . قال: وأصح الروايات رواية الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : مكثت فاطمة بعدوفاة رسول الله ـ ﷺ ـ ستة أشهر .

أخرجاه فى الصحيحين .

* * *

ومن كتاب دلائل النبوة فى باب إخباره ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الغيوب المستقبلة فمن ذلك ما ثبت فى الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه ،عن أبى سلمةعن عائشة قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إنه قد كان فى الأمم محدَّثون ،فإن يكن فى أمتى فعمر بن الخطاب .

وقال يعقوب بن سفيان :حدثنا عبيد الله بن موسى ،أخبرنا إسرائيل كوفى ،عن الوليد بن العيزار ،عن عمرو [1] بن ميمون ،عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحابَ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أن السكينةتنطق على لسان عمر

قال البيهقى : تابعه ذَرّ بن سفيان : حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا شعبة ،عن قيس بن مسلم ،عن طارق بن شهاب قال: **كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب يَنطق على لسان مَلَك** [2] .

وقد ذكرنا فى سيرة عمربن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أشياء كثيرة، من مكاشفاته وما كان يخبر به من المغيبات كقصة سارية بن زنيم ،وما شاكلها ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك ما رواه البخارى من حديث فراس ،عن الشعبى ،عن مسروق عن عائشة

---

(١) المطبوعة : عمر . وهو تحريف . وانظر ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٠ .

(٢) (إسناده صحيح) ورجاله ثقات .

أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أن نساء النبى ـ ﷺ ـ اجتمعن عنده فقلن يوما : يا رسول الله أينا أسرع بك لحوقا .

هكذا وقع فى الصحيح عند البخارى أنها سودة ، وقد رواه يونس بن بكير ، عن زكريا بن أبى زائدة ، عن الشعبى . فذكر الحديث مرسلا وقال : فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً فى الخير والصدقة .

والذى رواه مسلم عن محمود بن غيلان ، عن الفضل بن موسى ، عن طلحة بن يحيى ابن طلحة ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فذكرت الحديث وفيه : فكانت زينب أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتَصدَّق .

وهذا هو المشهور عن علماء التاريخ أن زينب بنت جحش كانت أول أزواج النبى ـ ﷺ ـ وفاة .

قال الواقدى : توفيت سنة عشرين ، وصلى عليها عمر بن الخطاب . قلت : وأما سودة فإنها توفيت فى آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضا ، قاله ابن أبى خَيْثمة .

ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث أسيد بن جابر عن عمر بن الخطاب فى قصة أويس القرنى ، وإخباره ـ عليه السلام ـ عنه بأنه خير التابعين وأنه كان به برص فدعا الله فأذهبه عنه ، إلا موضعا قدر الدرهم من جسده ، وأنه بار بأمه وأمره عمر بن الخطاب أن يستغفر له ، وقد وجد هذا الرجل فى زمان عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذى ذكره فى الحديث سواء .

وقد ذكرت طرق هذا الحديث وألفاظه والكلام عليه مطولاً فى الذى جمعته من مسند عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك ما رواه أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شعيبة ، حدثنا وكيع ، حدثنا الوليد بن عبد اللهبن جُمَيع ، حدثنى جرير بن عبد الله وعبد الرحمن بن خَلاَّد الأنصارى عن أم ورقة بنت نوفل أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما غزا بدراً قالت : يا رسول الله ائذن لى فى الغزو أمرّض مرضاكم ، لعل الله يرزقنى بالشهادة . فقال لها : قَرِّى فى بيتك فإن الله يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشّهيدة .

وكانت قد قرأت القرآن ، فاستأذنت النبي ـ ﷺ ـ أن تتخذ في بيتها مؤذنا يؤذن لها ، وكانت دبَّرت غلاما لها وجارية ، فقام إليها بالليل فغمَّاها في قطيفة لها حتى ماتت وذهبا ، فأصبح عمر فقام في الناس وقال : من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجئ بهما فأمر بهما فصُلبا ، وكانا أول مَصْلوبين بالمدينة .

وقد رواه البيهقي من حديث أبي نُعَيم ، حدثنا الوليد بن جُميع ، حدثتني جدتي ، عن **أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يزورها ويسميها الشهيدة فذكر الحديث . وفي آخره : فقال : عمر : صدق رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول : انطلقوا بنا نَزُور الشهيدة** [(١)] .

ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي إدريس الخَولاني ، عن عوف بن مالك في حديثه عنه في الآيات الست بعد موته وفيه : ثم موتان بأحدكم كقصاص الغنم [(٢)] ، وهذا قد وقع في أيام عمر [(٣)] وهو طاعون عمواس سنة ثماني عَشرة ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ، منهم معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشُرَحْبيل بن حَسَنة وأبو جَنْدل سهل بن عمر وأبوه ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا النهَّاس بن قَهْم ، حدثنا شَدَّاد أبو عمار عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **ست من أشراط الساعة ، موتي ، وفتح بيت المقدس ، وموت يأخذُ في الناس كقِصاص الغنم وفتنة يدخل حريمها بيتَ كل مسلم وإن يعطَى الرجل ألف دينار فيَسْخطها ، وأن يغزوا الروم فيسيرون إليهم بثمانين بنْداً تحت كل بَند اثنا عشر ألفاً** [(٤)] .

وقد قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حبان ، أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عموسة [(٥)] فقام

---

(١) الدلائل ٦ / ٣٨٣ .
(٢) القصاص : ما قص من شعر الغنم وفي أ . كعقاص .
(٣) المطبوعة . أيام عشر . وهو تحريف .
(٤) (ضعيف) الإسناد .
(٥) أ : موشة . وهو تحريف .

عمر بن العاص فقال : يا أيها الناس ، إنما هذا الوجع رجسٌ فتنحوا عنه . فقام شُرَحبيل بن حَسنة فقال : يا أيها الناس ، إنى قد سمعت قول صاحبكم ، وإنى والله لقد أسلمتُ وصلَّيت ، وإن عَمْراً لأضل من بَعير أهله ، وإنما هو بلاء أنزله الله ـ عز وجل ـ ، فاصبروا .

فقام معاذ بن جبل فقال يا أيها الناس ، إنى قد سمعت قول صاحبيكم هذين ، وإن هذا الطاعونَ رحمة ربكم [1] ودعوة نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإنى قد سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إنكم ستقدَمون الشام فتنزلون أرضاً يقال لها أرض عموسة [2] ، فيخرج بكم فيها خرَّجان[3] له ذُباب كذباب الدُّمل ، يستشهد الله به أنفسكم وذراريكم ويزكى به أموالكم ، اللهم إن كنت تعلم أنى قد سمعت هذا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فارزق معاذاً وآل معاذ منه الحظ الأوفى ولا تُعافه منه .

قال : فطُعن فى السبابة فجعل ينظر إليها ويقول : اللهم بارك فيها فإنك إذا باركت فى الصغير كان كَبيرا . ثم طُعن ابنه فدخل عليه فقال : ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ فقال ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ [4] .

وثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش وجامع بن أبى راشد ، عن شقيق ب سلمة ، عن حذيفة قال : **كنا جلوساًعند عمر فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ـ ص الله عليه وسلم ـ فى الفتنة ؟ قلت : أنا ، قال هات ، إنك لجرئ .**

فقلت : ذكر فتنة الرجل فى أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاةوالصدقة والأم بالمعروف والنهى عن المنكر .

فقال ليس هذا أعنى التى تموجُ موجَ البحر .

فقلت : يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً .قال: ويحك ،يُفتح الباب أم يُكسر [5] أم يُكسر ؟ قلت : بل يُكسر .

---

(١) غير أ : رحمة بكم .
(٢) أ : مومشة .
(٣) كذا . والخراج : الثبور .
(٤) فى إسناده ضعف فيه ابن لهيعة .
(٥) المطبوعة : يفتح الله . وهو تحريف .

قال: إذاً لايُغلق أبـداً .قلت : أجل .فقلنا لحـذيفة : فكان عـمر يعلم مَنِ البابُ ؟ قـال نعم ، وإنى حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط .قال : فهِبْنا أن نسأل حذيفة من الباب ،

فقلنا لمسروق فسأله فقال من الباب [1] ؟ قال : عمر [2] .

وهكذا وقع من بعد مقتل عمر ، وقعت الفتن فى الناس وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان ـ رضى اللّه عنهما ـ.

وقد قـال يَعلَى بن عُبيد ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عـروة بن قيس قـال : **خطبنا خالد بن الوليد فقـال : إن أمير المؤمنين عمر بعثنى إلى الشـام فحين ألقى بَوانِيه بَثْنِية [3] وعسلا أراد أن يؤثِر بها غيرى ويبعثنى إلى الهند .**

فـقال رجل من تحته : اصبـر أيها الأمـيـر ،فإن الفتن قـد ظهرت .فـقـال خالد : أمـاً وابن الخطاب حىٌ فلا ، وإنما ذاك بعده [4] .

وقد روى الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر عن الزُّهرى ، عن سـالم عن أبيه قال : **أبصـر رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ على عـمر ثوباً فـقال : أجديد ثوبك أم غَسِيل ؟ قال: بل غسيل ،قال البس جديداً ،وعِشْ حميداً ، ومت شهيداً .وأظنه قال : ويرزقك اللّه قرّة عين فى الدنيا والآخرة [5] .**

وهكذا رواه النسائى وابن مـاجة من حـديث عـبد الرزاق به . ثم قـال النسائى وابن ماجة من حديث عبد الرزاق .

وقد روى عن الزهرى من وجه آخر مرسلا . قال حمزة بن محمد الكنانى الحافظ : لا أعلم أحداً رواه عن الزهرى غير مَعْمَر ، وما أحسبه بالصحيح ، واللّه أعلم .

قلت : رجال إسناده واتصاله على شرط الصحيحين ، وقد قَبل الشيخان تفرُّدَ مَعْمر عن الزهرى فى غير ما حدث ، ثم قد روَى البزار هذا الحديث من طرَيق جابر الجُعْفى ـ وهو

(١) الأصل : بالباب . وما أثبته عن صحيح البخارى ٣ / ٢٨٣ .
(٢) أخرجه الشيخان فى كتاب الفتن من صحيحيهما .
(٣) ألقى بوانيه : أقام وثبت . والبثنية : الحنطة الجيدة .
(٤) فى إسناده الأعمش وهو مدلس .
(٥) (صحيح) ابن ماجة ٣٥٥٨ والطبرانى الكبير ١٣١٢٧ .

ضعيف عن عبد الرحمن بن سابط [1] عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله سواء .

وقد وقع ما أخبر به في الحديث فإنه ـ رضي الله عنه ـ قتل شهيداً وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوي ـ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ـ.

وقد تقدم حديث أبي ذر في تسبيح الحصا في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، وقوله ـ عليه السلام ـ: هذه خلافة النبوة

وقال نعيم بن حماد : حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حَشْرَج [2] بن نباتة ، عن سعيد بن جُمْهان [3] ، عن سَفِينة قال : **لما بنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجد المدينة جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ،فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هؤلاء يكونون خلفاء بعدي** [4] .

وقد تقدم في حديث عبد الله بن حَوالة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ثلاثٌ من نجا منهن فقد نجا : موتي ، وقتل خليفة مضطهد ، والدجال . وفي حديثه الآخر الأمر باتباع عثمان عند وقوع الفِتنة .

وثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال ، عن شريك ابن أبي نَمر ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي موسى قال : **توضأت في بيتي ،ثم خرجت فقلت : لأكونَن اليوم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .**

فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجه هاهنا ،فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس ـ وبابُها من جريد فمكثت عند بابها حتى علمت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قا قضى حاجته وجلس،فجئته فسلمت عليه فإذا هو قد جلس على قُفّ بئر أريس فتوسطه ثم دلي رجليه في البئر وكشف عن ساقيه ، فرجعت إلى الباب وقلت : لأكونن بواب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فلم أنْشب أن دُقّ الباب فقلت من هذا ؟قال : أبو بكر .

---

(١) أ : عبد الرحمن بن سليط . وهو تحريف .

(٢) المطبوعة : حرج . وهو تحريف .

(٣) الأصل : جهمان . وهو خطأ ، والتصويب من ميزان الاعتدال ٢ / ١٣١ .

(٤) (حسن) لأجل حشرج بن نباتة .

قلت : على رسلك ،وذهبت إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال : ائذن له وبَشِّره بالجنة . قال : فخرجت مسرعاً حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبشرك بالجنة .

قال : فدخل حتى جلس إلى جنب النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى القُفّ على يمينه ودلى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال: ثم رجعت وقد كنت تركت أخى يتوضأ وقد كان قال لى : أنا على إثرك ، فقلت إن يرد الله بفلان خيراً يأت به .

قال : فسمعت تحريك الباب فقلت : من هذا ؟ قال: عمر ،قلت: على رِسْلك . قال: وجئت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسلمت عليه وأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة قال : فجئت وأذنت له وقلت له : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبشرك بالجنة قال : فدخل حتى جلس مع رسول الله ـ ﷺ ـ على يساره وكشف عن ساقيه ودلّى رجلية فى البئر كما صنع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر .

قال : ثم رجعت فقلت : أن يرد الله بفلان خيراًيأت به،يريد أخاه ،فإذا تحريك الباب ،فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان بن عفان .قلت : على رسلك ،وذهبت إلى رسول الله فقلت : هذا عثمان يستأذن ، فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه قال : فجئت فقلت : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأذن لك ويبشرك بالجنة على [1] بلوى أوبلاء يصيبك ، فدخل وهو يقول : الله المستعان .

فلم يجد فى القُفّ مجاساً فجلس وجاههم من شق البئر ،وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر كما صنع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ

قال سعيد بن المسيّب : فأولّتها قبورهم ،اجتمعت وانفرد عثمان .

وقد روى البيهقى من حديث عبد الأعلى بن أبى المساور ،عن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْر ،عن زيد بن أرقم ،قال : بعثنى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : انطلق حتى تأتى أبا بكر فتجده فى داره جالساً مُحتبياً فقل : إن رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة .

---

(١) أ : مع بلوى .

ثم انطلق حتى تأتى الثَّنِيّة فتلقى عمر راكبا على حمار تلوح صلعته ، فقل : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة .

ثم انصرف حتى تأتى عثمان فتجده فى السوق يبيع ويبتاع ، فقل : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة بعد بلاء شديد .

فذكر الحديث فى ذهابه إليهم فوجد كلا منهم كما ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلاً منهم يقول : أين رسول الله ؟ فيقول : فى مكان كذا وكذا . فيذهب إليه وإن عثمان لما رجع قال : يا رسول الله وأى بلاء يصيبنى ؟ والذى بعثك بالحق ما تغيَّبت ولا تمنيت ولا مسست ذكرىَ بيمينى منذ بايعتك ، فأى بلاء يصيبنى ؟ فقال : هو ذاك [1] .

ثم قال البيهقى : عبد الأعلى ضعيف ، فإن كان حَفظ هذا الحديث فيحتمل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث إليهم زيد بن أرقم فجَاء وأبو موسى الأشعرى جالس على الباب كما تقدم .

وهذا البلاء الذى أصابه هو ما اتفق وقوعه على يدى من أنكر عليه من رَعاع أهل الأمصار بلا علم ، فوقع ما ذكرناه فى دولته من حصره . إياه فى داره حتى آل الحالُ بعد ذلك كله إلىَ اضطهاده وقتله وإلقائه على الطريق أياما ، لا يصلّى عليه ولا يُلتفت إليه ، حتى ؟ غسل بعد ذلك وصلّى عليه ودفن بحُش كوْكب ـ بُستان فى طريق البقيع ـ رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه .

كما قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى ، عن إسماعيل عن قيس ، عن أبى سهلة مولى عثمان ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ادعوا لى بعض أصحابى . قلت : أبو بكر ؟ قال: لا . قلت : عمر؟ قال : لا . قلت : ابن عمك على ؟ قال : لا قلت: عثمان ؟ قال: نعم . فلما جاء عثمان قال : تنحّى . فجعل يُسارُه ولون عثمان يتغير .

قال أبو سهلة : فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد إلىَّ عهداً وإنى صابرٌ نفسى عليه [2] .

---

(١) (ضعيف الإسناد) فيه عبد الأعلى بن أبي المساور .

(٢) (صحيح) المسند ٢٤١٣٤ .

تفرد به أحمد . ثم قد رواه أحمد ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس عن عائشة فذكر مثله وأخرجه ابن ماجة من حديث وكيع .

وقال نعيم بن حماد في كتابه الفتن والملاحم : حدثنا عَتَّاب بن بشير [1] ، عن خُصَيف عن مجاهد ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : **دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعثمان بين يديه يناجيه ، فلم أدرك من مقالته شيئا إلا قول عثمان : أظلماً وعدوانا يا رسول الله ؟ فما دريْتُ ما هو حتى قتل عثمان ،فعلمت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما عنىَ قتله .**

قالت عائشة: وما أحببت أن يصل إليّ عثمان شيء إلا وصل إليّ مثله غيره إن شاء الله علم أني لم أحب قتله ،ولو أحببت قتله لقُتِلت ،وذلك لما رمِي هَوْدجها من النَّبْل حتى صار مثل القنفذ [2] .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب ، عن حذيفة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتَجْتلدوا بأسيافكم ،ويرِث دنياكم شراركم** [3] .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ،أخبرنا على بن محمد المصرى ، حدثنا محمد بن إسماعيل السُّلمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ،عن ربيعة بن سيف أنه حدثه أنه جلس يوما مع شُفَىّ الأصبحي فقال: سمعت عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : سيكون فيكم اثنا عشر خليفة ،أبو بكر الصديق لا يلبث خَلفى إلا قليلا ، وصاحب رحى العرب يعيش حَميداً ويموت شهيداً ، فقال رجل : ومن هو يا رسول الله ؟ قال: عمر ابن الخطاب .

ثم التفت إلى عثمان فقال : وأنت يسألك الناس أن تخلع قميصا كساكه الله ، والذى بعثنى بالحق لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

---

(١) أ : عتاب بن بشكر ، وهو تحريف والتصويب من ت وميزان الاعتدال ٣ / ٢٧ .
(٢) (ضعيف الإسناد) . (٣) (ضعيف الإسناد) .

ثم روى البيهقى من حديث موسى بن عقبة : حدثنى جدى أبو أمى ، أبو حبيبة **أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إنكم ستلقون بعدى فتنةً واختلافاً .**

فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أو : ما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمين وأصحابه . وهو يشير إلى عثمان بذلك (١)

وقد رواه الإمام أحمد، عن عفان ، عن وهيب ، عن موسى بن عقبة به .

وقد تقدم فى حديث عبد الله بن حوالة شاهدان له بالصحة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ربْعى ، عن البراء بن ناجيَة ، عن عبد الله ـ هو بن مسعود ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **تدور رحَى الإسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن هلكوا فسبيل من قد هلك ، وإن يُقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما .**

قال: قلت : أمما مضى أو مما بقى ؟ (٢)

ورواه أبو داود عن محمد بن سليمان الأنبارى ، عن عبد الرحمن بن مهدى به . ثم رواه أحمد عن إسحاق ، وحجاج ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ربْعى ، عن البراء بن ناجية الكاهلى ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن رَحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن تهلك فسبيل من هلك ، وإن يُقَم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما .

قال . قال : عمر : يا رسول الله أبما مضى أو بما بقى ؟ قال : بل بما بقى .

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور به ، فقال له عمر . فذكره .

---

(١) (صحيح) المسند ٨٥٢٢ .

(٢) (ضعيف الإسناد) فيه البراء بن ناجية .

قال البيهقى : وقد تابع إسرائيل الأعمش وسفيان الثورى عن منصور ، قال : وبلغنى أن فى هذا إشارة إلى الفتنة التى كان منها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين ، ثم إلى الفتن التى كانت فى أيام على وأراد بالسبعين مُلك بنى أمية ، فإنه بقى بين ما استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بنى أمية ودخل الوهن فيه ، نحوا من سبعين سنة .

قلت : ثم انطوت هذه الحروب أيام صفين ، وقَاتل علىٌّ الخوارج فى أثناء ذلك ، كما تقدم الحديث المتفق على صحته ، فى الإخبَار بذلك ، وفى صفتهم وصفة الرجل المخدَّج فيهم .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد ، عن إبراهيم بن الأشتَر ، عن أبيه ، عن أم ذر قالت : **لما حضرَتْ أبا ذر الوفاة بكيت فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدَ لى بدفنك ، وليس عندى ثوب يسعك فأكفنك فيه .**

قال: فلا تبكى وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ليموتن رجل منكم بفلاة الأرض يشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية أو جماعة ، وإنى أنا الذى أموت بالفلاة ، والله ما كذب ولا كُذِبْت (١) .

تفرد به أحمد ـ رحمه الله ـ ، وقد رواه البيهقى من حديث على بن المدينى عن يحيى بن سليم الطائفى به مطولا .

والحديث مشهور فى موته ـ رضى الله عنه ـ بالربَذة سنة اثنتين وثلاثين ، فى خلافة عثمان بن عفان وكان فى النفر الذين قدموا عليه فى السيَاق عبد الله بن مسعود وهو الذى صلى عليه ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات ـ رضى الله عنه ـ .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغانى ،

---

(١) (حسن) فيه الأشتر ، قال العلماء : إنه يسعى بالفتنة .

حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبى عبد الله الأشعرى ، عن أبى الدرداء **قال: قلت : يا رسول الله بلغنى أنك تقول لَيَرتدّن أقوام بعد إيمانهم ، قال : أجل ، ولست منهم . قال : فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان** (١) .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله أو عبد الغفار بن إسماعيل بن عبد الله ، عن أبيه أنه حدثه عن شيخ من السلف قال : **سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إنى فرطكم على الحوض أنتظر من يرد على منكم ، فلا ألفين أنازع أحدكم ، فأقول : إنه من أمتى ، فيقال : هل تدرى ما أحدثوا بعدك؟**

قال أبو الدرداء : فتخوفت أن أكون منهم ، فأتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت ذلك له ، فقال : إنك لست منهم (٢) .

قال: فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان وقبل أن تقع الفتن .

قال البيهقى : تابعه يزيد بن أبى مريم عن أبى عبيد الله مسلم بن مِشْكم (٣) عن أبى الدرداء إلى قوله : لست منهم .

قلت: قال سعيد بن عبد العزيز : توفى أبو الدرداء لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال الواقدى وأبو عبيد وغير واحد : توفى سنة اثنتين وثلاثين ـ رضى الله عنه ـ .

---

(١) (ضعيف الإسناد جداً) .

(٢) (ضعيف الإسناد) .

(٣) المطبوعة : مسلم بن يشكر .

ذكر إخباره ـ ﷺ ـ عن الفتن الواقعة فى آخر أيام عثمان بن عفان وفى خلافةعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ

ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة ابن زيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف على أطم من آطام المدينة فقال : **هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيتوكم كمواقع القطر .**

وروى الإمام أحمد ومسلم من حديث الزهرى ، عن أبى إدريس الخَولانى : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : **والله إنى لأعْلَمُ الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة وما ذاك أن يكون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثنى من ذلك شيئا أسَرَّه إلىّ لم يكن حدَّث به غيرى ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : وهو يحدّث مجلساً أنا فيه سُئل عن الفتن وهو يعد الفتن فيهنّ ثلاث لا تذرق شيئاً منهن كرياح الصيف منها صِغار ومنها كِبار .**

قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى .

وهذا لفظ أحمد (١) .

قال البيهقى : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان ، وقبل الفتنتين الآخرتين فى أيام على .

قلت : قال العجْلى وغير واحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حُذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً .

وهو الذى قال : لو كان قتل عثمان هُدَى لاحتلبت به الأمة لَبناً ، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً .

وقال : لو أن أحداً ارفَضّ (٢) لما صنعتم بعثمان لكان جديراً أن يرفض .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفتن ٢٨٩١ .

(٢) ارفض : رفض . وفى المطبوعة : ارتقص . والتصويب من أ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن حبيبة بنت أم حَبِيبة بنت أبى سفيان ، عن أمها أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال سفيان أربع نسوة .

قالت استيقظ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نومه وهو محمّر الوجه وهو يقول : لا إله إلا الله ويلُ للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلّق بإصبعيه الإبهام والتى تليها ـ

قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث [1] .

هكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به سواء .

ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد ، كلهم عن سفيان ابن عينيه وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الترمذى : قال الحُمَيدى عن سفيان : حفظت من الزهرى فى هذا الإسناد أربع نسوة .

قلت: وقد أخرجه البخارى عن مالك بن إسماعيل،ومسلم عن عمرو الناقد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب ، عن أم حَبِيبة ، عن زينب بنْت جحش ، فلم يذكروا حبيبة فى الإسناد ، وكذلك رواه عن الزهرى شعيب وصالح بن كَيْسان وعقيل ومحمد بن إسحق ومحمد بن أبى عَتِيق ويونس بن يزيد ، فلم يذكروا عنه فى الإسناد حبيبة . والله أعلم .

فعلى من رواه ومن تابعه عن سفيان بن عُيَينة ، يكون قد اجتمع فى هذا الإسناد تابعيّان وهما الزهرى وعروة بن الزبير وأربع صحابيات وبنتان وزوجتان . وهذا عزيز جداً .

ثم قال البخارى بعد رواية الحديث المتقدم : عن أبى اليمان عن شعيب ، عن الزهرى فذكره إلى آخره ، ثم قال: وعن الزهرى حدثتنى هند بنت الحارث ، أن أم سلمة قالت : استيقظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : سبحان الله ماذا أنْزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن ؟!

---

(١) (صحيح) المسند ٢٧٢٨٦ .

وقد أسنده البخارى فى مواضع أُخَر من طرق عن الزهرى به .

ورواه الترمذى من حديث مَعْمَر عن الزهرى وقال : حسن صحيح .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصَّلْت بن دينار ، حدثنا عُقبة بن صَهْبان وأبو رجاء العُطاردى قالا سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآيه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [١] قال : لقد تلوت هذه الآية زمنا وما أرانى من أهلها فأصبحنا من أهلها .

وهذا الإسناد ضعيف .

ولكن رُوِى من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا جرير قال : **سمعت أنساً قال : قال الزبير بن العوام : نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ فجعلنا نقول ما هذه الفتنة ؟ وما نشعر أنها تقع حيث وقعت** [٢] .

ورواه النسائى ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن مهدى ، عن جرير بن حازم به . وقد قُتل الزبير بوادى السِّباع مرجَعه من قتال يوم الجمل .

وقال أبو داود السِّجستانى فى سننه : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا أبو الأحوص ـ سلام بن سليم ـ عن منصور ، عن هلال بن سياف ، عن سعيد بن زيد ، قال : **كنا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر فتنةً وعظَّم أمرها فقلنا يا رسول لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال : (كلا) [٣] إن بحسبكم القتل . قال سعيد : فرأيت إخوانى قُتلوا** [٤] .

تفرد به أبو داود :

وقال أبو داود السِّجستانى : حدثنا الحسن بن على ، حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : قال حذيفَة : **ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مَسْلَمة فإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لا تضرُّك الفتنة** [٥] .

وهذا منقطع

---

(١) سورة الأنفال : ٢٥.
(٢) (صحيح) .
(٣) سقطت من : أ .
(٤) (صحيح) أبو داود ٤٢٧٧ .
(٥) (صحيح) أبو داود ٤٦٤٩ .

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا شعبة عن أشعث بن أبى أشعث ، سمعت أبا بُرْدة يحدث عن ثعلبة بن أبى ضُبَيعة ، سمعت حذيفة يقول : **إنى لأعرف رجلا لا تضره الفتنة فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب ، وإذا محمد بن مَسْلمة الأنصارى ، فسألته فقال : لا أستقر بِمِصْر من أمصارهم حتى تنجلى هذه الفتنة عن جماعة المسلمين** (1) .

قال البيهقى : ورواه أبو داود : حدثنا مُسدد ، حدثنا أبو عوانة ، عن أشعث بن سليم ، عن أبى بردة عن ضبيعة بن حُصَين الثعلبى ، عن حذيفة بمعناه .

قال البخارى فى التاريخ : هذا عندى أوْلَى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن يزيد ، عن أبى بُرْدة قال : **مررت بالرَّبذة فإذا فسطاط ، فقلت لمن هذا ؟ فقيل لمحمد بن مسلمة ، فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت : رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان ، فلو خرجتَ إلى الناس فأمرت ونهيت ؟ فقال : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فإذا كان ذلك فأت سيفك أحداً فاضرب به عُرضة وكسر نَبْلك واقطع وتَرَك ، واجلس فى بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة أو يعافيك الله ، فقد كان ما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفعلت ما أمرنى به .**

ثم استنزل سيفا كان معلقاً بعمود الفسطاط واخترطه فإذا سيف من خشب ، فقال قدفعلت ما أمرنى به واتخذت هذا أُرهب به الناس (2) .

تفرد به أحمد .

وقال البيهقى أخبرنا الحاكم ، حدثنا على بن عيسى المدنى ، أخبرنا أحمد بن بُجْرَة القرشى ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه عن محمود بن لَبيد ، عن محمد بن مَسْلمة أنه قال : يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلّون ؟ قال : اخرج بسيفك إلى الحَرّة فتضربها به ، ثم تدخل بيتك حتى تأتيك مَنِيَّة قاضية أويد خاطئة .

---

(1) (ضعيف الإسناد) .

(2) (ضعيف الإسناد) فيه على بن زيد بن جدعان .

وقال : الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا زياد بن مسلم أبو عمر ، حدثنا أبو الأشعث الصَّنعْانى قال : **بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ، فلما قدمت المدينة دخلت على فلان ـ نسى زياد اسمه ـ فقال : إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى ؟ قال : أوصانى خليلى أبو القاسم إن أدركت شيئا من هذه الفتن فاعمد إلى أُحُد فاكسر به حدّ سيفك ثم اقعد فى بيتك ، فإن دخل عليك أحد البيت فقم إلى المخْدَع ، فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على ركبتيك وقل : بُؤْ بإثمى وإثمك فتكونَ من أصحاب النار وكذلك جزاء الظالمين فقد كسرتُ سيفى وقعدت فى بيتى** [1] .

هكذا وقع إيراد هذا الحديث فى مسند محمد بن مَسْلمة عند الإمام أحمد ، ولكن وقع إبهام اسمه ، وليس هو بمحمد بن مسلمة بل صحابى آخر ، فإن محمد بن مسلمة ـ رضى الله عنه ـ لاخلاف عند أهل التاريخ أنه توفى فيما بين الأربعين إلى الخمسين فقيل : سنة ثنتين وقيل : ثلاث . وقيل : سبع وأربعين ، ولم يدرك أيام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف فتعيّن أنه صحابى آخر خبره كخبر محمد بن مسلمة .

* * *

وقال نُعيَم بن حماد فى الفتن والملاحم : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا بن عمرو السُّلمى ، عن بنت أهبَان الغفارى أن عليا أتى أهبان فقال : ما يمنعك أن تتبعنا ؟ فقال : أوصانى خليلى وابن عمك ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **أن ستكون فرقة وفتنة واختلاف ، فإذا كان ذلك فاكسر سيفك واقعد فى بيتك واتخذ سيفاً من خشب** [2] .

وقد رواه أحمد ، عن عفان وأسود بن عامر ومؤمّل ، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وزاد مؤمل فى روايته بعد قوله : واتخذ سيفاً من خشب : واقعد فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية .

ورواه الإمام أحمد أيضا والترمذى وابن ماجة من حديث عبد الله بن عبيد الدّيلى عن عُدَيسْة بنت أُهبان بن صَيْفى ، عن أبيها به .

---

(١) (حسن الإسناد) .

(٢) (حسن) أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن .

وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عبيد كذا قال ، وقد تقدم من غير طريقه .

وقال البخارى : حدثنا عبد العزيز الأُوَيْسى ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كَيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به .**

وعن ابن شهاب : حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث ، عن عبد الرحمن بن مُطيع بن الأسود ، عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبى هريرة هذا .

وقد روى مسلم حديث أبى هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخارى .

وكذلك حديث نوفل بن معاوية بإسناد البخارى ولفظه .

ثم قال البخارى حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنى سفيان ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ستكون أثَرة وأمورٌ تُنْكرونها . فقالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدّون الحقّ الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا عثمان الشحَّام ، حدثنا مسلم بن أبى بكْرة ، عن أبى بكرة ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : **إنها ستكون فتنة ثم تكون فتنة ، ألا فالماشى فيها خيرٌ من الساعى إليها ، والقاعد فيها خير من القائم فيها ، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد ، ألا فإذا نزلت فمن كان له غنم فليلحق بإبله .**

فقال رجل من القوم : يانبى الله جعلنى الله فداك ، أرأيت من ليست له غنم ولا أرض ولا إبل كيف يصنع ؟ قال : ليأخذ سيفه ثم ليَعمد به إلى صخرة ثم ليدقّ على حده بحجَر ، ثم لينجُ إن استطاع النجاء ، اللهم هل بلّغت . إذ قال رجل : يا رسول الله جعلنى الله فداك ، أرأيت إن أخذ بيدى مُكرهاً حتى ينطلق بى إلى أحد الصَّفين أو إحدى الفئتين ؟ ـ شك عثمان ـ

فَيَحذفنى رجلٌ بسيفه فيقتلنى ،ماذا يكون من شأنى ؟ قال : يبوء بإثمك وإثمه ويكون من أصحاب النار (١)

وهكذا رواه مسلم من حديث عثمان الشحّام بنحوه .

وهذا إخبار عن إقبال الفتن ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى معنى هذا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن إسماعيل ، حدثنا قيس قال : **لما أقبلت عائشة - يعنى فى مسيرها إلى وقعة الجمل - وبلغت مياهَ بنى عامر ليلاً ، نبحت الكلابُ فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب ،فقالت ما أظننى إلا راجعة . فقال بعض من كان معها : بل تَقْدَمين فيراك المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم .**

قالت : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لنا ذات يوم : كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب (٢) .

ورواه أبو نعيم بن حماد فى الملاحم عن يزيد بن هرون ، عن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم به .

ثم رواه أحمد ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نُبَاح الكلاب، فقالت : ما أظننى إلا راجعة إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لنا : أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب (٣) ؟

فقال لها الزبير : ترجعين ؟ عسى الله أن يصلح بك بين الناس (٤) .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عصام بن قُدَامة البجلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **ليت شعرى أيتكن صا حبة الجمل الأدْبَبَ** (٥) **تسير حتى تنبحها**

---

(١) (حسن) لأجل مسلم بن أبى بكرة وهو فى المسند برقم ٢٠٣٦٩ .

(٢) (صحيح) المسند ٢٤١٣٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٤ .

(٣) أ : الحوبين . وهو تحريف .

(٤) (صحيح) المسند ٢٤٥٣٥ .

(٥) **الأدبب** : الكثير الشعر .

كلابُ الحوأب ، يُقتل عن يمينها ويسارها خَلق كثير (١) .

ثم قال لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البَجلي حدثنا نوح بن دَرَّاج ، عن الأجلح بن عبد الله ، عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن ابن الحسين ، عن ابن عباس قال : لما بلغ أصحابَ علي ، حين ساروا إلى البصرة ، أن أهل البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير ، شَقَّ عليهم ، ووقع في قلوبهم ، فقال علي : والذي لا إله غيره ليُظْهرنه على أهل البصرة ، وليُقْتلن طلحة والزبير ، وليَخْرُجن إليكم من الكوفة ستة آلاف وخَمسمائة وخمسون رجلاً ، أوخمسة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلا شك الأجلح .

قال ابن عباس : فوقع ذلك في نفسي ، فلما أتى الكوفةَ خرجتُ فقلت : لأنظرن فإن كان كما يقول فهو أمر سمعه ، وإلا فهو خديعة الحرب . فلقيت رجلا في الجيش فسألته ، فوالله ما عتّم أن قال ما قال عليّ .

قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبره .

وقال البيهقي : أخبرنا عبد الله الحافظ ، حدثنا أبوبكر محمد بن عبد الله الحفيد حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا أبو نُعيم الفضل ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، عن عمار الدُّهْني (٢) ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أم سلمة قالت : ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ خروج بعض أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة ، فقال لها : انظري يا حُمَيْراء أن لا تكوني أنت ، ثم التفت إلى عليّ وقال : يا عليّ إن وليتَ من أمرها شيئا فارفق بها .

وهذا حديث غريب جداً .

وأغرب منه ما رواه البيهقي أيضا عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن محمد بن إسحاق الصّنعاني ، عن أبي نعيم عن عبد الجبار بن عباس الشامي ، عن عطاء بن السائب ، عن عمر بن الهَجيع ، عن أبي بكْرة قال : قيل له ما يمنعك ألا تكون قاتلت على نُصرتك يوم الجمل ؟ فقال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : يخرج قوم هلكى لا يفلحون

---

(١) رجاله ثقات .

(٢) الأصل : الذهبي وهو تحريف والتصويب من ميزان الاعتدال ٣ / ١٧٢ .

قائدهم امرأة ، قائدهم فى الجنة . وهذا منكر جداً .

والمحفوظ ما رواه البخارى من حديث الحسن البصرى ، عن أبى بكرة قال : نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبلغه أن فارس ملّكوا عليهم امرأة كسرى ـ فقال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، سمعت أبا وائل قال : **لما بعث علىّ عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم ، خطب عمار فقال : إنى لأعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها** [1] .

ورواه البخارى عن بنْدَار ، عن غُنْدَرٍ ، وهذا كله وقع فى أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة ـ رضى الله عنها ـ على ما كان من خروجها ، وكذلك الزبير بن العوام أيضا تذكر وهو واقف فى المعركة أن قتاله فى هذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك .

قال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بَلغ عليا فقال: لو كان ابن صفية يعلم إنه على حق ما ولّى .

وذلك أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقيهما فى سقيفة بنى ساعدة فقال : **أتحبه يا زبير ؟ فقال : وما يمنعنى ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ ! قال : فيرون أنه إنما ولّى لذلك** [2] .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد أسنده الحافظ البيهقى من وجه آخر فقال : أخبرنا أبو بكر ـ أحمد بن الحسن القاضى ـ حدثنا أبو عمرو بن مطر ، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمى الكوفى ، حدثنا منْجاب بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، حدثناأبى عن يزيد الفقير ، عن أبيه قال : وسمعت فَضْل بن فَضالة يحدّث أبى عن أبى حرب بن أبى الأسود الدّؤلى عن أبيه ، دخل حديثُ أحدهما فى حديث صاحبه ، قال : لما دنا علىٌّ وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج علىٌّ وهو عَلَى بَغْلَةِ رسول الله

---

(١) (صحيح) الدلائل ٦ / ٤١٢ .

(٢) رجاله ثقات لكنه مرسل وهو فى الدلائل ٦ / ٤١٤ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنادى : أدعوا لى الزبير بن العوام . فأتى على ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما .

فقال على : يا زبير ناشدتُك بالله أتذكر يوم مرّ بك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكان كذا وكذا ، فقال : يا زبير تحب عليًّا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالى وابن عمى وعلى دينى ؟ فقال يا زبير ، أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له .

فقال الزبير : بلى ، والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك .

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال : مالك فقال : ذكرنى علىٌّ حديثا سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمعته وهو يقول : لتقاتلنه وأنت ظالم له ، فلا أقاتلنه .

فقال : وللقتال جئتَ ؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر . قال : قد حلفت ألا أقاتله ، قال : فأعتق غلامك خَيِّر وقفْ حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسهَ .

قال البيهقى : وأخبرنا أبو عبد الحافظ ، أخبرنا الإمام أبوالوليد ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قطن بن بشير ، حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عبد الله بن محمد الرقاشى حدثنا جدى ـ وهو عبد الملك بن مسلم ـ عن أبى وَجْرة المازنى قال : **سمعت عليا والزبير وعلي يقول له : ناشدتك الله يا زبير ، أما سمعت رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ يقول : إنك تقاتلنى وأنت لى ظالم ؟ قال : بلى ولكنى نسيت** (١) .

وهذا غريب كالسياق الذى قبله .

وقد روى البيهقى من طريق الهذيل بن بلال ـ وفيه ضعف ـ عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى ، عن على قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقة بعض أعضاءه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

قلت : قُتل زيد هذا فى وقعة الجمل من ناحية على .

---

(١) (ضعيف) .

وثبت فى الصحيحين مـن حـديث همام بن منبِّه عن أبى هـريرة قال : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دَعواهما واحدة**

ورواه البخارى أيضاً عن أبى اليمان ، عن شعيب ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة مثله .

ورواه البخارى أيضا عن أبى اليمان عن شعيب ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة .

وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل ، وأصحاب صفين ، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام وإنما يتنازعون فى شئ من أمور المُلك ، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا وكان ترك القتال أولى من فعله ، كما هو مذهب جمهور الصحابة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو قال : كان أهل الشام ستين ألفا ، فقتل منهم عشرون ألفا ، وكان أهل العراق مائة وستين ألفا فقتل منهم أربعون ألفا ، ولكن كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم .

كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى سلمة ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : **حدثنى من هو خير منى ـ يعنى أبا قتادة ـ أن رسول اللّه ـ ﷺ ـ قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .**

ورواه أيضا من حديث ابن عُليّة عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ تقتل عماراً الفئة الباغية .

وفى رواية : وقاتله فى النار .

وقد تقدم الحديث بطرقه عند بناء المسجد النبوى فى أول الهجرة النبوية .

وما يزيده بعض الرافضة فى هذا الحديث من قولهم بعد : لا أنالها اللّه شفاعتى يوم القيامة فليس له أصل يعتمد عليه ، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم اللّه .

وقد روى البيهقى من حديث أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مولاة لعمار قالت : اشتكى عمار شكوى أرِق منها ، فغُشى عليه فأفاق ونحن نبكى حوله ، فقال : ما

تبكون ؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر زادى من الدنيا مَذْقَة لبن .

وقال الإمام أحمد : حدثني وكيع حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البَخْتَري قال : **قال عمار يوم صفين : ائتوني بشربة لبن .**

فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن فشربها ثم تقدم فقُتل (١) .

وحدثنا عبد الرحمن بن المهدى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري ، **أن عمار بن ياسر أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لي آخر شراب أشربه لبن حين أموت** (٢) .

وروى البيهقي من حديث عمار الدُّهْني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن مسعود سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سُمَيَّة مع الحق .

ومعلوم أن عمار كان في جيش على يوم صفين وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام وكان الذي تولى قتله رجل يقال له أبو الفادية ، رجل من أفناد الناس ، وقيل إنه صحابي .

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر وغيره في أسماء الصحابة وهو أبو الفادية مسلم ، وقيل يسار بن أزْيَهر الجهني من قُضَاعة ، وقيل : مزني ، وقيل : هما اثنان سكن الشام ثم صار إلى واسط ، روى له أحمد حديثا وله عند غيره آخر ، قالوا : وهو قاتل عمار بن ياسر وكان يذكر صفة قتله لعمار لا يتحاشى من ذلك ، وأخطأ من قال : كان بدريا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا العوام ، حدثنا ابن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد العنزي قال : **بينما أنا عند معاوية إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما أنا قتلته .**

فقال عبد الله بن عمرو : ليَطِبْ به أحدكما لصاحبه نفساً : فإني سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول تقتله الفئة الباغية .

---

(١) (صحيح) المسند ١٨٧٨٥ .

(٢) (صحيح) وهو على شرط الشيخين .

فقال معاوية : ألا تحِّ عنا مجنونك يا عمرو ،فما بالك معنا ؟

قال : إن أبى شكانى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أقاتل (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ،حدثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : **إنى لأسير مع معاوية منصرّفه من صفين ،بينه وبين عمرو بن العاص ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبت ،أما سمعت رسول الله ـ صلى اللهّ عليه وسلم ـ يقول لعمار : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ؟**

قال : فقال عمرو لمعاوية : لا يزال يأتينا بَهْيه أو نحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاءوابه (٢)

ثم رواه أحمد ،عن أبى نعيم ،عن الثورى ،عن الأعمش ،عن عبد الرحمن بن أبى زياد فذكر مثله .

فقول معاوية : إنما قتله من قدّمه إلى سيوفنا . تأويلٌ بعيد جداً ،إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون فى سبيل الله ،حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ،أخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن أبى مُلَيكة عن المسْوَر بن مَخْرَمة قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : أما علمت أنا كنا نقرأ : ﴿ وجاَهدوا فى الله حق جهاده ﴾ فى آخر الزمان ،كما جاهدتم فى أوله ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : ومتى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء(٣) .

ذكره البيهقى ها هنا ،وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من أمرهما .

(١) رجاله ثقات المسند ٦٥٣٨ .
(٢) (صحيح) مسلم ٢٩١٥ والمسند ٦٤٩٩ .
(٣) (صحيح) رجاله ثقات الدلائل ٦ / ٤٢٢ .

بـاب
ما جاء فى إخباره عن الحكمين اللذين بعثا فى زمن على ـ رضى الله عنه ـ

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبد اللهّ بن يزيدوحبيب بن بشار ، عن سُوَيد بن غفلة قال : إنى لأمشى مع علىّ بشطّ الفرات فقال : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : « إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلًا وأضلا من اتبعهما ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلا وأضلا من اتبعهما .

هكذا أورده ولم يبين شيئاً من أمره ، وهو حديث منكر جداً ، وآفته من زكريا بن يحيى هذا ـ وهو الكندى الحميرى الأعمى ـ

قال يَحيى بن مَعين : ليس بشئ ، والحكَمان كانا من خِيار الصحابة ، وهما عمرو بن العاص السهمى من جَهة أهل الشام ، والثانى أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى ، من جهة أهل العراق ، وإنما نُصِبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين ، وحقن لدمائهم .

وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلى فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم ، وخرجوا عليهما وكفّروهما ، حتى قاتلهم على بن أبى طالب ، وناظرهم ابن عباس فرجع منهم شرذمة إلى الحق واستمر بقيتهم حتى قُتل أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذولة عليهم .

ذكر إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الخوارج وقتالهم
وعلامتهم بالرجل المخدج ذى الثديين ، فوجُد ذلك فى خلافة على بن أبى طالب

قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة ابن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى قال : « **بينما نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو يَقْسم قسما، أتاه ذو الخُوَيصرة ـ وهو رجل من بنى تميم ـ فقال يا رسول الله اعدل .**

فقال : ويلك ، ومن يعدل [إذا لم أكن أعدل ؟ [1]] **قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل .**

فقال عمر : يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه .

فقال : دعه فإن له أصحاباً يَحْقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يَمْرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمّية ، يُنْظَر إلى نَصله فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر إلى رصافه [2] فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر إلى نَضِيِّه [3] وهو قِدحه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى قُذَذه [4] فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود ، إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدر [5] . ويخرجون على حين فُرْقة من الناس .

قال أبو سعيد : أشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأشهد أن على بن أبى طالب قاتَلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأتى به حتى [6] نظرت إليه على نعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى نعته .

وهكذا رواه مسلم من حديث أبى سعيد . ورواه البخارى أيضا من حديث الأوزاعى

---

(١) من أ .
(٢) الرصاف : جمع رصفة وهي عقبة تلوى على مدخل النصل .
(٣) النضى : القدح قبل أن يبحث .
(٤) القذذ : ريش السهم .
(٥) تدردر : تتحرك وتذهب .
(٦) أ : حين . وهو خطأ .

عن الزهرى عن أبى سلمة والضحاك ، عن أبى سعيد وأخرجه البخارى أيضا من حديث سفيان بن سعيد الثورى عن أبيه . ومُسْلمٌ عن هَنّاد ، عن أبى الأحوص سلام بن سليم ، عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يَعْمُر ، عن أبى سعيد الخدرى به .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث داود بن أبى هند والقاسم بن الفضل وقتادة، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد قال : **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: تَمْرُق مارقةٌ عند فُرقة المسلمين يقتلها أَوْلى الطائفتين بالحق .**

ورواه أيضا من حديث [أبى إسحاق] [1] الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت عن الضحاك المشرقى، عن أبى سعيد مرفوعاً

وروى مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن على بن مُسْهِر ، عن أبى (الفضل) السَّيبانى عن بشير بن عمرو قال : **سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذكر هؤلاء الخوارج ؟**

فقال : سمعته وأشار بيده نحو المشرق - وفى رواية نحو العراق - يخرج قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم ، يَمْرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، محلّقة رءوسهم .

وروى مسلم من حديث حُمَيد بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر نحوه وقال : سيماهم التحليق ، شَر الخَلْق والخَليقة .

وكذلك رواه محمد بن كثير المصّيصى ، عن الأوزاعى ، عن قَتادة ، عن أنس بن مالك مرفوعا ، وقال : سيماهم التحليق ، شر الخلق والخليقة .

وفى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن سويد بن غفلة ، عن على : **سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : يخرج قوم فى آخر الزمان حُدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية [2] لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتالهم أجراً [3] لمن قتلهم إلى يوم القيامة .**

---

(١) سقطت من أ .

(٢) المطبوعة : من قول خير البرية .

(٣) أ : فإن قتلهم أجر .

وقد روى مسلم عن قتيبة ، عن حماد عن أيوب ، عن محمد بن عبيدة ، عن على فى خبر مَوْدون اليد [1] وهو ذو الثُّدَيَّة .

وأسنده من وجه آخر عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن على وفيه أنه حلَّف عليا على ذلك فحلف له أنه سمع ذلك من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ورواه مسلم عن عبد بن حُميد ، عن عبد الرزاق ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن زيد بن وهب ، عن على بالقصة مطولة وفيه قصة ذى الثدية .

ورواه من حديث عبيد الله بن أبى رافع عن على ، ورواه أبو داود الطيالسى عن حماد ابن زيد ، عن حميد بن مرة ، عن أبى العرضى والسُّحَيْمى ، عن على فى قصة ذى الثُّدَيّة .

ورواه الثورى عن محمد بن قيس ، عن أبى موسى ـ رجل من قومه ـ عن على بالقصة

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنى العلاء بن أبى العباس أنه سمع أبا الطّفيل يحدث عن بكر بن قرقاش ، عن سعيد بن أبى وقاص قال : **ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذا الثدية فقال : شيطان الردهة [2] كراعى الخيل ، يَحْدُرُه رجل من بَجِيلة يقال له : الأشهب علامة فى قومٍ ظلمة** [3] .

قال سفيان : فأخبرنى عمار الدهنى أنه جاء به رجل منهم يقال له : الأشهب أو ابن الأشهب .

قال يعقوب بن سفيان : وحدثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن حامد الهمدانى سمعت سعد بن مالك يقول : قتل علىٌّ بن أبى طالب شيطان الردهة ـ يعنى المخدَّج ـ يريد والله أعلم ـ قتله أصحاب علىّ .

وقال على بن عيّاش ، عن حبيب ، عن سلمة قال : قال على : لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النّهروان ملعونون على لسان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [4] .

---

(١) المودون : الناقص الخلق الضيق . وفى المطبوعة : مؤذن الليل وهو تحريف .
(٢) الردهة : البيت الذي لا أعظم منه .
(٣) (منكر) لأجل بكر بن قرواش .
(٤) البيهقى فى الدلائل ٦ / ٤٣٤ .

قال ابن عباس : جيش المروة قَتلة عثمان . رواه البيهقى .

ثم قال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى قال : **سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله »** .

فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله ،قال : لا .

فقال عمر أنا هو يا رسول الله ، قال لا،ولكن خاصِف النعل ـ يعنى عليا ـ (١)

وقال يعقوب بن سفيان ، عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن عمران بن جرير ، عن لاحق قال : **كان الذين خرجوا على علىّ بالنهروان أربعة آلاف فى الحديد فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط ،وإن شئت فاذهب إلى أبى بَرزة فإنه يشهد بذلك** (٢) .

قلت : الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ، ووقوع ذلك فى زمان علىّ معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة ، وقد بينا كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عباس لهم فى ذلك ورجوع كثير منهم فى موضعه .

(١) (صحيح) الحاكم فى المستدرك ٤٦٢١ .
(٢) (صحيح) المسند ١٨٢٣٧ .

إخباره - ﷺ - بمقتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فكان كما أخبر سواء بسواء

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن بحر ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خُثَيم المحاربي ، عن محمد بن كعب ، عن محمد بن خُثَيم ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعليّ - حين ولّيَ غزوة العشيرة - : يا أبا تراب - لما يرى عليه من التراب - ألا أحدثك بأشقىَ الناس رجلينَ ؟ قلنا بلى يا رسول الله ، قال أُحَيْمرُ ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عَلىُّ على هذه - يعني قرنه - حتى يبل هذه - يعني لحيته -

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن أبي النضر ، عن محمد بن راشد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن فَضَالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان أبوه من أهل بدر - قال : خرجت مع أبي عائداً لعلى بن أبي طالب في مرض أصابه فقتل منه ، قال : فقال أبي ما يقيمك بمنزلك هذا ؟ فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جُهينة تحملك إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلّوا عليك ، فقال على : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلى أن لا أموت حتى تخضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه - يعني هامته - فقتل - وقتل أبو فضالة مع على يوم صفين .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب قال : **جاء رأس الخوارج إلى على فقال له : اتق الله فإنك ميت .**

فقال : لا والذى فلَق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهد معهود ، وقضاء مقضى وقد خاب من افترى (١) .

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم ، عن أبي سنان المدركي ، عن على في إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتله (٢) .

وروى من حديث هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس الأزدي ، عن على

---

(١) (حسن) الدلائل ٦ / ٤٣٨ .
(٢) (صحيح) الدلائل ٦ / ٤٤٠ .

قال إن مما عهد إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «أن الأمة ستغدر بك بعدى » .

ثم ساقه من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمامى قال : سمعت عليا يقول : إنه لعهد النبى الأمى إلىّ ، إن الأمة ستغدر بك بعدى .

قال البخارى : ثعلبه هذا فيه نظر ولا يتابع على حديثه هذا .

وروى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن أبى الأجوب الأحوص بن خباب ، عن عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد قال : قال على والذى فلق الحَبة وبَرأ النَسمة لتُخْضَبَن هذه من هذه ـ للحيته من رأسه ـ فما يحبس أشقاها .

فقال عبد الله بن سبيع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأثرنا عشيرته .

فقال : أنشدك بالله أن لا تقتل به غير قاتلى .

قالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ قال : ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قالوا : فما تقول لربك إذا تركتنا هملا ؟ قال : أقول : اللهم استخلفتنى فيهم ما بَدَا لك ثم قبَضْتنى وتركتك فيهم فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم .

وهكذا روى البيهقى هذا ، وهو موقوف ، وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى .

ثم المشهور عن على أنه لما طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجى وهو خارج لصلاة الصبح عند السُّدة ، فبقى علىٌ يومين من طعنته ، وحبس ابن ملجم ، وأوصى على إلى ابنه الحسن بن على وأمره أن يركب فى الجنود وقال له : لا تخَرّ علىّ كما تَخَرُّ الجارية فلما مات قتل عبد الرحمن بن ملجم قوداً ، وقيل : حداً ، والله أعلم .

ثم ركب الحسن بن على فى الجنود وسار إلى معاوية .

ذكر إخباره - ﷺ - بذلك وسيادة ولده الحسن بن على فى تركه الأمر من بعده وإعطائه ذلك الأمر معاوية وتقليده إياه ما كان يتولاه ويقوم بأعبائه

قال البخارى فى دلائل النبوة : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حسين الجُعْفى ، عن أبى موسى عن الحسن ، عن أبى بَكْرة قال : أخرج النبى - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم الحسن بن علىّ فصعد به على المنبر فقال إن ابنى هذا سيّد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

وقال فى كتاب الصُّلح : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن أبى موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : استقبل والله الحسن بن على معاويةَ بن أبى سفيان بكتائب أمثال الجبال .

فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها .

فقال له معاوية - فكان والله خير الرجلين - أىْ عمرو إن قتَل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، من لى بأمور الناس ؟ من لى بنساءهم ؟ من لى بضَيْعتهم .

فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس ، عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيز[1] فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له ، واطلبا إليه . فأتيا فدخلا عليه فتكلما وقالا له ، وطلبا إليه .

فقال له الحسن بن على : إنا بنو المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها .

قالا : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به . فما سألهما شيئا إلا قالا : نحن لك به ، فصالحه .

فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله - ﷺ - على المنبر والحسن بن على إلى جنبه وهو يُقبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول إن ابنى هذا

---

(١) أ : وعبد الله بن عباس وهو تحريف .

سيد ، و لعل اللّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

وقال البخاری : قال لی علی بن عبد الله [1] إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبی بَكْرة بهذا الحديث .

وقد رواه البخاری أيضا فی فضل الحسن ، وفی كتاب الفتن عن علی بن المدينی ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبی موسى وهو إسرائيل بن موسى [2] بن أبی إسحق .

ورواه أبو داود والترمذی من حديث أشعث ، وأبو داود أيضا والنسائی من حديث علی بن زيد بن جُدْعان ، كلهم عن الحسن البصری عن أبی بَكرة به

وقال الترمذی : صحيح ، وله طرق عن الحسن مرسلا ، وعن الحسن وعن أم سلمة به .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبی ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ سواء ، فإن الحسن بن علی لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب فی جيوش أهل العراق ، وسار إليه معاوية ، فتصافا بصفين علی، ما ذكرة الحسن البصری ، فمال الحسن بن علی إلى الصلح ، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة ، فسمی ذلك العام عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد .

وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام ، فمن كفَّرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع فقد أخطأ وخالف النص النبوی المحمدی الذی لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحی يوحى .

وقد تكمَّل بهذه السنة المدة التی أشار إليها رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أنها مدة الخلافة المتتابعةبعده ، كما تقدم فی حديث سفينة مولاه أنه قال : الخلافة بعدی ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا وفی رواية عضوضا ، وفی رواية عن معاوية أنه قال : رضينا بها ملكا

وقد قال نعيم بن حماد فی كتابه الفتن والملاحم : سمعت محمد بن فُضَيل ، عن

(١) أ : علی بن المدينی .

(٢) أ : ابن يونس .

السرى بن إسماعيل ، عن عامر الشعبى ، عن سفيان بن عيينة [1] ، قال : سمعت الحسن بن على يقول : سمعت علياً يقول : سمعت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول : **لا تذهب الأيام والليالى حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع القدم ، ضخم البُلْعُم [2] يأكل ولا يشبع وهو م ع وى** [3] .

وهكذا وقع فى هذه الرواية .

وفى رواية بهذا الإسناد : لا تذهب الأيام والليالى حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية

وروى البيهقى من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ـ وهو ضعيف عن عبد الملك بن عُمير [4] قال : قال معاوية : **واللّه ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لى : يا معاوية إن ملكتَ فأحسن** [5] .

ثم قال البيهقى : وله شواهد ، من ذلك حديث عمرو بن يحيى ، عن سعيد بن العاص ، عن جده سعيد ، أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فنظر إليه فقال : يا معاوية إن وليت أمراً فاتق اللّه وأعدل .

قال معاوية فما زلت أظن أننى مبتلى بعمل لقول رسرل اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ
ومنها حديث الثورى عن ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد الدارىّ ، عن معاوية قال : سمعت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول : **« إنك إن اتبَعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت أن تفسدهم »** .

ثم يقول أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ، فنفعه اللّه بها [6] .

رواه أبو داود .

---

(١) أ : عن شقيق بن المليك قال : سمعت الحسن .
(٢) البلعم : البلعم . وهو مجرى الطعام فى الفم .
(٣) (ضعيف جداً) فيه المسري بن إسماعيل وهو الهمدانى الكوفى . المطبوعة : وهو عرى وهو تحريف .
(٤) المطبوعة : ابن عمار . وهو تحريف .
(٥) (ضعيف) فيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ضعفه أكثر من واحد .
(٦) (صحيح) المسند ١٦٨٧٢ ، والبيهقى فى الدلائل ٦ / ٤٤٦ .

وروى البيهقى من طريق هُشيم ، عن العوام بن حَوْشَب ، عن سليمان بن أبى سليمان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : **الخلافة بالمدينة والملك بالشام** (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد ، حدثنا بشر بن عبيد الله ، حدثنى أبو إدريس الخَوْلانى ، عن أبى الدرداء قال : **قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب رفع احتمل من تحت رأسى ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بَصرى ، فعمد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان ـ حين تقع الفتن ـ بالشام ها هنا** (٢) .

رواه البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان عن عبد اللّه بن يوسف ، عن يحيى بن حمزة السُّلمى به .

قال البيهقى : وهذا إسناد صحيح ، وروى من وجه آخر .

ثم ساقه من طريق عُقبة بن علقمة ، عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقى ، عن عطية بن قيس عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : **إنى رأيت أن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتى فنظرت فإذا نور ساطع عُمد به إلى الشام ، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام** (٣) .

ثم أورده البيهقى من طريق الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يونس بن ميسرة ، عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال لى رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ . فذكر نحوه ، إلا أنه قال : **فأتبعته بصرى حتى ظننت أنه مذهوب به .**

قال : وإنى أوِّلت أن الفتن إذا وقعت أن الإيمان بالشام (٤) .

قال الوليد حدثنى عفير بن معْدان ، أنه سمع سليم بن عامر يحدث عن أبى أمامة عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ **مثل ذلك** (٥) .

---

(١) (**ضعيف**) فيه سليمان بن أبى سليمان وهو مجهول .
(٢) (صحيح الإسناد) وهو فى المسند ٢١٦٣٠ .
(٣) (**ضعيف**) .
(٤) (**ضعيف**) فيه سعيد بن عبد العزى وهو ضعيف .
(٥) (**ضعيف**) لأجل عفير بن معدان وهو ضعيف .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى نصربن محمد بن سليمان الحمصى ، حدثنا أبى أبو ضمرة ـ محمد بن سليمان السُّلمى ـ حدثنى عبد الله بن أبى قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسى ساطعاً حتى استقر بالشام .

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى ، عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفين : **اللهم العن أهل الشام . فقال له على : لا تسبُّ أهل الشام جمّاً غفيراً ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال** (1) .

وقد روى من وجه آخر عن على .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفون ، حدثنى شريح ـ يعنى ابن عُبيد الحضرمى ـ قال : **ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب وهو بالعراق فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين . قال : لا ، إنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجلا أبدل الله مكانه رجلا يستسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب** (2) .

تفرد به أحمد ، وفيه انقطاع ، فقد نص أبو حاتم الرازى على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبى أمامة ولا من أبى مالك الأشعرى ، وأن روايته عنهما مرسلة ، فما ظنك بروايته عن على بن أبى طالب ، وهوأقدم وفاة منهما ؟!

إخباره ـ عليه السلام ـ عن غزاة البحر إلى قبرص التى كانت فى أيام أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ

قال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدخل على أم حَرَام بنت ملْحَان فتطعمه ، وكانت تحت عبادة ابن الصامت فدخل عليها يوما فأطعمته ثم جلست تفلىَ رأسه ، فنام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم استيقظ وهو يضحك .

---

(1) (ضعيف) .

(2) (ضعيف) .

قالت : فقلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتى عُرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكا على الأسِرّة، أو مثل الملوك على الأسِرة ، شك إسحاق .

فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها .

ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت : قلت ما يضحك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتى عُرضوا على غزاة فى سبيل الله ، كما قال فى الأولى .

قالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : أنت من الأوّلين .

قال : فركبت أم حَرَام بنت مِلْحَان البحر فى زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث وحماد بن زيد ، كلاهما عن يحيى بن سعيد . وعن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أنس بن مالك ، عن خالته أم حَرَام بنت مِلْحَان ، فذكر الحديث إلى أن قال : فخرجت مع زوجها عُبادة بن الصامت غازية أول ما رَكبوا مع معاوية ، أو ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبى سفيان ، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت .

ورواه البخارى من حديث أبى إسحاق الفزارى ، عن زائدة ، عن أبى حوالة عبد الله ابن عبد الرحمن ، عن أنس به .

وأخرجه أبو داود من حديث معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أخت أم سليم .

باب
ما قيل فى قتال الروم

وقال البخارى :

حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقى ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى ثور بن يزيدعن خالد بن مَعْدَان أن عمير بن الأسود العنسى حدثه ، أنه أتى عبادة بن الصامت وهونازل إلى ساحل حِمْص ، وهوفى بناء له ، ومعه أم حرَام .

قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول : أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا . قالت : أم حرام: فقلت يا رسول اللّه أنا فيهم ؟ قال : أنت فِيهم .

قالت : ثم قال النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . قلت: أنا فيهم يا رسول اللّه ؟ قال : لا .

تفرد به البخارى دون أصحاب الكتب الستة .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل ، عن الحاكم ، عن أبى عمرو بن أبي جعفر ، عن الحسن بن سفيان ، عن هشام بن عمار الخطيب ، عن يحيى بن حمزة القاضى بها وهو يشبه معنى الحديث الأول .

وفيه من دلائل النبوة ثلاث :

إحداهما الإخبار عن الغزوة الأولى فى البحر ، وقد كانت فى سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبى سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام بنت ملْحَان هذه صحبةَ زوجها عبادة بن الصامت ، أحد النقباء ليلة العقبة فتوقيت موقعهم من الغَزو ، قيل بالشام[1] كما تقدم فى الرواية عند البخارى ، وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .

والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها ، وكان أميرها يزيد بن معاوية

(١) الأصل : قتل . وهو تحريف .

ابن أبى سفيان وذلك فى سنة إثنتين وخمسين ، وكان معهم أبو أيوب ، خالد بن زيد الأنصارى ، فمات هنا لك ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ، ولم تكن هذه المرأة معهم ، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك فى الغزوة الأولى .

فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة ، الإخبار عن الغزوتين ، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين ، وكذلك وقع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

الإخبار عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، عن سَيَّار بن جبر بن عبيدة ، عن أبى هريرة ، قال **وعدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزوة الهند ، فإن استشهدتُ كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر** (١) .

رواه النسائى من حديث هشيم وزيد بن أُنيسة عن يسار ، عن جبر ، ويقال جبير عن أبى هريرة قال : **وعدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزوة الهند . فذكره** (٢) .

وقال أحمد حدثنا يحيى بن إسحق ، حدثنا البراء ، عن الحسن ، عن أبى هريرة قال : حدثنى خليلى الصادق المصدوق ، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : **يكون فى هذه الأمة بعث إلى السند والهند ، فإن أنا أدركته فاستشهدت فذاك وإن أنا . فذكر كلمة رجعت فأنا أبو هريرة المحرر قد أعتقنى من النار** (٣) .

تفرد به أحمد .

وقد غزا المسلمون الهند فى أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، وكانت هنا لك أمور بسطتها فى موضعها . وقد غزا الملك الكبير الجليل محمود بن سبكتكين غَزْنَة فى حدود سنة أربعمائة ، بلادَ الهند فدخل فيها وقتل وأسر وسبَى وغنم ودخل السومنات وكسر الند الأعظم الذى يعبدونه ، واستلب سيوفه وقلائده ، ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً .

---

(١) (ضعيف الإسناد) فيه جبير بن عبيدة وهو مجهول .

(٢) (ضعيف الإسناد) .

(٣) (ضعيف الإسناد) فيه أ ـ الحسن البصرى . ب ـ البراء هو ابن عبد الله .

فصل

فى الإخبار عن قتال الترك كما سنبينه ـ إن شاء الله ـ وبه الثقة

قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزّنّاد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعر ، وحتى تقاتلوا [1] الترك صغَار الأعين حُمْر الوجوه ، ذُلْف الأنوف ، كأن وجوههم المجَان المطْرَقة [2] ، وتجدون من خَير الناس أشدهم [3] كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه ، والناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله .

تفرد به من هذا الوجه .

ثم قال البخارى : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن هَمَّام ، عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال : **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزا وكِرْمان من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فُطْس الأنوف ، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطْرَقة ونعالهم الشَّعر** [4] .

تابعه غيره عن عبد الرزاق ، وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال : أخطأ عبد الرزاق فى قوله : خوزا ، بالخاء ، وإنما هو بالجيم جوزا وكرمان ، هما بلدان معروفان بالشرق فاللّه أعلم

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة فبلغ به النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر .**

---

(١) **المطبوعة** : تقاتل . وهو تحريف .

(٢) **الذلف** : الصغار الأنوف . والمجان : جمع مجن وهو الترس . **والمطرقة** : التى ألبست الطراق . وهو جلدة تلصق على قدر الدرقة .

(٣) أ : أشدهم له .

(٤) (**صحيح**) متفق عليه المسند ٧٢٦٢ . نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من شعر ، أو المراد طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم .

وقد رواه الجماعة إلا النسائى من حديث سفيان بن عيينة به .

وقال البخارى حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال : قال إسماعيل : أخبرنى قيس قال : أتينا أبا هريرة - رضى الله عنه - فقال : **صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنين لم أكن فى سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن ، سمعته يقول - وقال هكذا بيده بين يدى الساعة - : تقاتلون قوما نعالهم الشعر . وهو هذا البارز . وقال سفيان مرة : وهم أهل البارز .**

وقد رواه مسلم عن أبى كريب ، عن أبى أسامة ووكيع ، كلاهما عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تقوم القيامة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة ، حمر الوجوه ، صغار الأعين .

قلت : وأما قول سفيان بن عيينة : إنهم هم أهل البارز ، فالمشهور فى الرواية تقديم الراء على الزاى ، ولعله تصحيف اشتبه على القائل البارز وهو السوق بلغتهم ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن قال : حدثنا عمرو بن ثعلب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : **إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، أو ينتعلون الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عِرَاض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة** (١) .

ورواه البخارى عن سليمان بن حرب وأبى النعمان عن جرير بن حازم به . والمقصود أن قتال الترك وقع فى آخر أيام الصحابة ، قاتلوا القان الأعظم ، فكسروه كسرة عظيمة (٢) .

خبرآخر عن عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا بن عون ، عن محمد هو

---

(١) (صحيح) المسند ٢٠٥٥٥ .

(٢) أورد ابن كثير ذلك فى موضعه من تاريخه بتفصيل .

ابن سيرين ، عن قيس [1] بن عُبَاد قال : كنت فى المسجد فجاء رجل فى وجهه أثر من الخشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيهما ، فقال القوم هذا رجل من أهل الجنة .

فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته ، فلما استأنس قلت له : إن القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا . قال : سبحان الله ، والله ما ينبغى لأحد أن يقول مالا يعلم وسأحدثك ، [لم] [2] إنى رأيت رؤيا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقصصتها عليه ، رَأيت كأنى فى روضة خضراء - قال ابن عون : فذكر من خُضرتها وسعتها وسطها عمودُ حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء ، فى أعلاه عروة فقيل لى : اصعد عليه . فقلت : لا أستطيع . فجاء منْصَف - قال ابن عون : وهو الوصيف فرفع ثيابى من خلفى فقال اصعد عليه ، فصعدت حَتى أخذت بالعروة ، فقال : استمسك بالعروة ، فاستيقظت وإنها لفى يدى .

قال فأتيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فقصصتها عليه فقال : أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام ، وأما العروة فهى العروة الوثقى ، أنت على الإسلام حتى تموت .

قال : وهو عبد الله بن سلام [3] .

ورواه البخارى من حديث عون .

ثم قد رواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، عن المسيب بن رافع ، عن خَرْشة بن الحُرّ ، عن عبد الله بن سلام ، فذكره مطولا ، وفيه قال : حتى انتهيت إلى جبل زَلَق فأخذ بيدى ودحَانى [4] ، فإذا أنا على ذروته ، فلم أتقارّ ولم أتماسك ، وإذا عمود حديد فى ذروته حلقة ذهب ، فأخذ بيدى ودحانى حتى أخذت العروة وذكر تمام الحديث [5] .

---

(١) **الأصل** : بشر . وهو خطأ والتصويب من مسند أحمد ، انظر الفتح الربانى ٢٢ / ٢٩ .
(٢) من المسند .
(٣) (**صحيح**) متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم .
(٤) **دحانى** : رمى بى . والرواية فى المسند : وزجل بى . ومعناها : رمانى ودفع بى .
(٥) (**حسن الإسناد**) وهو فى المسند برقم ٢٣٦٨٠ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش ، عن سليمان بن مُسْهر ، عن حَرَشة ابن الحُرّ ، عن عبد اللّه بن سلام فذكره وقال : حتى أتى بى جبلاً فقال لى : اصعد ، فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسى ، حتى فعلت ذلك مراراً ، وأن رسول اللّه قال له حين ذكر رؤياه : وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله .

قال البيهقى وهذه معجزة ثانية ، حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة . وهكذا وقع ، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

الإخبار عن موت ميمونة بنت الحارث بسَرِف

قال البخارى فى التاريخ : أخبرنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبد اللّه بن الأصم ، حدثنا يزيد بن الأصم ، قال : ثَقُلت ميمونة بمكة وليس عندها من بنى أختها أحد ، فقالت أخرجونى من مكة فإنى لا أموت بها ، إن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أخبرنى أنى لا أموت بمكة .

فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف ، الشجرة التى بنى بها رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ تحتها فى موضع القبة ، فماتت ـ رضى اللّه عنها ـ .

قلت : وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ما روى فى إخباره عن مقتل حُجْر بن عُدى وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا ابن بُكَير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنى الحارث عن يزيد ، عن عبد اللّه بن رزين الغافقى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ياأهل العراق ، سيُقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثَلُهم كمثل أصحاب الأخدود .

فقتُل حُجر بن عدى وأصحابه (١) .

وقال يعقوب بن سفيان : قال أبو نعيم : ذكر زياد بن سُمية بن علىّ بن أبى طالب على المنبر فقبض حُجْر على الحصباء ثم أرسلها وحصب من حوله زياداً ، فكتب إلى معاوية يقول : إن حُجْراً حصبنى وأنا على المنبر . فكتب إليه معاوية أن يحمل حجراً ، فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم ، فالتقى معهم بعذراء فقتلهم (٢) .

(١) (ضعيف الاسناد) فيه ابن لهيعة .

(٢) ذكره البيهقى فى الدلائل برقم ٦ / ٤٥٦ .

قال البيهقى : لا يقول علىٌّ مثل هذا إلا أن يكون سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب ، أخبرنى ابن لهيعة عن أبى الأسود ، قال : **دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء حُجْراً وأصحابه ؟**

فقال يا أم المؤمنين ، إنى رأيت قتلهم إصلاحا للأمة ، وأن بقاءهم فساداً . فقالت : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء (١) .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسّيب ، عن مروان بن الحكم ، قال : **دخلتُ مع معاوية على أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ ، فقالت : يا معاوية قتلت حُجْراً وأصحابه وفعلت الذى فعلت ؟ أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك ؟**

قال : لا ، إنى فى بيت أمان ، سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : الإيمان قَيَّدَ الفَتْكَ لا يَفْتك ، لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين . كيف أنا فيماسوى ذلك من حاجاتك ؟ قالت : صالح .

قال : فدعينى وحجراً حتى نلتقى عند ربنا ـ عز وجل ـ (٢) .

حديث آخر

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن أبى سلمة ، عن أبى نضرة عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعشرة من أصحابه : آخركم موتاً فى النار . فيهم سمرة بن جندب . قال أبو نضرة : فكان سمرة آخرهم موتاً .

قال البيهقى : رواته ثقات إلا أن أبا نَضْرة العَبْدى لم يَثْبت له من أبى هريرة سماع والله أعلم .

(١) (ضعيف الاسناد) .
(٢) (ضعيف الاسناد) .

ثم روى من طريق إسماعيل بن حكيم ، عن يونس بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن أنس بن حكيم ، قال : كنت أمُرُّ بالمدينة فألقَى أبا هـريرة فـلا يبدأ بشئ حتى يسألنى عـن سمرة فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال : إنا كنا عشرةً فى بيت ، وإن رسول الله قام علينا ونظر فى وجوهنا وأخذ [بعضادتى] الباب وقال : آخركم موتاً فى النار . فقد مات منا ثمانية ولم يبقى غيرى وغيره ، فليس شئ أحب إلى من أن أكون قد ذقت الموت .

وله شاهد من وجه آخر ، وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حجاج بن مِنْهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أوس بن خالد قال : كنت إذا قدِمت على أبى محذورة سألنى عن سمرة ، وإذا قدمت على سمرة سألنى عن أبى محذورة

فقلت لأبى محذورة : مالك إذاقدمتُ عليك تسألنى عن سَمُرة ، وإذا قدمت على سمرة سألنى عنك ؟

فقال : إنى كنت أنا وسمرة وأبو هريرة فى بيت فجاء النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : آخركم موتاً فى النار .

قال : فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم مات سمرة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، سمعت ابن طاووس وغيره يقولون : قال النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبى هريرة وسمرة بن جندب ورجل آخر : أخراكم موتا فى النار .

فمات الرجل قبلهما وبقى أبو هريرة وسمرة ، فكان الرجل إذا أراد أن يغيظ أبا هريرة يقول : مات سمرة فإذا سمعه أغشى عليه وصعق ، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة وقتل سمرةُ بَشراً كثيراً .

وقد ضعّف البيهقى عامة هذه الروايات لانقطاع بعضها وإرساله .

ثم قال : وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات فى الحريق . ثم قال : ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ، ثم ينجوا منها بإيمانه فيخرج منها بشفاعة الشافعين . والله أعلم .

ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرقى أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه أن سمرة استجمر فغفل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار .

قلت: وذكر غيره أن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ أصابه كُزَازٌ[1] شديد، وكان يوقد له على قدر مملوءة ماء حاراً فيجاس فوقها ليتدفأ ببخارها، فسقط يوما فيها فمات ـ رضى الله عنه ـ، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبى هريرة بسنة

وقد كان ينوب عن زياد بن سُمية فى البصرة إذا سار الكوفة، وفى الكوفة إذا سار إلى البصرة، فكان يقيم فى كل منها ستة أشهر من السنة، وكان شديد على الخوارج، مُكْثِراً للقتل فيهم، ويقول هم شر قَتْلَى تحت أديم السماء.

وقد كان الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يثنون عليه. ـ رضى الله عنه ـ.

خبر رافع بن خَديج

روى البيهقى من حديث مسلم بن إبراهيم، عن عمرو بن مرزوق الواضحى، حدثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع عن جدته أن رافع بن خديج رُمى ـ قال عمر: **لا أدرى أيهما قال ـ يوم أحد أو يوم حنين بسهم فى ثندُوته[2]، فأتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله انزع لى السهم، فقال له: يا رافع إن شئت نزعت السهم والقبضة جميعا، وإن شئت نزعتُ السهم وتركت القبضة وشهدتُ لك يوم القيامة أنك شهيد. فقال: يا رسول الله انزع السهم واترك القبضة، واشهد لى يوم القيامة أنى شهيد**[3].

قال: فعاش حتى كانت خلافة معاوية انتقَض الجرحُ فمات بعد العصر.

هكذا وقع فى هذه الرواية أنه مات فى إمارة معاوية، والذى ذكرة الواقدى وغير واحد أنه مات سنة ثلاث، وقيل: أربع وسبعين، ومعاوية ـ رضى الله عنه ـ كانت وفاته فى سنة ستين بلا خلاف. والله أعلم.

---

(١) الكزاز: داء من شدة البرد.

(٢) السندوة: لحم الثدى.

(٣) الطبرانى فى الكبير برقم ٢٤٤٢.

ذكر إخباره ـ عليه السلام ـ
بما وقع من الفتن بعد موته من أغيلمة بنى هاشم وغير ذلك

قال البخارى : حدثنا محمد بن كَثير ، أخبرنى سفيان ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود عن النبى ـ ﷺ ـ قال : ستكون أثرة وأمور تُنْكرونها قالوا : يا رسول الله : فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحقَّ الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا شعبة ، عن أبى التياح ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ يُهلك الناس هذا الحىُّ من قريش .

قالوا فما تأمرنا يا رسول ؟ قال : لو أن الناسَ اعتزلوهم .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة .

وقال البخارى : قال محمود : حدثنا أبو داود ، أخبرنا شعبة ، عن أبى التياح قال : سمعت أبا زرعة ، وحدثنا أحمد بن محمد المكى ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى ، عن جده قال : كنت مع مروان وأبى هريرة فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : هلاك أمتى على يدى غِلْمة من قريش .

فقال مروان : غِلْمة؟ قال أبو هريرة : إن شئتُ أن أسميهم فلان وبنى فلان .

تفرد به البخارى .

وقال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بـ سعيد بن العاص ، أخبرنى جدى سعيد بن عمرو بن سعيد ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **هلكة أمتى على يدى غِلْمة .**

قال مروان : وهم معنا فى الحلقة قبل أن يلى شيئاً ، فلعنة الله عليهم غِلْمة . قال : أما والله لو أشاء أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت .

قال : فكنت أخرج مع أبى وجدى إلى بنى مروان ـ بعد ما مَلكوا ـ فإذا هم يبايعون الصبيان ، ومنهم من يُبايَع له وهو فى خِرْقة .

قال لنا : عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذى سمعت أبا هريرة يذكر ، إن هذه الملوك يُشبه بعضها بعضا (١) .

وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان عن سمَاك ، حدثنى عبد الله بن ظالم قال : سمعت أبا هريرة قال : سمعت حبى أبا القاسم ـ صَلى الله عليه وسلم ـ يقول : إن فساد أمتى على يد غلمة سفهاء من قريش .

ثم رواه أحمد عن زيد بن الحُباب ، عن سفيان وهو الثورى ، عن سِماك ، عن مالك ابن ظالم ، عن أبى هريرة فذكره .

ثم روى غُنْدَر ورَوْح بن عُبادة ، عن سف ان ، عن سـماك بن حرب ، عن مـالك بن ظالم قـال : سـمعت أبا هريرة ، زاد روح : يحدث مروان بن الحكم ، قـال : سـمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصادق المصدوق يقول : **هلاك أمتى على يد غلمة أمراء سفـهاء من قريش** (٢) .

وقال الإمـام أحـمد : حدثنا أبو عـبد الرحـمن ، حدثنا حَيْوة ، حـدثنى بشر بن أبى عمرو الخولانى : أن الوليد بن قيس التُّجيبى حدثه أنه سمع أبا سعـيد الخدرى يقول : سـمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **يكون خَلْفٌ من بعد الستين سنة ﴿ أضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ ثم يكون خَلْفٌ يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر .**

وقال بشير : فقلت : للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟قال : المنافق كـافر به ، والفـاجر يتـأكل به والمؤمن يؤمن به (٣) .

تفرد به أحمد ، ، وإسناده جيد قوى على شرط السنن .

وقد روى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم عن الحسن بن على بن عفان ، عن أبى أسامة ، عن مجالد ، عن الشعبى قال : **لما رجع على من صفين قال : أيها الناس ، لا تكرهوا**

---

(١) (صحيح) المسند ٨٢٨٧ .

(٢) (صحيح) المسند ٨٠٢٠ .

(٣) (صحيح) أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم ٨٦٤٣ والمسند برقم ١١٢٧٩ .

إمارة معاوية ،فإنه لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرءوس تَنْزو من كواهلها كالحنظل [1]

ثم روى عن الحاكم وغيره ،عن الأصم ،عن العباس بن الوليد بن زيد ،عن أبيه ،عن بن جابر ،عن عُمَير بن هانئ أنه حدثه أنه قال : **كان أبو هريرة يمشى فى سوق المدينة وهو يقول : اللهم لاتدركنى سنة الستين ،ويْحكُم تمسكوا بصُدْغَى معاوية ،اللهم لا تدركنى إمارةُ الصبيان** [2] .

قال البيهقى : وعلى وأبو هريرة إنما يقولان : هذا الشئ سمعناه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وقال يعقوب بن سفيان : أخبرنا عبد الرحمن بن عمرو الحزامى ،حدثنا محمد بن سليمان ،عن ابن غُنيم البَعْلبكى ،عن هشام بن الغاز ،عن مكحول ،عن أبى ثعلبة الخشنى ،عن أبى عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **لا يزال هذا الأمر معتدلا قائماً بالقسط حتى يَثْلمه رجل من بنى أمية** [3] .

وروى البيهقى من طريق عوف الأعرابى ،عن أبى خلدة ،عن أبى العالية ،عن أبى ذرقال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **يقول : إن أولَ من يبدّل سُنتى رجل من بنى أمية** .

وهذا منقطع بين أبى العالية وأبي ذر وقد رجحه البيهقى بحديث أبى عبيدة المتقدم [4]

قال ويشبه أن يكون هذا الرجل هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ،والله أعلم .
قلت : الناس فى يزيد بن معاوية أقسام : فمنهم من يحبه ويتولاه ،وهم طائفة من أهل الشام من النواصب .

وأما الروافض فيشنعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ويتهمه كثير منهم بالزندقة ،ولم يكن كذلك .

---

(١) (ضعيف) .
(٢) (حسن الإسناد) ذكره البيهقى فى الدلائل ٦ / ٤٦٦ .
(٣) (ضعيف) .
(٤) (ضعيف الإسناد).

وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبّونه ، لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقا كما تقوله الرافضة ، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة ، والأمور المستنكَرة البشعة الشنيعة ، فمن أنكرها قتلُ الحسين بن على بكرْ بلاء ولكن لم يكن ذلك من علم منه ، ولعله لم يرض به ولم يسؤه ، وذلك من الأمور المنكرة جداً ، ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية على ما أوردناه في التاريخ .

الإخبار بمقتل الحسين بن على - رضى الله عنهما -

وقد رود في الحديث (الإخبار) بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ابن حسان ، حدثنا عمارة - يعنى ابن زاذان - عن ثابت ، عن أنس قال : **استأذن ملك المطر أن يأتى النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظى علينا الباب لا يدخل علينا أحد . فجاء الحسين بن على فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له الملك : أتحبه ؟ فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : نعم قال : فإن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه .**

قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرّته فى طرف ثوبها .قال : فكنا نسمع : يُقْتَل بكر بلاء (١) .

ورواه البيهقى من حديث بشر بن موسى ، عن عبد الصمد ، عن عمارة فذكره .

ثم قال : وكذلك رواه سفيان بن فرّوخ ، عن عمارة .

وعمارة بن زاذان هذا هو الصّيدلانى أبو سلمة البصرى اختلفوا فيه .

وقد قال فيه أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين ، وضعّفه أحمد مرة ووثقه أخرى .

وحديثه هذا قد روى عن غيره من وجه آخر ، فرواه الحافظ البيهقى من طريق عمارة ابن عرفة عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى سلمة ، عن عائشة - رضى الله عنها - نحو هذا .

وقد قال البيهقى : أخبرنا الحاكم فى آخرين ، قالوا : أخبرنا الأصم ، أخبرنا عباس

(١) (ضعيف الاسناد) .

الدّورى ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا موسى بن يعقوب ، عن هاشم بن هاشم عن عتبة ابن أبى وقاص ، عن عبد اللّه بن وهب بن زَمْعَة أخبرتنى أم سلمة أن رسول اللّه ـ ﷺ ـ **اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو حائر ، ثم اضطجع فرقد ، ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت فى المرة الأولى ، ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تُربة حمراء وهو يقلبها .**

فقلت : ما هذه التربة يا رسول اللّه ؟ فقال : أخبرنى جبريل أن هذا مَقْتل [(١)] بأرض العراق للحسين . قلت له : يا جبريل أرنى تربة الأرض التى يقتل بها . فهذه تربتها [(٢)] .

ثم قال البيهقى : تابعه موسى الجهَنى ، عن صالح بن زيد النّخَعى ، عن أم سلمة [(٣)] وأبان ، عن شَهر بن حَوْشب ، عن أم سلمة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفى ، حدثنا الحسين بن عيسى ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : **كان الحسين جالساً فى حجر النبى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقال جبريل : أتحبه ؟ فقال : وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادى ؟ فقال : أما إن أمتك ستقتله ، ألا أريك من موضع قبره ؟ فقبض قبضة فإذا تُربة حمراء [(٤)] .**

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد ، والحسين بن عيسى قد حدث عن الحكم بن أبان بأحاديث لا نعلمها عند غيره .

قلت هو الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفى أبو عبد الرحمن الكوفى أخو سليم القارى . ثم قال [فيه] البخارى : مجهول ـ يعنى مجهول الحال ـ ألا فقد روى عنه سبعة نفر وقال أبوزرعة : منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ليس بالقوى روى عن الحكم بن أبان أحاديث منكرة ، وذكرة ابن حبان فى الثقات .

وقال ابن عدى : قليل الحديث ، وعامة حديثه غرائب ، وفي بعض أحاديثه المنكرات

وروى البيهقى ، عن الحكم وغيره ، عن أبى الأحوص ، عن محمد بن هيثم القاضى

---

(١) أ : يقتل .

(٢) (ضعيف الاسناد) حسن المتن .

(٣) (صحيح الإسناد) .

(٤) (ضعيف الاسناد) حسن المتن .

حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوْزاعى ، عن أبى عمار شداد بن عبد اللّه ، عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول اللّه إنى رأيت حلماً منكراً الليلة .

قال وما هو؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت فى حجرى .

قال رأيت خيراً ، تلك فاطمة إن شاء الله تلد غلاما فيكون فى حجرى . فولدت فاطمة الحسين ، فكان فى حجرى كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، [فدخلت يوماً على رسول اللّه] فوضعته فى حجره ثم حانت منى التفاتة فإذا عينا رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ تهريقان الدموع .

قالت : قلت يا نبى الله بأبى أنت وأمى ، مالك ؟

قال : أتانى جبريل ـ عليه السلام ـ فاخبرنى أن أمتى ستقتل ابنى هذا .

فقلت : هذا ؟ قال نعم ، و أتى بتربة من تربته حمراء [1] .

وقد روى الإمام أحمدعن عفان ، عن وهيب ، عن أيوب ، عن صالح أبى الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت : أتيت رسول اللهِ ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقلت إنى رأيت فى منامى أن فى بيتى أوحجرى عضواً من أعضائك .

قال : تلد فاطمة إن شاء اللّه غلاما فتكْفلينه . فولدت له فاطمة حسيناً ، فدفعته إليها فأرضعته بلبن قُثَمَ ، فأتيت به رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما أزوره ، فأخذه فوضعه على صدره فبال فأصاب البول إزاره ، فزجَجْت بيدى على كتفيه .

فقال : أوجعت ابنى أصلحك الله . أو قال : رحمك الله .

فقلت : أعطنى إزارك أغسله فقال : إنمـــا يُغْسل بــول الجـارية ويُصبّ على بــول الغلام [2] .

ورواه أحمد أيضا عن يحيى بن بكير ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن قابوس بن مخارق عن أم الفضل فذكر مثله سواء ، وليس فيه الإخبار بقتله : فاللّه أعلم [3] .

---

(١) (ضعيف الاسناد) حسن المتن .

(٢) (صحيح) رجاله ثقات وهو فى المسند برقم ٢٦٧٥٧ .

(٣) (حسن) وهو فى المسند ٢٦٧٥٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عمار بن أبي عمارة ، عن ابن عباس ، قال : **رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل ، أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم**

فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم . قال : فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل فى ذلك اليوم ـ رضى الله عنه ـ [1] .

قال قتادة : قتل الحسين يوم الجمعة ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر .

وهكذا قال الليث وأبو بكر بن عياش والواقدى والخليفة بن خيَّاط وأبو معشر وغير واحد : أنه قتل يوم عاشوراء عام إحدى وستين ، وزعم بعضهم أنه قتل يوم السبت . والأول أصح .

وقد ذكروا فى مقتله أشياء [كثيرة] [2] أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ وهو ضعيف ، وتغيير آفاق السماء ، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته دم ، ومنهم من خَصَّص ذلك بحجارة بيت المقدس ، وأن الوَرس استحال رماداً ، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار ، إلى غير ذلك مما فى بعضها نكارة ، وفى بعضها احتمال ، والله أعلم . وقد مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو سيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة ولم يقع شئ من هذه الأشياء ، وكذلك الصديق بعده ، مات ولم يكن شئ من هذا ، وكذلك عمر ابن الخطاب قتل شهيداً وهو قائم يصلى فى المحراب صلاة الفجر ، وحصر عثمان فى داره وقتل بعد ذلك شهيداً ، وقتل على بن أبى طالب شهيداً بعد صلاة الفجر ، ولم يكن شئ من هذه الأشياء . والله أعلم .

وقد روى حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمارة ، عن أم سلمة أنها سمعت الجن تنوح على الحسين بن على .

وهذا صحيح .

---

(١) (صحيح) المسند ٢١٦٥ .
(٢) ليست في أ .

وقال شهر بن حَوْشَب : كنا عند أم سلمة فجاءها الخبر بمقتل الحسين فخرت مغشياً عليها .

وكان سبب قتل الحسين أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبايعوه بالخلافة ، وكثر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مُسْلم بن عَقيل ، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية ، فبعث إلى مسلم بن عقيل فضرب عنقه [1] ورماه من القصر إلى العامة فتفرق مَلؤهم وتبددت كلمتهم .

هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق ، ولم يشعر بما وقع ، فتحمَّل بأهله ومن أطاعه وكان قريباً من ثلاثمائة وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة ، منهم أبو سعيد وجابر ، وابن عباس ، وابن عمر ، فلم يطعهم .

وما أحسن ما نهاه ابن عمر عن ذلك ، واستدل له على أنه لا يقع ما يريده فلم يقبل .

فروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن سالم الأسدي ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عنه ، قال : **سمعت الشعبي يقول : كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة .**

قال : أين تريد ؟ قال العراق . ومعه طَوامير [2] ، وكتب ، فقال : لا تأتهم ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم .

فقال إن الله خير نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنكم بضعة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والله لا يليها أحد منكم أبداً وما صرفها عنكم إلا للذي هو خيرٌ لكم [3] فارجعوا ، فأبى وقال هذه كتبهم وبيعتهم .

قال : فاعتنقه ابن عمر وقال : أستودعك الله من قتيل [4] .

وقد وقع ما فهمه عبد الله بن عمر من ذلك سواء ، من أنه لم يَلِ أحدٌ من أهل البيت الخلافة على سبيل الاستقلال ويتم له الأمر ، وقد قال ذلك عثمان بن عَفان ، وعلي بن أبي طالب : إنه لا يلي أحد من أهل البيت أبداً .

---

(١) المطبوعة : يضرب .

(٢) الطوامير : الصحف .

(٣) غير أ : إلى الذي هو خير منكم .

(٤) ذكره البيهقي في الدلائل برقم ٦ / ٤٧٠ .

ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ فى كتابة الفتن والملاحم .

قلت : وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالديار المصرية ، فإن أكثر العلماء على أنهم أدعياء وعلى بن أبى طالب ليس من أهل البيت ، ومع هذا لم يتم له الأمر كما كان للخلفاء الثلاثة قبله ، ولا اتسعت يده فى البلاد كلها ، ثم تنكّدت عليه الأمور .

وأما ابنه الحسن ـ رضى الله عنه ـ فإنه لما جاء فى جيوشه وتصافى هو وأهل الشام، ورأى أن المصلحة فى ترك الخلافة ، تركها لله ـ عز وجل ـ ، وصيانة لدماء المسلمين ـ أثابه الله ورضى عنه ـ.

وأما الحسين ـ رضى الله عنه ـ فإن ابن عمر لما أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفه ، اعتنقه مودعاً وقال: أستودعك الله من قتيل .

وقد وقع ما تفرَّسه ابن عمر ، فإنه لما استقل ذاهباً بعث إليه عبيد الله بن زياد بكتيبة فيها أربعة آلاف يتقدمهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص وذلك بعد ما استعفاه فلم يُعْفه فالتقوا بمكان يقال له كَرْبَلاء بالطفّ ، فالتجأ الحسين بن على وأصحابه إلى مَقْصَبَة هنا لك وجعلوها منهم بظَهر ، وواجهوا أولئك ، وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث : إما أن يدعوه يرجع من حيث جاء ، وإما أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه ، أو يتركوه حتى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده فى يده . فيحكم فيه بما يشاء .

فأبوا عليه واحدةً منهن وقالوا : لا بد من قدومك على عبيد الله بن زياد فيرى فيك رأيه .

فأبى أن يَقْدَم عليه أبداً ، وقاتلهم دون ذلك ، فقتلوه ـ رحمه اللّه ـ، وذهبوا برأسه إلى عبيد اللّه بن زياد فوضعوه بين يديه ، فجعل يَنْكت بقَضيب فى يده على ثناياه ، وعنده أنس ابن مالك جالس فقال له : يا هذا ، ارفع قضيبك ، قد طال ما رأيتُ رسول اللّه يقبل هذه الثنايا !

ثم أمر عبيدُ اللّه بن زياد أن يُسَار بأهله ومن كان معه إلى الشام ، إلى يزيد بن معاوية ويقال إنه بعث معهم بالرأس حتى وضع بين يدى يزيد فأنشد حينئذ قول بعضهم :

نُفَلّق هاماً من رجال أعزةٍ   علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمَا

ثم أمر بتجهيزهم إلى المدينة النبوية ، فلما دخلوها تلَّقتهم امرأة من بنات عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعة كفَّها على رأسها تبكي وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعِترتي وبأهلي بعد مُفْتَقَدي ... منهم أسارى وقَتْلى ضُرِّجوا بدمِ

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بشرٍّ في ذوي رحمي

وقد أوردنا هذا مفصلا في موضعه . وقد رثاه الناس بمراث كثيرة ومن أحسن ذلك ما أورده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وكان فيه تشيع :

جاءوا برأسك يابن بنت محمد ... متزمِّلا بدمائه تزميلاً

فكأنما بك يابن بنت محمد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا ... في قتلك التنزيل والتأويلاً

ويكبِّرون بأن قُتِلتَ وإنما ... قتلوا بك التكبيرَ والتهليلا

★★★

ذكر الإخبار عن وقعة الحرّة التى كانت فى زمن يزيد أيضا

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى إبراهيم بن المنذر ، حدثنى ابن فُلَيح ، عن أبيه ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المعافرى ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج فى سفر من أسفاره ، فلما مر بحَرّة زهرة وقف فاسترجع ، فساء ذلك من معه ، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ما الذى رأيت ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: أما أن ذلك ليس من سفركم هذا . قالوا فما هو يا رسول الله ؟ قال : يقْتل بهذه الحرة خيار أمتى بعد أصحابى [(١)] .

هذا مرسل .

وقد قال يعقوب بن سفيان : قال وهب بن جرير : قالت جُوَيرية : حدثنى ثَوْر بن زيد ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء تأويل هذة الآية على رأس ستين سنة ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ﴾ [(٢)] . قال : لأعطوها ، يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وتفسير الصحابى [(٣)] فى حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

وقال نعيم بن حماد فى كتاب الفتن والملاحم : حدثنا أبو عبد الصمد العَمّى ، حدثنا أبو عمران الجَونى ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا أبا ذر أرأيت أن الناس قُتلوا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء ، كيف أنت صانع ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال : تدخل بيتك ، قال قلت : فإن أتى علىّ ؟ قال : يأتى من أنت منه . قال قلت : وأحمل السلاح ؟ قال ؟ إذاً تشرك معهم . قال قلت فكيف أصنع يا رسول الله ؟ قال : إن خفت أن يبهرك شعاع السيف فألق طائفة من ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه [(٤)] .

---

(١) (ضعيف الإسناد) فهو مرسل وهو نوع من الضعيف .

(٢) (صحيح) ذكره البيهقى فى الدلائل ٦ / ٤٧٣ .

(٣) أ : البخارى . وهو خطأ .

(٤) (صحيح) رواته ثقات .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن مرحوم - هو ابن عبد العزيز - عن أبى عمران الجَوْنى ، فذكره مطولا .

قلت : وكان سبب وقعة الحرة أن وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم ، وأطلق لأميرهم - وهو عَبد اللّه بن حنظلة بن أبى عامر - قريباً من مائة ألف ، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح فى شربة الخمر ، وما يتبع ذلك من الفواحش التى من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها ، بسبب السُّكر ، فاجتمعوا على خَلْعه فخلعوه عند المنبر النبوى .

فلما بلغه ذلك بعث إليهم سَرِيَّة ، يَقْدُمها رجل يقال له مسلم بن عقبة ، وإنما يسميه السلف : مُسْرف بن عقبة ، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام ، فقتَل فى غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها ، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل فى غضون ذلك ألف بِكْر فالله أعلم .

وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك : قُتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن ، حسبت أنه قال : وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - فى خلافة يزيد .

قال يعقوب بن سفيان : سمعت سعيد بن كثير بن عُفير الأنصارى يقول : قتل يوم الحرة عبد الله بن زيد المازنى ومَعْقل بن سفيان الأشجعى ، ومُعاذ بن الحارث القارئ وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر .

قال يعقوب وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث قال : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين ، ثم انبعث مسرف بن عقبة إلى مكة قاصداً عبدَ اللّه بن الزبير ليقتله بها ، لأنه فر من بيعة يزيد .

فمات يزيد بن معاوية فى غضون ذلك ، واستفحل أمر عبد الله بن الزبير فى الخلافة بالحجاز ، ثم أخذ العراق ومصر ، وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد ، وكان رجلا صالحاً ، فلم تطل مدته ، مكث أربعين يوماً ، وقيل عشرين يومًا ، ثم مات - رحمة الله - .

فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها ، فبقى تسعة أشهر ثم مات ، وقام بعده ابنه

عبد الملك ، فنازعه فيها عبد الله بن سعيد بن الأشدق ، وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان ، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك ، فضاق به ذرعاً ، ولم يزل به حتى أخذه بعد ما استفحل أمره بدمشق فقتله فى سنة تسع وستين ، ويقال : فى سنة سبعين .

واستمرت أيام عبد الملك حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفى عن أمره بمكة ، بعد محَاصرة طويلة اقتضت أن نُصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ إلى الحرم ، فلم يزل به حى قتله ، ثم عهد بالأمر إلى بنيه الأربعة بعده الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام بن عبد الملك .

* * *

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود ويحيى بن أبى بُكَير ، حدثنا كامل أبو العلاء ، سمعت أبا صالح وهو مولى ضُبَاعة المؤذّن واسمه مينا ـ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **تعوَّذوا بالله من رأس السبعين ، وإمارة الصبيان** ، وقال : **لا تذهب الدنيا حتى يظهر اللكع ابن لِكع** ، **وقال الأسود : يعنى اللئيم بن اللئيم** [1] .

وقد روى الترمذى من حديث أبى كامل ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **عمر أمتى من ستين سنة إلى سبعين سنة** [2] .

ثم قال : حسن غريب .

وقد روى الإمام أحمد عن عفان وعبد الصمد ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيدحدثنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **ليَنْعقَن ـ وقال عبد الصمد فى روايته ليَرْعَقَنَّ ـ جبار بن جبابرة بنى أميه على منبرى هذا ، زاد عبد الصمد حتى يسيل رُعافه** [3] .

---

(١) (صحيح) وهو فى المسند برقم ٨٣٠٣ .

(٢) (صحيح) وهو فى المسند برقم ٩٦٥٦ .

(٣) (ضعيف) .

قال فحدثنى مــن رأى عـمرو بن سعيد بن العاص : يرعـف على منبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى سال رعافه .

قلت : على بن زيد بن جُدْعان فى روايته غرابة ونكارة وفيه تشيع ، وعمرو بن سعيد هذا ، يقال له الأشدق ، كان من سادات المسلمين وأشرافهم ، [فى الدنيا لا فى الدين] (١) وروى عن جماعة من الصحابة ، منهم فى صحيح مسلم عن عثمان فى فضل الطهور وكان نائباً على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد بعده ، ثم استفحل أمره حتى كان يصاول عبد الملك بن مروان ، ثم خدعه عبد الملك حتى ظفر به فقتله فى سنة تسع وستين ، أو سنة سبعين فالله أعلم .

وقد روى عنه من المكارم أشياء كثيرة من أحسنها أن [أباه] لما حضرته الوفاة قال لبنيه وكانوا ثلاثة ، عمراً هذا ، وأمية ، وموسى ، فقال لهم : من يتحمل ما علىّ؟ فبدر ابنه عمرو هذا وقال : أنا يا أبة ، وما عليك ؟ قال : ثلاثون ألف دينار ، قال : نعم ، قال : وأخواتك لا تزوجهن إلا بالأكفاء ولو أكلن خبز الشعير . قال : نعم . قال وأصحابى من بعدى ، إن فقدوا وجهى فلا يفقدوا معروفى قال : نعم . قال : أما لئن قلت ذلك ، فلقد كنت أعرفه انه من حماليق وجهك وأنت فى مهدك .

***

وقـد ذكر البيهقى مــن طريق عبـد الله بن صــالح ـ كاتب الليث ـ عـن حرملة بن عـمران ، عن يزيد بن أبى حـبيب ، أنه سـمعه يحدث عن محـمد بن يزيد بن أبى زياد الثقفى ، قال : **اصطحب قيس بن حرشة وكعب حتى إذا بلغا صفين ، وقف كعب الأحبار فذكر كلامه فيما يقع هناك من سفك دماء المسلمين ، وأنه يجد ذلك فى التوراة ، وذكر عن قيس بن حرْشَة أنه بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يقول الحق ، وقال : يا قيس بن حـــرشة عسى أن يمدبك الدهر أن يليك بعدى من لا تستطيع أن تقول بالحـــق معهم ، فقال : والله لا أبايعك على شئ إلا وفَيْت لك بـه . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا لا يضرك بشر .**

---

(١) من ت .

فبلغ قيس إلى أيام عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان ،فنقم عليه عبيد الله فى شئ فأحضره فقال : أنت الذى زعم أنه لا يضرّك بشَر ؟ قال : نعم قال : لتعلمن اليوم أنك قد كذبت ، ائتونى بصاحب العذاب .قال : فمال قيس عند ذلك فمات (١) .

معجزة أخرى

روى البيهقى من طريق الدّرَاوَرْدى ، عن ثور بن يزيد ، عن موسى بن ميسرة أن بعض بنى عبد الله سايره فى بعض طريق مكة ، قال : حدثنى العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حاجة ،فوجد عنده رجلا فرجع ولم يكلمه من أجل مكان الرجل .

فلقى العباسُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بذلك ،فقال : ورآه ؟ قال : نعم . قال : أتدرى من ذلك الرجل ؟ ذاك جبريل ، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما (٢) .

وقد مات ابن العباس سنة ثمان وستين بعد ما عمى ـ رضى الله عنه ـ .

وروى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان ، حدثتنا سيابة بنت بريد ، عن حمادة ، عن أنَيسْة بنت زيد بن أرقم ، عن أبيها ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على زيد يَعُوده فى مرض كان به ،قال : ليس عليكَ من مرضك بأس ، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدى فعميتَ ؟ قال : إذاً أحتسب وأصبر .قال : إذاً تدخل الجنة بغير حساب . قال : فعمى بعد ما مات رسول الله ، ثم ردَّ الله عليه بصره ، ثم مات (٣) .

فصل

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ، وعند مسلم عن جابربن سمرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : إن بين يدى الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً ، كلهم يزعم أنه نبى.

وقال البيهقى عن المالينى ، عن أبى عدى ، عن أبى يعلى الموصلى : حدثنا عثمان بن

(١) (ضعيف) لأجل محمد بن يزيد بن أبى زياد .
(٢) (ضعيف) لأجل جهالة الراوى وهو فى الدلائل ٦ / ٤٧٨ .
(٣) (ضعيف) لأجل النساء المجهولات أنيسة وحماده وبناته .

أبى شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدى ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله ابن الزبير ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا ، منهم مسيلمة ، والعنسى ، والمختار . وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف** (١) .

قال ابن عدى : محمد بن الحسن له إفرادات ، وقد حدث عنه الثقاة ، ولم أرَ بتحديثه بأسا . وقال البيهقى : لحديثه فى المختار شواهد صحيحة .

ثم أورد من طريق أبى داود الطيالسى ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن أبى نوفل ، عن أبى عقرب ، عن أسماء بنت أبى بكر ، **أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثنا أن فى ثقيف كذاباً ومُبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه** (٢) .

قال : ورواه مسلم من حديث الأسود بن شيبان ، وله طرق عن أسماء وألفاظ سيأتى إيرادها فى موضعه .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم وأبو سعيد ، عن الأصمّ ، عن عباس الدراوردى ، عن عبيد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سُفيان بن عيينة عن أبى المحيا ، عن أمه قالت : لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبى بكر فقال : يا أمه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟ فقالت لست لك بأم ، ولكنى أم المصلوب على رأس الثّنية ، ومالى من حاجة ولكن أنتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يقول يَخرج من ثَقيف كَذَّاب ومُبِير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : مُبِير المنافقين .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شَريك ، عن أبى علوان ـ عبد الله بن عصمة ـ عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **إن فى ثقيف كذاباً ومبيراً وقد تواتر خبر المختار بن أبى عبيد الكذاب الذى كان نائباً على العراق وكان يزعم أنه نبى وأن جبريل كان يأتيه بالوحى ، وقد قيل لابن عمر وكان زوج أخت المختار صَفيّه : إن المختار يزعم أن**

---

(١) فى إسناده ضعف لأجل محمد الأسدى .

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد بن حنبل وهو فى الدلائل ٦ / ٤٨١ .

الوحى يأتيه . قال : صدق ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾.

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا قُرّة بن خالد ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن رفاعة ابن شَدَّاد ، قال : كنت ألصقَ شيء بالمختار الكذاب ، قال : فدخلت عليه ذات يوم فقال دخلتَ وقد قام جبريل قبلُ من هذا الكرسى ، قال : فأهويت إلى قائم السيف لأضربه حتى ذكرت حديثاً حدَّثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **إذا أَمِنَ الرجل الرجلَ على دمه ثم قتله رُفِع له لواء الغدر يوم القيامة . فكففت عنه** (1) .

وقد رواه أسباط بن نصر وزائدة والثورى عن إسماعيل السُّدى عن رفاعة بن شداد القبانى . فذكر نحوه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحمَيْدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن مجالد ، عن الشَّعبى ، قال : فاخرتُ أهل البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة ، والأحنف ساكت لا يتكلم ، فلما رآنى غلبتُهم أرسل غلاماً له فجاء بكتاب فقال : اقرأ : فقرأته فإذا فيه : من المختار لله يذكر أنه نبى ، يقول الأحنف : أنَّ فينا مثل هذا ؟ .

وأما الحجاج بن يوسف فقد تقدم الحديث أنه الغلام المبير الثقفى وقد ذكرنا ترجمته فى أيامه ، فإنه كان نائباً على العراق لعبد الملك بن مروان ، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك ، وكان من جبابرة الملوك ، على ما كان فيه من الكرم والفصاحة على ما ذكرناه .

وقد قال البيهقى : حدثنا الحاكم ، عن أبى نصر الفقيه ، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، أن معاوية بن صالح حدثه عن شريح بن عبيد ، عن أبى عذبة قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق قد حصَبوا أميرهم ، فخرج غضبان فصلى لنا الصلاة فَسَهَا فيها حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله . فلما سلَّم أقبل على الناس فقال : مَن هاهنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثا أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استَعدّوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باضَ فيهم وفرخ ، اللهم إنهم قد لبسوا علىَّ فألبس عليهم [وعَجِّل عليهم] (2) بالغلام الثقفى يحكم فيهم

---

(1) (صحيح) أخرجه النسائى وذكره الألبانى فى الصحيحة والدلائل ٦ / ٤٨٣ .

(2) من أ .

بحكم أهل الجاهلية ، لا يَقْبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم .

قال عبد الله : وحدثنى ابن لَهِيعة بمثله ، فقال : وُلِد الحجاج يومئذ .

ورواه الدارمى أيضا عن أبى اليمان عن جرير بن عثمان ، عن عبد الرحمن [١] بن ميسرة ، عن أبى عذبة الحمصى ، عن عمر فذكر مثله ، قال أبو اليمان : علم عمر أن الحجاج خارج لا محالة ، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة ، قلت : فإن كان هذا نقله عمر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد تقدم له شاهد عن غيره ، وإن كان عن تحديث ، فكرامة الولى معجزة لنبيه .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا جعفر ـ يعنى ابن سليمان ـ عن مالك بن دينار ، عن الحسن قال : قال على لأهل الكوفة : اللهم كما ائتمنتهم فخانونى ، ونصحتُ لهم فغشونى ، فسلط عليهم فتى ثَقيف الذَّيال الميال ، يأكل خَضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية ، قال : يقول الحسن [٢] : وما خلق الله الحجاج يومئذ .

وهذا منقطع ، وقد رواه البيهقى أيضا من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن على بن أبى طالب أنه قال : الشاب الذيال أمير المصْرين ، يلبس فروتها ، ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه العرق ، ويكثرَ منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وله من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العوَّام بن حَوْشَب ، حدثنى حبيب بن أبى ثابت قال : **قال على : لا مُتُّ حتى تدرك فتى ثقيف . فقيل : يا أمير المؤمنين وما فتى ثقيف ؟ فقال : ليقالن له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصيةً إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل [٣] بمن أطاعه من عصاه [٤] .**

(١) ت : عبد الملك .
(٢) المطبوعة : فتوفى الحسن .
(٣) غير أ : يفتن .
(٤) (ضعيف الإسناد) .

وهذا معضل ، وفى صحته عن نظر . والله أعلم .

وقال البيهقى عن الحاكم ، عن الحسين بن الحسن بن أيوب ، عن أبى حاتم الرازى عن عبد الله بن يوسف التِّنيسى [1] ، حدثنا هشام بن يحيى الغَسَّانى ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم .

وقال أبو بكر بن عَيَّاش عن عاصم ، عن أبى النَّجُود : ما بقيت لله حُرْمة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقال عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن ابن طاووس أن أباه لما تحقق موتَ الحجاج تلا قوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قلت : وقد توفى الحجاج سنة خمس وتسعين .

ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز تاج بنى أمية

قد تقدم حديث أبى إدريس الخَوْلانى ، عن حذيفة قال : **سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخَن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستَنُّون بغير سُنَّتى ، ويهدون بغير هديى ، يُعْرف منهم ويُنكر** [2] ، الحديث [3] .

فحمل البيهقى وغيره هذا الخبر الثانى على أيام عمر بن عبد العزيز .

وروى عن الحاكم عن الأصم ، عن العباس بن الوليد بن مَرْثَد ، عن أبيه قال : سئل الأوزاعى عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الشر الذى يكون بعد ذلك الخير ، فقال الأوزاعى : هى الردة التى كانت بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وفى مسألة حذيفة ، فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخَن .

---

(1) المطبوعة الثنينى ، وهو تحريف . وهو شيخ البخارى الثقة ، نسب إلى تنيس مدينة بمصر ، توفى سنة ٢١٨ . ميزان الاعتدال ٢ / ٥٢٨ .

(2) البخارى : نعرف منهم وننكر .

(3) (صحيح) متفق عليه .

قال الأوزاعي : فالخير الجماعة ، وفي ولاتهم من يعرف سيرته ، وفيهم من تُنْكر سيرته ، قال : فلم يأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قتالهم ما صَلوا الصلاةَ [١]

وروى أبو داود الطيالسى ، عن داود الواسطى ، وكان ثقة ، عن حبيب بن سالم عن نعمان بن سالم ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إنكم في النبوة ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها لكم إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .

قال : فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان ، فكتبت إليه أذكره الحديث وكتبت [٢] إليه أقول : إني أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية .

قال : فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسُرَّ به وأعجبه [٣] .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا رَوح بن عبادة عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قَتادة قال : قال عمر بن عبد العزيز : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [في النوم] [٤] وعنده [أبو بكر و] [٥] عمر وعثمان وعلى ، فقال لي : ادنُ ، فدنوت حتى قمت بين يديه ، فرفع بصره إليّ وقال : أمَا إنك ستَلِي أمرَ هذه الأمة وستَعْدل عليهم [٦] .

وسيأتي في الحديث الآخر إن شاء الله أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها [أمْر] [٧] دينها . وقد قال كثير من الأئمة أنه عمر بن عبد العزيز ، فإنه تولّى سنة إحدى ومائة .

وقال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن على المقرى ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جُوَيرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بلَغنا أن عمر بن الخطاب

---

(١) الدلائل ٦ / ٤٩١ .
(٢) المطبوعة . وكتبته .
(٣) (صحيح) رجاله ثقات .
(٤) من أ .
(٥) سقطت من المطبوعة .
(٦) (ضعيف) .
(٧) من أ .

قال : إن من ولدى رجلا بوجهه شَيْن يَلِى فيملأ الأرض عدلاً (١) .

قال نافع من قِبَله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز .

وقد رواه نعيم بن حماد عن عثمان بن عبد الحميد به ، ولهذا طرق عن ابن عمر أنه كان يقول : ليت شعرى ، من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟

وقد روى ذلك عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، عن سعيد بن المسيَّب نحواً من هذا .

وقد كان هذا الأمر مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلّية ، أنه يلى رجل من بنى أمية يقال له : أشجّ بنى مروان ، وكانت أمه أرْوَى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائباً لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يكرم عبد الله بن عمر ، ويبعث إليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها و وبعث إليه مرة بألف دينار فأخذها ، وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوماً إلى اصطبل أبيه وهو صغير ، فرمَحه فرس فشجه فى جبينه ، فجعل أبوه يَسْلت عنه الدم ويقول : أمَا لئن كنت أشجَّ بنى مروان إنك إذاً لسعيد .

وكان الناس يقولون : الأشج والناقص أعدلا بنى مروان ، فالأشج هو عمر بن عبد العزيز ، والناقص هو يزيد بن عبد الملك ، الذى يقول فيه الشاعر :

رأيت اليزيد بن الوليد مباركاً   شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

قلت : وقد ولى عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفاً ، فملأ الأرض عدلا ، وفاض المال حتى كان الرجل يُهمه لمن يُعْطى صدقته .

وقد حمل البيهقى الحديث المتقدم عن عَدِىّ بن حاتم ، على أيام عمر بن عبد العزيز ، وعندى فى ذلك نظر ، والله أعلم .

وقد روى البيهقى من حديث إسماعيل بن أبى أوَيس : حدثنى أبو مَعْن الأنصارى حدثنا أسَيد قال : **بينما عمر بن عبد العزيز يمشى إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة**

---

(١) الدلائل ٦/ ٤٩٢ .

فقال : على بمحفار . فقالوا : نكفيك ـ أصلحك الله ـ . قال : لا . ثم أخذه ثم لفه فى خرقة ودفنه ، فإذا هاتف يهتف : رحمة الله عليك يا سرّق ، فقال له عمر بن عبد العزيز : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن وهذا سرق ، ولم يبق ممن بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيرى وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : تموت يا سرّق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتى [1] .

وقد روى هذا من وجه آخر وفيه : أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيه أن عمر بن عبد العزيز حلّفه ، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز . وقد رجحه البيهقى وحسّنه ، فالله أعلم .

حديث آخر

فى صحته نظر ، فى ذكر وهب بن منبه بالمدح ، وذكر غيلان بالذم

روى البيهقى من حديث هشام بن عمار وغيره عن الوليد بن أسلم [2] ، عن مروان بن سالم البرقانى ، عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يكون فى أمتى رجل يقال له : وهب ، يهب الله له الحكمة ، ورجل يقال له : غَيْلان ، هو أضرّ علىّ أمتى من إبليس [3] .

هذا لا يصح ، لأن مروان بن سالم هذا متروك .

وبه إلى الوليد : حدثنا ابن لَهيعة ، عن موسى بن وردان ، عن أبى هريرة قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ينعق الشيطان نعقة يكذب ثلثاهم بالقدر [4] .

قال البيهقى : وفى هذا وأمثاله إشارة إلى غيلان وما ظهر بالشام بسببه من التكذيب بالقدر حتى قُتِل .

(١) (ضعيف) .
(٢) ت : ابن مسلم .
(٣) (ضعيف) جداً .
(٤) (ضعيف) .

الإشارة إلى محمد بن كعب القرظى
وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حَرْملة عن ابن وهب : أخبرنى أبو صخر ، عن عبد الله بن مغيث ، بن أبى بُردة الظفرى عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى أحد الكاهنين رجل قد دَرّس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده .

وروى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن إسماعيل القاضى ، حدثنا أبو ثابت حدثنا ابن وهب ، حدثنى عبد الجبار بن عمر ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يكون فى أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره : فكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظى .

قال أبو ثابت : الكاهنان : قريظة والنضير .

وقد روى من وجه آخر مرسلاً : يخرج من الكاهنين رجل أعلم الناس بكتاب الله وقد قال عون بن عبد الله : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب .

ذكر الإخبار بانخرام قرنه ـ ﷺ ـ بعد مائة سنة من ليلة إخباره وكان كما أخبر

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سالم وأبى بكر بن سليمان بن أبى خيثمة عن عبد الله بن عمر قال : صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة العشاء ليلة فى آخر عمره ، فلما سلم قام فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد .

قال عمر : فوهَل الناس من مقالة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إلى ما يحدِّثون من هذه الأحاديث من مائة سنة ، وإنما يريد بذلك أنها تَخرَمْ[1] ذلك القرن ، وفى رواية : إنما أراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انخرام قَرْنه .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : **سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول قبل موته بشهر : يسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله ، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة اليوم ، يأتى عليها مائة سنة .**

وهذا الحديث وأمثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة إلى أن الخضر ليس بموجود الآن ، كما قدمنا ذلك فى ترجمته فى قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وهو نص على أن جميع الأحياء فى الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره ـ عليه السلام ـ ، وكذا وقع سواء فما نعلم تأخُّر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة ، وكذلك جميع الناس .

ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم فى كل مائة سنة ، وليس فى الحديث تعرّض لهذا ، والله أعلم .

حديث آخر

قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى شُرَيح بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهانى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن بُسْر ، قال : **وضع رسول الله ـ صلى الله عليه**

---

(١) **تخرم** : تقطع .

وسلم ـ يده على رأسي وقال : هذا الغلام يعيش قرناً . قال : فعاش مائة سنة [(١)] .

وقد رواه البخاري في التاريخ عن أبي حَيْوة شُرَيح بن يزيد به فذكره ، قال : وزاد غيره : وكان في وجهه ثُؤلول [(٢)] فقال : ولا يموت حتى يذهب الثؤلول من وجهه ، فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه .

وهذا إسناد على شرط السُّنن ، ولم يخرجوه .

ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، عن الفضل ابن محمد [(٣)] الشعراني ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألْهاني ، عن أبيه عن عبد الله بن بُسْر ، **أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : يعيش هذا الغلام قرناً . فعاش مائة سنة** [(٤)] .

قال الواقدي وغير واحد : توفي عبد الله بن بسر بحمص سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالشام .

ذكر الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد

وإن صح فهو الوليد بن يزيد ، لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع السعيد

قال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن العباس السَّكْسكي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيِّب قال : **ولد لأخي أم سلمة** [(٥)] **غلام فسموه الوليد ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فجعلتم تسمون بأسماء فراعينكم ، إنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له : الوليد ، هو أضر على أمتي من فرعون على قومه** [(٦)] .

قال أبو عمر الأوزاعي : فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأينا أنه الوليد

---

(١) (حسن) .
(٢) الثؤلول : البثر الصغير .
(٣) المطبوعة : محرز .
(٤) (صحيح) .
(٥) ت : أم سليم .
(٦) (مرسل) الدلائل ٦ / ٥٠٥ .

ابن يزيد ، لفتنة الناس به ، حتى خرجوا عليه فقتلوه ، وانفتحت على الأمة الفتنة والهرج .

وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصم ، عن سعيد بن عثمان التَّنُوخى ، عن بشر بن بكر ، عن الأوزاعى ، عن الزُّهرى ، عن سعيد ، فذكره ولم يذكر قول الأوزاعى ، ثم قال : وهذا مرسل حسن .

وقد رواه نُعيم بن حماد ، عن الوليد بن مسلم به ، وعنده قال الزهرى : إن استخلف الوليد بن يزيد ، فهو هو ، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا هُشَيم ، عن أبى حمزة ، عن الحسن قال : **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : سيكون رجل اسمه الوليد ، يُسدّ به ركن من أركان جهنم وزاوية من زواياها** (١) .

وهذا مرسل أيضاً .

حديث آخر

قال سليمان بن بلال ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رجلا ، اتخذوا دين الله دَغَلا ، وعباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُولاً (٢) .

رواه البيهقى من حديثه .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا بقية بن الوليد وعبد القدوس ، عن أبى بكر بن أبى مريم ، عن راشد بن سعد ، عن أبى ذر قال : **سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إذا بلغت بنو أمية أربعين ، اتخذوا عباد الله خَوَلا ، ومال الله نُحلاً وكتابَ الله دَغلاً** (٣) .

وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبى ذر .

---

(١) مرسل ذكره البيهقى فى الدلائل ٦ / ٥٠٧ .

(٢) دغلا : دخلا وفسادا . وخولا : خدما . ودولا : أخذوه بالدول ، أى جعلوه فيهم .

(٣) (ضعيف) .

وقال إسحاق بن راهوية : أخبرنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله - ﷺ - : إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دغلا ، ومال الله دُوَلا ، وعباد الله خولا .

ورواه أحمد عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير به .

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا بسام - وهو محمد بن غالب - حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبى قَبيل ، أن ابن وهب أخبره أنه كان عند معاوية بن أبى سفيان فدخل عليه مروان فكلمه فى حاجته فقال : اقض حاجتى يا أمير المؤمنين ، فوالله إن مؤنتى لعظيمة ، وإنى لأبو عشرة وعمّ عشرة ، وأخو عشرة .

فلما أدبر مروان - وابن عباس جالس مع معاوية على السرير - قال معاوية : أنشدك بالله يابن عباس ، أما تعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دُوَلا ، وعبادَ الله خَولاً ، وكتاب الله دغلا ؟ فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لَوْك ثمرة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم (١) .

قال : وذكر مروان حاجة له فردَّ مروان عبدَ الملك إلى معاوية فكلمه فيها ، فلما أد عبد الملك قال معاوية : أنشدك بالله يا بن عباس ، أمَا تعلم أن رسول الله - صلى الله علي وسلم - ذكر هذا فقال : أبو الجبابرة الأربعة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة ، وابن لَهيعة ضعيف .

وقد قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سعيد بن زيد ، أخو حماد بن زيد ، عن على بن الحكم البُنَانى ، عن أبى الحسن ، عن عمرو بن مُرّة ، وكانت له صحبة ، قال : جاء الحكم بن أبى العاص يستأذن النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فعرف كلامه فقال : ائذنوا له ، حَيّة ، أو ولد حية ، عليه لعنة الله ، [وعلى من يخرج من صُلْبه إلا المؤمنين ، وقليل ما هم ، إنهم ليترفون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة] (٢) ذوو مكر وخديعة ، يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق (٣) .

---

(١) (ضعيف الإسناد) . (٢) ليس فى أ . (٣) الدلائل ٦ / ٥١٢ .

قال الدارمى : أبو الحسن هذا حمْصى .

وقال نعيم بن حماد فى الفتن والملاحم : حدثنا عبد الله بن مروان المروانى ، عن أبى بكر بن أبى مريم ، عن راشد بن سعد ، **أن مروان بن الحكم لما ولِد دُفع إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليدعو له ، فأبى أن يفعل ثم قال : ابن الزرقاء ، هلاك أمتى على يديه ويدى ذريته** (1) .

وهذا حديث مرسل .

ذكر الإخبار عن خلفاء بنى أمية جملة من جملة والإشارة إلى مدة دولتهم

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أحمد بن محمد أبو محمد الزَّرْقى ، حدثنا الزّنْجى ـ يعنى مسلم بن خالد ـ ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة **أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : رأيت فى المنام بنى الحكم ـ أو بنى أبى العاص ـ ينزون على منبرى كما تنزو القردة ، قال : فما رُئى**(2) **رسول الله مستجمعاً ضاحكاً حتى توفى**(3) .

وقال الثورى : عن على بن زيد بن جُدْعان ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك ، فأوحى إليه : إنما هى دنيا أعطوها . فقرّت به عينه وهى قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ يعنى بلاء للناس . علىّ بن زيد بن جدعان ضعيف ، والحديث مرسل أيضاً .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا القاسم بن الفضل ـ هو الحدانى ـ حدثنا يوسف ابن مازن الراسبى ، قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية ، فقال يا مسوِّد وجوه المؤمنين . فقال الحسن : لا تؤنّبنى ـ رحمك الله ـ ، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا ، فساءه ذلك فنزلت : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ـ يعنى نهراً فى الجنة ـ ونزلت : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

(1) (ضعيف) .
(2) المطبوعة : رآنى . وهو خطأ .
(3) (ضعيف الإسناد) .

الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يَمْلكه بنو أمية .

قال القاسم : فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً .

وقد رواه الترمذى وابن جرير الطبرى ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى دلائل النبوة ، كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحُدَّانى[1] وقد وثقَّه يحيى بن سعيد القَطَّان ، وابن مهدى ، عن يوسف بن سعد ، ويقال : يوسف بن مازن الراسبى ، وفى رواية ابن جرير : عيسى بن مازن ، قال الترمذى : وهو رجل مجهول ، وهذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

فقوله : إن يوسف هذا مجهول ، مُشْكل ، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال ، فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم حماد بن سلمة ، وخالد الحذّاء ، ويونس بن عُبَيد ، وقال يحيى بن مَعين : هو مشهور ، وفى رواية عنه قال : هو ثقة . فارتفعت الجهالة عنه مطلقاً قلت : ولكن فى شهوده قضية الحسن ومعاوية نظر ، وقد يكون أرسلها عمن لا يعتمد عليه ، والله أعلم .

وقد سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّى - رحمه الله - عن هذا الحديث فقال : هو حديث مُنْكَر .

وأما قول القاسم بن الفضل - رحمه الله - : إنه حَسَب دولة بنى أمية فوجدها ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقصه ، فهو غريب جداً ، وفيه نظر ، وذلك لأنه لا يمكن إدخال دولة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ، وكانت اثنتا عشرة سنة ، فى هذه المدة ، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى ، وذلك أنها ممدوحة لأنه أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضَوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

وهذا الحديث إنما سيق لذم دولتهم . وفى دلالة الحديث على الذم نظر ، وذلك أنه دل على أن ليلة القدر خير من ألف شهر التى هى دولتهم ، وليلة القدر ليلة خيّرة ، عظيمة المقدار والبركة ، كما وصفها الله تعالى به . فما يلزم من تفضيلها على دولتهم ذمُّ دولتهم فليتأمل هذا فإنه دقيق يدل على أن الحديث فى صحته نظر ، لأنه إنما سِيق لذم أيامهم والله تعالى أعلم .

(١) الأصل : الحذاء . وهو تحريف .

وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ ولى معاوية حين تسلمها من الحسن بن على ، فقد كان ذلك سنة أربعين ، أو إحدى وأربعين ، وكان يقال له : عام الجماعة ، لأن الناس كلهم اجتمعوا على إمام واحد .

وقد تقدم الحديث فى صحيح البخارى عن أبى بكرة أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول للحسن بن على : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فكان هذا فى هذا العام ، ولله الحمد والمنة . واستمر الأمر فى أيدى بنى أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، حتى انتقل إلى بنى العباس ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة ، وهذا لا يطابق ألف شهر ، لأن معدَّل ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

فإن قال : أنا أخرج منها ولاية ابن الزُّبير ، وكانت تسع سنين ، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة .

فالجواب أنه وإنْ خرجتْ ولايةُ ابن الزبير ، فإنه لا يكون ما بقى مطابقاً لألف شهر تحديداً ، بحيث لا ينقص يوماً ولا يزيده ، كما قاله ، بل يكون ذلك تقريباً . هذا وجه .

الثانى : أن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأهْواز والعراق فى بعض أيامه ، وفى مصر فى قول ، ولم تَنْسلب يدُ بنى أمية من الشام أصلا ، ولا زالت دولتهم بالكلية فى ذلك الحين .

الثالث : أن هذا يقتضى دخول دولة عمر بن عبد العزيز فى حساب بنى أمية ، ومقتضى ما ذكره أن تكون دولته مذمومة ، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام ، وإنهم مصرِّحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين ، حتى قرَنوا أيامه تابعة لأيام الأربعة ، وحتى اختلفوا فى أيهما أفضل ؟ هو أو معاوية بن أبى سفيان أحد الصحابة .

وقد قال أحمد بن حنبل : لا أرى قولَ أحد التابعين حجةً إلا قول عمر بن عبد العزيز فإذا عُلم هذا ، فإن أخرج أيامه من حسابه انخرم حسابه ، وإن أدخلها فيه مذمومة ، خالف الأئمة ، وهذا ما لا مَحِيد عنه .

وكل هذا مما يدل على نكارة هذا الحديث والله أعلم .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا سفيان ، عن العلاء بن أبى العباس ، سمع أبا الطفيل ، سمع عليّا يقول : لا يزال هذا الأمر فى بنى أمية ما لم يختلفوا بينهم .

حدثنا ابن وهب عن حَرْملة بن عمران ، عن سعيد بن سالم ، عن أبى سالم الجيشانى سمع عليا يقول : الأمر لهم حتى يَقتُلوا قتيلهم ، ويتنافسوا بينهم ، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلونهم بدداً إلا ملكنا أربعاً .

وقال نعيم بن حمّاد : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حصين بن الوليد ، عن الزهرى ابن الوليد ، سمعت أم الدراء ، سمعت أبا الدرداء يقول : إذا قُتل الخليفة الشاب من بنى أمية بين الشام والعراق مظلوماً ، ما لم تزل طاعة يُستخف بها ، ودم مسفوك بغير حق - يعنى الوليد بن يزيد (١) .

ومثل هذه الأشياء إنما تقال عن توقيف .

ذكر الإخبار عن دولة بنى العباس

وكان ظهورهم من خراسان بالرايات السود فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى أبو عبد الله ، عن الوليد بن هشام المُعَيْطى ، عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط ، قال : قدم عبدُ الله بن عباس على معاويةَ وأنا حاضر ، فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس هل لكم دولة ؟ فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين . فقال : لَتخبرنى .

قال : نعم ، فأخبره . قال : فَمَنْ أنصاركم ؟ قال : أهل خراسان ، ولبنى أمية من بنى هاشم بطَحات .

رواه البيهقى .

وقال ابن عَدى : سمعت ابن حماد ، أخبرنا محمد بن عبدة ابن حرب ، حدثنا سُوَيد ابن سعيد ، حدثنَا حجاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال : **مررت بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وإذا معه جبريل وأنا أظنه دِحْية الكَلْبى ، فقال جبريل**

---

(١) الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن ولم أقف عليه .

للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده السواد وذكر تمام الحديث فى ذهاب بصره ، ثم عَوْده إليه قبل موته (١) .

قال البيهقى : تفرد به حجاج بن تميم وليس بالقوى .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر [بن أحمد] (٢) ابن بالونة فى آخرين قالوا : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا يحيى بن مَعين ، حدثنا عبيد الله بن أبى قُرّة ، حدثنا اللَّيث بن سَعْد ، عن أبى قتيل (٣) ، عن أبى مَيْسرة مولى العباس قال : **سمعت العباس قال : كنت عند النبى ـ ﷺ ـ ذات ليلة فقال : انظر هل ترى فى السماء من شىء ؟ قلت : نعم ، قال : ما ترى ؟ قلت : الثريا . قال : أما إنه سيَملك هذه الأمة بعددها مِن صُلْبك** (٤) .

قال البخارى : عبيد بن أبى قرة بغدادى سمع الليث ، لا يتابَع على حديثه فى قصة العباس .

وروى البيهقى من حديث محمد بن عبد الرحمن العامرى ـ وهو ضعيف ـ عن سهيل عن أبيه ، عن أبى هريرة : **أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال للعباس : فيكم النبوة وفيكم المُلك** (٥) .

وقال أبو بكر بن خيثمة : حدثنا يحيى بن مَعين ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار عن أبى معبد ، قال : قال ابن عباس : كما فتح اللّه بأوّلنا فأرجو أن يختمه بنا .

هذا إسناد جيد ، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى إبراهيم بن أيوب ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الملك ابن حُمَيد ، عن أبى عتبة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : **سمعت ابن عباس ونحن نقول : اثنا عشر أميراً واثنا عشر ، ثم هى الساعة . فقال ابن عباس : ما**

(١) (ضعيف) الإسناد فيه حجاج بن تميم أحاديثه تدل على أنه واه أى ضعيف كما قال الذهبى .
(٢) من أ .
(٣) المطبوعة عن أبى فضيل .
(٤) (صحيح الإسناد).
(٥) (ضعيف) المتن .

أحمقكم ؟ ! إن منا أهل البيت بعد ذلك : المنصور ، والسفّاح ، والمهدى ، يرفعها إلى عيسى ابن مريم .

وهذا أيضاً موقوف ،

وقد رواه البيهقى من طريق الأعمش ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعاً : منا السفاح ، والمنصور ، والمهدى .

وهذا إسناد ضعيف ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح ، فهو منقطع والله أعلم [1] .

وقد قال عبد الرزاق ، عن الثورى عن خالد الحذاء ،عن أبى قلابة ،عن أبى أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يقتل عند كنزكم [2] هذه ثلاثه كلهم ولد خليفة ، لا يصير إلى واحد منهم ثم تقبل الرايات [السود] [3] من خراسان فيقتلونهم مقتله لم يروا مثلها ، ثم يجىء خليفة الله المهدى ،فإذا سمعتم فأتوه فبايعوه ولو حبوا على الثلج ،فإنه خليفة الله المهدى .

أخرجه ابن ماجة عن أحمد بن يوسف السُّلمى ،ومحمد بن يحيى الذهلى ،كلاهما عن عبد الرزاق به .

ورواه البيهقى من طرق عن عبد الرزاق ، ثم قال تفرد به عبد الرزاق .

قال البيهقى : ورواه عبد الوهاب بن عطاء ،عن خالد الحذاء ،عن أبى قلابة عن [أبى] أسماء موقوفا .

ثم قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ،أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب ،حدثنا كثير بن يحيى ،حدثنا شريك ،عن على بن زيد ،عن أبى قلابة ،عن أبى أسماء عن ثوبان ،قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إذا أقبلت الرايات السود من عقب خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج ،فإن فيها خليفة الله المهدى .

---

(١) (ضعيف الإسناد).

(٢) المطبوعة : كبركم .

(٣) سقطت من أ .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا عبد الله بن داهر الرازى [حدثنا أبى] (١) ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ـ ﷺ ـ ذكر فتية من بنى هاشم ، فاغرورقت عيناه وذكر الرايات ، قال : فمن أدركها فليأتها ولو حبواً على الثلج .

ثم قال : وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الحكم إلا ابن أبى ليلى ، ولا نعلم يُرْوَى إلا من حديث داهر بن يحيى وهو من أهل الرى (٢) صالح الحديث وإنما يعرف من حديث يزيد ابن أبى زياد عن إبراهيم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو هشام بن يزيد بن رفاعة ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **تجىء رايات سود من قِبَل المشرق ، تخوض الخيل الدم إلى أن يظهروا العدل ويطلبون العدل فلا يعطونه ، فيظهرون فيطلب منهم العدل فلا يعطونه .**

وهذا إسناد حسن .

وقال الإمام أحمد : حدثنى يحيى بن غيلان ، وقتيبه بن سعيد ، قالا : حدثنا رشْدين ابن سعد ، قال : يحيى بن غيلان فى حديثه قال : حدثنى يونس بن يزيد ، عَن ابن شهاب ، عن قَبِيصة ـ هو ابن ذؤيب الخزاعى ـ عن أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : يخرج من خراسان رايات سود لا يردُّها شىء حتى تُنصب بإيلياء .

وقد رواه الترمذى عن قتيبة به وقال : غريب ، ورواه البيهقى والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود ، عن رشدين (٣) بن سعد ، وقال البيهقى : تفرد به رِشْدين بن سعد وقد روى قريب من هذا عن كعب الأحبار ولعله أشبه . والله أعلم .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد ، عن أبى المغيرة عبد القدوس عن إسماعيل بن عَيَّاش ، عمن حدثه ، عن كعب الأحبار قال : تَظْهر راياتٌ سود لبنى

(١) ليست فى أ .
(٢) المطبوعة : الرأى . وهو خطأ . والنسبة إلى الرى : الرازى . وترجمته فى ميزان الاعتدال ٢ / ٣ .
(٣) المطبوعة : رشد بن سعد . وهو تحريف .

العباس حتى ينزلوا بالشام ، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وكل عدو لهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن عطية العَوْفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : يخرج عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن ، رجل يقال له : السفاح ، فيكون إعطاؤه المال حَثْواً .

ورواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الصمد ، عن أبى عوانة عن الأعمش به ، وقال فيه : يخرج رجل من أهل بيتى يقال له : السفاح . فذكره .

وهذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

* * *

فهذه الأخبار فى خروج الرايات السود من خراسان وفى ولاية السفاح ، وهوأبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وقد وقعت ولايته فى حدود سنة ثلاثين ومائة ، ثم ظهر بأعوانه ومعهم الرايات السود ، وشعارهم السواد ، كما دخل رسول الله ـ ﷺ ـ مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر وفوقه عمامة سوداء .

ثم بعث عمه عبد الله [بن على] (1) لقتال بنى أمية ، فكسرهم فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهرب من المعركة آخر خلفائهم ، وهو مروان بن محمد بن مروان ويلقب بمروان الحَمار ، ويقال له : مروان الجَعدى ، لاشتغاله على الجعد بن درهم فيما قيل ، ودخل عمه دمشق واستحوذ على ما كان لبنى أمية من الملك والأملاك والأموال ، وجرت خطوب كثيره أوردناها فى موضعها .

وقد ورد عن جماعة من السلف فى ذكر الرايات السود التى تخرج من خراسان بما تطول ذكره ، وقد استقصى ذلك نُعيم بن حماد فى كتابه ، وفى بعض الروايات ما يدل أنه لم يقع أمرها بعد ، وأن ذلك يكون فى آخرالزمان .

وقد روى عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا تقوم الساعة حتى تكون الدنيا للكع بن لكع .

---

(1) من أ .

قال أبو معمر : هو أبو مسلم الخراساني - يعني الذي أقام دولة بني العباس - والمقصود أنه تحولت الدولة من بني أمية إلى بني العباس في هذه السنة ، وكان أول قائم منهم أبو العباس السفاح ، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور باني مدينه السلام ، ثم من بعده ابنه المهدي محمد بن عبد الله ، ثم من بعده ابنه الهادي ، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد ، ثم انتشرت الخلافة في ذريته .

وقد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفا بالسفاح والمنصور والمهدي ، ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس ، ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره ، وأنه يكون في آخر الزمان ، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جَوْراً وظلماً ، وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءا على حدة ، كما أفرد له أبو داود كتاباً في سننه ، وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يُسْلم الخلافة إلى عيسى ابن مريم إذا نزل إلى الأرض ، والله أعلم .

وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون في آخر الزمان ، فيبعد أن يكون هو الذي بويع أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر ، وهذا هو الظاهر ،

فإنه قد روى نعيم بن حماد ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهيعة ، عن يزيد بن عمرو المعافري بن قدوم الحميري ، سمع تبيع [1] بن عامر يقول : يعيشُ السفاح أربعين سنةً اسمه في التوراة طائر السماء .

قلت : وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل ، ونشر القسط ، وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي ، ويكون أول ظهور بيعته بمكه ، ثم تكون أنصاره من خراسان ، كما وقع قديما للسفاح ، والله تعالى أعلم .

هذا كله تفريع على صحة الأحاديث ، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) المطبوعة تبيع .

ذكر الإخبار عن الأئمة الاثنى عشر الذين كلهم من قريش

وليس بالأثنى عشر الذين يدعون إمامتهم الرافضة فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يَلِ أمور الناس منهم إلا على بن أبى طالب وابنه الحسن ، وآخرهم فى زعمهم المهدى المنتظر فى زعمهم بسرداب سامرا وليس له وجود ، ولا عين ، ولا أثر ، بل هؤلاء من الأئمة الاثنى عشر المخبر عنهم فى الحديث ، الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة فى تفسير الاثنى عشر كما سنذكره بعد إيراد الحديث .

ثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيينة ، كلاهما عن عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **يكون اثنا عشر خليفة ، ثم قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأبى : ما قال ؟ قال : قال : كلهم من قريش .**

وقال نُعَيم[1] بن حماد فى كتاب الفتن والملاحم : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا مجالد ، عن الشعبى ، عن مَسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **يكون بعدى من الخلفاء عدةُ أصحاب موسى** [2] .

وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر وحذيفة وابن عباس وكعب الأحبار من قولهم .

وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبيه ، عن جابر بن سمرة قال : **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول لا يزال هذا الأمر قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة أو أميراً كلهم يجتمع عليهم الأمة . وسمعت كلاماً من النبى ـ ﷺ ـ لم أفهمه ، فقلت لأبى : ما يقول ؟ قال : يقول : كلهم من قريش** [3] .

(١) المطبوعة : أبو نعيم . وهو تحريف .
(٢) (ضعيف) فيه مجاهد وهو ابن سعيد الهمدانى وقد ضعفه الدارقطنى .
(٣) (ضعيف) بهذا الإسناد والحديث أخرجه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم ٣٥٩٩ وقال : صحيح .

وقـال أبو داود أيضـا : حـدثنا ابن نُفَيل ، حـدثنا زهيـر بن معـاوية ، حـدثنا زياد بن خيثمة ، حدثنا الأسود بن سعيد الهمدانى ، عن جابر بن سمرة قال : **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تزال هذه الأمة مستقيما أمرها ، ظاهرة على عدوها ، حتى يمضى اثنا عشر خليفه كلهم من قريش .**

قال : فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهَرْج (١) .

قال البيهقى : ففى الرواية الأولى بيان العدد وفى الثانية بيان المراد بالعدد ، وفى الثالثة بيان وقوع الهرج ، وهو القتل بعدهم ، وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ، كما أخبر فى هذه الرواية ، ثم ظهر ملك العباسية ، كما أشار إليه فى الباب قبله ، وإنما يزيدون على العدد المذكور فى الخبر ، إذا تركت الصفه المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه

وقد قال النبى ﷺ : **لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان** (٢) .

ثم ساقه من حديث عاصم بن محمد عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكره . وفى صحيح البخارى من طريق الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن معاوية بن أبى سفيان قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين . قال البيهقى : أى أقاموا معالمه وإن قصّروا هم فى أعماق أنفسهم .

ثم ساق أحاديث بقية ما ذكره فى هذا . والله أعلم .

***

فهذا الذى سلكه البيهقى وقد وافقه عليه جماعة ، من أن المراد بالخلفاء الاثنى عشر المذكورين فى هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذى قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد ، فإنه مَسْلك فيه نظر .

وبيان ذلك : أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن اليزيد هذا أكثر من اثنى عشر على كل

---

(١) (حسن) .

(٢) (صحيح) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وأحمد فى المسند برقم ٤٨٣٢ .

تقدير ، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، خلافتهم محققة بنص حديث سفينة : الخلافة بعدى ثلاثون سنة . ثم بعدهم الحسن بن على كما وقع ، لأن علياً أوصى إليه ، وبايعه أهل العراق ، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية ، كما دل عليه حديث أبى بكْرة فى صحيح البخارى ، ثم معاوية ، ثم ابنه يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه عبد الملك بن مروان ، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، فهؤلاء خمسة عشر ، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فإن إعتبرنا ولاية بن الزبير [1] قبل عبد الملك صاروا ستة عشر ، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر عبد العزيز .

فهذا الذى سلكه على هذا التقدير يدخل فى الاثنى عشر يزيد بن معاوية ، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز ، الذى أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه ، وعدّوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمع الناسُ قاطبة على عدله ، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام ، حتى الرافضة يعترفون بذلك .

فإن قال : أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه . لزمه على هذا القول ألا يعدَّ علىَّ ابن أبى طالب ولا ابنه ؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما ، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما ، وعد حينئذ[2] معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ولم يعتد [3] بأيام مروان ولا ابن الزبير ، لأن [4] الأمة لم تجتمع على واحد منهما .

فعلى هذا نقول فى مسلكه هذا عاداً للخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان ثم معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبد الملك ثم الوليد بن سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ، فهؤلاء عشرة ، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، ولكن هذا لا يمكن أن يسلك ، لأنه يلزم منه إخراج على وابنه الحسن من هؤلاء الاثنى عشر وهو خلاف

---

(١) المطبوعة ولاية الزبير . وهو خطأ .
(٢) المطبوعة : حيبب . وهو تحريف .
(٣) المطبوعة : ولم يقيد . وهو تحريف .
(٤) المطبوعة : كأن .

ما نص عليه أئمة السنة بل والشيعة ، ثم هو خلاف ما دل عليه نصا حديث سفينة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكا عَضوضا .

وقد ذكر سفينة تفصيل هذه الثلاثين سنة فجمعها من خلافة الحسن وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضا ، ثم صار الملك إلى معاوية لما سلّم الأمرَ له الحسنُ بن على .

وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة ، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة لا مطلقا ، بل انقطع تتابعها ، ولا ينفي وجود خلفاء راشدين بعد ذلك ، كما دل عليه حديث جابر بن سمرة .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا راشد بن سعد ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران عن حذيفه بن أبى اليمان ، قال : **يكون بعد عثمان اثنا عشر مِلكا من بنى أمية قيل له : خلفاء ؟ قال : لا ، بل ملوك** (١) .

وقد روى البيهقى من حديث حاتم بن أبى صفرة ، عن أبى بحر ، قال : كان أبو الجلد جاراً لى ، فسمعته يقول يحلف عليه : **إن هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ، ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت ، أحدهما يعيش أربعين سنة ، والآخر ثلاثين سنة** (٢) .

ثم شرع البيهقى فى رد ما قاله أبو الجلد بما لا يَحْصل به الرد ، وهذا عجيب منه . وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء ، ولعل قوله أرجح لما ذكرنا ، وقد كان ينظر فى شىء من الكتب المتقدمة .

وفى التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وإنه سيُنَمّيه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما .

قال شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية : وهؤلاء المبشر بهم فى حديث جابر بن سمرة ، وقرر أنهم يكونون مفرّقين فى الأمة ، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا .

---

(١) (ضعيف الاسناد) فيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) (ضعيف الاسناد) .

وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم .

وقد قال نعيم بن حماد : حدثنا ضمرة ، عن ابن شَوْذَب عن أبى المنهال ، عن أبى زياد ، عن كعب قال : إن الله وهب لإسماعيل من صلبه اثنى عشر قيما ، أفضلهم أبوبكر وعمر وعثمان .

وقال نعيم : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن يحيى بن عمرو الشيبانى قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين : المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس [1] .

ذكر الإخبار عن أمور وقعت فى دولة بنى العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك نبأ أبى جعفر [2] عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح وهو المنصور البانى لمدينة بغداد ، فى سنة خمس وأربعين ومائة .

قال نعيم بن حماد فى كتابه : عن أبى المغيرة ، عن أرطاة بن المنذر ، عمن حدثه ، عن ابن عباس أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال : **يا ابن عباس قوله حم عسق . فأطرق ساعة وأعرض عنه ثم كررها فلم يجبه بشيء ، فقال له حذيفة : أنا أنبئك ، وقد عرفت لم كرهها** [3] **، إنما نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله ، أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً ، يجتمع فيهما كل جبار عنيد** [4] .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحَوْطى ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الله بن السمط [حدثنا] [5] صالح بن على الهاشمى ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى ﷺ قال : **لأن يربى أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جَرْو كلب خير من أن يربى ولداً لصلبه** [6] .

---

(١) غير أ : المسجد الأقصى .
(٢) المطبوعة : فمن ذلك : حدثنا أبو جعفر عبد الله . وهو تحريف .
(٣) المطبوعة : كررها .
(٤) (ضعيف) فى إسناده مجهول .
(٥) سقطت من أ .
(٦) موضوع كما قال الذهبى فى الميزان .

قال شيخنا الذهبى : هذا الحديث موضوع ،واتهم به عبد الله بن السمط هذا . وقال نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى فى كتابه الفتن والملاحم : حدثنا أبو بكر البصرى عن أبى بيان المعافرى ،عن تبيع ،عن كعب قال : إذا كانت سنة ثنتين ومائة انتقص فيها حلم ذوى الأحلام ،ورأى ذوى الرأى .

حديث آخر

فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام ـ رحمه الله ـ

روى الترمذى من حديث ابن عُيينة ،عن ابن جُريج ،عن أبى الزبير ،عن أبى صالح ،عن أبى هريرة رواية : يوشك أن يَضرب الناسُ أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة .

ثم قال : هذا حديث حسن ،وهو حديث ابن عيينة ،وقد روى عنه أنه قال : هو مالك بن أنس ،وكذا قال عبد الرزاق . قلت : وقد توفى مالك ـ رحمه الله ـ سنة تسع وسبعين ومائة .

حديث آخر

فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعى

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا جعفر بن سليمان ،عن النضر بن معبد الكندى أو العبدلى ،عن الجارود ،عن أبى الأحوص ،عن عبد الله ،قال : قال رسول الله ﷺ . **لا تسبُّوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما ،اللهم إنك أذقت أولها وبالا فأذِق آخرها نوالا** (١)

وقد رواه الحاكم من طريق أبى هريرة .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : هو الشافعى .

قلت : وقد توفى الشافعى ـ رحمه الله ـ فى سنة أربع ومائتين ،وقد أفردنا ترجمته فى مجلد وذكرنا معه تراجم أصحابه من بعده .

---

(١) (ضعيف جداً) فى إسناده أبو الجارود وهو مجهول .

حديث آخر

روى روّاد بن الجراح ، عن سفيان الثورى ، عن منصور ، عن ربْعى ، عن حذيفة مرفوعاً : **خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ . قالوا : وما خفيف الحاذ يا رسول الله ؟ قال : من لا أهل له ولا مال ولا ولد** (١) .

حديث آخر

قال ابن ماجه : حدثنا الحسن بن على الخلّال ، حدثنا عون بن عمارة ، حدثنى عبد الله بن المثنى ، حدثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، عن أبيه عن جده أنس بن مالك ، عن أبى قتادة قال : **قال رسول الله ـ ﷺ ـ : الآيات بعد المائتين** (٢) .

وحدثنا نصر بن على الجَهْضَمىّ ، حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا عبد الله بن معقل ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : **أمتى على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ، ثم ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ، ثم الهرج [الهرج]** (٣) **النجاء النجاء** (٤) .

وحدثنا نصر بن على ، حدثنا حازم أبو محمد العنزى ، حدثنا المسْوَر بن الحسن ، عن أبى معن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : أمتى علىّ خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما ، فأما طبقتى وطبقة أصحابى فأهل علم وإيمان ، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين والثمانين ، فأهل بر وتقوى . ثم ذكر نحوه .

هذا لفظه وهو حديث غريب من هذين الوجهين ، ولا يخلو عن نكارة . والله أعلم

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا (٥) الأعمش حدثنا هلال بن يساف (٦) عن

---

(١) (موضوع) قال عنه الذهبى غريب جداً . ورواد هذا ضعفه العلماء .

(٢) (موضوع) .

(٣) ليست فى أ .

(٤) (ضعيف) فيه يزيد الرقاشى قال فيه ابن حجر فى التقريب : ضعيف .

(٥) المطبوعة : حدثنا وكيع بن الأعمش . وهو تحريف .

(٦) المطبوعة : هلال بن بيان ، وهو تحريف .

عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **خير الناس قَرْني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى [1] قوم يتسمنون يحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها** [2] .

ورواه الترمذى من حديث [3] الأعمش .

وقد رواه البخارى ومسلم من حديث شعبة ، عن أبى جمرة [4] ، عن زهدم بن مُضَرِّب سمعت عمران بن حصين قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة [5] ـ ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السِّمن . لفظ البخارى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة عن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينَه ويمينُه شهادته .

قال إبراهيم : وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار

وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعددة عن منصور به .

حديث آخر

قال نعيم بن حماد : حدثنا أبو عمرو البصرى عن ابن لَهيعة ، عن عبد الوهاب بن حسين ، عن محمد بن ثابت البنانى ، عن أبيه ، عن الحارث الهمدانى ، عن ابن مسعود عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **السابع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا يجيبونه ، فيقول له أهل بيته : تريد أن تخرجنا من معايشنا ؟ فيقول إنى أسير فيكم بسيرة أبى بكر وعمر ، فيأبون عليه فيقتله عدو له من أهل بيته من بنى هاشم ، فإذا وثب عليه اختلفوا فيما**

(1) غير أ : يجيء .
(2) (صحيح) ورجاله ثقات مشاهير وهو فى المسند برقم ١٩٧٠٦ .
(3) غير أ : من طريق .
(4) المطبوعة : عن أبى حمزة ، وهو خطأ .
(5) أ : أو ثلاثا .

بينهم . فذكر اختلافا طويلا إلى خروج السفيانى [1] .

وهـذا الحـديث ينطبق على عبـد الله المأمون الذى دعـا الناس إلى القـول بخلق القرآن ، ووقى الله شرها ، كما أوردناه فى موضعه ، والسفيانى رجل يكون آخرالزمان منسوب إلى أبى سفيان يكون من سلالته وقد ذكرته فى كتاب الملاحم .

حديث آخر

قـال الإمـام أحـمـد : حدثنـا هاشم ، حدثنا ليـث عن معـاوية بن صـالـح ، عـن عـبـد الرحـمن ابن جُبَير ، **عن أبيـه سمعت أبا ثعلبـة الخُشَنى صاحب رسـول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنه سـمعـه يقول وهـو بالفسطاط فى خـلافـة معـاوية وكـان معـاوية أغزَى الناسَ القسطنطينيةَ فقال : والله لا تَعْجز هذه الأمة من نصف يوم ، إذا رأيتَ الشام مائدةَ رجل واحد وأهل بيته ، فعند ذلك فَتْح القسطنطينية** [2] .

هكذا رواه أحمد موقوفا على أبى ثعلبة ، وقد أخرجه أبو داود فى سننه من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه عن أبى ثعلبة قال : **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم** [3] .

تفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن سُرَيج بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص ، عن النبى ـ صلي الله عليه وسلم ـ أنه قال : **إنى لأرجو ألا يعـجز أمتى عنـد ربها أن يؤخرهم نصف يوم . قيل لسعد : وكم نصف يوم؟ قال : خمسمائة [سنة]** [4] . تفرد به أبو داود وإسناده جيد .

وهذا من دلائل النبوة ، فإن هذا يقتضى وقوع تأخير الأمة نصف يوم وهو خمسمائة

---

(١) (ضعيف) فى إسناده .

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم من سننه برقم ٤٣٤٩ وهو عند أحمد برقم ١٧٦٦٣ .

(٣) (صحيح) .

(٤) (صحيح)عمرو بن عثمان بن سعيد الحمص وثقة كثيرون من وذكره الألبانى فى صحيح سنن أبى داود .

سنة كما فسره الصحابى ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

ثم هذا الإخبار بوقوع هذه المدة لا ينفى وقوع ما زاد عليها . فأما ما يذكره كثير من الناس من أنه عليه السلام لا يؤلّف فى قبره ، بمعنى لا يمضى عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين تقام الساعة ، فإنه حديث لا أصل له فى شىء من كتب الإسلام . والله أعلم .

حديث آخر

فيه الإخبار عن ظهور النار التى كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى .

وقد وقع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال البخارى فى صحيحه : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى قال : قال سعيد بن المسيّب : أخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى » .

تفرد به البخارى .

وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين فى زمانه ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبى شامة فى تاريخه : إنها ظهرت يوم الجمعة فى خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وأنها استمرت شهراً وأزيد منه ، وذكر كتباً متواترة [(١)] عن أهل المدينة فى كيفية ظهورها شرق المدينة من ناحية وادى شظا ، تلقاءَ أحد ، وأنها ملأت تلك الأودية ، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة ، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتاً مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام ، أول ذلك مستهل الشهر يوم الإثنين ، فلم تزل ليلاً ونهاراً حتى ظهرت يوم الجمعة فانبجست تلك الأرض

---

(١) أ : متواتراً .

عند وادى شظا عن نار عظيمة جدا صارت مثل [الوادى] (١) طوله أربعة فراسخ فى عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف ، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك (٢) ، ثم يصير كالفحم الأسود ، وذكر أن ضوءها مُد إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوئها فى الليل ، وكأن فى بيت كل منهم مصباحا ، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله .

قلت : وأما بصرى فأخبرنى قاضى القضاة صدر الدين على بن أبى قاسم التَّيمى الحنفى قال أخبرنى والدى ، وهو الشيخ صفى الدين أحد مدرسى بُصْرى ، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد بصرى ، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجأوا فى هذه الأيام إلى المسجد النبوى ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا عند قبر النبى - صلى الله عليه وسلم - مما سلف منهم وأعتقوا الغلمان وتصدقوا على فقرائهم ومحاويجهم وقد قال قائلهم فى ذلك :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يا رب بأساء

نشكو إليك خطوبا لا نُطيق لها ... حَملاً ونحن بها حقًّا أحقاء

زلازل تَخْشع الصمُّ الصلاد لها ... وكيف تَقوى على الزلزال صَمّاء

أقام سبعاً يرُجّ الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عينُ الشمس عشواء

بحر من النار تجرى فوقه سفن ... من الهضاب لها فى الأرض إرساء

يرى لها شرر كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تَنصَبُّ هطلاء

تنشق منها قلوبُ الصخر إن زَفرتْ ... رُعبا وترعد مثل الشّهب أضواءُ

منها تكاثف فى الجو الدُّخان إلى ... أن عادت الشمس منهُ وهى دَهْماء

قد أثّرت سَعفةً فى البدر لفحتها ... فليلةُ التمّ بعد النور لَيلاء

فيا لها آية من معجزات رسو ... ل الله يعقلها القومُ الألباءُ

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) الآنك : الرصاص المذاب .

ومما قيل فى هذه النار مع غرق بغداد فى هذه السنة :

سبحان من أصبحت مشيئته جارية فى الورى بمقدار

أغرق بغداد بالمياه كما أحرق أرضَ الحجاز بالنارِ

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أفلح بن سعيد الأنصارى ، شيخ من أهل قباء من الأنصار ، حدثنى عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « **إن طالت بكم مدة أوشك أن تَروا قوما يَغدون فى سخط الله ويروحون فى لعنته ، فى أيديهم مثل أذناب البقر** » [(١)] .

ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نُمير ، عن زيد بن الُحباب ، عن أفلح بن سعيد به . وروى مسلم أيضا عن زهير بن حرب ، عن جرير ، عن سهيل ، عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال ـ ﷺ ـ : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسَهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يَدْخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

وهذان الصنفان وهما الجلاَّدون الذين يسمون بالرجَّالة ، والجاندارية ، كثيرون فى زمانا هذا ومن قَبله وقبل قَبله بدَهر ، والنساء الكاسيات العاريات ، أى عليهن لبس لا يوارى سوآتهنَ ، بل هو زيادة فى العورة وإبداء للزينة ، مائلات فى مشيهن مميلات غيرهن إليهن ، قد عم بهن فى زماننا هذا ، ومن قبله أيضا ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ؛ إذ وقع الأمر فى الخارج طبق ما أخبر به ـ عليه السلام ـ .

وقد تقدم حديث جابر : أما إنها ستكون لكم أنماط . وذكر تمام الحديث فى وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا .

حديث آخر

روى الإمام أحمد ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن داود بن أبى هند ، وأخرجه

---

(١) (صحيح) المسند ٨٢٧٦ .

البيهقى من حديثه عن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلى ، عن طلحة بن عمرو البصرى **أنه قدِم المدينة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبينما هو يصلى إذ أتاه رجل فقال : يا رسول الله أحرق بطونَنا التمر وتخرّقت عنا الحيَف** (١) .

قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد رأيتنى وصاحبى وما لنا طعام غير البَرير (٢) **حتى أتينا إخواننا من الأنصار فآسونا من طعامهم وكان طعامهم التمر ، والذى لا إله إلا هو لو قدرت لكم على الخبز والتمر لأطعمتكموه ، وسيأتى عليكم زمانٌ أو من أدركه منكم يلبسون مثل أستار الكعبة ،ويُغْدَى ويراح عليكم بالجِفان .**

قالوا : يا رسول الله أنحن يومئذ خير أم اليوم ؟ قال : بل أنتم اليوم خير ،أنتم اليوم إخوان وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض (٣) .

وقد روى سفيان الثَّورى ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى موسى يحلس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا مشت أمتى المطَيْطَا** (٤) **وخدمتهم فارس والروم ،سلط الله بعضهم على بعض** » (٥) .

وقد أسنده البيهقى من طريق موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن [أبى] (٦) دينار عن ابن عمر ، عن النبى ـ ﷺ ـ .

حديث آخر

قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهرى ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، عن شراحيل بن زيد المعافرى ، عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة فيما أعلم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها** (٧) .

---

(١) الحيف : الثياب المرقعة .

(٢) البرير : الأول من ثمر الأراق .

(٣) (صحيح) الطبرانى فى الكبير ٨١٦٠ والمسند ١٥٩٣ .

(٤) المطيطا : التبختر ومد اليدين فى المشى .

(٥) (مرسل) الأثر ذكره البيهقى فى الدلائل ٦ / ٥٢٥ .

(٦) سقطت من المطبوعة .

(٧) (صحيح) أخرجه أبو داود رقم ٤٢٧٠ وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير وذكره فى السلسلة الصحيحة برقم ٥٩٩ .

قال أبو داود : عبد الرحمن بن شريح الإسكندرانى لم يحدثه شُراحيل . تفرد به أبو داود . وقد ذكر كل طائفة من العلماء فى رأس كل مائة سنة عالما من علمائهم يُنزلون هذا الحديث عليه وقال طائفة من العلماء : الصحيح [1] أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية فى أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف ، كما جاء فى الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة : يَحْمل هذا العلم من كل خلف عدوله يَنفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا ، ونحن فى القرن الثامن ، والله المسئول أن يختم لنا بخير وأن يجعلنا من عباده الصالحين ، ومن ورثة جنة النعيم آمين يا رب العالمين

وسيأتى الحديث المخرّج من الصحيح : **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك** [2] .

وفى صحيح البخارى: وهم بالشام .

وقد قال كثير من علماء السلف : إنهم أهل الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة ، فإن أهل الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام ، ولله الحمد ، ولا سيما بمدينة دمشق ـ حماها الله وصانها ـ كما ورد فى الحديث الذى سنذكره أنها تكون معْقل المسلمين عند وقوع الفتن .

وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر عن عيسى ابن مريم أنه ينزل من السماء على المنارة البيضاء شرقى دمشق ولعل أصل لفظ الحديث : على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، وقد بلغنى أنه كذلك فى بعض الأجزاء ولم أقف عليه إلى الآن والله الميسر .

وقد جددت هذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق بعدما أحرقها النصارى من أيامنا هذه بعد سنة أربعين وسبعمائة ، فأقاموها من أموال النصارى مقاصة على ما فعلوا من العدوان وفى هذا حكمة عظيمة وهو أن ينزل على هذه المبنّية من أموالهم عيسى ابن مريم

(١) الأصل : هل الصحيح . ولا معنى لها .
(٢) (صحيح) أخرجه البخارى فى كتاب علامات النبوة .

نبى الله فيكذبهم فيما افتروه عليه من الكذب عليه وعلى الله ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، أى يتركها ولا يقبل من أحد منهم ولا من غيرهم إلا الإسلام ، يعنى أو يقتله ، وقد أخبر بهذا عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرره عليه وسوغه له ـ صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان ـ .

***

باب [1]

البينة على ذكر معجزات لرسول الله ـ ﷺ ـ

مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله ، وأعلى منها ،خارجة عما اختصّ به من المعجزات العظيمة التى لم تكن لأحد قبله منهم ـ عليهم السلام ـ

فمن ذلك القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ،فإنه معجزه مستمرة على الآباد ،ولا يخفى برهانها ،ولا يتُفحّص[2] مثلها وقد تحدّى به الثّقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك ،كما تقدم تقريرذ لك فى أول كتاب المعجزات .

وقد سبق الحديث المتفق على إخراجه فى الصحيحين من حديث الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ،عن أبيه ،عن أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ،وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

والمعنى أن كل نبى أوتى من خوارق المعجزات ما يقتضى إيمان من رأى ذلك من أولى البصائر والنهى ، لا من أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذى أوتيته ، أى جُلّه وأعظمه وأبهره ،القرآن الذى أوحاه الله إلىّ ،فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم ،فلا تشاهد ،بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد ،بخلاف القرآن العظيم الذى أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ،مستمرة دائمة البقاء بعده ،مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد تقدم فى الخصائص [3] ذكر ما اختص به رسول الله ـ ﷺ ـ عن بقية إخوانه من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، كما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول

---

(١) من هنا إلى آخر الكتاب سقط من أ .

(٢) كذا ، والفحص : البحث وشدة الطلب .

(٣) لم يتقدم فى هذا الكتاب ، وقد ذكر المؤلف فى المقدمة أنه سيفرد باباً للخصائص ولم يرد فى الكتاب

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أُعطيت خَمساً لم يُعطَهن أحد قَبلى : نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تَحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يُبعث إلى قومه ، وبُعثت إلى الناس عامة .

وقد تكلمنا على ذلك وما شاكله فيما سلف بما أغنى عن إعادته ولله الحمد .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة [لنبى] من الأنبياء فهى معجزه لخاتمهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك أن كلاً منهم بشّر بمبعثه ، وأمر بمتابعته ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (1) وقد ذكر البخارى وغيره عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق لئن بعث محمد وهو حَىّ ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الوالى إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه ، وثواب إيمانه .

والمقصود أنه كان الباعث لى على عَقْد هذا الباب أنى وقفت على مَوْلد اختصره من سيرة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيرهما شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالى محمد بن على الأنصارى السمّاكى نسبة إلى أبى دُجانة الأنصارى سمّاك ابن حرب بن خَرشة الأوْسى ـ رضى الله عنه ـ شيخ الشافعية فى زمانه بلا مدافعة ، المعروف بابن الزّمْلكانى ـ عليه رحمة الله ـ وقد ذكر فى أواخره شيئا من فضائل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعقد فصلا فى هذا الباب فأورد فيه أشياء حسنة ، ونبه على فوائد جَمّة ، وفوائد مهمة ، وترك أشياء أخرى حسنة ، ذكرها غيره من الأئمة المتقدمين ، ولم أره استوعب الكلام إلى آخره ، فإما أنه قد سقط من خطه ، أو أنه لم يكمل تصنيفه ، فسألنى بعض أهله من أصحابنا ممن تتأكد إجابته ، وتكرر ذلك منه ، فى تكميله وتبويبه

---

(1) سورة آل عمران : ٨١ ، ٨٢ .

وترتيبه، وتهذيبه، والزيادة عليه والإضافه إليه، فاستخرت الله حينا من الدهر، ثم نشطت لذلك ابتغاء الثواب والأجر.

وقد كنت سمعت من شيخنا الإمام العلامة الحافظ، أبى الحجاج المزّى ـ تغمده الله برحمته ـ أن أول من تكلم فى هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ـ رضى الله عنه ـ.

وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقى ـ رحمه الله ـ فى كتابه دلائل النبوة، عن شيخه الحاكم أبى عبد الله، أخبرنى أبو أحمد بن أبى الحسن، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، عن أبيه، قال عمر بن سوار: قال الشافعى: ما أعطى الله نبياً مثل ما أعطى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى فقال: أعطى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه، حين بنى له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك. هذا لفظه ـ رضى الله عنه ـ.

والمراد من إيراد ما نذكره فى هذا الباب، البينة على ما أعطى الله أنبياءه ـ عليهم السلام ـ من الآيات البينات، والخوارق القاطعات، والحجج الواضحات، وأن الله جمع لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم من جميع أنواع المحاسن والآيات، مع ما اختصه الله به مما لم يؤت أحداً قبله، كما ذكرنا فى خصائصه وشمائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ووقفت على فصل مليح فى هذا المعنى، فى كتاب دلائل النبوة للحافظ أبى نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهانى، وهو كتاب حافل فى ثلاث مجلدات، عقد فيه فصلا فى هذا المعنى، وكذا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتابه دلائل النبوة، وهو كتاب كبير جليل حافل، مشتمل على فرائد نفيسة، وكذا الصرّصرى الشاعر يورد فى بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتى.

وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة، وأقصر إشارة، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

* * *

القول فيما أوتي نوح ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ⑬ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١)

وقد ذكرت القصة مبسوطة فى أول هذا الكتاب (٢) وكيف دعا على قومه فنجاه الله ومن اتبعه من المؤمنين فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق من خالفه من الكافرين فلم يسلم منهم أحد حتى ولا ولده .

قال شيخنا العلامة أبو المعالى محمد بن على الأنصارى الزّمْلكانى ، ومن خطه نقلت : وبيان أن كل معجزة لنبى فلنبينا أمثالها إذا تمّ يستدعى كلاماً طويلا ، وتفصيلا لا يسعه مجلدات عديدة ، ولكن ننبه بالبعض على البعض ، فلنذكر جلائل معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

فمنها نجاة نوح فى السفينة بالمؤمنين ، ولا شك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفى قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يدل على ذلك .

روى مِنْجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحَضْرمى دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبتَ له ، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفى سبيلك ، نقاتل عدوّك ، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا . فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا وملأتُ إداوتى وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابى : نسيت إداوتى ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط .

ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا علىّ يا حكيم ، إنا عبيدك وفى

---

(١) سورة القمر : ١٠ ـ ١٥ .

(٢) ذكر ابن كثير قصص الأنبياء فى الجزء الأول من البداية والنهاية .

سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا . فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لُبودَنا [1] ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء . وذكر بقية القصة .

فهذا أبلغ من ركوب السفينة ، فإن حمل الماء للسفينة معتاد ، وأبلغ من فَلق البحر لموسى ، فإن هناك انحصر الماء حتى مشوا على الأرض ، فالمعجز انحصار الماء ، وهاهنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض

وإنما هذا منسوب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وبركته .

انتهى ما ذكره بحروفه فيما يتعلق بنوح - عليه السلام -

* * *

وهذه القصة التي ساقها شيخنا ، ذكرها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، عن أبي كريب ، عن محمد بن فضيل ، عن الصّلت بن مطر العجلي ، عن عبد الملك بن أخت سهم ، عن سهم بن منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي . فذكره .

وقد ذكرها البخاري في التاريخ الكبير من وجه آخر ، ورواها البيهقي من طريق أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان مع العلاء وشاهد ذلك .

وساقها البيهقي من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله ، عن عون ، عن أنس بن مالك ، قال : **أدركت في هذه الأمة ثلاثا لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم ، قلنا ما هن يا أبا حمزة ؟ قال : كنا في الصّفة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء ، وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض ، فغمضه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : يا أنس ائت أمه فأعْلِمها . فأعلمتها . قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه ، فأخذت بهما ثم قالت : اللهم إني أسلمت لك طوعا ، وخلعت الأوثان ، فلا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله ، قال : فوالله ما انقضى كلامهما حتى حرّك قدميه وألقى**

---

(١) اللبود : ما يوضع تحت البروج .

الثوب عن وجهه ،وعاش حتى قبض الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحتى هلكت أمه

قال أنس : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليه العلاء بن الحضرمى . قال أنس: وكنت فى غَزاته ،فأتينا مغازينا ،فوجدنا القوم قد بدَروا بنا فعفّوا آثار الماء ، والحر الشديد ، فجهدنا العطش ودوابنا ، وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء وما نرى فى السماء شيئا قال : فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحابا وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب ،فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا .

قال : ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجا فى البحر إلى جزيرة ،فوقف على الخليج وقال : يا على يا عظيم ،يا حليم يا كريم ثم قال : أجيزوا باسم الله ،قال : فأجزنا ما يبل حوافر دوابنا فلم نلبث إلا يسيرا فأصبنا العدو عليه فقتّلنا وأسرنا وسبينا ، ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا .

ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إياه فى أرض لا تقبل الموتى ،ثم إنهم حفروا عليه لينقلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه ثَم ،وإذا اللحد يتلألأ نورا ، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا (١)

فهذ السياق أتم ،وفيه قصة المرأة التى أحيا الله لها ولدها بدعائها ،وسننبه على ذلك فيما يتعلق بمعجزات المسيح عيسى ابن مريم ،مع ما يشابهها إن شاء الله تعالى ،كما سنشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنورده معها ها هنا ،فيما يتعلق بمعجزات موسى ـ عليه السلام ـ فى قصة فلق البحر لبنى إسرائيل ،وقد أرشد إلى ذلك شيخنا فى عيون كلامه .

قصة أخرى تشبة قصة العلاء الحضرمى

روى البيهقى فى الدلائل ـ وقد تقدم ذلك أيضا ـ من طريق سليمان بن مروان الأعمش عن بعض أصحابه ،قال : انتهينا إلى دجلة وهى مادة والأعاجم خلفها ،فقال : رجل من المسلمين : باسم الله ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء ،فقال الناس : باسم الله ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ،فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ،ديوان . أى مجانين ثم ذهبوا على وجوههم .

قال : فما فقد الناس إلا قدحا كان معلقا بعذبة سرج ،فلما خرجوا أصابوا الغنائم

(١) راجع دلائل النبوة ٦/ ٥٢ .

واقتسموا ، فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاء ؟

وقد ذكرنا في السيرة العمرية وأيامها ، وفي التفسير أيضاً : أن أول من اقتحم دجلة يومئذ أبو عبيدة النّفيعي أمير الجيوش في أيام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه واقتحم الجيش وراءه ، ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون : ديوان ديوان . أي مجانين مجانين ، ثم ولوا مدبرين ، فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة .

قصة أخرى شبيهة بذلك

وروى البيهقي من طريق أبي النضر ، عن سليمان بن المغيرة ، أن أبا مسلم الخَولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه ، وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ؟

ثم قال : هذا إسناد صحيح .

قلت : وقد ذكر الحافظ الكبير ، أبو القاسم بن عساكر ، في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بَقية بن الوليد ، حدثني محمد بن زياد ، عن أبي مسلم الخَولاني ، أنه كان إذا غزا أرض الرومَ فمروا بنهر قال : أجيزوا باسم الله ، قال : ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء ، فما يبلغ من الدواب إلا إلى الرّكَب أو في بعض ذلك ، أو قريبا من ذلك ، قال : وإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم شيء ؟ مَن ذهب له شيء فأنا ضامن . قال : فألقى مخلاة عمداً ، فلما جاوزوا قال الرجل : مخلاتي وقعت في النهر . قال له : اتبعني ، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر ، فقال : خذها

وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابي عنه ، عن عمرو بن عثمان ، عن بَقية به . ثم قال أبو داود حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حُمَيد ، أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه و ذكر مسير بني إسرائيل في البحر ، ثم لهز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا ثم قال: هل فقدتم شيئا من متاعكم فأدعو الله أن يرده عليّ ؟

وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى ، عن عبد الكريم بن رشيد ، عن حميد بن هلال العدوى : حدثنى ابن عمى أخى أبى قال : خرجت مع أبى مسلم فى جيش فأتينا على نهر عجّاج مُنكر ، فقلنا لأهل القرية : أين المخاضة؟ فقالوا : ما كانت ها هنا مخاضة ، ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين ، فقال أبومسلم : اللهم أجزْتَ بنى إسرائيل البحر ، وإنا عبيدك وفى سبيلك ، فأجزنا هذا النهر اليوم ، ثم قال : اعبروا باسم الله . قال ابن عمى : وأنا على فرس فقلت : لأدفعنه أول الناس خلف فرسه . قال : فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم ، ثم وقف وقال : يا معشر المسلمين ، هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى بردّه ؟

فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء ، هى معجزات لرسول الله ـ ﷺ ـ كما تقدم تقريره لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته ، ويُمْن سفارته ، إذ فيها حجة فى الدين ، أكيدة للمسلمين ، وهى مشابهة [لمعجزة] نوح ـ عليه السلام ـ فى مسيره فوق الماء بالسفينة التى أمره الله تعالى بعملها ، ومعجزة موسى ـ عليه السلام ـ فى فلق البحر .

وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك ، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل ، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على الماء القارّ الذى يُجاز ، وإن كان ماء الطوفان أطمّ وأعظم ، فهذه خارق والخارق لا فرق بين قليله وكثيره ، فإن من سلك على وجه الماء الخضَم الجارى العَجّاج فلم يبتل منه نعالُ خيولهم ، أو لم يصل إلى بطونها ، فلا فرق فى الخارق بين أن يكون قامة او ألف قامة ، أو أن يكون نهراً أو بحراً ، بل كونه نهراً عجاجا كالبرق الخاطف والسيل الجارى ، أعظم وأغرب ، وكذلك بالنسبة إلى فلق البحر وهو جانب بحر القلْزَم ، حتى صار كل فرق كالطود العظيم ، أى الجبل الكبير ، فانحاز الماء يمينا وشمالا حتى بدَتْ أرض البحر وأرسل الله عليها الريح حتى أيبسها ، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج ، حتى جاوزوا عن آخرهم ، وأقبل فرعون بجنوده ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ وذلك أنهم لما توسطوه وهموا بالخروج منه ، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحد ، كما لم يفقد من بنى إسرائيل واحد ففى ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمى ، وأبى عبد الله الثقفى ، وأبى مسلم الخَولانى ، من مسيرهم على تيار الماء الجارى ، فلم يفقد منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئا من أمتعتهم ، هذا وهم أولياء ، منهم صحابى وتابعيان ، فما الظن لو [كان] الاحتياج إلى ذلك بحضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، سيد الأنبياء وخاتمهم ، وأعلاهم منزلة ليلة الإسراء ، وإمامهم ليلتئذ ببيت المقدس الذى هو محل ولايتهم ودار بدايتهم ، وخطيبهم يوم القيامة ، وأعلاهم منزله فى الجنة ، وأول شافع فى الحشر وفى الخَروج من النار وفى دخول الجنة ، وفى رفع الدرجات بها ، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأنواعها ، فى أهوال يوم القيامة [1] ، وبالله المستعان .

وسنذكر فى المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات المحمدية ، مما هو أظهر وأبهر منها ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح ـ عليه السلام ـ ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم .

***

وأما الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، فإنه قال فى آخر كتابه فى دلائل النبوة ، وهو فى مجلدات ثلاث : الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر موازنة الأنبياء فى فضائلهم ، بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى ، إذ أوتى ما أوتوا وشبهه ونظيره ، فكان أول الرسل نوح ـ عليه السلام ـ ، وآيته التى أوتى : شفاء غيظه ، وإجابة دعوته ، فى تعجيل نقْمة الله لمكذّبيه ، حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق ، إلا من آمن بهِ ودخل معه فى سفينته ، ولعمرى إنها آية جليلة ، وافقت سابق قدر الله وما قد علمه من هلاكهم .

وكذلك نبينا ـ ﷺ ـ لما كذبه قومه وبالغوا فى أذيته ، والاستهانة بمنزلته من الله ـ عز وجل ـ ، حتى ألقى السفيه عُقبة بن أبى مُعَيط سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش . ثم ساق الحديث عن ابن مسعود كما تقدم ، كما ذكرنا أنه فى صحيح البخارى وغيره فى وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ساجد عند الكعبة سَلا تلك الجزور ، واستضحاكهم من ذلك ، حتى أن بعضهم يميل على

(١) ذكر ابن كثير ذلك فى قسم النهاية من كتابه البداية والنهاية .

بعض من شدة الضحك ، ولم يزل على ظهره حتى جاءت ابنته فاطمة ـ عليها السلام ـ فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما سلّم رسول الله ـ ﷺ ـ من صلاته رفع يديه فقال : اللهم عليك الملأ من قريش ، ثم سمى فقال : اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى مُعَيط وعمارة بن الوليد .

قال عبد الله بن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القَليب قليب بدر وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر فى عَددها وعديدها ، فحين عاينهم رسول الله ـ ﷺ ـ قال رافعاً يديه: اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخُيَلائها تجادل وتكذّب رسولك، اللهم أحِنهم (1) الغداة .

فقُتل من سراتهم سبعون وأسر من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم ، ولكن من حلْم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق فى قدره أن سيؤمن به وبرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام فقتله الأسد عند وادى الزرقاء قبل مدينة بُصْرى .

وكم له من مثلها ونظيرها (2) ، كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا العلهز (3) ، وهو الدم بالوبر(4) ، وأكلوا العظام وكل شىء ، ثم توصلوا إلى تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ففرج الله عنهم وسُقوا الغيث ببركة دعائه .

* * *

وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتاب دلائل النبوة ـ وهو كتاب حافل ـ : ذكْر ما أوتى نوح ـ عليه السلام ـ من الفضائل ، وبيان ما أوتى محمد ـ صلى الله عليه وسلمَ ـ مما يضاهى فضائله ويزيد عليها : إن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والاستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شىء من الحيوانات

(1) أحنهم : أهلكهم . وفى المطبوعة : أصبهم . وهو تحريف .
(2) كذا ، ولعل فيها سقطا .
(3) العلهز : طعام فى المجاعة . وفى المطبوعة : العكبر . وهو تحريف .
(4) المطبوعة : بالوتر . وهو تحريف .

والدواب إلا من ركب السفينة ، وكان ذلك فضيلة أوتيها ، إذ أجيبت دعوته ، وشفى صدره بإهلاك قومه .

قلنا وقد أوتى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثله حين ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف ، فأنزل الله إليه ملَك الجبال وأمره بطاعته فيما يأمره به من إهلاك قومه ، فاختار الصبر على أذيتهم ، والابتهال فى بالدعاء لهم بالهدايه .

قلت : وهذا أحسن ، وقد تقدم الحديث بذلك(1) عن عائشة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فى قصة ذهابه إلى الطائف ، فدعاهم فآذوه فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قـرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال : يا محمد إن ربك قد سمع قول قومك وما ردوا عليك ، وقد أرسلنى إليك لأفعل ما تأمرنى به ، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ـ يعنى جبلى مكة اللذين يكتنفانها جنوبا وشمالاً ، أبو قُبَيس وثَور(2) ، فقال : بل أستأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئا (3)** .

وقد ذكر الحافظ أبونُعَيم فى مقابلة قوله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدم ذكرنا لذلك فى دلائل النبوة قريبا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله ذلك الأعرابى أن يدعو الله لهم ، لما بهم من الجدب والجوع ، فرفع يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، فما نزل عن المنبر حتى رؤى المطر يتحادر على لحيته الكريمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستحضر من استحضر من الصحابه ـ رضى الله عنهم ـ قول عمه أبى طالب فيه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهُلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

---

(1) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

(2) المطبوعة : وزر . وهو تحريف .

(3) مشهور ، ذكره القاضى عياض فى الشفا ١ / ١٦٣ وغيره .

وكذلك استسقى فى غير ما موضع للجدْب والعطش فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ، ولا أزيد ولا أنقص ، وهكذا وقع أبلغ فى المعجزة ، وأيضا فإن هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة ، وأيضا فإن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يستسقى بالعباس عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيسقون ، وكذلك ما زال المسلمون فى غالب الأزمان والبلدان ، يستسقون فيجابون فيسقون ، و[غيرهم] لا يجابون غالبا ولا يسقون ولله الحمد .

* * *

قال أبو نُعَيم : ولبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فبلغ ـ جميع من آمن [به] رجالا ونساء ، الذين ركبوا معه سفينته ، دون مائة نفس ، وآمن بنبينا فى مدة عشرين سنة ـ الناس شرقا وغربا ، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشى والأقيال رغبة فى دين الله والتزم من لا يؤمن به من عظماء الأرض الجزية والإبادة عن صغار ، أهل نجران ، وهجر ، وأيلة ، وأنذر دومة ، فذلوا له منقادين ، لما أيده الله به من الرعب الذى يسير بين يديه شهراً ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ .

قلت : مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد فتح الله له المدينة وخيبر ومكة وأكثر اليمن وحضرموت ، وتوفى عن مائة ألف صحابى أو يزيدون .

وقد كتب فى آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الله تعالى منهم من أجاب ومنهم من صانعَ ودارَى عن نفسه ، ومنهم من تكبّر فخاب وخسر ، كما فعل كسرى بن هرْمز حين عتى وبغى وتكبر ، فمزّق ملكه ، وتفرق جنده شَذَر مَذَر ، ثم فتح خلفاؤه من بعده ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ التالى على الأثر مشارق الأرض ومغاربها ، من البحر الغربى إلى البحر الشرقى ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زُوِيت [1] لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى

(١) زويت : جمعت .

منها ، وقال ـ ﷺ ـ : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

وكذا وقع سواء بسواء ، فقد استولت الممالك الإسلامية على مُلك قيصر وحواصله ، إلا القسطنطينية ، وجمع ممالك كسرى وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب ، إلى أن قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى سنة ست وثلاثين .

فكما عمّت جميع أهل الأرض النقمة بدعوة نوح ـ عليه السلام ـ ، لما رآهم عليه من التمادى فى الضلال والكفر والفجور ، فدعا عليهم غضباً لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب الله له ، وغضب لغضبه وانتقم منهم بسببه ، كذلك عمت جميع أهل الأرض بركة رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته فآمن من آمن من الناس ، وقامت الحجه على من كفر منهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وكما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنما أنا رحمة مهداة .

وقال هشام بن عمار فى كتاب المبعث : حدثنى عيسى بن عبد الله النعمانى ، حدثنا المسعودى ، عن سعيد بن أبى سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس فى قوله : « وما أرسلناك ألا رحمة للعالمين » قال : من آمن بالله ورسله تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسله عُدّ فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدلوا نعمة الله كفراً كفار قريش ـ يعنى وكذلك كل من كذب به من سائر الناس ـ كما قال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ .

قال أبو نعيم : فإن قيل : فقد سمى الله نوحا ـ عليه السلام ـ باسم من أسمائه الحسنى ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ قلنا : وقد سمى الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسمين من أسمائه فقال : بالمؤمنين رءوف رحيم » .

قال : وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم يا نوح ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، يا مريم ، وقال مخاطباً لمحمد ـ ﷺ ـ : « يا أيها الرسول » « يا أيها النبى » « يا أيها المزمّل » « يا أيها المدثّر » وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف .

ولما نَسب المشركون أنبيائهم إلى السفه والجنـون ، كلّ أجـاب عن نفسه ، قال نوح : ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وكـذا قال هود ـ عليه السلام ـ ولما قـال فرعـون : ﴿ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً ﴾ ، قـال [مـوسى] : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ .

وأما محمد ـ ﷺ ـ فإن الله تعالى هو الذى يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة ، كما قال : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قال الله تعالى ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُّنظَرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ . ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

القول فيما أوتى هود ـ عليه السلام ـ

قال أبو نُعيم ما معناه : إن الله تعالى أهلك قومه بالريح العقيم ، وقد كانت ريح غضب ، ونصر الله تعالى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصبا يوم الأحزاب ، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ (١) .

ثم قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة . ح وحدثنا عثمان بن محمـد العثمانى ، أخبرنى زكريا بـن يحيى الساجىّ ، قالا حدثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدثنا حفص بن عتاب ، عن داود بن أبى هند عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجنوب إلى الشمال فقالت : انطلقى بنا ننصر محمداً رسول

---

(١) سورة الأحزاب : ٩ .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فقالت الشمال للجنوب : إن الحَرَّة لا تُرى بالليل ، فأرسل الله عليهم الصبا ، فذلك قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ويشهد له الحديث المتقدم عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : نُصرت بالصَّبا وأهلكت عادٌ بالدَّبُور .

القول فيما أوتى صالح ـ عليه السلام ـ

قال أبو نُعَيم : فإن قيل : فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصخرة جعلها الله له آية وحجة على قومه وجعل لها شِرب يوم ، ولهم شرب يوم معلوم .

قلنا : وقد أعطى الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل ذلك ، بل أبْلغ ، لأن ناقة صالح لم تكلّمه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهد له البعيرُ بالرسالة ، وشكا إليه ما يلقىَ من أهله ، ومن أنهم يجيعونه ويريدون ذبحه . ثم ساق الحديث بذلك كما تقدمنا فى دلائل النبوة بطرقه وألفاظه وغرره بما أغنى عن إعادته ها هنا وهو فى الصحاح والحِسان والمسانيد .

وقد ذكرنا مع ذلك حديث الغزالة ، وحديث الضب وشهادتهما له ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة ، كما تقدم التنبيه على ذلك والكلام فيه ، وثبت الحديث فى الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يُبعث ، وكذلك سلاَم الأشجار والأحجار والمدَر عليه قبل أن يُبعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

القول فيما أوتى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ

قال شيخنا العلامة أبو المعالى بن الزَّمْلكانى ـ رحمه الله ـ : وأما خمود النار لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فقد خمدت لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نارُفارس لمولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبينه وبين بعثته أربعون سنة ، وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبينه وبينها مسافة أشهر كذا .

وهذا الذى أشار إليه من خمود نار فارس ليلة مولده الكريم ، قد ذكرناه بأسانيده وطرقه فى أول السيرة ، عند ذكر المولد المطهر الكريم ، بما فيه كفاية ومَقْنَع .

ثم قال شيخنا : مع أنه قد أُلقى بعض هذه الأمة فى النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا ـ ﷺ ـ منهم أبو مسلم الخَوْلانى ، قال : بينما الأسود بن قيس العنسى باليمن فأرسل إلى أبى

مسلم الخولانى فقال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم وقال : أتشهد أنى رسول الله ؟قال : ما أسمع . فأعاد إليه . قال : ما أسمع . فأمر بنار عظيمة فأجّجت فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره ، فقيل له : لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك . فأمره بالرحيل ، فقدم المدينة وقد قُبض رسول الله - ﷺ - واستخلف أبو بكر ، فقالم إلى سارية من سوارى المَسجد يصلى ، فبصُر به عمر فقال من أين الرجل ؟ قال : من اليمن قال : ما فعل الله بصاحبنا الذى حُرق بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب . قال : نشدتك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فقبّل ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق وقال : الحمد لله الذى لم يمُتنى حتى أرانى فى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - .

وهذا السياق الذى أورده شيخنا بهذه الصفة ، وقد رواه الحافظ الكبير ، أبو القاسم بن عساكر - رحمه الله - فى ترجمة أبى مسلم عبد الله بن أيوب فى تاريخه من غير وجه ، عن عبد الوهاب عن إسماعيل بن عيَّاش الحطيمى ، حدثنى شرَحبيل بن مسلم الخولانى ، أن الأسود بن قيس بن ذى الخمار العنسى تنبأ باليمن ، فأرسل إلى أبى مسلم الخولانى ، فأتى به ، فلما جاء به قال : أتشهد أنى رسول الله ؟قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أنى رسول الله ؟قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداًرسول الله ؟ قال : نعم .

قال : فردد عليه ذلك مراراً ثم أمر بنار عظيمة فأجّجت فألقى فيها فلم تضره . فقيل للأسود : انفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك ، فأمره فارتحل .

فأتى المدينة وقد قُبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبومسلم راحلته بباب المسجد ، ثم دخل المسجد وقام يصلى إلى سارية ، فبصُر به عمر بن الخطاب فأتاه فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : ما فعل الرجل الذى حرقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب . قال : فأنشدك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق ، فقال : الحمد الله الذى لم يُمتنى حتى أرانى من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن .

قال إسماعيل بن عيّاش : فأنا أدركت رجالا من الأمداد الذين يُمَدّون إلينا من اليمن من خَوْلان ، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين : صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره .

وروى الحافظ بن عساكر أيضا من غير وجه عن إبراهيم بن دُحَيم ، حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد ، أخبرني سعيد بن بشير ، عن أبي بشر - جعفر بن أبي وَحْشية - أن رجلا أسلم فأراده قومه على الكفر فألقوه في نار لم تحترق منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء ، فقدم على أبي بكر فقال : استغفرلي . قال : أنت ألقيت في النار فلم تحترق . فاستغفر له ثم خرج إلى الشام ، وكانوا يسمونه بإبراهيم - عليه السلام - وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولاني .

وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة ، كما جاء في حديث الشفاعة : وحرَّم الله على النار أن تأكل مواضع السجود .

وقد نزل أبو مسلم بداريًا من غربي دمشق وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح ، وكان يغازي ببلاد الروم ، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً ، وقبره مشهورٌ بداريًا ، والظاهر أنه مقامه الذي كان يكون فيه ، فإن الحافظ بن عساكر رجح أنه مات ببلاد الروم ، في خلافة معاوية وقيل : إنه في أيام ابن يزيد ، بعد الستين والله أعلم .

وقد وقع لأحمد بن أبي الحوَارَي من غير وجه أنه جاء إلى أستاذه أبي سليمان يُعلمه بأن التنور قد سجَروه وأهله ينتظرون ما يأمرهم به ، فوجدوه يكلم الناس وهم حوله فأخبره بذلك فاشتغل عنه بالناس ، ثم أعلمه فلم يلتفت إليه ، ثم أعلمه مع أولئك الذين حوله ، فقال : اذهب فاجلس فيه ، فذهب أحمد بن أبي الحواري إلى التنور فجلس فيه وهو يتضرّم ناراً فكان عليه برداً وسلاماً ، وما زال فيه حتى استيقظ أبو سليمان من كلامه فقال لمن حوله : قوموا بنا إلى أحمد بن أبي الحواري ، فإني أظنه قد ذهب إلى التنور فجلس فيه امتثالا لما أمرته . فذهبوا فوجدوه جالسا فيه ، فأخذ بيده الشيخ أبو سليمان وأخرجه منه ، - رحمة الله عليهما ورضي الله عنهما - .

وقال شيخنا أبو المعالي وأما إلقاؤه - يعني إبراهيم - عليه السلام - من المنجنيق ، فقد وقع في حديث البراء بن مالك في وقعة مُسَيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى

حائط حفير فتحصنوا به أغلقوا الباب، فقال البراء بن مالك: ضعونى على بُرْش واحملونى على رؤوس الرماح ثم ألقونى من أعلاها داخل الباب، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقاتل المشركين وقتله مسيلة.

* * *

قلت وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى أيام الصديق حين بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبنى حنيفة وكانوا فى قريب [من] مائة ألف أويزيدون، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون، فقال: المهاجرون والأنصار: خلّصنا ياخالد فميّزهم عنهم، وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمائة، فصمّموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، فهزموهم بإذن الله وألجأوهم إلى حديقة هناك، وتسمى حديقة الموت، فتحصنوا بها، فحصروهم فيها.

ففعل البراء بن مالك، أخو أنس بن مالك ـ وكان الأكبر ـ ما ذكر من رفعه على الأسنّة فوق الرماح حتى تمكّن من أعلى سورها، ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سريعا إليهم، ولَم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة.

ودخل المسلمون يكبّرون وانتهوا إلى قصر مُسَيلمة وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أورق [(١)]، أى من سمرته، فابتدره وحشى بن حرب الأسود، قاتل حمزة، بحربته وأبو دُجانة سمّاك بن خَرَشة الأنصارى ـ وهو الذى يُنْسَب إلى شيخنا هذاأبو المعالى بن الزّمْلكانى ـ فسَبقه وحشى فأرسل الحربة عليه من بُعد فأنفذَها منه، وجاء إليه أبو دُجَانة فعلاه بسيفه فقتله، لكن صرخت جارية من فوق القصر: وأميراه، قتله العبد الأسود

ويقال: إن عُمْر مُسيلمة يوم قتل مائة وأربعون سنة، لعنه الله، فمن طال عمره وساء عمله قبحه الله.

وهذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

* * *

(١) الأورق من الإبل: مافى لونه بياض إلى السواد. وفي المطبوعة: أزرق وهو تحريف.

وأما الحافظ أبو نُعَيم فإنه قال : فإن قيل : فإن إبراهيم اختص بالخُلّة مع النبوة . قيل فقد اتخذ الله محمداً خليلاً وحبيباً ، والحبيب ألطف من الخليل .

ثم ساق من حديث شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحْوص ، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **لو كنت متخِذاً خَليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ،ولكن صاحبكم خليلُ الله** (١) .

وقد رواه مسلم من طريق شُعبة ، والثورى عن أبى إسحاق ، ومن طريق عبد الله بن مُرة ، وعبد الله بن مسعود يحدث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخى وصاحبى ،وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا** » .

هذا لفظ مسلم ورواه أيضا منفرداً به عن جُنْدَب بن عبد الله البجَلى كما سأذكره .

وأصل الحديث فى الصحيحين عن أبى سعيد ، وفى أفراد البخارى عن ابن عباس وابن الزبير كما سقت ذلك فى فضائل الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، وقد أوردناه هنالك من رواية أنس والبراء وجابر وكعب بن مالك وأبى الحسين بن العلى وأبى هريرة وأبى واقد الليثى وعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

ثم إنما رواه أبو نعيم من حديث عبيد الله بن زَحْر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم عن أبى أمامة ، عن كعب بن مالك أنه قال : **عهدى بنبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمعته يقول : لم يكن نبى إلا له خليل من أمته ، وإن خليلى أبو بكر ،وإن الله اتخذ صاحبكم خليلاً** (٢)

وهذا الإسناد ضعيف ومن حديث محمد بن عَجْلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : **قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لكل نبى خليل ،وخليلى أبو بكر بن قُحَافة وخليل صاحبكم الرحمن**(٣)

وهو غريب من هذا الوجه ،ومن حديث عبد الوهاب بن الضحاك ، عن إسماعيل

---

(١) (صحيح) أحمد فى مسنده ٤١٦١ .

(٢) (موضوع) ذكره ابن حبان المجروحين .

(٣) فى إسناده ضعف لأجل محمد بن عجلان .

ابن عَيّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير ، عن كثير بن مُرّة ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ومنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة تِجَاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين** [1] .

غريب وفى إسناده نظر ، انتهى ما أورده أبو نعيم ـ رحمه الله ـ .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم قالا : حدثنا زكريا بن عَدى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، حدثنا زيد بن أبى أنيسة ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، حدثنا جُنْدَب بن عبد الله قال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : إنى أبرأ إلى الله ـ عز وجل ـ أن يكون بينكم خليل فإن الله قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك .

وأما اتخاذه حسينا خليلا ، فلم يتعرض لإسناده أبو نعيم .

وقد قال هشام بن عمار فى كتابه المبعث : حدثنا يحيى بن حمزة الحضرمى ، وعثمان ابن علان القُرشى ، قالا : حدثنا عروة بن رُوَيم اللّخْمى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : **إن الله أدرك بى الأجل المرقوم وأخذنى لُقربه ، واحتضرنى احتضاراً ، فنحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وأنا قائل قولا غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صَفِّى الله ، وأنا حبيب الله ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وإن بيدى لواء الحمد وأجارنى الله عليكم من ثلاث : أن يُهلككم بسَنَة ، وأن يستبيحكم عدوكم ، وأن تُجْمعوا على ضلالة** [2] .

* * *

وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخُلّة بكلام طويل إلى أن قال : ويقال : الخليل الذى يعبد ربه على الرغبة والرهبة ، من قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

---

(١) (حسن الإسناد) وفى متنة غرابة .

(٢) (ضعيف) وآفته الإرسال .

ريحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [1] من كثرة ما يقول : أواه . والحبيب الذى يعبد ربه على الرؤية والمحبة ، ويقال : الخليل الذى يكون معه انتظار العطاء ، والحبيب الذى يكون معه إنتظار اللقاء ، ويقال : الخليل الذى يَصل بالواسطة من قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [2] والحبيب الذى يصل إليه من غير واسطة ، من قوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [3] .

وقال الخليل : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [4] وقال الله للحبيب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [5]

وقال الخليل : ﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [6] وقال الله للنبى : ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ [7]

وقال الخليل حين أُلقى فى النار : «حسبى الله ونعم الوكيل » وقال الله لمحمد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [8]

وقال الخليل : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [9] وقال الله لمحمد : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴾ [10]

وقال الخليل : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ [11] وقال الله لمحمد : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [12] .

وقال الخليل : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [13] وقال الله للحبيب : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [14]

وقال الخليل : ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [15] وقال الله لمحمد : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [16] . وذكر أشياء أخر.

(1) سورة التوبة : ١١٤ . (2) سورة الأنعام : ٧٥. (3) سورة النجم : ٩ .
(4) سورة الشعراء : ٨٢ . (5) سورة الفتح : ٢ . (6) سورة الشعراء : ٨٧ .
(7) سورة التحريم : ٨ . (8) سورة الأنفال : ٦٤ . (9) سورة الصافات : ٩٩ .
(10) سورة الضحى : ٧. (11) سورة الشعراء : ٨٤ . (12) سورة الشرح : ٤
(13) سورة إبراهيم : ٣٥ . (14) سورة الأحزاب : ٣٣ (15) سورة الشعراء : ٨٥ .
(16) سورة الكوثر : ١ .

وسيأتى الحديث فى صحيح مسلم عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إنى سأقوم مقاماً يوم القيامة يَرغب إلى الخَلْقُ كلهم حتى أبوهم إبراهيم الخليل .

فدل على أنه أفضل إذ هو يحتاج إليه فى ذلك المقام ، ودل على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده ، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعده لذكَره .

***

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ حُجب عن نمروذ بحُجب ثلاثة

قيل : فقد كان كذلك وحُجب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمن أرادوه بخمسة حجب ، قال الله تعالى فى أمره : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [(١)] فهذه ثلاث ، ثم قال: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [(٢)] ثم قال : ﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ [(٣)] فهذه خمسة حجب .

وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد ، وما أدرى أيهما أخذ من الآخر ، والله أعلم .

وهذا الذى قاله غريب ، والحجُب التى ذكرها لإبراهيم ـ عليه السلام ـ لا أدرى ما هى كيف وقد ألقاه فى النار التى نجاه الله منها ؟

وأما ما ذكره من الحُجب التى استدل عليها بهذه الآيات ، فقد قيل إنها جميعها معنوية لا حسية ، بمعنى أنهم مَصْرُوفون عن الحق ، لا يصل إليهم ، ولا يخلُص إلى قلوبهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [(٤)] وقد حررنا ذلك فى التفسير .

***

وقد ذكرنا فى السيرة [(٥)] وفى التفسير أن أم جميل امرأة أبى لهب ، لما نزلت السورة فى

---

(١) سورة يس : ٩ . (٢) سورة الإسراء : ٤٥ (٣) سورة يس : ٨ .
(٤) سررة فصلت : ٥ . (٥) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

ذمها وذم زوجها ، ودخولهما النار ، وخسارهما ، جاءت بفهْر - وهو الحجر الكبير - لترجم النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فانتهت إلى أبى بكر وهو جالس عند النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فلم تر رسول الله - ﷺ - ، وقالت لأبى بكر : أين صاحبك ؟ فقال : وماله ؟ فقالت : إنى هجانى . فقال : ماهجاك ؟ فقالت : والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر ، ثم رجعت وهى تقول : مُذَمَّمًا أبَيْناَ ، ودينَه قلَيْنا .

وكذلك حَجب ومَنع أبا جهل حين همَّ أن يطأ برجله رأس النبى - ﷺ - وهو ساجد، فرأى جَدثا من نار وهَوْلاً عظيماً وأجنحة الملائكة دونه ، فرجع القهقرى وهو يَتّقى بيديه ، فقالت له قريش : مالك ، ويحك ؟ فأخبرهم بما رأى ، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : لو أقدَم لا ختطفته الملائكة عضواً عضواً .

وكذلك لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الهجرة وقد أرْصدوا على مَدْرَجته وطريقه ، وأرسلوا إلى بيته رجالا يحرسونه لئلا يخرج ، ومتى عاينوه قتلوه ، أمر علياً فنام على فراشه ، ثم خرج عليهم وهم جلوس ، فجعل يذرّ على رأس كل إنسان منهم ترابا ويقول : شاهت الوجوه ، فلم يروه حتى صار هو وأبو بكر الصديق إلى غار ثور ، كما بسطنا ذلك فى السيرة .

وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سدّ على باب الغار ليعمى الله عليهم مكانه ، وفى الصحيح أن أبا بكر قال : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصَرنا . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وقد قال بعض الشعراء فى ذلك :

نسج داوُد ماحَمى صاحب الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

وكذلك حُجب ومُنع من سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم حين اتّبعهم ، بسقوط قوائم فرسه فى الأرض حتى أخذ منه أمانا كما تقدم بسطه فى الهجرة .

****

وذكر ابن حامد فى كتابه فى مقابلة إضجاع إبراهيم - عليه السلام - ولده للذبح مستسلما لأمر الله تعالى ، بذْلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه للقتل يوم أحد

وغيره حتى نال منه العدو ما نالوا ، من هَشْم رأسه ، وكسر ثَنِيَّته اليمنى والسفلى ، كما تقدم بسط ذلك فى السيرة [1] .

ثم قال : قالوا : كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ ألقاه قومه فى النار فجعلها الله برداً وسلاما .

قلنا : وقد أوتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثله ، ووذلك ، انه لما نزل بخيبر سَمّته الخيبرية ، فصيّر ذلك السم فى جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ، والسم عرق يستقر فى الجوف إذ لا [يحرق] كما تحرق النار .

قلت : وقد تقدم الحديث بذلك فى فتح خيبر ، ويؤيد ما قاله أن بشر بن البراء بن مَعْرور مات سريعاً من تلك الشاة المسمومة ، وأخبر ذراعها رسول الله ـ ﷺ ـ بما أودع فيه من السم ، وكان قد نَهس [2] منه نَهْسة ، وكان السم فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب الذراع ، فلم يضره السم الذى حصل فى باطنه بإذن الله ـ عز وجل ـ ، حتى انقضى أجله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فذكر أنه وجد حينئذ من ألم ذلك السم الذى كان فى تلك الأكلة ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقد ذكرنا فى ترجمة خالد بن الوليد المخزومى ، فاتح بلاد الشام ، أنه أتَى بسم فحساه [3] بحضرة الأعداء ليُرْهبهم بذلك ، فلم ير بأسا ، ـ رضى الله عنه ـ .

***

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم خصَم [4] نمروذَ ببرهان نبوته فبهتَه ، قال الله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [5] .

قيل : محمد ـ ﷺ ـ أتاه الكذاب بالبعث أُبَى بن خلف ، بَعظْم بال ففركه وقال : ﴿

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .

(٢) نهس : أخذ بمقدم أسنانه .

(٣) حساه : شربه شيئا . وفى المطبوعة : فحثاه . وهو تحريف .

(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم : ٥١ : قصم نمروذ .

(٥) سورة البقرة : ٢٥٨ .

قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم ﴾ (١) فأنزل الله تعالى البرهان الساطع : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم ﴾ فانصرف مبهوتا ببرهان نبوته (٢) .

قلت : وهذا أقطع للحُجة ، وهو استدلاله للمعاد بالبداءة ، فالذى خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، قادر على إعادتهم كما قال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيم ﴾ (٣) أى يعيدهم كما بدأهم كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (٤) وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه ﴾ (٥)

هذا وأمر المعاد نَظرىٌ لا فطرىٌ ضرورى فى قول الأكثرين ، فأما الذى حاج إبراهيم فى ربه فإنه معاند مكابرَ ، فإن وَجود الصانع مذكور فى الفطَر وكل واحد مفطور على ذلك إلا من تغيرت فطرته ، فيصير نظريا عنده ، وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات ، وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذى يحيى الموتى لا يقبْله عقْل ولا سَمْع ، وكل واحد يكذبه بعقله فى ذلك ، ولهذا ألزمه إبراهيم بالإتيان بالشمس من المغرب إن كان كما ادعى ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين ﴾ (٦) .

وكان ينبغى أن يذكر مع هـذا أن الله تعالى سلط محمداً على هذا المعاند لما بارز النبى ـ ﷺ ـ يوم أُحد ، فقتله بيده الكريمة ، طعنه بَحْربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مراراً، فقالوا له : ويحك مالك ؟ فقال : والله إن بى لما لو كان بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين : ألم يقل : بل أنا أقتله ؟ والله لو بصق علىَّ لقتلنى . وكان هذا ـ لعنه الله ـ قد أعد فرساً وحربة ليقتل بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فكان كذلك يوم أحد .

* * *

(١) سورة يس : ٧٨ .
(٢) (مرسل) عن أبى مالك أن أبى بن خلف .
(٣) سورة يس : ٧٩ .
(٤) سورة القيامة : ٤٠ .
(٥) سورة الروم : ٢٧ .
(٦) سورة البقرة : ٢٥٨ .

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كسر أصنام قومه غضباً لله . قيل : فإن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ كسر ثلاثمائة وستين صنما ، قد ألزمها الشيطان بالرصاص والنحاس ، فكان كلما دنى منها بمخصَرته تهوى من غير أن يمسها ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [1] فتساقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأخرجن إلى الميل [2] ، وهذا أظهر وأجلى من الذى قبله ، وقد ذكرنا هذا فى أول دخول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة عام الفتح بأسانيده وطرقه من الصحاح وغيرها ، بما فيه كفاية .

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم ، وهذا أبلغ وأقوى فى المعجز من مباشرة كسرها ، وقد تقدم أن نار فارس التى كانوا يعبدونها خمدت أيضا ليلتئذ ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشرة شرفة ، مُؤذنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم فى أقصر مدة وكان لهم فى المُلك قريب من ثلاثة آلاف سنة .

* * *

وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فلم يذكره أبو نُعيم ولا ابن حامد وسيأتى فى إحياء الموتى على يد عيسى ـ عليه السلام ـ ما وقع من المعجزات المحمدية من هذا النمط ماهو مثل ذلك كما سيأتى التنبيه عليه إذا انتهينا إليه ، من إحياء أموات بدعوات أمته ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه ، وتكليم الذراع له وغير ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ والآيات بعدها فقد قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد .

وقد ذكرنا فى أحاديث الإسراء من كتابنا هذا ، ومن التفسير ما شاهده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة أسرى به من الآيات فيما بين مكة إلى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا ، ثم عايَن من الآيات فى السموات السبع وما فوق ذلك ، وسدْرة

---

(١) سورة الإسراء : ٨١ .

(٢) الميل . علم مبنى فى طريق مكة لهداية المسافرين .

المنتهى ، وجنة المأوى ، والنار التي هي بئس المصير والمثوى ، وقال ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ في حديث المنام ـ وقد رواه أحمد والترمذى وصححه ، وغيرها ـ فتجلَّى لى كل شيء وعرفتُ .

وذكرا ابن حامد فى مقابلة ابتلاء الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بفقده ولده يوسف ـ عليه السلام ـ وصبره واستعانته ربه ـ عز وجل ـ ، موت إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصبره عليه ، وقوله : تَدْمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزنون .

قلت : وقد مات بناته الثلاثة : رقية ، وأم كلثوم ، وزينب . وقُتل عمه الحمزة ، أسَد الله وأسد رسوله يوم أُحد ، فصبر واحتسب .

وذكر فى مقابلة حُسن يوسف ـ عليه السلام ـ ما ذكر من جمال رسول الله ـ ﷺ ـ ومهابته وحلاوته شكلاً ونفعاً وهَدْياً ، ودَلاً [1] ويُمْناً كما تقدم فى شمائله من الأحاديث الداله على ذلك ، كما قالت الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ : لو رأيته لرأيت الشمس طالعة .

وذكرفى مقابلة ما ابتلي به يوسف ـ عليه السلام ـ من الفُرقة والغربة ، هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى المدينة ، ومفارقته وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها .

القول فيما أوتى موسى ـ عليه السلام ـ من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [2] .

وقد شرحناها فى التفسير ، وحكينا قول السلف فيها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور على أنها هى العصا فى انقلابها حية تَسعى ، واليد ، إذا أدخل يده فى جيب درعه أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقُمل والضفادع والدم ، آيات مفصلات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ، وكذلك أخَذَهُم اللهُ بالسنين ، وهى نقص الحبوب . وبالجدْب وهو نقص الثمار ، وبالموت الذّريع وهو نقص الأنفس ، وهو الطوفان فى قول ، ومنها فَلق البحر لإنجاء بنى إسرائيل

(١) دلا : سكينة ووقاراً وحسن المظهر .
(٢) سورة الإسراء : ١٠١ .

وإغراق آل فرعون ، ومنها تضليل بنى إسرائيل فى التّيه ، وإنزال المنّ والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجَر يحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه ، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبْط عين ، ثم يضربه فينقلع ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير وفى قصة موسى ـ عليه السلام ـ فى قصص الأنبياء ولله الحمد والمنة . وقيل . كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى ، وقصة البقرة .

أما العصا فقال شيخنا العلامة ابن الزّملكانى : وأما حياة عصا موسى فقد سبّح الحصا فى كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو جماد ، والحديث فى ذلك صريح وهذا الحديث مشهور عن الزهرى عن رجل عن أبى ذر .

وقد قدمنا ذلك مبسوطا فى دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته ، وقيل : إنهن سبّحن فى يد أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما سبحن فى كف رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال : هذه خلافة النبوة .

***

وقد روى الحافظ بسنده إلى بكر بن حُبيش ، عن رجل سمَّاه : قال كان بيد أبى مسلم الخَوْلانى سبحة يسبّح بها قال : فنام والسبحة فى يده ، قال : فاستدارت السبحة فالتفّت على ذراعه وهى تقول : سبحانك يا مُنْبت النبات ، ويا دائم الثبات ، فقال : هلم يا أم مسلم وانظرى إلى أعجب الأعاجيب ، قال : فجاءت أم مسلم والسبحةتدور وتسّبح فلما جلست سكتت .

وأصح من هذا كله وأصرح ، حديث البخارى عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

قال شيخنا : وكذلك قد سلمت عليه الأحجار .

قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىّ بمكة قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن ، قال بعضهم : هو الحجر الأسود .

وقال الترمذى : حدثنا عبَّاد بن يعقوب الكوفى ، حدثنا الوليد بن أبى ثَور ، عن السّدى ، عن عباد بن يزيد ، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله [1] .

ثم قال : غريب .

ورواه أبو نُعَيم فى الدلائل من حديث السّدى ، عن أبى عمارة الحَيْوانى ، عن على قال خرجت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل لا يمر بحجر ولا شجَر ولا مدَر ولا شئ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : وأقبلت الشجرة عليه بدعائه ، وذكر اجتماع تَيْنك الشجرتين لقضاء حاجته من ورائهما ثم رجوعهما إلى منابتهما .

وكلا الحديثين فى الصحيح .

ولكن لا يلزم من ذلك حلول حياة فيهما ، إذ يكونان ساقهما سائق ، ولكن فى قوله : انقادا علىّ بإذن الله ، مايدل على حصول شعور منهما لمخاطبته ، ولا سيما مع امتثالهما ما أمرهما به ، قال : وأمر عذْقاً من نخلة أن ينزل فنزل ينْقُز فى الأرض حتى وقف بين يديه فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فشهد بذلك ثلاثا ثم عاد الى مكانه ، وهذا أليق وأظهر فى المطابقة من الذى قبله ، ولكن هذا السياق فيه غرابة .

والذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى ، ورواه البيهقى والبخارى فى التاريخ من رواية أبى ظَبْيان حُصَين بن جندب ، عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت إن دعوتُ هذا العذْقَ من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فدعا العذق فجعل العَذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض فجعل ينْقُز حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال له : ارجع فرجع إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسولَ الله ، وآمن به [2] .

هذا لفظ البيهقى ، وهوظاهر فى أن الذى شهد بالرسالة هو الأعرابى ، وكان رجلا من

---

(١) (ضعيف الإسناد) ذكره الألبانى فى ضعيف سنن الترمذى برقم ٧٤٧ .

(٢) (صححه) الحاكم على شرط مسلم وراجع دلائل النبوة ٦ / ١٥ .

بني عامر ، ولكن في رواية البيهقي من طريق الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال : جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما هذا الذي يقول أصحابك ؟ قال وحولَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعذاق وشجر ، فقال : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم ، فدعا غصنا منها فأقبل يَخدّ الأرض حتى وقف بين يديه وجعل يسجد ويرفع رأسه ، ثم أمره فرجع ، قال : فرجع العامري وهو يقول : يابني عامر بن صَعْصَعة : والله لا أكذّبه بشيء يقوله أبداً .

وتقدم فيما رواه الحاكم في مستدركه متفرداًبه عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا رجلاً إلى الإسلام فقال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة فدعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدّا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى مَنْبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إنْ يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك .

* * *

قال : وأما حنين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فعمل ل المنبر ، فلما رقي عليه وخطب حنّ الجذعُ إليه حنين العُشَار والناس يسمعون بمشْهد الخَلق يوم الجمعة ، ولم يزل يئنّ ويحنّ حتى نزل إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاعتنقه وسكّنه ، وخيّره بين أن يرجع غُصنا طرياً أو يغرس في الجنة يأكل منه أولياء الله ، فاختار الغرس في الجنة وسكَن عند ذلك ، فهو حديث مشهور معروف ، قد رواه من الصحابة عددكثير متواتر ، وكان بحضور الخلائق .

وهذا الذي ذكره من تواتر حنين الجذع كما قال ، فإنه قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة وعنهم أعداد من التابعين ، ثم من بعدهم آخرون عنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به في الجملة .

وأما تخيير الجذع كما ذكر شيخنا فليس بمتواتر ، بل ولا يصح إسناده ، وقد أوردته في الدلائل عن أبي بن كعب ، وذكر في مسند أحمد ، وسنن ابن ماجة ، وعن أنس من خمس طرق إليه ، صحح الترمذي إحداها ، وروى ابن ماجة أخرى ، وأحمد ثالثة ، والبزّار رابعة

وأبو نعيم خامسة . وعن جابر بن عبد الله فى صحيح البخارى من طريقين عنه ، والبزار من ثالثة ورابعة ، وأحمد من خامسة وسادسة ، وهذه على شرط مسلم ، وعن سهل بن سعد فى مصنّف ابن أبى شيبة على شرط الصحيحين ، وعن ابن عباس فى مسند أحمد وسنن ابن ماجة بإسناد على شرط مسلم ، وعن ابن عمر فى صحيح البخارى ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر ، وعن أبى سعيد في مسند عبد بن حُمَيد بإسناد على شرط مسلم ، وقد رواه يَعْلى الموصلى من وجه آخر عنه ، وعن عائشة رواه الحافظ أبو نعيم من طريق على بن أحمد الخَوارزمىّ ، عن قَبيصة بن حبّان بن على عن صالح بن حبان ، عن عبد الله بن بُرَيدة عن عائشة ، فذكر الحَديث بطوله ، وفيه أنه خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذعُ الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف ، وهذا غريب إسناداً ومتنا ، وعن أم سلمة رواه أبو نعيم بإسناد جيد .

وقدمّت الأحاديثَ ببسط أسانيدها وتحرير ألفاظها وغُرَرها بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، ومن تدبّرها حصل له القطع بذلك ولله الحمد والمنة .

* * *

قال القاضى عياض بن موسى السّبْتى المالكى في كتابه الشّفا : وهو حديث مشهور متواتر خرجه أهل الصحيح . ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبَى وأنس وبُريَدة وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر والمطّلب بنْ أبى وداعة وأبو سعيد وأم سلمة - رضى الله عنهم أجمعين - .

قال شيخنا : فهذه جمادات ونباتات وقد حنّت وتكلمت ، وفى ذلك ما يقابل انقلاب العصا حيةً .

قلت : وسنشير إلى هذا عند ذكر معجزات عيسى - عليه السلام - فى إحيائه الموتى بإذن الله تعالى فى ذلك ، كما رواه البيهقى عن الحاكم ، عن أبى أحمد بن أبى الحسن ، عن عبد الرحمن بن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن سوار قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمداً - ﷺ - .

فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى فقال : أعطى محمدٌ الجذعَ الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر ، فلما هُيئ له حنّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك .

وهذا إسناد صحيح إلى الشافعي ـ رحمه الله ـ، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزِّي رحمه يذكره عن الشافعي ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ.

وإنما قال : فهذا أكبر من ذلك ، لأن الجذع ليس محلاً للحياة ومع هذا حصل له شعور ووجْد لما تحـول عنه إلى المنبر فـأنّ وحنّ حنينَ العُشار حتى نزل إليـه رسـول الله ـ ﷺ ـ فاحتضنه وسكَّنه حتى سكن .

قال الحسن البصري : فهذا الجذع حنَّ إليه ، فإنهم [1] أحق أن يَحنّوا إليه .

وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله فعظيم ، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور في محـل ليس مـألوفا لذلك لم تكن فيه قبل بالكلية . فسبحان الله رب العالمين .

تنبيه :

وقد كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لواء يحمل معه في الحرب يَخْفق في قلوب أعدائه مسيرة شهر بين يديه وكانت له عنزة تحمل بين يديه فإذا أراد الصلاة إلى غير جدار ولا حائل ركزت بين يديه ، وكان له قَضيب يتوكأ عليه إذا مشى ، وهو الذي عبر عنه سطيح في قوله لابَن أخيه عبد المسيح بن نُفَيلة : يا عبد المسيح ، إذا كثرت التلاوةُ ، وظهَر صاَحبُ الهرَاوة وغاضت بحرة ساوة ، فليست الشام لسطيح شاما .

ولهذا كان ذكر هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجعلها حية أليق ، إذ هي مساوية لذلك ، وهذه متعددة في محال متفرقة ، بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدد جعلها حيةً ، فهي ذات واحدة والله أعلم .

ثم ننبه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى لأن هذه أعجب وأكبر وأظهر وأعلم .

قال شيخنا : وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد تقدم حصول الكلام للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء مع الرؤية وهو أبلغ .

(١) رواية ابن الجوزي في الوفا : فأنتم أحق .

هذا أورده فيما يتعلق بمعجزات موسى - عليه السلام - ليلة الإسراء فيشهد له : فنوديتُ يا محمد قد كُلّفت فريضتين وخَفّفتُ عن عبادى ، وسياق بقية القصة يرشد إلى ذلك ، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك ، لكن رأيت فى كلام القاضى عياض نقل خلاف فيه . والله أعلم .

وأما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلفَ والسلف ، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيمة المشهور بإمام الأئمة ، واختار ذلك القاضى عياض والشيخ محيى الدين النووى ، وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية ، وجاء عنه تفنيدها ، وكلاهما فى صحيح مسلم .

وفى الصحيحين عن عائشة إنكار ذلك ، وقد ذكرنا فى الإسراء عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى ذر وعائشة - رضى الله عنهم - أن المرئى فى المرتين المذكورتين فى أول سورة النجم ، إنما هو جبريل - عليه السلام - ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنّى [1] أراه ، وفى رواية : رأيت نوراً .

وقد تقدم بسط ذلك فى الإسراء فى السيرة وفى التفسير فى أول سورة بنى إسرائيل

وهذا الذى ذكره نبينا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية - عليه أفضل الصلاة والسلام - .

وأيضاً فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سيناء . وسأل الرؤيا فمنعها ، وكلم محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رفع لمستوى سَمع فيه صَريف الأقلام ، وحصلت له الرؤية فى قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف ، والله أعلم .

ثم رأيت ابن حامد قد طرق هذا فى كتابه وأجاد وأفاد وقال ابن حامد : قال الله تعالى لموسى : «وألقيت عليك محبة منى» وقال لمحمد : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وأما اليد التى جعلها الله برهانا وحجة لموسى على فرعون وقومه كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ

---

(١) المطبوعة : نورا لى . وهو تحريف .

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ وقال في سورة طه : ﴿ . . . آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴾ .

فقد أعطى الله محمداً انشقاق القمر ـ بإشارته إليه ـ فرقتين ، فرقة من وراء جبل حراء ، وأخرى أمامه ، كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ .

ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر في المعجزات وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك .

وقد قال كعب بن مالك في حديثه الطويل في قصة توبته : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه فلقة قمر . وذلك في صحيح البخاري .

وقال ابن حامد : قالوا : فإن موسى أعطى اليدَ البيضاء ؟

قلنا لهم : فقد أُعطى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هو أفضل من ذلك ، نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس وقام ، يراه الناس كلهم ، وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة ألا ترى أنه يُرى النور الساطع من قبره ـ ﷺ ـ من مسيرة يوم وليلة ؟

هذا لفظه وهذا الذي ذكره من هذا النور غريب جداً .

وقد ذكرنا في السيرة عند إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أنه طلبَ من النبي ـ ﷺ ـ **آية تكون له عونا على إسلام قومه من بيته هناك ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح ، فقال : اللهم في غير هذا الموضع فإنهم يظنونه مُثلة . فتحول النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يده ببركة رسول الله ـ ﷺ ـ وبدعائه لهم في قوله : اللهم اهد دَوسا ، وأت بهم ، وكان يقال للطفيل : ذو النور لذلك** (١) .

وذكر أيضا حديث أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر في خروجهما من عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه .

وذلك في صحيح البخاري وغيره .

(١) هو في صحيح البخاري برقم ٢٩٣٧ .

وقال أبو زُرْعة الرازى فى كتاب دلائل النبوة : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أنس عن مالك ، **أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبى ـ ﷺ ـ فى ليلة ظلماء حندس فأضاءت عصا أحدهما مثل السِّراج وجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرقا إلى منزلهما أضائت عصا ذا وعصا ذا** (١) .

ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام ، وعن يعقوب بن حميد المدنى ، كلاهما عن سفيان بن حمزة بن يزيد الأسلمى ، عن كثير بن زيد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى ، عن أبيه قال : **سرنا فى سفر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة ظلماء دُحْمُسة فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرَهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتستنير** (٢) .

وروى هشام بن عمار فى المبعث : حدثنا عبد الأعلى بن محمد البكرى ، حدثنا جعفر ابن سليمان البصرى ، حدثنا أبو التيَّاح الضبعىّ ، قال : كان مطرّف بن عبد الله ببدّر فيدخل كل جمعة فربما نوّر له فى سوطه ، فأدلج ذات ليلة وهو على فرسه حتى إذا كان عند المقابر هدم به ، قال : فرأيت صاحب كل قبر جالساً على قبره ، فقال : هذا مطرف يأتى الجمعة فقلت لهم : وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم ما يقول فيه الطير ، قلت : وما يقول فيه الطير ؟ قالوا : يقول : رب سلم سلم قوم صالح .

وأما دعاؤه ـ عليه السلام ـ بالطوفان ، وهو الموت الذريع فى قول ، وما بعده من الآيات والقحط والجدب ، فإنما كان ذلك لعلهم يرجعون إلى متابعته ويقلعون عن مخالفته ، فما زادهم إلا طغيانا كبيراً ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾(٣) . ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ

(١) (صحيح) كسابقه صححه الحاكم على شرط مسلم .
(٢) (حسن) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ / ١٦١٥٣ .
(٣) سورة الزخرف ٤٨ ، ٤٩ .

لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » [١] .

وقد دعا رسول الله ـ ﷺ ـ على قريش حين تمادوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شئ ، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع .

وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ بذلك كما رواه البخارى عنه فى غير ما موضع من صحيحه .

ثم توسلوا إليه ، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، بقرابتهم منه مع أنه بعث بالرحمة والرأفة ، فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب ، وأحيوا بعد ما كانوا أشرفوا على الهلكة .

* * *

وأما فَلْق البحر لموسى ـ عليه السلام ـ حين أمره الله تعالى ـ حين تراءى الجمعان ـ أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطّود العظيم ، فإنه معجزة عظيمة باهرة ، وحجة قاطعة قاهرة ، وقد بسطنا ذلك فى التفسير وفى قصص الأنبياء وفى إشارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق القمر فلقتين وفق ما سأله قريش ، وهم معه جلوس فى ليلة البدر ، أعظم آية ، وأيمن دلالة وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى ، ولم ينقل معجزة عن نبى من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا ، كما قررنا ذلك بأدلته من الكتاب والسنة ، فى التفسير وفى أول البعثة .

وهذا أعظم من حبس الشمس قليلا ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت كما سيأتى فى تقرير ذلك مع ما يناسب ذكره عنده .

وقد تقدم من سيرة العلاء بن الحضرمى ، وأبى عبيد الثقفى وأبى مسلم الخولانى وسير الجيوش التى كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهى جارية عجّاجة تقذف الخشب من شدة جريها ، وتقدم تقرير أن هذا أعجب من فلق البحر لموسى من عدة وجوه ، والله أعلم

(١) سورة الأعراف ١٣٢ ـ ١٣٦ .

وقال ابن حامد : فإن قالوا : فإن موسى ـ عليه السلام ـ ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان ذلك آية لموسى ـ عليه السلام ـ .

قلنا : فقد أوتى رسول الله ـ ﷺ ـ مثلها . قال على ـ رضى الله عنه ـ : لما خرجنا إلى خيبر فإذا نحن بواد سحب وقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة ، فقالوا : يا رسول الله العدو من ورائنا والوادى من أمامنا ، كما قال أصحاب موسى : إنا لَمُدْركون ، فنزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعبرَت الخيل لا تُبدى حوافرها والإبل لا تبدى خفافَها ، فكان ذلك فتحا .

وهذا الذى ذكره بلا إسناد ولا أعرفه فى شئ من الكتب المعتمدة بإسناد صحيح ولا حسن بل ولا ضعيف ، فالله أعلم .

وأما تظليله بالغمام فى التيه ، فقد تقدم ذكر حديث الغمامة التى رآها بَحيرا تظله من بين أصحابه ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، صحبةَ عمه أبى طالب وهو قادم إلَى الشام فى تجارة ، وهذا أبهر من جهة أنه كان وهو قبل أن يوحى إليه ، وكانت الغمامة تظله وحده من بين أصحابه ، فهذا أشد فى الاعتناء ، وأظهر من غمام بنى إسرائيل وغيرهم ، وأيضا فإن المقصود من تظليل الغمام إنما كان لاحتياجهم إليه من شدة الحر .

وقد ذكرنا فى الدلائل حين سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعوا لهم ليسقوا هم عليه من الجوع والجهد والقحط ، فرفع يديه وقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا .

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قَزَعة ، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار ، فأنشأت من ورائه سحابة مثل التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال أنس : فلا والله ما رأينا الشمس سبتنا .

ولما سألوه أن يَسْتصحى لهم رفع يده وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما جعل يشير بيديه إلى ناحية إلا انحاز السحاب إليها حتى صارت المدينة مثل الإكليل يمطر ما حولها ولا تمطر .

فهذا تظليل عام محتاج إليه ، آكَد من الحاجة إلى ذلك ، وهو أنفع منه والتصرف فيه وهو تيسير أبْلَغ فى المعجز وأظهر فى الاعتناء . والله أعلم .

وأما إنزال المن والسلوى عليهم فقد كثَّر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطعام والشراب فى غير ما موطن كما تقدم بيانه فى دلائل النبوة من إطعام الجم الغفير من الشئ اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من شُوَيهة جابر بن عبد الله وصاعة الشعير ، أزيدَ من ألف نفس جائعة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ دائماً إلى يوم الدين ، وأطعم من جَفْنة قوماً من الناس وكانت تُمدّ من السماء ، إلى غير ذلك من هذا القبيل مما يطول ذكره .

وقد ذكر أبو نعيم وابن حامد أيضا ها هنا أن المراد بالمن والسلوى إنما هو رزق رُزقوه من غير كد منهم ولا تعب ، ثم أورد فى مقابلته حديث تَحْليل المغْنَم ولا يحل لأحد قبلنا وحديث جابر فى سريّة أبى عُبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخبط فحَسر البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عُكَن بطونهم ، والحديث فى الصحيح كما تقدم ، وسيأتى عند ذكر المائدة فى معجزات المسيح بن مريم قصة أبى موسى الخولانى أنه خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الحج وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مزاداً فكانوا إذا نزلوا منزلاً صلى ركعتين فيؤتون بطعام وشراب وعلف يكفيهم ويكفى دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (١) فقد ذكرنا بسط ذلك فى قصة موسى ـ عليه السلام ـ وفى التفسير .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى وضع النبى ـ ﷺ ـ يده فى ذلك الإناء الصغير الذى لم يسَعْ بسطها فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون ، وكذلك كثر الماء فى غير ما موطن ، كمزادتى تلك المرأة ، ويوم الحديبية ، وغير ذلك .

قال أبو نعيم الحافظ : فإن قيل : إن موسى كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً فى التيه ، قد علم كل أناس مشربهم . قيل : كان لمحمد ـ ﷺ ـ مثله أو أعجب ، فإن نبع الماء من الحجر مشهور فى العلوم والمعارف ، وأعجب من ذلك نبع الماء بين اللحم والدم والعظم ، فكان يفرّج بين أصابعه فى مِخْضَب فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويُسقون ماء جارياً عذباً ، يُروى العدد الكثير من الناس والخيل والإبل .

---

(١) سورة البقرة : ٦٠

ثم روى عن طريق المطّلب بن عبد الله بن حَنْطَب : حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى ، حدثنى أبى ، قال : كنا مع سول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة غزاها فبات الناس فى مَخْمصة فدعا بركْوة فوضعت بين يديه ، ثم دعا بماء فصبه فيها ، ثم مجّ فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل إصبعه فيها ، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تنفجر منها ينابيع الماء ، ثم أمر الناس فسقوا وشربوا وملأوا قِرَبهم وإداواتهم [1] .

وأما قصة إحياء الذين قُتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة ، فسيأتى ما يشابههما من إحياء حيوا نات وأناس ، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ابن مريم ، والله أعلم ،

وقد ذكر أبو نعيم ها هنا أشياء أخر تركناها اختصاراً واقتصاراً .

وقال هشام بن عمار فى كتابه المبعث :

(١) (صحيح الإسناد) وهو عند أحمد برقم ١٥٣٨٨ ، ١١٠٢٢ .

بـاب

ما أعطى رسول الله ـ ﷺ ـ وما أعطى الأنبياء قبله

حدثنا محمد بن شعيب ، حدثنا رَوْح بن مُدْرك ، أخبرنى عمر بن حسان التميمى ، أن موسى ـ عليه السلام ـ أُعطى آية من كنوز العرش : ربّ لا تولج الشيطانَ فى قلبى وأعذْنى منه ومن كل سوء ، فإن لك اليد والسلطان والملك والملكوت ، دهرَ الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين .

قال : وأعطى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آيتان من كنوز العرش ، آخر سورة البقرة : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى آخرها .

قصة حبس الشمس

على يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ عليهم السلام ـ .

وقد كان نبىّ بنى إسرائيل بعد موسى ـ عليه السلام ـ ، وهو الذى خرج ببنى إسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتَلة ، وكان الفتح قد يُنْجَز بعد العصر يوم الجمعة ، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال ، فنظر إلى الشمس فقال : إنك مأمورة وأنا مأمور ، ثم قال : اللهم احبسها علىّ . فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت .

وقد قدمنا فى قصة من قصص الأنبياء الحديث الوارد فى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همَّام ، عن أبى هريرة ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : غزا نبى من الأنبياء فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم أمسكها علىّ شيئا . فحبست عليه حتى فتح الله عليه ، الحديث بطوله .

وهذا النبى هو يوشع بن نون ، بدليل ما رواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال

رسول الله ـ ﷺ ـ : **إن الشمس لم تُحبس لبشر إلا ليوشع ـ عليه السلام ـ ليالي سار إلى بيت المقدس** (١)

تفرد به أحمد وإسناده على شرط البخاري .

إذا عُلم هذا فانشقاق القمر فلقتين حتى صارت فلقة من وراء الجبل ـ أعني حِرَاء ـ وأخرى من دونه ، أعظم فى المعجزات من حبس الشمس قليلا .

وقد قدمنا فى الدلائل حديث رد الشمس بعد غروبها ، وذكرنا ما قيل فيه من المقالات فالله أعلم .

قال شيخنا العلامة أبو المعالى ابن الزَّمْلكانى : وأما حبس الشمس ليوشع فى قتال الجبارين ، فقد انشق القمر لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانشقاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن مسيرها ، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر ، وأنه كان فرقةً خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأن قريشا قالوا : هذا سحرَ أبصارنا . فوردت المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقا ، قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ .

قال : وقد حبست الشمس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرتين ، إحداهما ما رواه الطحاوى وقال : رواته ثقات ، وسماهم وعَدّهم واحداً واحداً ، وهو أن النبى ـ ﷺ ـ كان يوحى إليه ورأسه فى حجر على ـ رضى الله عنه ـ فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس ولم يكن علىٌّ صلى العصر ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس . فردَّ الله عليه الشمسَ حتى رئيت فقام على فصلى العصر ، ثم غربت .

والثانيه صبيحة الإسراء ، فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبر قريشاً عن مسراه من مكة إلى بيت المقدس ، فسألوه عن أشياء من بيت المقدس فجلاَّه الله له حتى نظر إليه ووصفه لهم ، وسألوه عن عير كانت لهم فى الطريق فقال : إنها تصل إليكم مع شروق الشمس ، فتأخرت فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت العصر .

---

(١) (صحيح) وهو فى المسند برقم ٨٢٩٨ .

روى ذلك ابن بكير فى زيـاداته علـى السيـرة . أمـا حـديث رد الشمس بسبب علـى ـ رضى الله عنه ـ فقـد تقـدم ذكرنا لـه من طريق أسمـاء بنت عُمَيس ، وهو أشهـرها ، وابن سعيد وأبى هريرة وعلىّ نفسه ، وهو مستنكَر من جميع الوجوه ، وقد مال إلى تقويته أحمد ابن صـالح المصرى الحافظ ، وأبو حفص الطحـاوى ، والقاضى عيـاض ، وكذا صحـحه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطّهر وذويه ، ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم ، كعلى بن المدينى ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، وحكاه عن شيخه محـمد ويعلى بن عبيد الطّنَافسيّين ، وكأبى بكر محـمد بن حاتم البخارى المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ ، والحافظ الكبير أبى القاسم بن عساكر ، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفـرج بن الجوزى فى كتـاب الموضوعـا ت ، وكـذلك صـرح بوضـعه شـيـخاى الحـافظان الكبيران أبو الحجاج المزّى ، وأبو عبد الله الذهبى .

وأما ما ذكره يونس بن بُكير فى زياداته على السيرة من تأخر طلوع الشمس عن إبان طلوعها ، فلم ير لغيره من العلماء ، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة ، وأكثر ما فى الباب أن الراوى روى تأخير طلوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته .

وأغرب من هذا ما ذكره بن المطهر فى كتابه المنهاج ، أنها رُدّت لعلى مرتين ، فـذكر الحديث المتقدم ، كما ذكر ، ثم قال : وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل ، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم ، وصلى لنفسه فى طائفة من أصحابه العصر ، وفاتت كثيراً منهم فتكلموا فى ذلك ، فسأل الله رد الشمس فردت .

قال : وذكر أبو نعيم بعد موسى إدريس ـ عليه السلام ـ وهو عند كثير من المفسرين من أنبياء بنى إسرائيل ، وعند محمد بن إسحاق بن يسار وآخرين من علماء النسب قبل نوح ـ عليه السلام ـ ، فى عمود نسبه إلى آدم ـ عليه السلام ـ ، كما نبهنا على ذلك . فقال :

القول فيما أعطى إدريس ـ عليه السلام ـ

من الرفعة التى نوه الله بذكرها فقال : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

قال : والقول فيه أن نبينا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى أفضل وأكمل من ذلك ، لأن الله تعالى رفع ذكره فى الدنيا والآخرة فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فلـيس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله فقرَن الله اسمه باسمه ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة .

ثم أورد حديث ابن لَهيعة ، عن درَّاج ، عن أبي الهشيم ، عن أبي سعيد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال : قال جبريل : قال الله : إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ[1] .

ورواه ابن جرير وابن أبي عاصم من طريق دراج .

ثم قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ، حدثني موسى بن سهل الجَوْني ، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتيّ ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **لما فرغتُ مما أمرني الله تعالى به من أمر السموات والأرض قلت يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرّمته جعلت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخرت لداود الجبال ، ولسيمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟**

قال : أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ؟ ألا أذكر إلا ذُكرت معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله[2] .

وهذا إسناد فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم بن بنت مَنيع البغَوي عن سليمان بن داود الزهراني ، عن حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه .

وقد رواه أبو زُرْعة الرازي في كتاب دلائل النبوة بسياق آخر ، وفيه انقطاع ، فقال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن رزيق ، أنه سمع عطاء الخراساني يحدث عن أبي هريرة وأنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ من حديث ليلة أسري به ، قال : لما أراني الله من آياته فوجدت ريحاً طيبة فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجنة قالت : يا رب أئتني بأهلي ، قال الله تعالى : لك ماوعدتك ، كل مؤمن

(١) (ضعيف) ضعفه أحمد بن حنبل وأبو حاتم والنسائي والدار قطني .
(٢) (ضعيف جداً) .

ومؤمنة لم يتخذ من دونى أنداداً ، ومن أقرضنى قربته ، ومن توكل على كفيته ، ومن سألنى أعطيته ، ولا ينقص نفقته ، ولا ينقص ما يتمنى ، لك ماوعدتك ، فنعم دار المتقين أنت ، قالت : رضيت .

فلما انتهينا إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعت رأسى فقلت : يا رب اتخذتَ إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكلمياً ، وآتيت داود زبوراً ، وآتيت سليمان ملكا عظيما

قال : فإنى قد رفعت لك ذكْرك ، ولا تجوز لأمتك خطبةُ حتى يشهدوا أنك رسولى وجعلت قلوب أمتك أناجيل ، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشى .

ثم روى من طريق الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى هريرة ، حديث الإسراء بطوله ، كما سقناه من طريق ابن جرير فى التفسير :

وقال أبو زُرْعة فى سياقه : ثم لقى أرواح الأنبياء - عليهم السلام - فأثنوا على - ربهم عز وجل - فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا ، وأعطانى ملكاً عظيماً ، وجعلنى أمة قانتاً لله محياى ومماتى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها علىّ برداً وسلاماً .

ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليماً ، واصطفانى برسالته وبكلامه ، وقربنى نجياً ، وأنزل علىَّ التوارة ، وجعل هلاك فرعون على يدى .

ثم إن داود أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعلنى مَلكا وأنزل علىَّ الزبور وألان لىَّ الحديد ، وسخر لىَّ الجبال يسبّحن معى والطير ، وآتانى الحكَمة وفَصْل الخطاب

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح والجن والإنس ، وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وجفَان كالجواب وقُدور راسيات ، وعلمنى منطق الطير ، وأسال لى عين القطْر ، وأعطانى مُلكا لا ينبغى لأحد من بعدى .

ثم إن عيسى أثنى على الله - عز وجل - فقال : الحمد لله الذى علمنى التوراة والإنجيل ، وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وطهرنى ورفعنى من الذين كفروا ، وأعاذنى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

ثم إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه ، وأنا

مُثْن على ربى ، الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين . وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما .

فقال إبراهيم : بهذا فضَلكم محمد ـ ﷺ ـ .

ثم أورد الحديث المتقدم فيما رواه الحاكم والبيهقى ، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر بن الخطاب مرفوعاً فى قول آدم : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى فقال الله : وما أدراك وما أخلقه بعد ؟ فقال : لأنى رأيت مكتوبا مع اسمك على ساق العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لا تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك .

وقال بعض الأئمة : رفَع الله ذكره ، وقرنه باسمه فى الأولين والآخرين ، وكذلك يرفع قدره ويقيمه مقاماً محموداً يوم القيامة ، يغبطه به الأولون والآخرون ، ويَرْغب إليه الخلق كلهم حتى إبراهيم الخليل ، كما ورد فى صحيح مسلم فيما سلف وسيأتى أيضا .

فأما التنويه بذكره فى الأمم الخالية ، والقرون السابقة ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « **ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حى ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه** » وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه ، وقد بشّرت بوجوده الأنبياء حتى كان آخر من بشر به عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بنى إسرائيل ، وكذلك بشرت به الأحبار والرهبان والكهان ، كما قدمنا ذلك مبسوطاً .

ولما كانت ليلة الإسراء رفع من سماء إلى سماء حتى سلم على إدريس ـ عليه السلام ـ ، وهو فى السماء الرابعة ، ثم جاوَزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلم على موسى بها ، ثم جاوز إلى السابعة فسلم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وجاء سدْرة المنتهى ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء وشيّعه مَن كل مقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هى الرفعة ، وهذا هو

التكريم والتنويه والإشهاروالتقديم والعلو والعظمة ،ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين ـ.

وأما رفع ذكره فى الآخرين ،فإن دينه باق ناسخ لكل دين ،ولا يُنسخ هو أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين ،ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خزلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ،والنداء فى كل يوم خمس مرات على كل مكان مرتفع من الأرض : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وهكذا كل خطيب يخطب لابد أن يذكره فى خطبته ،وما أحسن قول حسان

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهودٌ يلوح ويُشْهَدُ
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهدُ
وشق له من اسمه ليُجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

وقال الصرْصَرى ـ رحمه الله ـ :

ألم تر أنا لا يصح أذاننا ... ولا فَرْضنا إن لم نكرره فيهما

القول فيما أوتى داود ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

وقد ذكرنا قصته ـ عليه السلام ـ فى التفسير، وطيب صوته ـ عليه السلام ـ، وأن الله تعالى كان قد سخر له الطير تسبح معه ـ وكانت الجبال أيضا تجيبه وتسبح معه، وكان سريع القراءة، يأمر بدوابه فتُسْرج فيقرأ الزبور بمقدار ما يفرغ من شأنها ثم يَرْكب، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

وقد كان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسن الصوت طيّبه بتلاوة القرآن.

قال جُبَير بن مُطْعم: قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المغرب بالتين والزيتون فما سمعت صوتا أطيب من صوته ـ ﷺ ـ وكان يقرأ ترتيلاً كما أمره الله ـ عز وجل ـ بذلك.

وأما تسبح الطير مع داود، فتسبيح الجبال الصُّم أعجب من ذلك، وقد تقدم فى الحديث أن الحصا سبح فى كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. قال ابن حامد: وهذا حديث معروف مشهور، وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ـ ﷺ ـ.

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ـ يعنى بين يدى النبى ـ ﷺ ـ:

وكلّمه ذراع الشاة المسمومة، وأعلمه بما فيه من السم، وشهدت بنبوته الحيوانات الإنسية والوحشية، والجمادات أيضا، كما تقدم بسط ذلك كله.

ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصّم التى لا تجاويف فيها، أعجب من

---

(١) سوره ص ١٧ ـ ١٩.
(٢) سورة سبأ ١٠، ١١.

صدور ذلك من الجبال ، لما فيها من التجاويف والكهوف ، فإنها وما شاكلها تردد صدى الأصوات العالية غالبا . كما قال عبد الله بن الزبير : كان إذا خطب ـ وهو أمير المدينة بالحرم الشريف ـ تجاوبه الجبال ، أبو قبيس وزرود ، ولكن من غير تسبيح ، فإن ذلك من معجزات داود ـ عليه السلام ـ .

ومع هذا كان تسبيح الحصا في كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر وعمر وعثمان ، أعجَب .

وأما أكل داود من كسب يده ، فقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأكل من كسبه أيضا ، كما كام يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط . وقال : وما من نبى إلا وقد رعى الغنم . وخرج إلى الشام فى تجارة لخديجة مضاربةً ، وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [(١)] أى للتكسب والتجارة طلبا للربح الحلال .

ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة ، كان يأكل مما أباح له من المغانم التى لم تُبَح قَبله ، ومما أفاء الله عليه من أموال الكفار التى أبيحت له دون غيره ، كما جاء فى المسند والترمذى عن ابن عمر قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بُعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وأما إلانة الحديد بغير نار كما يلين العجين فى يده ، فكان يصنع هذه الدروع الداودية وهى الزّرْديات الصابغات ، وأمَره الله تعالى بنفسه بعملها ، وقدّر فى السّرْد ، أى ألا يدق المسمار فيعلق ، ولا يَعْصله [(٢)] فيُقْصَم ، كما جاء فى البخارى ، وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ .

وقد قال بعض الشعراء فى معجزات النبوة :

---

(١) سورة الفرقان ٦ ـ ٢٠ .

(٢) يعصله : يعوجه .

نَسْج داود مـاحـمى صـاحبَ الغـا ر وكـان الفـخـار للعنكبـوت

والمقصود المعجز فى إلانة الحديد ، وقد تقدم فى السيرة عند ذكر حفر الخندق عام الأحـزاب ، فى سنة أربع ، وقيل : خمس أنهم عـرضت لهم كُدْيَة - وهى الصـخـرة فى الأرض - فلم يقدروا على كسرها ولا شئ منها ، فقام إليهـا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع - فضرب بها ثلاث ضربات ، لمعت الأولى حتى أضاءت منها قصور الشام ، وبالثانيه قصور فارس ، وثالثة ، ثم انسالت الصخرة كأنها كَثيب من الرمل ، ولا شك أن انسيـال الصخـرة التى لا تنفعل ولا بالنار أعـجب من لين الحديد الذى إن أحمى لان . كما قال بعضهم :

فلو أن ما عالجتُ لـين فـؤادهـا فقسا [استُلين به] [1] للانَ الجندلُ

والجندل الصخر ، فلو أن شيئا أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر المبالغ ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ الآية .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ الآية فذلك لمعنى آخر فى التفسير ، وحاصله أن الحديد أشد امتناعا فى الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالَج ، فإذا عولج انفعل الحديد ولا ينفعل الحجر . والله أعلم .

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فقد ليَّن الله لداود - عليه السلام - الحديد حتى سرَد منه الدروع السوابغ .

قيل : [قد] [2] لُيِّنت لمحمد - ﷺ - الحجارة وصُمّ الصخور ، فعادت له غاراً استتر به من المشركين ، يوم أحد ، مال إلى الجبل ليخفى شخصه عنهم فليّن [الله له [2]] الجبل حتى أدخل رأسه فيه ، وهذا أعجَب لأن الحديد تلينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر .

قال : وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس . قال : وكذلك فى بعض شعاب مكة حجر من جبل [أصّم استـروَح] [3] فى صـلاته . [4] إليـه فلان الحـجر حتى أثر [5] فيه بذراعيه

(١) من الزهرة لابن داود الأصبهانى ١١٩ . والبيت للأحوص .
(٢) من دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٢١ .
(٣) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٢١ . طبع حيدر آباد .
(٤) المطبوعة : صلاية ، وهو تحريف .
(٥) الأصل : حتى أدرأ فيه وهو تحريف وهو تحريف ، وما أثبته من دلائل النبوة ٥٢١ .

وساعديه ، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويرونه [1] . وعادت الصخرة ليلة أسرى به كهيئة العجين ، فربط بها دابته ـ البراق ـ وموضعه يمسونه الناس [2] إلى يومنا هذا .

وهذا الذى أشار إليه ، من يوم أحد وبعض شعاب مكة غريب جداً ، ولعله قد أسنده هو فيما سلف ، وليس ذلك بمعروف فى السيرة المشهورة . وأما ربط الدابة فى الحجر فصحيح والذى ربطها جبريل كما هو فى صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ .

وأما قوله : وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقد كانت الحكمة التى أوتيها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والشرعة التى شرعت له ، أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبله من الأنبياء ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ ، فإن الله جمع له محاسن من كان قبله ، وفضله ، وأكمله [وآتاه] مالم يؤت أحداً قبله ، وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أوتيت جوامع الكلم واختصرت لى الحكمة اختصاراً .

ولا شك أن العرب أفصح الأمم ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفصحهم نطقا ، وأجمع لكل خلق جميل مطلقا .

القول فيما أوتى سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ

قال الله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [3] .

وقال تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ

---

(١) دلائل النبوة : ويزورونه .
(٢) دلائل النبوة : يلمسه الناس .
(٣) سورة ص ٣٦ ـ ٤٠ .
(٤) سورة الأنبياء ٨١ ، ٨٢ .

مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١) .

وقد بسطنا ذلك فى قصته وفى التفسير أيضا .

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى ، وابن حبّان والحاكم فى مستدركه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ـ ﷺ ـ : أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا ، سأل الله حُكْما يوافق حكمه ومُلْكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى هذا المسجد أحد إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

أما تسخير الريح لسليمان فقد قال الله تعالى فى شأن الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وقد تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم من طريق شعبة عن الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : نُصرت بالصّبا وأُهلكت عاد بالدّبور ورواه مسلم من طريق الأعمش عن مسعود بن مالك ، عن سعيد بن جُبير . عن ابن عباس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثله وثبت فى الصحيحين : نُصرت بالرعب مسيرة شهر .

ومعنى ذلك أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الرعب فى قلوبهم قبل وصوله إليهم بشهر ، ولو كان مسيره شهراً .

فهذا فى مقابلة : «غدوّها شهر ورَواحها شهر » ، بل هذا أبلَغ فى التمكن والنصر والتأييد والظَّفَر ، وسخرت الرياح تسوق السحاب لإنزال المطر الذى امتن الله به حين استسقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غير ما موطن كما تقدم .

* * *

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فإن سليمان سخرت له الريح فسارت به فى بلاد الله وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً .

(١) سورة سبأ ١٢ ، ١٣ .

قيل : ما أعطى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم وأكبر ، لأنه سار فى ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مَسيرة شهر ، وعُرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة ، فى أقل من ثلث ليلة ، فدخل السموات سماء سماء ، ورأى عجائبها ، ووقف على الجنة والنار ، وعُرض عليه أعمال أمته ، وصلى بالأنبياء وبملائكة السموات ، واخترق الحجب ، وهذا كله فى ليلة قائما ، أكبر وأعجب .

وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غير ما موطن ، يوم أحد وبدر ، ويوم الأحزاب ويوم حنين ، كما تقدم ذكرنا ذلك مفصلا فى مواضعه . وذلك أعظم وأبهر ، وأجل وأعلى من تسخير الشياطين وقد ذكر ذلك ابن حامد فى كتابه .

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **إن عفريتاً من الجن تفلّت علىّ البارحة ، أو كلمة نحوها ليَقْطع علىّ الصلاة فأمكننى الله منه ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى يصبحوا وينظروا إليه ، فذكرت دعوة أخى سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ قال رَوح : فرده الله خاسئا** » .

لفظ البخارى .

ولمسلم عن أبى الدرداء نحوه ، قال : ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح يلعب به ولدان أهل المدينة .

وقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبى سعيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام يصلى صلاة الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أختنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين ، الإبهام والتى تليها ، ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان أهل المدينة .

وقد ثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفّدت الشياطين ،

وفى رواية : مرَدة الجن .

فهذا من بركة ما شرعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه ، وسيأتى عند إبراء الأكمه والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ، دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لغير ما واحد ممن أسلم من الجن فشفى ، وفارقهم خوفا منه ومهابة له ، وامتثالاً لأمره . ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ .

وقد بعث الله نفراً من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحذروهم مخالفته ، لأنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن ، فآمنت طوائف من الجن كثيرة كما ذكرنا ، ووفدت إليه منهم وفود كثيرة وقرأ عليهم سورة الرحمن ، وخبّرهم بما لمن آمن منهم من الجنان ، وما لمن كفر من النيران ، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم ، فدل على أنه بين لهم ما هو أهم من ذلك وأكبر .

وقد ذكر أبو نعيم ها هنا حديث الغول التى كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه ـ ﷺ ـ ويريدون إحضارها إليه فتمتنع كل الامتناع خوفا من المثول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسى من كتابنا التفسير . ولله الحمد . والغول هى الجن المتبدى بالليل فى صورة مرعبة .

وذكر أبو نعيم ها هنا حماية جبريل له ـ عليه السلام ـ غير مامرة من أبى جهل كما ذكرنا فى السيرة ، وذكر مقالته جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يوم أحد .

وأما ما جمع الله تعالى لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله ، فقد خير الله عبده محمد ـ ﷺ ـ بين أن يكون مَلكا نبيا أو عبداً رسولا ، فاستشار جبريل فى ذلك فأشار إليه وعليه أن يتواضع . فاختار أنْ يكون عبداً رسولا وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس ، ولا شك أن منصب الرسالة وقد عرضت على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كنوز الأرض فأباها ، قال : ولو شئت لأجرى الله معى جبال الأرض ذهبا ، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما .

وقد ذكرنا ذلك كله بأدلته وأسانيده فى التفسير وفى السيرة أيضا . ولله الحمد والمنة .

وقد أورد الحافظ أبو نعيم ها هنا طرفاً منها من حديث عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن

الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينا أنا نائم جئ بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت فى يدى .

ومن حديث الحسين بن واقد عن الزبير عن جابر مرفوعا : أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبْلق جاءنى به جبريل عليه قطيفة من سندس .

ومن حديث القاسم عن أبى لبابة مرفوعاً : عَرض علىَّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك .

***

قال أبو نعيم : فإن قيل : سليمان ـ عليه السلام ـ كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ النمل : ١٦ . وقال : ﴿ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ النمل : ١٨ ـ ١٩ .

قيل قد أعطى محمد ـ ﷺ ـ مثل ذلك وأكثر منه فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم والسباع وحنين الجذْع ورُغَاء البعير وكلام الشجر وتسبيح الحصا والحجر ودعائه إياه واستجابته لأمره ، وإقرار الذئب بنبوته ، وتسبيح الطير لطاعته ، وكلام الظّبية وشكواها إليه وكلام الضب وإقراره بنبوته ، وما فى معناه ، كل ذاك قد تقدم فى الفصول بما يغنى عن إعادته انتهى كلامه .

قلت : وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السم وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود ، وقال إن هذه السحابة لتبتهل بنصرك يا عمرو بن سالم ـ يعنى الخزاعى ـ حين أنشده تلك القصيدة يستعديه فيها على بنى بكر الذين نقضوا صلح الحديبية ، وكان ذلك سبب فتح مكة كما تقدم وقال ـ ﷺ ـ : إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىَّ بمكة قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن .

فهذا إن كان كلاما مما يليق بحاله ففهم عنه الرسول ذلك ، فهو من هذا القبيل وأبلغ لأنه جماد بالنسبة إلى الطير والنمل لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح .

وإن كان سلاماً نطقيا وهو الأظهر ، فهو أعجب من هذا الوجه أيضا كما قال على : خرجت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى بعض شعاب مكة ، فما مر بحجر ولا شجر ولا مدَر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فهذا النطق سمعه رسول الله ـ ﷺ ـ وعلى ـ رضى الله عنه ـ .

ثم قال أبو النعيم : حدثنا أحمد بن محمد بن الحارث العنبرى ، حدثنا أحمد بن يوسف بن سفيان ، حدثنا إبراهيم بن سويد النخعى ، حدثنا عبد الله بن أُذَينه الطائى ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال : أتى النبى ـ ﷺ ـ وهو بخيبر ـ حمار أسود فوقف بين يديه فقال : من أنت فقال أنا عمرو بن فهران ، كنا سبعة إخوة وكلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فملكنى رجل من اليهود ، وكنت إذا ذكرك عثرت به فيوجعنى ضربا ، فقال النبى ـ ﷺ ـ فأنت يعفور .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ولا يحتاج إلى ذكره مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة التى فيها غنية عنه . وقد روى على غير هذه الصفة ، وقد نص على نكارة ابن أبى حاتم عن أبيه ، والله أعلم .

القول فيما أوتى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ

ويسمى المسيح فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدميه ، وقيل لخروجه من بطن أمه ممسوحاً بالدهان ، وقيل : لمسح جبريل [له] بالبركة ، وقيل : لمسح الله الذنوب عنه ، وقيل : لأنه كان لا يمسح أحداً إلا برأ . حكاها كلها الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ .

ومن خصائصه أنه ـ عليه السلام ـ مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى ، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له كن فيكون . وكذلك يكون عيسى بالكلمة وبنفخ جبريل مريم فخلق منها عيسى

ومن خصائصه وأمه أن إبليس ـ لعنه الله ـ حين ولد ذهب يَطْعن فطَعن فى الحجاب كما جاء فى الصحيح .

ومن خصائصه أنه حىٌّ لا يمت ، وهو الآن فى جسده فى السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلما ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية ، كما رواه

وقال شيخنا العلامة ابن الزَمْلكَانى رحمه الله : وأما معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ فمنها إحياء الموتى .

وللنبى ـ ﷺ ـ من ذكر ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت وقد كلم النبى ـ ﷺ ـ الذراعُ المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياءالإنسان الميت من وجوه :

أحدها ، إنه إحياء جزء من الحيوان دون بقيته ، وهذا معجزلو كان متصلا بالبدن .

الثانى أنه أحياه وحده منفصلا عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية .

الثالث : أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوان يعقل فى حياته الذى هو جزؤه مما يتكلم ، وفى هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التى أحياها الله لإبراهيم ـ ﷺ ـ .

قلت : وفى حلول الحياة والإدراك والعقل فى الحجر الذى كان يخاطب النبى ـ ﷺ ـ كما روى فى صحيح مسلم ، من المعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان فى الجملة ، لأنه كان محلا للحياة فى وقت ، بخلاف هذا ؛ حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك ، وكذلك تسليم الأحجار والمدَر عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة ، وحنين الجذع .

وقد جمع ابن أبى الدنيا كتابا فيمن عاش بعد الموت ، وذكر منها كثيراً .

وقد ثبت عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قُبض ، فبسطنا عليه ثوبه وسجّيناه ، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه فالتفت إليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبى مصيبتك عند الله . فقالت : وما ذاك ؟ أمات ابنى ؟ قلنا : نعم . قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم .

فمدت يدها إلى الله تعالى فقالت : اللهم إنك تعلم أنى أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعيننى عند كل شدة ورخاء ، فلا تحمّلنى هذه المصيبة اليوم . قال : فكشف الرجل عن وجهه وقعد ، وما برحنا حتى أكلنا معه .

وهذه القصة قد تقدم التنبيه عليها فى دلائل النبوة وقد ذكر معجز الفرقان مع قصة العلاء بن الحضرمى .

وهذا السياق الذى أورده شيخنا ذكر بعضه بالمعنى ، وقد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا والحافظ أبو بكر البيهقى من غير وجه عن صالح بن بشير المرّى ـ أحد زُهّاد البصرة وعبادها ـ وفى حديثه لين عن أنس فذكره .

وفى رواية البيهقى أن أمه كانت عجوزاً عمياء ثم ساقه البيهقى من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس كما تقدم ، وسياقه أتم ، وفيه أن ذلك كان بحضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، ولكن فيه انقطاع بين عبدالله ابن عون وأنس والله أعلم .

قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عبد الله بن ادريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن بن أبى سَبْرة النّخعى قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان فى بعض الطريق نفق حماره فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى جئت من المدينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىّ اليوم منة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حمارى . فقام الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة .

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلى ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى وكأنه عد إسماعيل من الوجهين . والله أعلم .

قلت : كذلك رواه ابن أبى الدنيا من طريق إسماعيل عن الشعبى فذكره .

قال الشّعبى : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع فى الكناسة ـ يعنى بالكوفة ـ

وقد أوردها ابن أبى الدنيا من وجه آخر ، وإن ذلك كان فى زمن عمر بن الخطاب وقد قال بعض قومه فى ذلك :

ومنا الذى أحيى الإلـه حمارَه   وقد مات منه كل عضو ومفصلِ

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأبى بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .

قال البخارى فى التاريخ الكبير : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً وتوفى فى زمن عثمان ، وهو الذى تكلم بعد الموت .

وروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى دلائله وصححه كماتقدم من طريق العتبى عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن زيد بن خارجة الأنصارى ثم من الحارث بن الخزرج ، توفى زمن عثمان بن عفان فسجّى بثوبه ثم إنهم سمعوا جلجلةً فى صدره ، ثم تكلم فقال : أحمد فى الكتاب الأول صدق صدق ، أبو بكر الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول صدق صدق ، عمر بن الخطاب القوى فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت ثنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم عن جيشكم خير .

قال يحيى بن سعيد : قال سعيد بن المسيب : ثم هلك رجل من بنى حطمة فسجى بثوبه فسمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بنى حارثَ بن الخزرج صدق صدق .

ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول وصححه البيهقى .

قال : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة . والله أعلم .

قلت : قد ذكرت فى قصة سَخْلة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها ومن قليل شعير ما تقدم . وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر(١) ، فى كتابه الغرائب والعجائب بسنده ، كما سبق أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها فى منزله . والله أعلم .

قال شيخنا ومن معجزات عيسى الإبراء من الجنون ، وقد أبرأ النبى ـ ﷺ ـ يعنى من ذلك ـ

هذا آخر ما وجدته فيما حكيناه عنه .

فأما إبراء عيسى من الجنون ، فما أعرف فيه نقلاً خاصاً ، وإنما كان يبرئ الأكمه والأبرص ، والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة .

---

(١) المطبوعة : بيشكر ، وهو تحريف

وأما إبراء النبى ـ ﷺ ـ من الجنون ، فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقى من غير وجه عن يعلى بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لَمَمٌ ما رأيت لمماً أشد منه ، فقالت يا رسول الله ابنى هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يوجد منه فى اليوم ما يؤذى ، ثم قالت : مرة .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ناولينيه ، فجعلته بينه وبين واسطة الرّحل ، ثم فغر فاه ونفث فيه ثلاثا وقال : بسم الله ، أنا عبد الله ، اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه . فذكرت أنه برأ من ساعته وما رابَهم شئ بعد ذلك .

وقال أحمد حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن فَرْقد السَّبَخى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت : يا رسول الله إن به لمماً ، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا .

قال : فمسح رسول الله ـ ﷺ ـ ودعا له فثَعّ ثَعّة [1] فخرج منه مثل الجرو الأسود فشفى .

غريب من هذا الوجه ، وفرقد فيه كلام وإن كان من زهاد البصرة ، لكن ما تقدم له شاهد وإن كانت القصة واحدة . والله أعلم .

وروى البزار من طريق فرقد أيضا عن سعد بن عباس قال : كان النبى ـ ﷺ ـ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إن الخبيث قد غلبنى ، فقال لها : تصبّرى على ما أنت عليه وتجيء يوم القيامة ليس عليك ذنوبٌ ولا حساب ؟ فقالت : والذى بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله ، ثم قالت : إنى أخاف الخبيث أن يجردنى . فدعا لها ، وكانت إذا أحست أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها وتقول له اخسأ فيذهب عنها

وهذا دليل على أن فَرْقد قد حفظ ، فإن هذا له شاهد فى صحيح البخارى ومسلم من حديث عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه السوداء أتت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : إنى أصرع وأنكشف فادع الله لى ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن

(١) ثع : قاء . وفى المطبوعة : فسغ سغة ، وهو تحريف .

يعافيك ، قالت : لابل أصبر ، فادع الله ألا أنكشف ، قال : فدعا لها فكانت لا تنكشف

ثم قال البخارى : حدثنا محمد ، حدثنا مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء أنه رأى أم زفر - امرأة طويلة سوداء - على ستر الكعبة .

وذكر الحافظ ابن الأثير فى كتاب أسد الغابة فى أسماء الصحابة ، أن أم زفر هذه كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد ، وإنها عمرت حتى رآها عطاء بن أبى رباح - رحمهما الله تعالى - .

وأما إبراء عيسى الأكمه وهو الذى يولد أعمى ، وقيل : هو الذى لا يبصر فى النهار ويبصر فى الليل ، وقيل : غير ذلك كما بسطنا ذلك فى التفسير ، والأبرص الذى به بهق فقد رد رسول الله - ﷺ - يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ما سالت على خده ، فأخذها فى كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها وكانت أحسن عينيه - رضى الله عنه - ، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة وغيره وكذلك بسطنا ثم ولله الحمد والمنة .

وقد دخل بعض ولده وهو عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينُه … فرُدت بكف المصطفى أحسنَ الردّ

فعادت كما كانت لأول أمرها … فياحُسْنَ ما عينٍ وياحسن ماخدّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لاقَعْبان من لبن … شِيناً بماء فعادابعْدُ أبوالا

ثم أجازه فأحسن جائزته .

وقد روى الدار قطنى أن عينيه أصيبتا معاً حتى سالتا على خديه ، فردهما رسول الله - ﷺ - إلى مكانهما . والمشهور الأول كما ذكر ابن اسحاق .

قصة الأعمى الذى رد الله عليه بصره
بدعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح وعثمان بن عمر ، قالا : حدثنا شعبة ، عن أبى جعفر المدينى ، سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف ، أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله أدع الله لى أن يعافينى . فقال : إن شئت أخَّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت : قال : بل ادع الله لى .

قال : فأمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتوضأ ويصلى ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، إنى أتوجه به فى حاجتى هذه فتُقْضى ، وقال فى رواية عثمان بن عمر : فشفِّعه فى ، قال : ففعل الرجل فبرأ .

ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى جعفر الخطمى . وقد رواه البيهقى عن الحاكم بسنده إلى أبى جعفر الخطمى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، فذكر نحوه ، قال عثمان : فوالله ما تفرَّقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضُرٌّ قط .

قصة أخرى

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثنى رجل من بنى سلامان بن سعد ، عن أمه ، عن خاله ، أو أن خاله أو خالها حبيب بن فُوَيْك حدثها أن أباه خرج إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فقال له : ما أصابك ؟ قال : كنت [أمرن] (1) جملاً لى فوقعت رجلى على بيض حية فأصيب بصرى فنفث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عينيه فأبصر ، فرأيته وإنه ليدخل الخيط فى الإبرة ، وأنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضّتان .

قال البيهقى : وغيره يقول حبيب بن مدرك .

---

(1) أمرن : أدهن ـ وقد سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة لأبى نعيم .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفث في عيني عليّ يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته ، ثم لم يرد بعد ما أبدا ، ومسح رجلَ جابر بن عَتيك وقدانكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع ـ تاجر أهل الحجاز الخيبرى ـ فبرأ من ساعته أيضا .

وروى البيهقى أنه ـ ﷺ ـ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد حترقت بالنار فبرأ من ساعته ، ومسح رجل سلمَة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها ، ودعا لسعد بن أبى وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفى ، وروى البيهقى أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ـ ﷺ ـ أن يدعو له ربه فدعا له فشفى من مرضه ذلك .

وكم له من مثلها وعلى مسلكها ، من إبراء آلام ، وإزالة أسقام ، مما يطول شرحه وبسطه . وقد وقع فى كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضا ، كما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق أبى سعيد بن الأعرابى عن أبى داود : حدثنا عمر بن عثمان ، حدثنا بَقيّة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى مسلم أن امرأة خَبّبت عليه امرأته ، فدعا عليها فذهب بصَرها فأتته فقالت : يا أبا مسلم ، إنى كنت فعلت وفعلت ، وإنى لا أعود لمثلها ، فقال : اللهم إن كانت صادقة فاردد عليها بصرها ، فأبصرت .

ورواه أيضا من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن واقد حدثنا ضمرة ، حدثنا عاصم ، حدثنا عثمان بن عطاء قال : كان أبو مسلم الخَوْلانى إذا دخل منزله فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته فإذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام يأكل ، فجاء ذات ليلة فكبّر فلم تجبه ، ثم جاء إلى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه ، وإذا البيت ليس فيه سراج ، وإذا هى جالسه بيدها عود تنكت فى الأرض به ، فقال لها : مالك ؟ فقالت الناس بخير ، وأنت لو أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئا تعيش به . فقال : اللهم من أفسد على أهلى فأعمِ بصَرى .

قال : وكانت أتتها امرأة فقالت لامرأة أبى مسلم : لو كلمت زوجك ليكلم معاوية فيُخْدمكم ويعطيكم ؟ قال : فبينما هذه المرأة فى منزلها والسَراج مُزْهر ، إذ أنكرت بصرها ، فقالت : سراجكم طفئ ؟ قالوا : لا ، قالت : إن الله أذهب بصرى ، فأقبلت كما هى إلى أبى مسلم فلم تزل تناشده وتتلطف إليه ، فدعا الله فرد بصرها ، ورجعت امرأته على حالها التى كانت عليها .

وأما قصة المائده التي قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقد ذكرنا في التفسير بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها هل نزلت أم لا ؟ على قولين ، والمشهور عن الجمهور أنها نزلت ، واختلفوا فيما كان عليها من الطعام على أقوال وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نَصير ، الذى فتح البلاد المغربية أيام بنى أمية وجد المائدة ، ولكن قيل إنها مائدة سليمانَ بن داود مرصعة بالجواهر وهى من ذهب فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك فكانت عنده حتى مات ، فتسلمها أخوه سليمان ، وقيل : إنها مائدة عيسى لكن يُبعد هذا أن النصارى لا يعرفون المائدة كما قاله غير واحد من العلماء والله أعلم .

والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل فقد كانت موائد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تُمد من السماء ، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه وكم قد أشبع من طعام يسير ألوف ومئات وعشرات ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تعاقبت الأوقات ، وما دامت الأرض والسموات .

وهذا أبو مسلم الخولانى ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخه أمراً عجيباً وشأناً غريباً ، حيث روى من طريق إسحاق بن يحيى الملطى ، عن الأوزاعى ، قال أتى أبو مسلم الخولانى نفر من قومه فقالوا : يا أبا مسلم أما تشتاق إلى الحج ؟ قال : بلى لو أصبتُ لى أصحابا . فقالوا : نحن أصحابك ، قال : لستم لى بأصحاب ، إنما أصحابى قوم لا يريدون الزاد ولا المزاد ، فقالوا : سبحان الله ، وكيف يسافر أقوام بلا زاد ولا مزاد ؟ قال لهم : ألا ترون إلى الطير تغدوا وتروح بلا زاد ولا مزاد والله يرزقها ؟ وهى لا تبيع ولا تشترى ، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها ؟ قال : فقالوا : فإنا نسافر معك قال : فهبوا على بركة الله تعالى .

قال : فغدَوا من غوطة دمشق ليس معهم زاد ولا مزاد ، فلما انتهوا إلى المنزل قالوا : يا أبا مسلم طعام لنا وعلف لدوابنا ، قال : فقال لهم : نعم ، فنحا غير بعيد فيمم مسجد أحجار فصلى فيه ركعتين ، ثم جثا على ركبتيه فقال : إلهى قد تعلم ما أخرجنى من منزلى وإنما خرجت آمّا لك ، وقد رأيت البخيل من ولد آدم تنزل به العصابة من الناس فيوسعهم قرىً ، وإنا أضيافك وزوارك ، فأطعمنا ، واسقنا ، واعلف دوابنا .

قال : فأتى بسفرة مدت بين يديهم ، وجئ بجفنة من ثريد ، وجئ بقلتين من ماء ، وجئ بالعلف لا يدرون من يأتى به ، فلم تزل تلك حالهم منذ خرجوا من عند أهاليهم حتى رجعوا ، لا يتكلفون زاداً ولا مزاداً .

فهذه حال ولىّ من هذه الأمة ، نزل عليه وعلى أصحابه مائدة كل يوم مرتين مع ما يضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه ، وهذا اعتناء عظيم ، وإنما ذلك ببركة متابعته لهذا النبى الكريم ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ .

* * *

وأما قوله عن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ أنه قال لبنى إسرائيل : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم ﴾ آل عمران : ٤٩ فهذا شئ يسير على الأنبياء بل وعلى كثير من الأولياء ، وقد قال يوسف الصديق لذينك الفتيين المحبوسين معه : ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ الآية .

وقد أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء ، كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التى كانت بطونُ قريش قديماً كتبتها على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يُسْلموا إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى سقف الكعبة فأرسل الله الأرضة فأكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى ، وفى رواية : فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تكون مع الذى فيها من الظلم والعدوان ، فأخبر بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمه أبا طالب وهم بالشِّعْب ، فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به ، فقالوا : إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا ، فقالوا : نعم ، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر

عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء بسواء ، فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبنى هاشم وبنى المطلب ، وهدى الله بذلك خلقاً كثيراً .

وكم له مثلها كما تقدم بسطه وبيانه فى مواضع من السيرة وغيرها ولله الحمد والمنة

وفى يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادّعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفّة الباب ، وقلت لها : إن قُتلت فهو للصِّبية ؟ فقال والله يا رسول الله إن هذا شئ لم يطلع عليه غيرى وغير أم الفضل إلا الله ـ عز وجل ـ .

وأخبر بموت النجاشى يوم مات وهو بالحبشة ، وصلى عليه ، وأخبر عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحداً بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تذرفان ، وأخبر عن الكتاب الذى أرسل به حاطب بن [أبى] بَلتعة مع شاكر مولى عبد المطلب ، وأرسل فى طلبها علياً والزبير والمقداد ، فوجدوها قد جعلته فى عقاصها ، وفى رواية فى حُجْزتها ، وقد تقدم ذلك فى غزوة الفتح .

وقال لأميرى كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن ربى قد قتل اليوم ربّكما ، فأرّخا تلك الليلة ، فإذا كِسرى قد سلط الله عليه وله فقتله ، فأسلما وأسلم نائب اليمن ، وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وأما إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جداً كما تقدم بسط ذلك وقد وقع ذلك طبق ما كان سواء .

وذكر ابن حامد فى مقابلة جهاد عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ جهاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وفى مقابلة زهد عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، زهادة رسول الله ـ ﷺ ـ عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها ، وقال : أجوع يوما وأشبع يوما .

وأنه كان له ثلاثة عشرة زوجة يمضى عليها الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح إنما هو السودان التمر والماء ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع ، وما شبعوا من خُبز بُرّ ثلاث ليال تباعاً ، وكان فراشه من أَدَم وحشوه ليف ، وربما اعتقل الشاة فيحلبها ورقع ثوبه ، وخصف نعله بيده الكريمة ، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، ومات ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام اشتراه لأهله ، هذا وكم آثر بآلاف

مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين .

وذكر أبو نعيم فى مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة بوضع عيسى ما بشُرت به آمنة أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين حملت به فى منامها ، وما قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً ، وقد بسطنا ذلك فى المولد كما تقدم .

وقد أورد الحافظ أبو نعيم ها هنا حديثا غريباً مطولاً بالمولد أحببنا أن نسوقه ليكون الختام نظير الافتتاح ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ولله الحمد . فقال : حدثنا سليمان ابن أحمد ، حدثنا حفص بن عمرو بن الصباح ، حدثنا يحيى بن عبد البابلى ، أخبرنا أبو بكر بن أبى مريم ، عن سعيد بن عمر الأنصارى ، عن أبيه قال : قال ابن العباس : فكان من دلالات حمل محمد ـ ﷺ ـ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة : قد حُمل برسول الله ـ ﷺ ـ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق كاهن فى قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حُجبت عن صاحبتها ، وانتُزِع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا ، والملك مُخرساً لا ينطق يومه لذلك ، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضاً ، وفى كل شهر من شهوره نداء فى الأرض ونداء فى السموات : أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً .

قال : وبقى فى بطن أمه تسعة أشهر ، وهلك أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، فقالت الملائكة : أنا له ولىٌّ وحافظ ونصير .

فتبركوا بمولده ميمونا مباركاً ، وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته ، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أتى لى آت حين مر لى من حمله ستة أشهر فوكزنى برجله فى المنام وقال : يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طراً ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً أو النبى ، شأنك .

قال : وكانت تحدث عن نفسها وتقول : لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم ، ، ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه ، قالت : فسمعت وَجْبة شديدة وأمراً عظيماً ، فهالنى ذلك وذلك يوم الإثنين ، ورأيت كأن جناح

طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب كل رعب وكل فزع ووجَل كنت أجد ، ثم التفت فإذا أنا بشَرْبة بيضاء ظننتها لبنا ، وكنت عطشانة ، فتناولتها فشربتها فأصابنى نورٌ عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال ، كأنهن من بنات عبد المطلب يُحدقن بى فبينا أنا أعجَب وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بى ؟ واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجْبة فى كل ساعة أعظم وأهول ، وإذا أنا بديباج أبيض قد مدّ بين السماء والأرض وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس ، قالت رأيت رجالاً وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح منى عرَق كالجمان ، أطيب ريحاً من المسك الأذفر ، وأنا أقول : ياليت عبد المطلب قد دخل علىّ .

قالت : ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد ، وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله لى عن بصيرتى ، فأبصرت من ساعتى مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاث علامات مضروبات ، علَم بالمشرق وعلم بالمغرب ، وعلم على ظهر الكعبة ، فأخذنى المخاض واشتد بى الطلق جداً ، فكنت كأنى مسندة إلى أركان النساء ، وكثرْن على حتى ملأن علىَّ البيت وأنا لا أرى شيئا ، فولدت محمداً ، فلما خرج من بطنى دُرت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرّع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيّب عن عينى ، فسمعت منادياً ينادى يقول : طوفوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرق الأرض وغربها ، وأدخلوه البحار كلها ، ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلموا أنه سمِّى الماحى ، لا يبقى شئ من الشرك إلا مُحى به ، قالت : ثم تَخلوا عنه فى أسرع وقت فإذا أنا به مدْرج فى ثوب صوف أبيض ، أشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرَّطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قبض محمد مفاتيح النصر ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة .

هكذا أورده وسكت عليه ، وهو غريب جداً .

* * *

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا ، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصارى الصرْصَرى ، الماهر الحافظ للأحاديث واللغة ذو المحبة الصادقة لرسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم ـ، فذلك يشبه فى عصره بحسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ وفى ديوانه المكتوب عنه فى مديح ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد كان ضرير البصر بصير البصيرة وكانت وفاته ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة، قتله التتار فى أهل سُنة بغداد قال فى قصيدته من حرف الحاء المهملة فى ديوانه :

محمدٌ المبعوث للناس رحمةً ... يشيّد ما أوهى الضّلالُ ويُصْلحُ

لئن سبّحت صُمُّ الجبال مجيبةً ... لداود أو لان الحديد المصفّحُ

فإن الصخور الصُّمَّ لانت بكفه ... وإن الحصا فى كفه لَيسبح

وإن كان موسى أنبعَ الماء من العصا ... فمن كفه قد أصبح الماء يطّفحُ

وإن كان الريح الرخاء مطيعةً ... سليمان لا تألو تَرُوح وتَسْرحُ

فإن الصَّبا كانت لنصر نبينا ... برعب على شَهر به الخصم يكْلحُ

وإن أوتى الملك العظيم وسخّرت ... له الجنّ تشفى مارضيه وتلدحُ

فإن مفاتيح الكنوز بأسْرها ... أتته فردَّ الزاهدُ المترجّحُ

وإن كان إبراهيم أُعطى خُلةً ... وموسى بتكليم على الطور يُمْنحُ

فهذا حبيبٌ بل خليلٌ مكلّم ... وخُصّص بالرؤيا وبالحق أشرحُ

وخُصّص بالحوض العضيم وباللّوا ... ويَشْفع للعاصيين والنار تَلفحُ

وبالمقعد الأعلى المقرَّب عنده ... عطاء ببشراه أقرّ وأفرحُ

وبالرتبة العليا الأسيلة دونها ... مراتب أرباب المواهب تلمحُ

وفى جنة الفردوسَ أول داخل ... له سائر الأبواب بالخار تفتح

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الأخبار بالمغيبات التى وقعت فى زماننا مما يدخل فى دلائل النبوة والله الهادى .

* * * *

وإلى هنا ينتهى كتاب شمائل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه للإمام ابن كثير والحمد لله على عونه وفضله .

* * *

مراجع التحقيق

١ **القرآن الكريم** .

٢ **تفسير القرآن العظيم** . للحافظ ابن كثير . ط دار الشعب بالقاهرة

٣ **الجامع لأحكام القرآن** . للإمام القرطبى . ط دار الغد بالقاهرة

٤ **صحيح البخارى** . للإمام البخارى . وعليه فتح البارى بشرح صحيح البخارى . للحافظ ابن حجر العسقلانى . ط مكتبة القاهرة بالقاهرة .

٥ **صحيح مسلم** . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . ط دار الحديث بالقاهرة .

٦ **سنن أبى داود** . لأبى دواد السجستانى .

٧ **سنن ابن ماجة** . للإمام ابن ماجة القزوينى . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . ط دار الريان بالقاهرة .

٨ **سنن الترمذى** . لأبى عيسى الترمذى .

٩ **مسند أحمد بن حنبل** . تحقيق حمزة الزين . ط دار الحديث بالقاهرة .

١٠ **المستدرك** . لأبى عبد الله الحاكم . تحقيق محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية بيروت .

١١ **السنن الكبرى** . للإمام النسائى . ط دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٢ **الجامع الصغير** . للإمام السيوطى . وعليه فيض القدير . للإمام المناوى . ط دار المعرفة بيروت .

١٣ **سنن الدارمى** . ط دار الريان القاهرة .

١٤ **دلائل النبوة** للإمام البيهقى . تحقيق عبد المعطى قلعجى . ط دار الريان القاهرة .

١٥ **مجمع الزوائد** . للإمام نور الدين الهيثمى . ط دار الفكر بيروت .

١٦ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ط مكتبة المعارف الرياض السعودية .

١٧ **سلسلة الأحاديث الضعيفة** ط مكتبة المعارف الرياض السعودية .

١٨ **صحيح الجامع الصغير** ط المكتب الإسلامى بيروت .

١٩ **ضعيف الجامع الصغير** ط المكتب الإسلامى بيروت .

٢٠ **التاريخ الكبير** للإمام البخارى ط دار الكتب العلمية .

(فهرس الموضوعات)

